

السيد محمد علي علي خان

أبو طالب

عليه السلام
وبنوه

تقديم:

العلامة السيد نصر الله المستنيط
العلامة الشيخ باقر شريف القرشي

دار
الحجة البيضاء

خالد المصطفى



www.haydarya.com

أَبُو طَالِبٍ
وَبَنُوهُ

السيد محمد علي آل السيد علي خان

أَبُو طَالِبٍ وَبَنُوهُ

تقديم

الحجتين السيد نصر الله المستنبط
الشيخ باقر شريف القرشي

للجزء الأول

الطبعة الأولى

طبعة الادب في النصف الاشراف

١٠٠٠ / ٧ / ١٩٦٩



تقديم

تفضل به سماحة آية الله السيد نصر الله الموسوي المستنبت دام ظله
نشره شاكرين .

الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الطاهرين واللعن على
اعدائهم اجمعين وبعد فلا يزال في التاريخ الاسلامي فجوات كثيرة تحتاج
الى كثير من الجهد ممن له علم وعناية بالموضوع فان التاريخ الاسلامي في
اطواره المختلفة قد خضع لعوامل ومؤثرات خطيرة جعلته يسير في ركب
الحكومات التي كانت تتوالى على الحكم فأفقدته صفة الموضوعية والحياد في
الولاء والعداء والجرح والتعديل ومن هنا قد اهل ذكر كثير من الرجال
اللامعين على امتداد العصور الاسلامية ولم ينصف كثيرا من الرجال الذين
بدلوا حياتهم ونفوسهم في خدمة الرسالة ومن هؤلاء شيخ الاباطح سيدنا
ابو طالب عليه السلام فقد تنكر له التاريخ الاسلامي ولم ينصفه رغم انه
وقف حياته في سبيل الاسلام وجمد كل امكاناته ومكانته في قريش لاسناد
النبي العظيم صلى الله عليه وآله ولم يتنكر له ذلك جهلا بل لأمر ما قد اكنته
الصدور لا يخفى على ذوي البصائر والفكر ، وقد تفرغ فضيلة العلامة الحجة
السيد محمد علي السيد علي خان دامت بركاته لدراسة حياة ابي طالب وبنيه
ومواقفه من رسول الله (ص) حينما كان (ص) مستضعفا بين قومه وعشيرته
في مكة وقد كان للمؤلف دامت بركاته التوفيق فيما قرأت من كتابه القيم في
عرض الجوانب المشرقة من حياة ابي طالب ومناقشة الاحاديث التي اختلقتها
الايدي المدسوسة لخط من كرامته ومحاسبة التشكيكات التي اوردها في اسلامه
وسوف يجد القارئ في هذا الكتاب القيم عرضاً ادبياً رائعاً ومنهجاً متماسكاً
جديداً ولا غرو فقد كان فضيلة المؤلف من درس وتخرج من جامعة
النجف الاشرف وعدد من فضلائها المرموقين والله اسأل ان يجعل هذا الأثر
العظيم طليعة لآثار ينحف بها المكتبة الاسلامية والله الموفق .

نصر الله الموسوي المستنبت



بين يدي الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على خير النبيين وسيد المرسلين والبشر اجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

كانت فكرة التأليف في حياة ابي طالب وبنيه عليهم السلام تراودني وتشدني اليها منذ عهد بعيد .

وما إن سنحت الفرصة وحالفني التوفيق حتى بادرت الى الفكر أستوحيه والى التاريخ الذي تضمن احداث هذه الفترة من عمر الزمن لأحكم له او عليه فكان هذا المؤلف الذي يضم أجزاء ثلاثة .

يختص الجزء الاول منها بحياة ابي طالب عليه السلام ، والثاني في أحوال عقيل وجعفر واحفاد ابي طالب من اولاده الثلاثة ، اما الثالث فيتضمن حياة أمير المؤمنين علي عليه السلام فحسب .

وكلي أمل في ان يمدني الله سبحانه بالرعاية والتأييد ، وينال هذا المؤلف الذي اهديه لساحة قدس علي أمير المؤمنين عليه السلام : من الله تعالى شأنه ومنهم عليهم السلام : الرضا والقبول .

المؤلف

المؤمن الأول

كان الناس - ومنهم الأمة العربية - تتبعها الاسر القرشية من قبل أن يطل الاسلام على العالم الفسيح ، ومن قبل ان تشرق انواره على البسيطة المتراصة الأطراف ، ومن قبل أن يئن الله القدير على المجموعة الانسانية ببعثة الرسول المنقذ محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

كان الناس من قبل على نزعات متباينة واهواء شتى ، كما كانوا في مجتمع تسوده الوحشية وتهيمن على أخيبته الخرافات والأساطير ، وتعشش في اذهان افراده الأباطيل وكل ما ينافي الانسانية والخلق الرصين : من وأد البنات وهن احياء ، وقتل الأولاد خشية الإملاق ، وانتشار الخمور ، وتعاطي الفجور ، وغزو القوي للضعيف . . كما كانوا متفككين متفرقين يخافون ان يتخطفهم الشيطان من حولهم وهم لا يشعرون ، يعبدون أحجاراً عملوها بأيديهم : يهللون لها ويكبرون ، يسجدون لها ويركعون ، ويسبحون بحمدها آناء الليل واطراف النهار ، كما يقربون لها القرابين ، ويسألونها بلحاح الحاجات في الشدائد والملمات . .

وعلى سبيل المثال نذكر جملة من تلك الأوثان والأصنام المعبودة في تلك الأدوار المظلمة والعهود السوداء :

منة ، أساف ، نائلة : معبودات قبيلة غسان والأوس والخزرج .

ود : معبود بني هذيل .

نسر : معبود قبيلة حمير .

سواع : معبود بني كلب ، محله حومة الجندل .

يغوث : معبود قبيلة ثقيف ، موقعه الطائف .

العزى : معبود كنانة وبعض بني سليم وبعض من قريش .

هبل : معبود اكثرية قريش ، موقعه الكعبة المشرفة .

وفي ذلك العصر الذي كان للاصنام والأوثان سوقها الرائج ومكانتها

العظمى وميزلتها الرفيعة ، كان ايضاً أناس يعبدون الله عز وجل ويوحّدونه

ويغفون عنه كل شريك ونظير : منهم قس بن ساعدة الأيادي ، وزيد بن

عمر بن نفيل ، وبنو هاشم بصورة عامة ، وفي طليعة بني هاشم الزعيم عبد

المطلب وابنه ابوطالب عبد مناف . . فكانا ينحوان منحى هذا البيت .

ألاكل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وقد عد أهل السير أن جد الرسول العظيم عبد المطلب من المتأخرين ،

كما ذكروا أن دوره كان دور إيمان بالله ودور اعتزاز بخدمة بيت الله ،

وبها تميز وتطاول على الغير وتفوق على الناس - كل الناس - كما انفرد بالخلق

الفاضل الجميل وتحلى بكافة المفاخر والمآثر .

وقد ذكر المؤرخون في ترجمته رضوان الله عليه : انه كان مشتهراً

بعبادة الله والتجائه اليه ، لذا كان الناس يقصدونه في الأمور الصعاب وفي

الشدائد والأهوال ، وكلما دعتهم الحاجة فما يجدونه الا مليئاً حاضراً لكل

المتطلبات بكل رحابة ، يقصدونه للاستسقاء عند حبس الأرض بركاتها

والسما درها ، فيخرج مستصحراً فلا يأتي على آخر دعائه إلا ويستجيب الله

دعائه ، فيرحم الناس بالمطر ويغيثهم من القحط والشدّة . . وبدعوته ودعائه

خلص الله الكعبة ومن بفنائها من الناس من شرور ابرهة الحبشي واتباعه

الذين أرادوا نقض الكعبة ونسفها من الأساس ، فكان عبد المطلب في اكثر

أوقاته أخذاً بعصا دقي باب الكعبة وهو يردد :

يارب ان المرء يمنع رجله فامنع رحالك
لا يغلبن صليهم ومحامهم عدوا محالك

يارب لا ارجو لهم سواكا يارب فامنع عنهم حماكا

وهكذا ظل جد النبي يتوسلا الى الله سبحانه ومتضرعاً اليه راجياً منه تعالى أن يقي البيت الحرام ويدفع عن الناس مكائد الأحباش ومناوءتهم العدوانية ، الى ان ثار الله عز وجل لبيته وخلقه فأرسل على الأحباش الأوباش الطير الأبايل ، فدمرتهم تدميراً ومزقتهم شرمزق ، وذهبوا الى لعنة الله وناره . « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول . »

يحدثنا المسعودي في مروج الذهب ٣٩٠/١ في ترجمة الزعيم الهاشمي شذية الحمد عبد المطلب فيقول : وكان عبد المطلب مقراً بالتوحيد ، مثبتاً للوعيد ، تاركاً للتقليد - الى أن يقول : وكان اول من اقام الرفادة والسقاية وهو اول من جعل باب الكعبة ذهباً خالصاً مطعماً بالأحجار الكريمة على حسابه الشخصي ، كما كان يفتخر بذلك ، وهذا قوله :

اعطي بلاشح ولا مشاحح سقياً على رغم العدو الكاشح
بعد كنوز الحلي والصفائح حلياً لبيت الله ذي المسارح

ويقول المسعودي في نفس الصفحة والجزء : ولما جاء ابرهة بالأحباش لهدم الكعبة وقلعها من الجذور وعسكر في القرب من مكة المكرمة واخرج الفيلة ليذهب الناس ويبعث الوجل والاضطراب في النفوس ، ثم صار جيشه الى نهب مواشي قريش ولابلها ، وكان من جملة ما انتهوه لإبلا للزعيم عبد المطلب ، الأمر الذي أدى الى الرغبة بزيارة ابرهة في معسكره ونعيمه

ليستنفذ اموال الناس وحيواتهم وضمناً لبله الخاصة ، ولما وصل اليه رجب به وعظمه واحترمه واكرمه وقال له : ألك حاجة فأقضيها ؟ وكان يحسب انه جاء لغاية تخلص الكعبة من الهدم والنقض ، فما استشعر إلا ان بله نهبت مع ما نهبه الجيش من مواشي الناس ، وعندها قال له القائد : حسبتك ترجو مني ما هو اسمي واجلس عندكم من الابل والأموال ، حسبتك انك تأهل العفو عن كعبتكم ومعبدكم المعظم . فقال عبد المطلب : ايها القائد أما انا فرب الابل ، وأما البيت فله رب يحميه ويمنعه من اي اعتداء واساءة ثم نهض للخروج ، فأمر ابرهة برد الابل وجميع ما اخذه الجيش من قریش كرامة لرئيس مكة ، وبعد ان عاد عبد المطلب الى مكة نادى بأهلها واعلمهم بمنويات القائد الحبشي من الإبادة والتدمير ثم القضاء على البيت الحرام مما كانت الموانع والحواجز ، الأمر الذي يحتم عليهم الفرار بأرواحهم وذرائعهم من الموت المرتقب في عشية وضحاها واللحوق ببطون الأودية ورؤوس الجبال ، أما انا فأبقى مرابطاً في البيت حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً . فخرج القوم من الوطن مرغمين خائفين تاركين وراءهم رؤسهم المحبوب وزعيمهم الكريم ، وظلوا يرقبون الأخبار ويتطلعون عن كتب الى ما سيصنعه الله بالأحباش المحرمين . أما عبد المطلب فكان على عادته يأخذ كل يوم بعضادتي باب الكعبة ويدعو الله عز وجل ويستدر رحمته وعطفه ولطفه بالناس وانتقامه من الظالمين الذين يريدون الوقعة والسوء ببيته المعظم الى ان انتقم الله لبيته وخلقه وارجع كيد الأحباش الى نحورهم وصلورهم فرح عبد المطلب فرحاً كبيراً وكتب الى قریش يعلمهم بتعجيل الله على الكفر وزول عذابه عليهم واهلاكهم عن آخرهم ، فعادوا مستبشرين الى وطنهم وأماكنهم ، كما عادت اليهم حياتهم الطبيعية ، وبالمناسبة انشأ عبد المطلب :

حمدت الله إذ عاينت طيراً
وكل القوم يسأل عن نفيل
وله أيضاً :

أيها الداعي لقد أسمعني
ان للبيت رباً مانعاً
فأنثى عنه وفي اوداجه
قلت والأشرم يرمي حيلة
فجزاك الله فيما قد مضى
نحن دمرنا ثموداً عنوة
نعبد الله وفينا سنة
لم تزل لله فينا حجة

وقال المسعودي في مروج الذهب ٣١٣/١ : وكان عبد المطلب يوصي
ولده ابا طالب بصلة الرحم واطعام الطعام وتصور البعث والمعاد ، وجعل
اليه سداقة البيت الحرام وسقاية الحاج ورفادتهم .

وأكثر من الوصايا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك قوله :
أوصيت من كنيته بطالب بابن الذي قد غاب غير آيب .
وقوله :

أوصيك يا عبد مناف بعدي بواحد بعد أبيه فرد

* * *

وقد ألهم جد الرسول الكريم أن ينتقب عن زمزم ، وقد عثر عليها
مؤخراً فنظفها ونقاها من الأدران ، وجعلها صالحة للاستعمال .

وزمزم هذه هي العين التي أنبعها الله تعالى للنبي إسماعيل عليه السلام
حين كان رضيعاً ، وحين جاء به أبوه ابراهيم مع أمه هاجر واسكنها بفناء

الكعبة ، فأدار عليها الحجارة وانصرف عنها بعد ان استودعها الله الرؤف الرحيم بقوله كما حكاه القرآن الكريم : « ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

فبقيت هاجر وطفلها في حمية الله وكفنه ، في حين لا شيء هناك ، لا ماء ولا كلاء سوى البر الأقفر والفضاء الوحش ، ويجف اللبن من هاجر ويعطش إسماعيل ويشرف على الموت من العطش ، فترتبك الأم للحادث وراحت تركض الى حيث لا تدري ثم تعود فتنظر طفلها يفحص بيديه ورجليه ، وهكذا الى ان عادت في المرة الأخيرة فوجدت رحمة الله وصنعه فوجدت عين ماء صافية باردة تنبع من تحت قدمي الرضيع ، ففرحت واستبشرت وهي تقول منذهلة : زم الماء ، زم الماء . فسميت زمزم .

وهي التي احياها واعادها عبد المطلب ، وعلى اثر هذا الاصلاح والإحياء ثارت ثائرة قرينش ، وتعالى وتعاضم حسدها وحقدتها للزعيم الهاشمي على ما آتاه الله من فضله ، وانخيراً نازعوه العين زاعمين انها تعود للقرشين بصورة عامة باعتبار أنها موروثه من الجد الأعلى لإسماعيل فهم فيها شركاء ، فلا وجه اذاً لاحتصاص السيد الزعيم عبد المطلب بها وانطوائه على خيراتها .

وتوسعت الخصومة واشتدت ، وانخيراً اجبروا عبد المطلب على المحاكمة عند الكاهنة ، فوافق مضطراً حفظاً على بني هاشم وحرصاً على سيادة الأمن والسلام ، فساروا جميعاً لحضور المحاكمة ، وبيناهم في اثناء الطريق كان الوقت شديد الحر ، فعطش القوم وأضر بهم ، فكانوا من الموت كقاب قوسين او أدنى ، فباوسعهم إلا ان يلوذوا بالملاذ العظيم والكهف الحصين جد الرسول ، فاستجاروا به من العطش ، فما كان منه رضوان الله عليه

إلا ان يسأل الله عز وجل ان يسقي القوم ويمنّ عليهم بالحياة المهددة ، فلم يستم دعاءه الا وانبع الله الماء من تحت حافر فرس عبد المطلب ، ففرح القوم وشربوا الماء وعادت اليهم حياتهم الاعتيادية ، وحين شاهدوا هذه الكرامة لجّد النبي قتر رأبهم بالاجماع ان يتنازلوا له عن زعمهم ويعدلوا عن فكرتهم ، واخيراً صارحوه بما نواؤوا وكروا راجعين الى الوطن .

اقول : وما اجراء مثل هذه الكرامات والفضائل من الله تعالى على يدي الزعيم عبد المطلب رضوان الله عليه إلا من جهة وطيد اتصاله ووثيق علاقته بالله عز وجل ، ومتين اعتماده عليه سبحانه ، والا لكان من اول المستحيلات ان يجري الله الخير والكرامة على يدي من لاعلاقة له به ، او على يدي جاحديه والمشركين به .

* * *

ومن كرامة الله واحسانه على عبد المطلب ان صار أميناً مخلصاً على النبي ، وكافلاً حنوناً عليه صلى الله عليه وآله ، وذلك على اثر موت ابيه وامه ، فكفله اجل كفالة وافضلها ، وقام بتربيته وادارة شؤونه خير قيام فكان المقدم عنده والمقرب لديه والمتفوق حتى على اولاده ، يولي الكثير من عنايته والوفير من رعايته وحنانه ، يتحرى خدمته بنفسه ويتصدى للوازمه بشخصه ، يحرص الحرص كله ان يلبي منه كل مفرح ويبعد عن ساحته كل مؤذ ومكدر ، وربما توسم من محياه النير وجبينه الوضاء شارات العظمة والسمو وعلامات الحجد والسؤدد وآيات النبوة والكرامة ، فيضيف ذلك الى ما لديه من معلومات قديمة واخبار متوارثة : من ان النبي الذي يظهر في آخر الزمان هو من صلبه يكاد يعتقد في محمد .

ومن هنا وهناك أراد المزيد من التأكيد والاطمئنان ، قصد به صلى الله عليه وآله الى الكهنة وقدامى العناء . ولا يعرضه على واحد منهم إلا ويجد

منه التأيد لفكرته ، والتسليم لنبوءته ، والإيضاء بالاحتياط والحفاظ عليه من مكائيد الدهر وحوادث الزمن ، فيرجعه والفرح والغبطة ملء جوانحه وجوانبه ، وكيف لا يكون كذلك والنبوة والرسالة لحفيده المحب محمد !؟
 وكما كان رضوان الله عليه يتمنى ان يفسح الله له في اجله ويمد في عمره لا لشيء سوى ان يدرك الزمن الذي تتحقق فيه بعثة محمد ورسالته ، ثم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . ولكن الأجل لا يستأخر ولا يستقدم ، فتصدر ارادة السماء بانتقاله الى الفردوس الأعلى ، حيث المؤمنون والأولياء وحسن اولئك رفيقاً . وعليه لا بد من الرضوخ للقدر والتسليم ، والرضا بأمر الله ، فبعهد بوصاياه ومهامه الى ولده المؤمن وثقته المفضل ابي طالب ولده الأكبر ، فيستعد ابو طالب لكل متطلبات الوالد الراحل ، وانشأ على الفور :

لا توصني بلازم وواجب إني سمعت اعجب المعجائب
 من كل حبر عالم وكاتب حديثه رويته عن راهب
 ثم ينتقل جسد الرسول الى الدار الآخرة وجوار الرب الكريم ، فيلتزم ابو طالب بكل الوصايا والعهود ، ولا سيما فيما يخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ابو طالب يتمتع بكل صفات الخير

كان رضوان الله عليه ينعم بشخصية فذة وزعامة عامة ، كما كان يتصف بكرم الخصال وعظيم المفازر وجميل الفعال والمآثر .

وكان عالماً كبيراً ، له دراية في فقه الأوائل والحديث ، وهو شاعر بليغ ، له ديوان مطبوع يحتوي على الشعر الرائق والنظم البديع ، وما حفظته الكتب من شعره أكثر مما احتواه الديوان المطبوع .

وكان فيلسوفاً مهماً ، تلمذ على يديه كثير من متكلمي العرب وفلاسفتهم ، وربما تجربنا المناسبة الى التعرض لهم انشاء الله تعالى .
وكان اديباً محققاً ، ذكر المؤرخون له كثيراً من الخطب والمقالات الفصيحة .

وكان مجاهداً في سبيل الله ، يعمل الخير من أجل الخير ، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويسعى دائباً الى قمع جذور الضلال وقلع اسس الفساد ، بعد أن كان قد حرم على نفسه واسرته شرب الخمر وتعاطي الفجور ولعب القمار ، والزم بمحاربة الرذائل بكل ألوانها واشكالها التي منها عبادة الأوثان والأصنام السائدة حينذاك ، وهو الذي قرر أن تكون دية المقتول إما ألف دينار وإما ان تكون مائة رأس من الابل ، يهدف من وراء هذا التثقيف في الدية الى ان تنخفض نسبة القتل المتكررة في ذلك العصر ، وقد اقرها الاسلام ولم يزل معمولاً بها حتى اليوم والى يوم يبعثون

اما بنو هاشم بصورة عامة فهم يكبرون أبا طالب ويقدرونه ويمتروونه ويعظمونه ، كما لا يقطعون بأمر دونه ، فهم يأتمرون بأمره وينزجرون بزواجه ، ولم يشذ منهم أحد ابداً ، حتى إبي لهب فإنه لا يستطيع إلا أن يمثل امره وان كان مخالفاً له في العقيدة مبايناً له في المبدأ والدين .

يحدثنا النسائي في خصائصه عن عفيف الكندي انه قال : قصدت مكة المكرمة لاشغال عرضت لي ، وكان بعضها يتعلق بالعباس بن عبد المطلب ، وكان عطاراً يبيع العطر في محل مقابل للبيت الحرام ، ولما وصلته استطال بي الجلوس حتى صار الظهر او قارب ، إذ أنظر شاباً بهي المنظر جميل الطلعة يمشي على استحياء ، له هيئة ووقار ، نظره الى الأرض اكثر من نظره الى السماء ، فأتبعته بصري ، فاذا هو يقف عند باب المسجد الأعظم فيرمق السماء بطرفه ، ثم دخل البيت فوجه وجهه الى جهة من جهات البيت ، ثم اقبل غلام يشبهه في الهيئة والهيئة فاقتدى به ، ثم جاءت امرأة فوفقت خلفها ، وصار الجميع يركعون ويسجدون مع الغلام المتقدم ، الأمر الذي استفزني وجلب انتباهي ، فلم امتلك اعصابي دون أن استفهمت العباس عن هؤلاء وعما يعملون . فقلت : يا عباس انه لمنظر رائع وحدث عظيم . العباس : انه حقاً لأمر خطير وجميل ، أتدري من الشاب المتقدم ؟ عفيف : لا اعرفه ولا اعرف عنه شيئاً ولم اره قبل اليوم .

العباس : هو محمد بن عبد الله ابن أخي ، والغلام هو علي بن ابي طالب اخي ، والمرأة هي خديجة بنت خويلد زوجة محمد ، وقد اخبرني محمد أن ربه رب السماء هو الذي قد أمره بهذا الدين .

عفيف : أوجد من هو على هذا الدين غيرهم ؟

العباس : لا والله ما على وجه الأرض غير هؤلاء الثلاثة .

عفيف : ماتقولون انتم يا بني هاشم ؟

العباس : ننتظر رأي الشيخ ابي طالب ، فانه بعد لم يعرف رأيه ،
فنحن في ترقب ، ومتى ما استظهرنا رأيه تابعناه ، وما كان لأبي منا ان
يتخلف ابداً .

* * *

اقول : العباس هو ابن عبد المطاب بن هاشم بن عبد مناف ، فهو
اخ لأبي طالب رضوان الله عليهما ، وللعباس وزنه واهميته ومكانته المثلث
في الأوساط المكية والهاشمية ، كما وانه شخصية لامعة في دنيا التجارة والثروة ،
كما وان له جميع مؤهلات الزعامة والرياسة لولا ابو طالب . ومع هذا كله
لا يقطع بأمر ولا ينفرد برأي من دون استشارة اخيه الزعيم ابي طالب
رضي الله عنه .

وهكذا نجد شخصية عم الرسول العظيم (ص) محاطة بهالة من الإعظام
والإكبار والاحترام والتقدير ، فعن دسته تصدر الأوامر ، ومن ناديه تنبعث
الزواجر والنواهي وكافة التعاليم والارشادات .

ومن هنا نجد أن بني هاشم على العموم حين تحققوا لثقات ابي طالب
نحو رسول الله وتظاهره بمؤازرته ومعاضدته اجمعوا على الذب عن النبي ،
وحمايته من الأيدي الغاشمة الكافرة ، الا أباهب فانه ساير قريشاً وانظم
الى قوافلهم .

ابو طالب يكفل النبي ويؤازره

يقوم زعيم الهاشميين بكل وصايا أبيه الراحل على افضل ما قام به ولد بار لأبيه العظيم ، فيوقف نفسه لخدمة الكعبة وحماية المسجد الأعظم وإدارته ، ووفادة الحاج وضيافتهم وسقايتهم ، الى غير ذلك من تعظيم وتبجيل . ثم قام بخدمة النبي الكريم (ص) ، فالتزمه التزاماً قل نظيره ، وأحاطه إحاطة قلما تتحقق لأحد من الناس . . . فنجده يقدمه على نفسه وولده ، حتى أصبح لا يأنس الا به ، ولا يرتاح الا اليه ، ولا تحلو له مجالسة غيره . فهو صحيبه في سفره وحضره ، وسميره في حله وترحاله ، يفرح اذا فرح ، ويحزن اذا حزن ، يرضى لرضاه ويغضب لغضبه . وهكذا تمر الأعوام على رسول الله وهو في كنف عمه وتحت ظله الوارف آمناً وادعاً مرتاحاً ، ينعم بالكرامة والهدوء .

وربما اذا خلا بنفسه تعترضه الذكريات ، وتمر على صفحات ذهنه الشريف بعض الفكر ، فيلوح له ما قد فقده من حنان الأبوين وشفقتيها وعطف الوالدين ورأفتيها ، فيستشعر مخلفات اليتيم ورواسبه المؤلمة ، فيتعكر عليه صفوه ويكثر عليه قلقه ، ثم تنطوي عنده هذه الصفحة ، وسرعان ما تنتقل عنده الحال ، فتعرض نعم الله عليه وما هيأه له من حضور عمه الزعيم لخدمته ومداراته ، وحضور زوجة عمه فاطمة بنت أسد ايضاً كذلك فتبهون عليه صلى الله عليه وآله مصيبته بأبويه الكريمين ، فيعاود التسليم

لقضاء الله وقدره ، وينصرف الى حمد الله تعالى والازدياد من شكره على نعمائه والآله .

* * *

وكلما يزداد النبي نمواً وارتقاءً في السن يزداد وينتعالى ولاؤه وحبه في نفس عمه واعماقه .

وكان رضوان الله عليه كأبيه يقرأ من ملامح النبي وأساير وجهه الكريم علامات النبوة ودلائل البعثة ، بالإضافة الى ما ورثه من سلفه الصالح من المعلومات . وصار هو أيضاً يدور بائن اخيه على العراف والكهنة ليتبين مدى توسمه وتكهنه ، ومدى أثر صحة ما وصل اليه بطريق الوراثة من انقال واحاديث ، واخيراً يحصل على تأييدهم اجمعين ويستفيد منهم واقعية الأمر وانه كائن لمحمد لا محالة ، وكلهم يوصونه بالاحتفاظ بمحمد وحايته والسهر على حياته ، ويحذرونه من اليهود الآثمين .

وظل ابو طالب يرقب ذلك اليوم الآخر ، اليوم المبارك الذي يبعث الله فيه محمداً رسولاً للناس ورحمة للعالمين ، ثم المجد والعزة والكرامة والعظمة للعرب بصورة عامة ولبنينا هاشم بصورة خاصة .

وما ان يشيع نبأ تكهن ابي طالب والعراف في مكة وضواحيها حتى غمرت الناس اللهفة وعمتهم الفرحة ، ورجوا ببركة هذا الحدث ان يتخلصوا من هوة الجاهلية ، واوضاع الوثنية المقيتة ، وتحكم اهل النفوذ والقوة .

واعطى الناس لقب الصادق الأمين لرسول الله ، فكان محمد الصادق الأمين وهكذا قدر للرسول صلى الله عليه وآله ان يكون مهوى الأفئدة ، ومهبط الإكبار والتمجيد ، وعمل المدح والثناء من قبل كافة المتألهين والموحدين ، بل من قبل عامة الناس ، إلا ما كان من الجسارة والطواغيت والمشركين واليهود القذرين الذين اقض مضجعهم وحز في نفوسهم تنبؤ محمد وتحقق بعثته

يحدثنا المتقي الحنفي في كنز العمال ٣٠٥/١ فيقول : جاء رجل من بني عامر فجالس بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فصار يسأله متأدباً . فارتاح اليه النبي وآتسه حديثه ، ولما انتهى العامري من مسأله اخذ النبي يقص عليه قضية ولادته المباركة وما جرى له اثناء الولادة ، فاستأنس الرجل وقال : بأبي انت وامي يا رسول الله ما ألد حديثك ، واجمل كلامك ، تفضل حدثني جعلت فداك .

فقال صلى الله عليه وسلم : اعلم يا اخا بني عامر لما بني ابي بأمي وحلت بي رأيت فيما يرى النائم ان نوراً شع من بطنها وانتشر في الفضاء ، فجعلت تتبعه بصرها ، فرأته وقد ملأ الأرض والسماء ، فقصت رؤياها هذه على حكيم من حكماء العرب ، فقال لها : يا أمنة ستلدين غلاماً يعلو ذكره بين السماء والأرض . . وكان أهل حي بني سعد بن هوازن ينتابون نساء أهل مكة للحضانة اولادهم واطفالهم ليعيشوا على خيرهم واجرة لارضاعهم ، وصادف ان ولدتني أُمِّي في ايام حضورهم بمكة ، وكان قد مات أبي وتبعته اُمِّي ، فكنت يتيماً قد كفلتني عمي ابو طالب ، ولما سمعت النساء بقصتي تباعدن عني ورفضن حضائتي وارضاعني نظراً لفقرتي ويتيمى ، وصرن يرددن : ضرع صغير ويتيم فقير ، فاعسانا ان ننتفع به من خير .

وكانت من بين النساء امرأة يقال لها ام كبشة بنت الحارث ، فقالت لجماعتها : اني لا ارجع لبلدي خائفة أبداً ، فقصدتني فحملتني وألقتني على صدرها ، فدر لبنها فحضنتني وحضرت لارضاعي وتربيتي ، ولما بلغ عمي اباطالب الخبر فرح بذلك فرحاً ماله من مزيد ، فأقطع الحضانة لبلاً وثياباً ثم صار يواصلها ويسعفها مادمت عندها .

اقول : الحكيم الذي نوهت عنه آمنة بنت وهب والذي قصت عليه رؤياها هو جد الرسول صلى الله عليه وآله الزعيم عبد المطلب رضوان الله

عليه ، فانه كان على يقين من امر حفيده ، وانه سيصبح اعظم انسان واجل شخصية يخضع له العالم كل العالم ، وتنحني له لإجلالا واعظاماً كافة الرؤساء والعظماء ، كما سيعلو دينه على كافة الأديان وان كره الكافرون .

وأما المرأة التي حضنت النبي صلى الله عليه وآله والتي فازت بتلك الكرامة التي لاتضاهيها كرامة ، والتي حازت على اسعاف زعيم بني هاشم ابي طالب هي حليلة بنت أبي ذؤيب ، حليلة التي ألقى الله في روعها حب محمد رسول الله وولاءه ومودته ، فانصاعت صادقة مخلصه الى خدمته وتيسير كل ما يحقق راحته وهدوءه واطمئنانه . . فهنيئالك يا حليلة ، ونج نج لك يا مرضعة محمد العظيم ، فقد فزت والله فوزاً عظيماً ، ونلت من الشرف وعلو المقام ما يغبطك عليه جميع نساء العالمين ، وبشراك يا حليلة حيث صح عنه صلى الله عليه وآله انه قال : هبط علي جبرئيل يبلغني عن الله عز وجل انه يقول لي : يا محمد إني مشفعك يوم القيامة في ستة نفر :

بطن حملك : آمنة بنت وهب .

وصلب حملك : عبد الله بن عبد المطلب .

وحجر كفلك : عمك ابو طالب .

وبيت آواك : جدك عبد المطلب .

وثدي ارضعك : حليلة السعدية .

واخ لك : كان في الجاهلية .

فهنيئالك وألف هنيئاً يا حاضنة النبي ، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وهكذا يقدر لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون مقدراً مهاباً محترم الجانب عند حليلة واسرة حليلة ، الكل يعزونه ويكبرونه ويسهرون على راحته وارتياحه وبحرصون على دفع الأذى والمكارة عنه : أولاً لما لمسوه من توفر الخيرات وتضاعف البركات عليهم بوجوده بين ظهرانيهم ،

وثانياً من حيث اغداق ابي طالب الأموال والمعونة عليهم مدة الرضاع .

* * *

وبعد ان استكمل صلى الله عليه وآله مدة الرضاع نقله عمه ابو طالب الى داره ، فمما وترعرع في ظل تلك الأحضان الحنونة والحجور المحبة الحريصة على سلامته وصيانتة .

ويبدو لأبي طالب ان يسافر في متجر الى الشام في الرحلة التي اعتاد عليها المكيون ، إلا انه رضي الله عنه صار في ضيق من ناحية النبي ، لأنه لا يستطيع فراقه ، كما لا يأمن عليه من تركه بمكة ، واصطحابه معه لا يخلو من مصاعب واتعاب ، واخيراً قرر استصحابه لأنه اخف الضررين واهون الأمرين ، باعتبار أنه هو الحارس عليه بعد الله تعالى ، فأردفه أمامه وسار مع القافلة ، حتى اذا أراد الجمع الاستراحة والاستجمام ، فأوقفوا حركة القافلة ، وانزلوا الأحمال والأثقال انحاز الناس كل الى جماعته واصحابه ، وانحاز ابو طالب برسول الله الى ظل دير كان هناك ، ففرش له واجاسه ، ثم صار الى تهيشة مألديهم من الطعام ، اذ يطل راهب الدير من بعض النوافذ فيقع بصره على النبي صلى الله عليه وآله ويعقب تلك النظرة بتأمل في ملامحه وأوصافه ومحاسنه وطلعته ، وما كان منه الا أن ترك الدير واقبل مبادراً مسرعاً حتى جثا بين يدي النبي صلى الله عليه وآله ، الأمر الذي أدى بأبي طالب ان يعرض عما هو فيه الى التوجه بكله نحو النبي وترقب حركات الراهب وسكناته .

ولنترك الحديث لابن هشام ، فهو يوضح لنا القصة ، وهو الذي يوقفنا على الواقع والحقيقة ، وقد جاء في سيرته ٩٠/١ ، قال :

إن القافلة حين وصلت الى ارض بصرى قريباً من الشام زلت بالقرب من دير راهب ، فأطل الراهب على الركب ، وما ان وقع بصره على

رسول الله حتى خف الراهب الى ابي طالب يسأله :

ما يكون هذا الغلام منك يا ابا طالب ؟

ابو طالب : هو لاني وولدى .

الراهب : لا يا ابا طالب ما هو بابنك ولا ولدك .

ابو طالب : ولماذا وكيف علمت انه لم يكن كذلك ؟

الراهب : انه لا ينبغي ان يكون له واللحي .

ابو طالب : ولماذا وما الغاية من ذلك ؟

الراهب : لأنه على مواصفات تقتضي ان يكون هو نبي هذا الزمن ،
وعليه فلأحدى علاماته ان يموت ابوه .

ابو طالب : ما الذي تقصده من النبي ؟

الراهب : النبي هو الانسان الذي يأتيه الخبر من السماء فينبئ به
أهل الأرض .

ابو طالب : أهل كل نبي يجب ان يموت ابوه ؟

الراهب : نعم حتى لا يكون لأي انسان أمر وسيطرة عليه حتى
ولو كان ابوه .

ابو طالب : صدقت ايها الراهب ، ان لنا على تنبوء محمد دلائل
ورثناها خافاً عن سلف ، وهو قدمات ابوه وهو حل في بطن امه .

الراهب : اذاً ما يكون منك يا شيخ الأبطح ؟

ابو طالب : هو محمد بن عبد الله اخي .

الراهب : صدقت يا ابا طالب ، واني انصحك ان ترجع بابن اخيك
من مكانك هذا وإن ادى ذلك الى ذهاب اموالك وخسارتك في تجارتك ،
فاني لا آمن عليه من دسائس الشرك ومكائد اليهود ، فانهم ان عرفوا منه
الذي عرفته فلا يولون عنه حتى يلحقوا الأذى به ، بل يغتالونه بكل نشاط

وقوة ، ومن دون ما اختشاء أو حذر .

وبالتالي يصمم ابو طالب على العودة بابن اخيه مؤثراً الحفاظ عليه والاحتياط على حياته التي هي ائمن واغلى من كل نفيس على اي منفعة مادية ، واي فائدة يتصور انها تنتج عن تلك السفرة والتجارة . واخيراً اوى عنان راحلته وكر راجعاً الى الوطن .

وقد ذكر ذلك ايضاً الحلبي في سيرته ١/١٤٠ ، وذكره ايضاً ابن سعد في طبقاته ، بل تعرض له كافة اهل السير في ترجمة النبي صلى الله عليه وآله وذكروا ايضاً ان ابا طالب حين وصل بالنبي الى مكة لازمه ملازمة منقطعة النظر ، حتى صار ينيمه معه في فراشه ، كل ذلك حرصاً على حياته واحتياطاً على سلامته من شرور المعتدين .

وهكذا يظل عم رسول الله مراقباً له متفقداً احواله ، لا يبارحه ليل نهار ، يقتفي اثره ويتبعه اتباع الظل ، حتى اذا بلغ اشده وقوى ساعده وامتلك القوى الدفاعية قلص ابو طالب تلكم الملازمة ليعتمد على نفسه بعد الله عز وجل ، ومع هذا ما استطاع ابو طالب إلا ان يرقبه عن كثب ويرصده من حيث لا يستشعر مدة غير قليلة الى ان اطمئن رضي الله عنه عاياه .

ابو طالب وتجارة النبي

وترجح لأبي طالب ، ان يعرض السفر على رسول الله بتجارة يهيئها له ، فيسافر بها الى الشام مع القافلة ، ليطلع أولاً على عالم أوسع من العالم الذي يعيشه ، وليقف بنفسه على عادات العرب ومآثرهم ، ثم التجارة التي يؤمل ان تعود عليه بالخير الوفير والنعم الجمّة . . . فكان منه صلى الله عليه وآله ان وافق على الفكرة ورحب بالسفر ، فصار ابو طالب الى إنجاز الأمر وتوفير أسبابه ولوازمه .

قصد خديجة بنت خويلد ، إذ هي اول امرأة ملية مثرية ، والناس كلهم يتجرون بأموالها وثروتها ، فعرض عليها فكرته وغايته ، فلم يجد منها الا الترحيب الحار والتقدير والإكبار . ثم صبت الأموال بين يديه ، وتركت الخيار له فيأخذ ما يشاء من غير حساب كرامة للزعيم الهاشمي وتقديراً لحمد العظيم . فتناول قدرأ معيناً وشكرها على شعورها الطيب نحوه ونحو ابن اخيه ، ثم خرج من عندها مودعاً بمثل ما استقبلته به من الحفاوة والتكريم ، بعد ان طلبت اليه ان يعلمها بساعة السفر لتجهز خادمها ميسرة ليكون بخدمة النبي مصطحباً اياه ، ليتولى ادارة شؤونه ذهاباً واياباً .

عند ما تهيأت القافلة واستعدت للسفر اوصى ابو طالب بمحمد الأصدقاء والأحباب ، وارسل الى خديجة بعض غلانه يشعرونها بتهيؤ القافلة ، فكان ميسرة على اهبة الاستعداد ، فالتحق بالنبي فور اعلامه ، فسأيره ومشى الى جنبه ، وحين علمت بنت خويلد بحركة الركب ، إذ تتحضر متسلقة

السلم لتشرف من اعلى السطح على محمد لتلقي عليه نظرة الحنان واللفظ التي شعرت بها ساعة مجيء ابي طالب ذاكراً لمحمد ، وبمجرد ان وقع بصرها عليه رأت الغمام يضلله من حرارة الشمس وبقية لفتح المحجور ، فيأخذ الحادث العجيب منها مأخذاً ، فتتحقق ان لمحمد شأناً خطيراً ومكانة سامية في السماء فكان موضع اللطف الالهي والعناية الربانية .

وتستمر متوجهة نحوه حتى غاب عن بصرها ، فترجع الى مقرها لتزاول أعمال البيت ، إلا أنها نجد في قرارة نفسها أنها تحب محمداً وتودّه وتكبره وتعظمه ، لا شيء غير أنه صني الله ومهبط فضله وكرامته .

ولم تمض الليالي والأيام حتى بشرت بوصول القافلة ومحمد الى ضواحي البلد ، فتعاود السطح لتتعم بنظرة الى محياه الكريم ، ولتستطاع قضية الغمامة ، فتبينت عين المنظر ، وتحققت نفس الحالة الأولى . فحمدت الله تعالى على سلامته ، وشكرته على وصوله موفور العزة والمنعة ، وطلبت اليه عز وجل أن يلهم محمداً رغبة الزواج منها ، لتتوفق لخدمته ويتسنى لها القيام بشؤونها واذا ماتم لها ذلك كانت هي السعادة العظمى والحياة الحرة الكريمة .

وتأتيها البشائر بريح المتجر مائة بالمائة ، وهي لا تزيد على اكثر من ان سلامة محمد هي أمن من كل قيس وغال ، واجل من جميع متع الحياة . ولم تزل مصممة على هذا حتى اذا زارها ابوطالب ليرجع إليها ماأخذ منها والريح الذي مخض عنه المتجر ، فاجد منها إلا الإلحاح باهداء الأصل والفرع لمحمد العظيم ، ورجاء تكرار العودة فيما اذا صادف لمحمد مثل هذه السفرة مع فخر واعتزاز ، فلم يسع ابا طالب الا القبول والشكر والدعاء ، ونهياً للقيام فرأى وقرأ من نفس خديجة شيئاً تحاول اظهاره وابقافه عليه ، لولا ما هناك من مانع الحياء ، فيجعلها تتلأأ في الحديث ، الأمر الذي أدى بأبي طالب ان يستفهمها الحال ويستطلعها عما يحالجهما من

فكرة : . وبالتالي رأت أن تصارحه بما يدور في خلدتها المتمثل برغبة الزواج من محمد صلى الله عليه وآله ان كانت هناك رغبة مماثلة ، وكل الغاية هي خدمة محمد وتوفير أسباب الراحة والهدوء لقداسته ، فما كان من عم الرسول الكريم إلا ان وعدها خيراً .

وكرر راجعاً الى البيت يفكر في الموضوع يؤيده مرة ويفنده تارة اخرى ، فيجد ان المرجحات والمخاذير تتعارض وتتصادم لديه ، اذ تنهزم المخاذير أمامه الا واحداً منها يتأصل ويستحكم ، وهو كل ما يكون تفوق خديجة بالسنة على محمد ، وهو من اختصاص محمد فقط وله وحده الاختيار ، فليعرض الأمر عليه اذا لبيت فيه وبحكم بما يشاء .

وبعد ايقافه على القصة اخذت منه مقداراً من التأمل والتفكير ، واخيراً يرفع رأسه قائلاً : يا عم لا ارى لكبر السن مزيداً من الأهمية ان كان الموضوع رائقاً من الجهات الأخرى . فاستشعر ابو طالب الموافقة ، واعتزم اتمام القضية ، وبعث الى خديجة من يبشرها .

ابو طالب يزوج النبي

اتجه ابو طالب نحو تهينة أسباب الزواج ومعدات الفرح ، واول عمل قام به رضوان الله عليه هو أن قصد أهل خديجة واسرتها العربية الكريمة ، فوجد الإعظام والاكبار والتقدير والتوقير ، وما ان استقر به المجلس حتى فاوض الأهل والأقارب فيما يخص خديجة ومحمد رسول الله ، اذ يهب الجميع معتزين فخورين بالشرف العظيم الذي سيحصلون عليه بمصاهرة بني هاشم ، ولا سيما بمحمد الصادق الأمين وعندها خطب ابو طالب خطبة العقد ، فقال :

« الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل ، الحمد لله الذي جعلنا خيار الناس ، الحمد لله الذي جعل لنا بلدأ حراماً وبيتاً محجوجاً وجعلنا الحكام على الناس . ثم إن ابن اخي محمداً من لا يوازن به أحد من قريش إلا رجح عليه برأً وفضلاً ، عقلاً ورأياً ، وانه وان كان في المال مقلاً فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة ، وله رغبة في خديجة ، كما لها مثل ذلك ، وما احببتم من صداق فعلي اداؤه ، ولحمد والله بعد نبأ شائع وخطب جليل . »

ثم قدمت التشريفات وتفرق القوم ، ورجع ابو طالب فصار إلى اعداد المهر ومعدات الوليمة ، حتى اذا ماتم له كل شيء صنع ليلة الزفاف وليمة فخمة ضخمة لم يسبق لها في تاريخ الولايم العربية مثيل ابدأ ، وكانت ليلة مباركة عمت الفرحة فيها الجميع ، ولا سيما بني هاشم ، ولا سيما ابا طالب .

يحدثنا الشبلنجي في نور الأبصار ص ٤١ في بيان تعداد أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : اول زوجات النبي اللواتي دخل بهن خديجة بنت خويلد ، وكان تزوجه بها بإرشاد من عمه ابي طالب ، وكان صداقها اثني عشر أوقية ونصف الأوقية من الذهب الخالص ، دفعه ابو طالب من خالص أمواله .

اقول : لقد عرفتنا الوقائع وأوقفنا الأحداث على ان رسول الله صلى الله عليه وآله عاش مع السيدة الكريمة ام المؤمنين خديجة عيشة هادئة رضية ، كما وجد منها المرأة المحبة الوفية والمخلصة الأمانة ، لقد شاركته في السراء والضراء ، وآثرت راحته على راحتها ، آثرت بهروتها التي جلت عن الإحصاء والتعداد ، آثرت بكل ما تملك حتى صارا ينمان على جلد شاة ، فهو كل الموجود وكلما يدور عليه سور بيتها الكريم . . كل ذلك ولم يخطر ببالها يوماً ما ان تسأل الرسول عن شيء ابدأ ، لعلمها بأنه صلى الله عليه وآله صرف تلك الثروات في سبيل الله ومصالح الاسلام ، وكان من جملة موارد الصرف اعاشة بني هاشم سني الحصار والاعتقال . ويقدر لها ان تلد بعد اليأس للنبي العظيم الطيب والظاهر والزهراء ، ولم تلد احدى زوجات النبي إلاها ، وكان نسله صلى الله عليه وآله وسلم منها ، لذا قال : ان ذرية كل نبي من صلبه إلا أنا فذرْبتي من ابنتي فاطمة وابن عمي علي بن ابي طالب .

وبالفرحة ابي طالب حين يتبين ارتياح ابن اخيه العائلي وصفاء جوه المنزلي ، ولا سيما حين يطالع على احوال خديجة معه من السهر على المصلحة والتصدي بصدق واخلاص عميقين لجلب بواعث الدعة والاطمئنان والترفيه والاستقرار ، ما ان كان لها الى ذلك سبيل . فينكفيء الى حمد الله وشكرانه على نعمائه وآلائه .

ابو طالب وبدء الدعوة الاسلامية

نشأ ارادة الله الحكيم الاشاعة التي لاراد لها ولا يمكن ان يقف في طريقها أي ارادة أو اشاعة . . نعم نشأ ارادة الله العظيم ان يجهر رسول الله بنبوته ، ويعلن عن بعثته ورسالته ، ولا سيما بعد ترديد السماء « وانذر عشيرتلك الأقربين » . فلم ير صلى الله عليه وآله وسلم بدأ من ان يفاتح عمه الزعيم اباطالب في الأمر ، ويطلعه على جلية الحال ، اذ هو رضوان الله عليه فقط موضع ثقته ومحط أسرارده ، كما هو اكبر عامل للنهوض به نحو الغاية ، واجل دعامة يمكن أن يرتكز عليها ويعتمد على ما يراه من آراء موفقة وخطط سديدة .

ففاتحه صلى الله عليه وآله وسلم ، فتأمل قليلا ثم رفع اليه طرفه وقال :
بأبي أنت وامي يابن أخي ، مر تطع ، واحكم انفذ انشاء الله .
فقال : اريد فعلا احضار أربعين نفراً وانت منهم يا عم من الأهل والأسرة .

فأجابه الى ذلك وهو يردد « سعيأ على الرأس لا سعيأ على القدم »
الآن احضرم يابن أخي .

فنهض رضوان الله عليه وعاد ومعه القوم ، فقال رسول الله لعلي :
احضر الطعام ، فأحضره فأكلوا وشربوا ، والطعام على حاله وكأنه لم تمسه أيديهم ولم يتناولوا منه لا قليلا ولا كثيراً .

وما ان استشعروا هذه الكرامة حتى صار بعضهم ينظر الى بعض

نظر الممشي عليه من الموت، وهبوا جميعاً للخروج، وبعضهم يقول للآخرين :
هيا هيا لنخرج لقد سحرنا محمد . فانفضوا ولم يستفد منهم رسول الله
شيئاً ، ولم يفهموا منه معنى .

ولما صار اليوم الثاني أمر النبي علياً ان يجمع له القوم ثانية ، فبادر
عليه السلام الى احضارهم ، فأحضرهم . وبعد أن اخذ كل واحد منهم
مجلسه لبثدهم رسول الله قائلا : يا قوم أرايتم ان اخبرتكم ان العدو ممسككم
او مصابحكم اكنتم تصدقوني على ذلك ؟

قالوا : نعم نصدقك وانت فينا الصادق الأمين .

قال : يا قوم إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، افي قد جئتكم بأمر
إن اطعنوني عليه دانت لكم العرب والعجم ، تشهدون أن لا اله الا الله
واني رسول الله اليكم ، أياكم يؤازرني على هذا الأمر على ان يكون اخي
ووزير و خايفتي من بعدي ؟

وما ان سمع القوم ذلك حتى احجموا واطرقوا برؤوسهم إلى الارض
كأنهم يساقون الى الموت .

والى هنا نعطي المجال للتاريخ ليحدثنا عن لسان امير المؤمنين علي بن
ابي طالب ، لأنه شاهد عيان ، فيقول عليه السلام : ردد رسول الله دعوته
ثلاث مرات والقوم سكوت كأنما على رؤوسهم الطير ، فقامت أنا وكنت
آنذاك اصغرهم سناً واضعفهم جسماً ، فقلت : انا يا رسول الله اؤازرك على
دعواك وانا صرك على اداء رسالتك . وعند ذلك اخذ برقبتي وقال :

يا قوم هذا علي اخي ووزير و خليفتي من بعدي فاسمعوا له واطيعوا .

أما ابو طالب فانه حين رأى لاحجام القوم ووجومهم قام فتكلم فقال

فيا قال :

أي محمد ما احب الينا معاونتك ، واقبلنا لنصيحتك ، واشد تصديقنا

لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وأنا واحد منهم ، فلا ازال امنعك
واحوطك ، فامض لما امرت به .

فقام ابو لهب فقال : يا قوم هذه هي السوء ، هذه هي السوء ،
يا قوم خذوا على يديه من قبل ان يأخذ غيركم .

فقام ابوطالب فقال : صه يا اباهب ، والله لنمنعنه ما بقينا .
ثم التفت الى النبي وقال : قم ياسيدي ، قم يا محمد ، تكلم بما
احببت ، وبلغ رسالة ربك فأنت الصادق الأمين .

سمع القوم هذا فقاموا مغضبين ، تملوهم الكآبة ، وقد ضاقت عليهم
الأرض بما رحبت . . كل ذلك من حيث انخياز ابي طالب الى جبهة محمد
وحزبه : والمصارحة باتباعه وتصديقه . واقل نتائج ذاك الاتباع والانخياز ،
هدر القيم والاطاحة بالكيان ، وبالنهية القضاء على الآلهة والمعبودات .

ولكن ثمة بصيص من أمل حسبوا أنهم ينفثون منه الى تعكير الجووين
ابي طالب ومحمد من جهة وإلقاح الفتنة بين علي وأبيه من جهة اخرى ،
واذا ماتم لهم ذلك جلسوا على التل للفرجة ، وبالتالي يتمكنون من شل
حركة محمد وخنقها في مهدها ، ويقضون على محمد وبه ينتهى كل شيء .

أقبلوا على ابي طالب يذرفون دموع التماسيح ، وتسلهوا بالخداع
الماكر ، وأظهروا تألمهم لقضية تأمر محمد لعلي مع وجود ابيه البطل والعظيم
المفضل : أما رأيت يا شيخ الابطح كيف امرك محمد ان تسمع لا بذك
وتطيعه ، أما ان ذلك هوان لا يمكننا معه الصبر والسكوت ؟

ولكن اباطالب العظيم لم يكن ليخفى عليه حقد القوم وبغيهم ، كما
لا يتصور في حقه أنه يمكن ان تنطلي عليه محاولات الشرك واحاييلهم الهادفة
الى خلق الجور المعاكس بينه وبين ابن اخيه او بينه وبين ولده علي ، لذا
لم يعر طنطنة الذباب ولا نقيق الضفادع ولا النفثات المحمومة ولا قليلا من

الأهمية ، مادام محمد صادقاً في دعواه حكيماً لأمره كما لا يخدش في كرامته وزعامته كونه مأموراً لولده الصغير منقاداً إليه ، مادام ذلك صادراً عن إرادة إلهية وتدبير سماوي كريم .

ولم يحدثنا التاريخ كما لم تنقل لنا كتب السر أن عم النبي الزعيم أبا طالب يتأثر للحادث ، أو تألم للنأمر آنف الذكر ، أو تعرض للعتاب لا اقل . فكل ذلك لم يكن ، بل الآثار والشعائر تؤيد رضاه بفعل الرسول صلى الله عليه وآله ، وإقرار له ولنا من ناصع الأدلة كما سنذكر انشاء الله على امر أبي طالب ولده علياً باتباع النبي ومؤازرته لا يحصى ، فن ذلك قوله : الزم محمداً مهما استطعت ، فانه لا يدلك إلا على خير ولا يهديك إلا سبيل الرشاد .

وتواتر عنه قوله :

ان الوثيقة في لزوم محمد فاشدد بصحبته علي يديكا
ومهما يكن من أمر : إن إنحياز أبي طالب إلى معسكر النبي صلى الله عليه وآله ، أحدث البلبة والضجة في صفوف الشرك ، كما أحدث الاستياء العام في جموع الكفر .

ومن هنا وهناك صمموا على التكتل والاتحاد ومخالفة اليهود ليكونوا يبدأ واحدة على أبي طالب كي يقهروه على التنازل ويضطروه الى التخلي عن رسول الله ، او يموتوا جميعاً قرابين للأصنام والأوثان .

وبطبيعة الحال ان هذه التكتلات والتجمعات لانتكاد تحفى على ابي طالب كما لا تعزب عن تفكيره نتائجها السيئة ورواسبها الدنيئة اذا لم تتخذ السبل لتكتل مماثل او اقوى يرهب العدو فيوقفه عند حده ، ولا اقل من تكثير عدد الأعوان والأئصار والحلفاء ، فيبدو لأبي طالب أن يكون اول عمل يقوم به هو الاجتماع بالهاشميين بصورة عامة واحاطتهم بمنويات القوم وما يبيتونه

للمجتمع الهاشمي من الدمار والافناء ، ولاسيما محمد محبوب الجميع ، وما كان من الهاشمين الا ان يلبوا نداء زعيمهم ورئيسهم مهما كانت التضحيات والخسائر والمخلفات ، وهم طوع اشارته وتوجيهاته .

وصار هو بنفسه - اعني ابا طالب - الى تحري جرركات القوم وترصد ما يدور في النوادي والمجالس من مؤامرات وتصميمات عدائية وخطط جهنمية حتى اذا وقف على خيوطها تتبعها واكتشفها ففضحها ووقف أمامها وقفة الأسد المشبل ، فيصرخ عالياً : اني بالمرصاد لكل من تسولت له نفسه اذاء محمد ، او يدنو منه بمساءة مادمت حياً وسيفي بيمينني ، ثم ليعلم ان ابن اخي محمداً لا يريد أن يفرض مبادئه بالقوة والسيف ، بل هو كالتاجر الدوار بتجارته ، ما ان وجد لها راعياً باعها والاحمد الله على كل حال .

وانطوى على نفسه الى ان يحدث الله له بعد ذلك أمراً ، وباقى الله سبحانه وتعالى الذعر والخوف في قلوب المشركين من سطوة أبي طالب والأسرة الهاشمية ، الأسرة التي ألهمها أبو طالب قوة وحاساً وبأساً وشجاعة وترك كل فرد من أفرادها يتوقد ثورة واقداماً . كما خلق منهم قوماً مستميتين لا يرون الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين الا برماً ، وما ان شاهد الشرك ذلك حتى خافوا نشوب حرب مدمرة تطيح بالأرواح والآلهة ، ثم لا ينفعم اذ يندمون .

وأخيراً وبعد اجتماعات ومداولات قرروا أن لا يعملوا بصورة علنية على مقاومة ابي طالب ومحمد وايدائهما ، فالتكتم هو الأولى في الأوقات الحالية ، وانتهاز الفرصة بانفراد محمد واتخاذ طرق الحرب الباردة انفع في صد الاخطار .

وعليه تم التصميم وعقدت النية ، ويلاقي هذا التدبير من الجماعة كل ترحيب وتقدير ، فالتنذرع بسحر محمد وشعوذته وجنونه وكهانتة هو اكبر

ذريعة لتخطيم مباديء محمد وشريعة محمد، وبنفس الوقت نصر للمعبودات وعزة للآلهة . . .

وربما تلاقي هذه المسسات الحاقدة، والنقشات المحمومة بعض الرواج، ونوعاً من القبول والتصحيح، إلا انها تنهار أمام دعوة الحق وثورة العدل، ولم تفلح بالاستمرار والدوام ما دام هناك قدرة وقوة تعملان في الخفاء، فتتفدان الى المناوي المحاطة بسور من الكتمان المنيع، فتكشفان كل ما هو مبيت ومصور، فتوحيه للزعيم الهاشمي فتماثله استئساداً ونخوة، وتحفزه للأخذ بعضهم مجد مطلاً به على رؤوس الشيوخ والأبطال في اعظم نواديهن المزدحمة، فينقض عليهم انقضا الصقر بلاذع الخطاب وقريع المقال :

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذلك وقرمك عيونا
ودعوتني وعلمت انك صادق ولقد صدقت وكنت ثم امينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
والله لن يصلوا لايك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا
فيترك القوم حيارى تتقاذفهم الأمواج فتعود بهم الى الخضيض، وتسير بهم في الطريق الشائك المتعب والسبل المتتوية، وسيسمعهم أبو طالب ما هو أشد عليهم من وقع السيوف، واشق عليهم من لب النار وضرب الحديد، ما دام ساتراً وراء محمد يسندة ويؤازره، فيلزمهم والحال هذه ان ينكفئوا الى الآلهة مستجيرين ولائذين، يثيرون فيها روح الثأر لعروشها المهدة بالنقض والنسف، فيرجعون وكأنها قد ألمتهم الصمود، وحببت اليهم مماكرة أبي طالب ومخادعته بكل وسيلة وحيلة .

فيعمر النادى ويجمعون ويكثر الحديث، واخيراً يرون أن يقدموا على أبي طالب بعارة بن الوليد . . . عمارة الذي هو أنبل شخصية عربية عندهم واجل شاب في قريش يجمع كثيراً من صفات الكمال وخصال الخير، فيستبدلونه

بمحمد شاب مكان شاب ، ومتى ما كان لهم ذلك كان الفتح في جانبهم
والرشد في صالحهم ، وتفننوا في قتل محمد وتلذذوا بالتمثيل به .
وما ان عرضوا الفكرة على الزعيم الهاشمي حتى انتفض انتفاضة الأسد ،
وغضب غضبة الليث ، وقال : والله ما انصفتُموني ايها الحمقاء ، نبأ لكم
آيتها الجماعة ، وحقاً ونعساً لعقولكم أيها الجبناء الأغبياء ، أتريدون مني ايها
الصفافون الوةحون ان اعطيكم ولدي وروحي لتقتلوه وتكلوا به وتعطوني
ابنكم أربيه لكم ، فالكم كيف تحكمون ؟! ارجون مني ان استبدل محمداً
بعمارة بن الوليد ، فوالذي نفسي بيده لو أعطيتُموني العالم كله لما استبدلته
بظفر من رجل محمد ، فإليكم غني ولا تكلموني والاعلوت رؤوسكم بالسيف...
فنهضوا من المجلس مهانين محقرين يودون ان تنخسف بهم الأرض
او يأتيهم الموت من مكان سحيق ، باءوا الى اهلهم بالخزي والعار وفشل المحاولة .

* * *

اية فكرة احط قدراً واطأ درجة من هذه الفكرة ، واي رأى اسخف
واقدر من هذا الرأي ؟؟؟ .

فكرة ورأي يصدران من أناس يزعمون الثقافة ، ويدعون التفوق في
الخبالين العلمي والأدبي ، ويتمشدقون بالشمم والسؤدد والرياسة العامة على
العرب - كل العرب - ويفضلونهم نبلاً وعقلاً سياسة وحزماً . . . وأخيراً
تسفر آراؤهم عن مثل تلك النظرات الحاقدة والنظريات المحبولة التي يترفع
عن مثلها صغار الأطفال وضعاف النفوس .

وكيف ياترى يرضى الأطفال والضعاف لأنفسهم أن يقدموا على مثل
أبي طالب الذي يفندي مجدأ بأولاده ونفسه بعمارة بن الوليد ، أو أن حب اولئك
للآلهة أو حبههم للزعامة الجاهلية هو الذي أعماهم وأصمهم ، والحب في الغالب
يعمي ويصم ، وهو وحده يريهم جمال الأفعال وحسن الآراء ، فينبعثون

نحوما يتخيلونه من حيث يشعرون ولا يشعرون ، غير مكترئين بوخيم العواقب ولا بالنتائج غير المحمودة .

وعلى يد من رجوا ان تنجح مؤامرتهم وبفاح خداعهم ومحاولتهم !؟
على يدي ابي طالب الذي يرى ان الحفاظ على حياة محمد اقدس واجب
ألقيت مسؤوليته على عاتقه ، واجل مشروع يفرض عقله عايه حمايته وصيانيته !؟
اذاً لتصغر النفس والأولاد والنفائس ، فهي اقل الفداء لمحمد ما دام محمد
رسولا لله ومبعوثاً من قبله عز وجل . . .

وجرياً على سيرة النبلاء وطريقة العقلاء فيما اذا لم تلاق أفكارهم القبول
والترحيب فانه يتحتم عليهم عدم ارتياد النظائر والأشباه ، وعدم التفكير بالأمثال
والمقاربات ، حرصاً على البقية من الكرامة والمكانة . ولكن أفي هؤلاء أن
يركضوا إلى كرامة ويعتصموا بسيرة مستحسنة .

لذا نجدهم وقد عاودوا الكرة وقاربوا الفكرة وكونوا وفداً لبقابل
الزعيم المهيب يشكونه النبي ويريدون منه ان يحدد صلاحيته ويعرقل سير
قافلته وحركة عجلاته ، فيتقدم ابو جهل رئيس الوفد وعتبة وشيبة ابنا ربيعة
وابو سفيان صخر بن حرب بن أمية ، وابو البحتري بن هاشم ، والعاص
ابن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج .

واقحم ابو جهل نفسه بالكلام ، فقال : يا زعيم مكة ان ابن اخيك
محمدأ قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا الذي نحن عليه ، فإما أن تكفه عنا
وعن شعائرتنا ومعبوداتنا ، وإما ان نخلي بيننا وبينه .

فما كان من عم النبي العظيم إلا ان قال : سأجتمع بمحمد فأعرض
عليه ماتطالبون ، والأمر له والحكم يخصه ، فانتظروا إني معكم من المنتظرين .
فنظر القوم الى بعضهم نظرة اليأس والقنوط ، ونفضوا من حوله وقد
اضافوا فشلاً جديداً الى قائمة المحاولات السابقة الفاشلة .

ويجتمع ابو طالب بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ليستشعر
عزمه وتصميمه ، وليتضح موقفه هو شخصياً إن رفض محمد مقررات قريش
وطلباتهم ، وعندها يجهرش صلى الله عليه وآله بالبكاء ويألم للحادث ويقول
لعمه : والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا
الأمر حتى يظهره الله أو أهلك .

فيحدث هذا الانكسار والاستعبار والتصميم الحار في نفس أبي طالب
صدمة قوية وانهيأراً عميقاً ووخزاً مثل حد الشفار ، الأمر الذي لا بد أن
يكون معه عرض جميع القوى والطاقات ، واستعراض كل ما لديه من إمكانات
وقابليات واسعة النطاق ليهداً محمد وليفرح بنفس الوقت ، وليكون على
اطمئنان من ان ابا طالب لا يمكن ان يتركه وشأنه ابداً ، ولا يمكن ان يتخلى
عنه ولا لحظة واحدة ابداً ، ويستحيل ان يسلمه عند الوثبة ابداً ... ولا
ولن يقول له « إذهب انت وريك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » .

ولا بد ايضاً من تشجيع محمد وبث روح الحماس فيه والاستبسال والمضي
قدماً نحو الغاية والهدف الذي كانت بعثته من أجله ، غير هباب لما يعترض
طريقه من عقبات ومصاعب ، وهو الناصر والمؤازر له بعد الله تعالى وكفى ...
فينشط رسول الله صلى الله عليه وآله وتقوى عزمته ، فيسترسل في تبشيره
ويواصل دعوته وتبليغه معتمداً على الله العظيم اولا وعلى مساندة عمه الزعيم ثانياً .

° ° °

أما القرشيون والأنباع والхلفاء الحاقدون فإنهم كادوا يتميزون من
الفيض ، وكادت قلوبهم أن تنقطع حرات وآهات كلما شاهدوا محمداً جاداً
في أمره داعياً الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد تحدى بواسطة
عمه كل الآلهة المقدسات وكل الزعامات والحريات . ومن الممكن بالتالي
القضاء النهائي ، وتلك هي الخسارة التي لا تعوض ، وذلك هو الخسران المبين .

فليس لهم اذاً إلا معاودة الآلهة والاستجارة بحضرتها من الشيخ الخفيف
الذي يلاحقهم حتى في فترات الاستراحة واوقات النوم ، الشيخ الذي صار
بأنحيازته الى محمد سبباً - بل من اكبر الأسباب - في تحطيم الكيان الجاهلي
وسحق السلطان الوثني ، اللذين عاشتهما الناس قروناً وقروناً .

ويرجعون وهم يحملون بين طياتهم فكرة ضرب الحصار على ابي طالب
في شعبه ، ونية اعتقاله في محلته ، وبذلك تحدد صلاحية ابي طالب وتنقاص
دعوة محمد ويرقب فيما بعد ماذا تكون النتائج وما سيسفر عنه الاعتقال
وفرض الإقامة الجبرية ، فقدّر لهم في هذه المرة ان يفلحوا وينجحوا ، فيتم
فرض الحصار ويتحقق حكم الاعتقال .

ابو طالب والشعب

وما ان بلغت قضية الحصار إلى اذهان الهاشميين الأفذاذ حتى تفروا
أجمعين الى الشعب ، مستأثرين حياة الاعتقال الرهيبة ومرارة الحصار الشائنة
مع الزعيم ابي طالب على الحياة المرفهة والعيشة الرضية خارج نطاق الشعب ،
الأمر الذي لم يجد من نفس الزعيم نوعاً من الاستحسان ولا قليلاً من الرضا
بغية تحمل الأعباء بنفسه ليس إلا ، إذ هو كل الغاية وهو وحده المقصود
أولاً وبالذات ، إلا ان الأبطال الهاشميين ابت وابت بإلحاح إلا المقام معه
وربط المصير بالمصير مهما كانت النتائج ، ثم الحياة بحياته والمات بماته .

ويبدو للزمر المعادية بعد إخضاع اليهود والمجرمين على الانظواء تحت
اللواء وتحت شعار العدو المشترك ان يكتبوا صحيفة توقع من الرؤساء واهل
النفوذ ، بعد ان تملأ مواد وبنوداً كل سداها ولحمتها التضييق على ابي طالب
والتشديد في أمر الحصار ، وان لا يفك إلا بتسليم محمد أو يموت ابو طالب
ومن معه ، كما يجب ان تعلق الصحيفة في جوف الكعبة ، فذلك أبعد لها عن
التحريف وعبث الأيدي المناوئة .

أما مواد الصحيفة فهي كما يلي :

- ١ - يفرض الحصار على ابي طالب في شعب ابي طالب .
- ٢ - يمنع منعاً باتاً إيصال المواد الغذائية اليهم بكل صورها وألوانها .
- ٣ - يمنع الدخول اليهم والخروج منهم نهائياً .
- ٤ - يحظر التزويج من آل ابي طالب ابداً .

- ٥ - يحظر الزوج من آل أبي طالب ابداً .
- ٦ - يمنع ابصال الماء أوكل مايع الى آل أبي طالب منعاً باتاً .
- ٧ - يحظر التعامل كلية مع آل أبي طالب .
- ٨ - يمنع بتاتاً لايصال الفرش والغطاء والكساء الى آل أبي طالب .
- ٩ - لا يفك الحصار عن أبي طالب الا ان يسلم محمداً أو يموتوا كلهم جوعاً وعطشاً .

- ١٠ - تعلق الصحيفة في جوف الكعبة .
- ١١ - يعاقب كل من يحاول الإخلال بأي واحد من الشروط .
- ١٢ - يجب أن يخصص جماعة يرابطون في منافذ الشعب ليمنعوا كل من يحاول التسال من بني هاشم او اليهم .
- ١٣ - على قريش تنفيذ كل ما جاء في الصحيفة حرفياً .

التواقيع : ابو جهل المخزومي ، ابو سفيان صخر بن حرب بن أمية ، العاص بن وائل ، ابو البحتري بن هاشم ، شيبه بن ربيعة ، عتبة بن ربيعة ، ابو طيب بن عبد المطلب ، منبه بن الحجاج ، عمرو بن العاص ، سعد بن ابي وقاص ، نبيه بن الحجاج ، عبد الله بن ربيعة ، الحرث بن هاشم المخزومي ، صفوان بن أمية ، سهيل بن عمرو ، حويطب بن عبد العزى ، الوليد بن عتبة . وهكذا تطوى الصحيفة وتعلق في جوف الكعبة ، وظلوا يرقبون الثمرة والنتيجة المرضية بندم أبي طالب وتسليم محمد ، وهناك تعود الحياة والنصر ، كما تفوز الآلهة بالظفر والحفاظ على الكيان والمعنويات .

* * *

أما ابو طالب والهاشميون فقد وطنوا انفسهم على تحمل أعباء الإعتقال وأنفال الحصار مهما كانت شاقة ومؤلة ، حتى ولو أدت الى الموت جوعاً وعطشاً . ولا بد في كل ذلك من التسليم لأمر الله وقضائه ما دام يهدف الى

الحفاظ على حياة رسول الله والاحتياط على وجوده الكريم .
ويطول الإعتقال فيخطر على بال عم النبي الكريم سأم الهاشميين وضجرهم
فيندفع تلقائياً الى تخفيف الوضع عليهم وتذكيرهم برعاية الله وعنسايته ،
ويلزمهم التصبر الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً ، كما يلزمهم بأن لا يشعروا
رسول الله الاستياء والسأم ، فينضاف الى ما يحسه ويستشعره من ألم الحصار
وعذابه الخائف ما يعكر عليه صفوه ويزيد في قلقه وانعدام استقراره .
ويستمر الحصار ثلاث سنين عجاف ، لاقى فيها ابو طالب الأمرين :
لاقى فيها الذل والهوان ، لاقى فيها من المصاعب والمصائب ما تطأطئ لهوله
الشوامخ وتنحني لفضاعته الجباه ...

لاقى كل ذلك بصبر وثبات ، لم يكن ليستعين إلا بالله ولا يأمل الفرج
الامنه عز وجل ، ومنه وحده يستمد العون والرشاد والتسديد والفلاح .
وبيمن دعائه رضي الله عنه قبض الله لإنعاش الهاشميين في تلك الأزمات
الخرجة حكيم بن حزام بن خويلد ابن أخ خديجة بنت خويلد ، فصار يوصل
مقداراً من المواد الغذائية الى ابي طالب تحت الحفصاء ، وبنوع من التأثير
الخارجي او الارشاء في بعض الأحيان ، ولأموال خديجة كل الأثر في انتشال
الهاشميين من الموت المحتم والحرب الباردة .

* * *

ولم يكتف الشرك والكفر بما صدر منهم في حق الزعيم الهاشمي
أبي طالب ، بل راحوا يحاولون اغتيال رسول الله ، بل حاولوه فعلاً في أكثر
من مرة ، لولا أن يلقي الله تعالى في روع ابي طالب ان يغير مجلس الرسول
ومكان منامه بين حين وآخر حذر الاختطاف والاغتيال .

وكم من مرة اقام ولده علياً من منامه فأنامه مكان رسول الله صلى
الله عليه وآله وأنام النبي مكانه ، يستهدف من وراء العملية هذه إخفاء

مقام النبي ومكانه حتى لا يستبين فيستهدفه العدو .

أما علي بن أبي طالب فإنه فرح بما كان يعملهُ الوالد الحكيم معه من تعريضه للسيوف والخطر ، ما دام كل المبتغى هو الحفاظ على سلامة محمد الحبيب . قال ابن أبي الحديد : وربما داعب علي أباه على أثر ذلك بما حصله : مالي أجلك يا ابتاه تعرضني للموت المرة تلو الأخرى ، وكأني هين عليك ؟؟ فما كان من عم الرسول إلا أن ينجيه بالحقيقة ويصارحه بالواقع الذي يحمله بين جوانحه ، فأنشأه :

بني اصبر فان الصبر أحجى كمل حي مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء شديد لفداء الحبيب وابن الحبيب

حقاً انها الحقيقة المكشوفة والواقع الذي لا يحتمل المحاملة والماراة ، انها الحقيقة والواقع وكفى ، انها الحقيقة والواقع اللذان يبتني عليهما كيان وجود الزعيم الهاشمي ، الحقيقة والواقع اللذان هما كل الداعي الى الزهد بحياة علي التي هي نسخة طبق الأصل لولا النبوة من حياة محمد العظيم . . . والحقيقة والواقع هما كانا كل السبب في تحفز علي عليه السلام الى إشعار أبيه الكريم بما يحتاج في نفسه من التصميم على وقاية محمد بآخر قطرة من الدم وآخر لحظة من الحياة ، ولم يكن ذلك بالشئ الذي يستجده علي ، بل هو أمر عاهد عليه الله عز وجل من أول يوم قد ادعى رسول الله فيه النبوة وظهر فيه البعثة ، ثم أنشأ :

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ووالله ما قلت الذي قلت جازعا
ولكنني أحببت أن ترى نصرتي وتعلم اني لم ازل لك طائعا
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد نبي الهدى المحمود طفلا ويافا

نقول : إن هذا من عم النبي وكافله لأعظم تضحية عرفتْها الدنيا ،

واخطر مفاداة ظهرت على مسرح الحياة ، واجل تفران سجله التاريخ في عالم التفاني ، لذا لم يعرف أحد من لدن آدم وحتى اليوم رجلاً يملك كما يملك أبو طالب من المكانة والسيادة وولاية الكعبة وسقاية الحاج ووفادة الزائرين - الى آخر ما هنالك من صفات الخير وكرائم الخصال ، وهو ابن هاشم الذي أقام الدنيا وأقعدّها جوداً وكرماً نفسية وشخصية .

ويزهد بكل ذلك وينصاع الى محمد الصغير ، محمد النبي الذي قد تربى في حجره وترعرع في بيته وتحت رعايته وحمايته ، ثم لم يكفه كل ذلك دون ان يفديه بنفسه ثم بولده ونفائسه !! .

لا ، لا يمكن ان يتصور هذا بالنسبة الى من يماثل ابا طالب ابداً . الا اللهم ان يكون ذلك بارادة الله تعالى ، كما هو الحال بالنسبة الى ابي طالب ، والا فالعاطفة والرحم مها أثر فها لا يبلغان الى ذلك الحد الذي بلغه أبو طالب رضوان الله عليه .

ولو كان لها كل الأثر والفعالية لكانا يعملان عملها بالنسبة الى علي ، فلا يدعان مجالا لتقديم الغير عليه . او جعله فداءً وقرباناً لمحمد ابن عم علي عليه السلام .

إذاً والحالة هذه لا محالة من أن تكون صلة القربى وأواصر الرحم بعض الدواعي ، أما الجزء الأخير المحقق لوجود العلة هو نبوة محمد ورسالاته ، وهما خاتمة المطاف ، وهما اللذان ينبعث عنهما أبو طالب مؤيداً لرسول الله وناصراً له . . . وأخيراً يفديه بنفسه وولده ، وهو يرى التقصير ويستشعر الحاجة الى الازدياد من التشمير .

وليس لقائل أن يقول : اذا كان علي يمثل رسول الله الا في النبوة فليس من الانصاف بعلي ان يزهد بحياته لحفظ حياة محمد ، اذ على الفرض لا بد وأن يتحقق محذور الترجيح من دون مرجح عنده ، وهو ممنوع عقلاً وبنافى

شأن أبي طالب ان يصدر منه ذلك .

لأننا نقول : ان عم النبي الكريم لم يخرج على طريقة العقلاء ، ولم يشهر السلاح في وجه القواعد أبداً ، بل هو على ضوئها يسير وفي فلكها يمشي وعلى رحاها يدور ، وما تقديم محمد على ولده إلا سعيّاً وراء المثل العقلانية وجرباً على إثر القواعد ، لأهمية محمد لأنه نبي هذه الأمة ، والنبي يجب تفاديه بالنفس والأولاد ، بل بالأمة كلها ان اقتضى المقام ذلك .

وقولهم المأثور « يجب تقديم الأهم على المهم » هو اساس عمل أبي طالب رضوان الله عليه ، وهو الذي كان ينظر من زاويته وواجهته الى التقديم والتأخير فإزاء رضي الله عنه لاحظ حياة محمد فوجدتها هي الحجر الأس لحياة الأمم والشعوب والأجيال المتعاقبة ، وهي غيرها في أبي طالب وابنه علي ... لذا احتفظ بتلك وفدى هاتين مادام الجمع غير ممكن والحفاظ على الجميع غير مقدور .

فجزاك الله يا عم رسول الله خير جزاء المحسنين ، وسلام الله عليك ورحمته وبركاته .

وتتكرر النوائب والمصائب على أبي طالب ، ويحاط من جميع جهاته بالآلام والأحزان وأسوار من الحموم والقلق ، لاستطالة مدة الحصار وجحيم الاعتقال ، اذ يفاجئه الرسول صلى الله عليه وآله ببشارة الله عز وجل ، تبدو منها أمارات الخلاص وشارات النجاة والسلامة ، تتمثل البشارة بالوحي الإلهي الناص على انه عز وجل قد أرسل الأرضة على الصحيفة المشؤمة فلحستها عن آخرها لإلا ما كان من « باسمك اللهم » ، وحينئذ ينشط ابو طالب ويثب وثبة الأسد ، فيستفهم ثانية ليتأكد النبأ : الله عليك يا بن الأخ أربك اطلعك على ذلك ؟ فيجيبه : نعم يا عم ربي اطلعني على ذلك .

فيتجه حين ذاك الى ملابسه وسيفه ثم يخرج مستأسداً مغضباً وتبعه نفر من اهله وذويه .

ابو طالب يفك الحصار

قويت إرادة عم النبي ، واشتد عزمه وحزمه ، وفك الحصار ، وخرج وقد حفر به بعض أشباله .

وكلموا مبعلاً من المشركين والمنافقين الجحريين هالهم منظره واستبساله ، حتى اذا دخل البيت الحرام فلم يسع الناس إلا ان قاموا لإجلالا وإعظاماً لهيبته ، ظلوا كذلك حتى انتهى من طوافه واخذ مكانه الخاص به من جنب الحجر .

جلس القوم ، واخذ كل مكانه وهم من الاستغراب على اشدّه ، مستكبرين هذا التحدي السافر الفضيع ، ولكن من الذي يجرؤ على الاستفهام والتعرف على الدوافع ؟ فليس لهم اذاً إلا إلزام جانب السكوت والصمت ، حتى كادت ان تنفطر المرائر وتنزق القلوب ، الأمر الذي استلزم ان يقحم ابو جهل نفسه في الكلام ، فقال والدهشة والرعشة أسقطتنا إياهه :

لعلك ايها الرئيس قد آن لك أن ترجع عما انت عليه من التعصب لمحمد وملازمته ، وجئتنا لتفاوضنا في هذا الشأن ؟ ! .

فقال رضي الله عنه : لا ولاكرامة لك ، لا ولن أنخلي عن محمد أبداً ما دمت حياً . نعم كل ما في الأمر أن ابن اخي أخبر عن ربه أنه عز وجل قد ساط الأرضة على صحيفتكم الظالمة ، فأكلت كل ما فيها من كتابة الا ما كان من « باسمك اللهم » ، فان كان الأمر كما يقول فلا والله لا نسلمكم اياه ولا نتركه حتى نموت عن آخرنا دونه ، وان كان الأمر على خلاف ذلك نرى أمرنا ورأينا في تسليمه إليكم .

فتأخذ القضية بمجامع القلوب ، وتأخذ الوفير من تعاليق القوم وحواشيمهم وأخيراً يطالبون من عم النبي أن يسمح لهم بالإنزواء الى بعض جهات الجامع للمشاورة والتداول في الحديث .

ثم انخازوا ، وبعد أخذ ورد وتحييد وتفنيد قد استقر رأيهم على إنزال الصحيفة والإطلاع على مدى صحة دعوى إبي طالب عن ابن اخيه ، وعلى الأكثر انهم كانوا غير مؤمنين بصحة الدعوى .

وكيف كان أنزلت الصحيفة العاتية ونشرت امام المجتمع ، فاذا هي كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تماماً ...
الله اكبر ، والعزة لله ورسوله ، الله اكبر .

ولكن صلافة الشرك ووقاحته أبت الا المكابرة والتظاهر بالبطولة والهيمنة على الأعصاب ، فالتجأوا إلى الأقاويل المكرورة من سحر محمد وشعوذته ، وان السحر وحده هو الذي عمل في الصحيفة ما عمل .

قام ابو طالب عن المجتمع مستجيراً ببيت الله من أباطيل الكفر وعناد الشرك ، آملاً منه تعالى النجاة والسلامة . وكر راجعاً الى الشعب يحدث الرسول بما جرى ، ويعلمه باصرار القوم على كفرهم وعتوهم .

فما كان منه صلى الله عليه وآله إلا أن يردد « إنا لله وإنا اليه راجعون ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . يا عم لا تكن في ضيق مما يمحرون ، سيجعل الله بعد العسر يسراً . يا عم وما ضاقت الا انفرجت » .

* * *

أما قريش فقد أصروا على ما في الصحيفة الغاشمة ، فأعادوه حرفياً اليها كما علقوها في مكانها من جوف الكعبة .

ولم يمر على الوضع غير أيام قلائل حتى قبض الله عزوجل لأبي طالب جماعة من قريش مثل زهير بن أمية المخزومي ومطعم بن عدي وإبي البحتري وزمعة

ابن الأسود بتحريض من هشام بن عمرو بن الحارث - لما لهذا الرجل من صداقة وعلاقة مع ابي طالب - على أن يجدوا جميعاً ويجهدوا في فصر زرد الاعتقال وذلك الحصار عن الهاشميين مها كلفهم الأمر ومهما كانت المخلفات والنتائج . وبعد عدة من الاجتماعات السرية أسفرت عن التعاهد والتعاقد والتصميم على الاجتماع صباح اليوم الباكر في الجامع بعد أن يأتوا منفردين متفرقين ، واول عمل يقومون فيه هو تمزيق الصحيفة المشؤومة واعدامها . فاجتمعوا على الكيفية المقررة ، فترثوا حتى اذا اكتض الجامع بالناس نهض زهير بن أمية خطيباً ، فشخصت إليه الأبصار وتناولت اليه الأعناق ، فقال فيما قال :

« أيسرك يا معاشر قرش ويا زعماء العرب انكم في راحة واطمئنان ورفاه وأمان تسرحون وتمرحون ، وهذا أبو طالب زعيم مكة وسيد قرش في ضنك من العيش ونكد الحياة ومرارة الاعتقال ، تمر عليه ثلاثة أعوام لم يتنسم فيها ريح الحرية ولم يستنش طيب المقام ؟ فلا والله لا أقعد حتى تمزق الصحيفة وتعدم » .

ثم واصل جماعته القيام بنفس اللغة والكلام ، فقام في وجوههم شيخ المحرمين ابو جهل فقال : يستحيل إعدام الصحيفة ، ويستمر الحصار على ابي طالب وأسرته حتى يموتوا اجمعين اويسلمونا محمداً .

فابتدريه زمعة بن الاسود فقال : اما يكفيك يا ابا جهل لؤمك وخبثك عن مثل هذه التدخلات الطائشة ، فوالله ما رضينا بصحيفتكم الكريهة أولاً وأخيراً .

ثم قفز مطعم بن عدي الى الصحيفة فجراها وأهوى عليها تمزيقاً وتخريقاً فأسقط في يد القوم ولم يسع ابو جهل إلا ان يقول قولته المعروفة : أمر دبّر بليل ، أو أمر قضي بليل ... وسكت خوف إتساع الفتنة واتصال الحركة .

وما ان وصل الخبر الى بني هاشم حتى هبوا أجمعين منتصرين للقوم ،
إلا أن الحادثة قد انتهت بسلام ورد الله كيد الكافرين الى نخورهم واعدلهم
عذاباً أليماً .

ثم صار بنو هاشم الى مزاوله أعمالهم ، كما مارس رسول الله صلى الله عليه
وآله نشاطه وتبشيره ، فقويت حركته واتسعت ، كما تكثر أنصاره وأعوانه .
وهذا ابن سعد في طبقاته ٩٣/١ يحدثنا عن ملخص قضية الشعب فيقول :
إن قريشاً لما تكاثبت على بني هاشم - حين أبي ابو طالب أن يدفع اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم - فتكاثبوا على أن لا يزوجهم ولا يتزوجوا
منهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم في شيء ولا يكلموهم ، الى كثير من هذه
القيود والبندوث الثقيلة ، فكنوا في الشعب محصورين ثلاث سنين ، إلا ما كان
من أمر أبي لهب فإنه لم يدخل معهم ، ودخل الشعب مع أبي طالب جميع
بني هاشم بن عبد مناف ، فلما مضت عليهم ثلاث سنين اطلع الله نبيه على
أمر صحيفتهم ، فذكر ذلك لعمة أبي طالب ، فقال ابو طالب : أصحيح ما تقول
يا بن أخي ؟ فقال رسول الله : نعم يا عم . فذكر ذلك ابو طالب لاختوته
فقالوا له : وما ظنك به ؟ فقال : والله ما كذب ابن أخي قط . فقالوا :
وما ترى ؟ قال : أرى ان تلبسوا أحسن ما تجدون من الثياب ثم تخرجون
معي الى قريش فنذكر لهم ذلك من قبل ان يصل اليهم الخبر .

ثم قاموا فدخلوا المسجد فصمدوا الى الحجر ، وكان لا يجلس اليه
من الزعماء والرؤساء احد ، فترفعت اليهم الأنظار يترقبون ما سيقوله ابو طالب
فقال ابو طالب : انا جئناكم بأمر فأجيبوا بالذي يعرف لكم . فعند ذلك قالت
قريش : مرحباً بكم وأهلاً ، فعندنا ما يسرك يا ابا طالب .
قال ابو طالب : ان ابن أخي محمداً قد أخبرني ولم يكذبني قط ،
ان الله ساط على صحيفتك الأرضية فلحست كل ما فيها من جور وظلم وقطيعة

رحم ، وبقى فيها كل ما ذكر به الله عز وجل ، فان كان ابن أخي صادقاً نزعتم
عن سوء رأيكم ، وان كان كاذباً دفعته إليكم قتلتموه أو استحييتموه ان شئتم .
فقال قريش : انصفتنا يا ابا طالب ، فأرسلوا الى الصحيفة ، ولما
أتى بها قال أقرأوها ، فلما فتحت اذا هي كما قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فقد اكات الأرضة كل ما فيها الا ما كان من ذكر الله ، فأسقط
في يد القوم كما نكسوا على رؤوسهم .

ثم دخل ابر طالب الى الكعبة فتعلق بها ، فدعا الله عز وجل وسأله
النصر والتأييد ، ثم خرجوا من الكعبة ورجعوا الى الشعب ، فأنشأ :

وما ذنب من يدعو الى الله وحده	ودين قويم أهله غير خيب
وقد جربوا فيما مضى غب أمرهم	وما عالم أمراً كمن لم يجرب
فلا تحسبونا مسلمين محمداً	لذي غربة منا ومن متقرب
ستمعه منا يد هاشمية	فركبها في الناس من خير مركب
فلا والذي تحدى اليه فلا نص	لإدراك نسك من منى ومحصب
نفارقه حتى نصرع دونه	وما بال تكذيب النبي المقرب
فكفوا إليكم من فضول حلومكم	ولا تذهبوا في رأيكم كل مذهب
يميناً صدقنا الله فيها ولم نكن	لنحلف كذباً بالعتيق المحجب
فيما قومنا لا تظلمونا فأننا	متى ما نخف ظلم العشيرة نغضب
وقد كان في أمر الصحيفة عبرة	متى يخبر غائب القوم يعجب
عن الله منها كفرهم وعقوقهم	وما نقموا من ناطق الحق معرب
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلا	ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب
فأمسى ابن عبد الله فينا مصداً	على ساخط من قومنا ومعتب
ومن قصيدة له ايضاً بالمناسبة :	

فيخبرهم ان الصحيفة مزقت وأن الذي لم يرضه الله فاسد

الى أن يقول :

فمن ينش من حضار مكة عزة
نشأنا بها والناس فيها قلائل
وننطمح حتى يترك الناس فضاهم
ألا ان خير الناس أمأً والدأً
نبي إلهي والكريم بأصله
حزيم على جلى الأمور كأنه
طويل نجاد خارج نصف ساقه
كثير رماد سيد وابن سيد
ويبني لأحياء العشيرة صالحاً
وله أيضاً :

ارقت وقد تصوبت النجوم
لظلم عشيرة غدروا وعقوا
وقالوا خطة جوراً وظلماً
لنخرج هاشماً فتصير منها
فهلا قومنا لا تاحقونا
فيندم بعضكم ويذل بعض
ودون محمد منا ندي
طوال الدهر حتى تقاتلونا
وبصرع حوله منا رجال
ويعلم معشر ظلموا وعقوا
وله أيضاً :

سيعلم أهل الضغن أبي وأبهم
يفوز ويعلو في لبال قلائل

وأبهم مني ومنهم بسيفه
ومن ذا يمل الحرب مني ومنهم
فأصبح منا أحمد في أرومة
وجدت بنفسى دونه وحمية
كأنى به فوق الجياد يقودها
ولا شك أن الله رافع أمره
ومعاليه في الدنيا ويوم التجادل
يلاقي إذا ما حان وقت التنازل
ويحمد في الآفاق في قول قائل
تقصر عنها سورة التطاول
ودافعت عنه بالذرى والكواهل
الى معشر زاغوا الى كل باطل
ومعاليه في الدنيا ويوم التجادل

• • •

اقول : وليس ذكر قضية الشعب مقصورة على خصوص الطبقات ، بل ذكرها كل المؤرخين واهل السير ، إلا اني لم أجد من اختصرها كما في الطبقات . قال ابن ابى الحديد في شرح النهج ج ٣ : ولا يبي طالب في اثناء الشعب هذه الأبيات :

ترجون منا خطة دون نياها
ترجون أن نسخوا بقتل محمد
كذبتم وبيت الله حتى يفلقوا
وتقطع أرحام وتنسى خلية
على ما مضى من مقتكم وعقوقكم
وظلم نبي جاء يدعو الى الهدى
فلا تحسبوننا مسلميه فتنله
وقال أيضاً :

توالى عايننا موليانا كلاهما
بلى لهما أمر ولكن تراجبا
أخص خصوصاً عبد شمس ونو فلا
كما اغمضا في القوم في اخويهما
إذا سئلا يوماً قالاً لغيرنا الأمر
كما ارتجمت من رأس ذي القلع الصخر
وهما نبذانا مثل ما تنبذ الخمر
فقد أصبحت ايديهما منها صفر

قديماً ابوهم كان عبداً لجدنا بني أمة شهلاء جاش بها البحر
لقد سفهوا أحلامهم في محمد فكانوا كحجر بنس ما ضفطت جعر
الى كثير من هذا اللون من الشعر الذي يقبض حماساً ويطفح مؤازرة
للدين وتصلباً للإسلام وبياناً لمآثر النبي ومفاخره وتصديقاً لنبوته وسفارته ،
كما يعج باندفاعاته رضوان الله عليه نحوه مستميتاً في سبيل ذلك كله ، لا يرى
الموت في سبيل الله وسبيل رسوله الاسعاده ورضواناً وحياة وجناناً ، الأمر
الذي سهل للنبي صلى الله عليه وآله خوض المعركة من جديد والسير بمعجزة
الشريعة بلا اختشاء ولا مراقبة ، غير هيب لأراجيف الكفرة واخاوير الطغاة
من المشركين واليهود الخمرين ما دام عمه البطل من ورائه ينصره ويحميه من
الأيدي العاتية الاثيمة .

واتفق ذات يوم أن كان رسول الله يصلي مختلياً لنفسه في بعض شعاب
مكة ، اذ يظفر به كذلك ابو جهل ، فينتهزها فرصة فيبحث عن حجر
ثقيل ليضرب به النبي ثأراً لنفسه وانتصاراً لآلته ومفلساته ، فيعثر على
ما يبتغي وينتظر سجوده صلى الله عليه وآله وقد جمع قواه ، فهم أن يرميه
فاذا بالحجر يلتصق بيده لصوق المسار باللوحة السهلة ، فانشغل بيده والحجر
وعالج نزع فلم يتزع ، ففر هارباً للاستبين أمره لأبي طالب فيقيم الدنيا
عليه ويقعد لها اهانة وفضيحة ، اذ لا لاً وتقريعاً . ومن جهة اخرى ليستر
على نفسه الخزية ويكتم عنها العار الذي لا ينمحي ابداً ما دام للتاريخ وجود
وأثر ، فأعطى سيقانه للريح ولم يصدده صاد الاحيطان داره المشؤومة . وظن
أن آية الله عز وجل ووقيته به ستنتكم عن الناس ولاسيا عن ابي طالب
الليث الخفيف ، بعد ان كانت غير معلومة لأحد إلاه ، ولم يصبح عليه الصبح
الا والحادثة اظهر من الشمس واين من الأمس ، تلوكها افواه الأطفال فضلاً
عن الرجال والنساء ، والكل يردد أبيات الزعيم الهاشمي ابي طالب بالمناسبة :

أفيقوا بني عمنا وانتهوا
عن الغي بعض ذا المنطق
وإلا فساني إذا خائف
بواثق في دوركم تلتقي
كما ذاق من كان من قبلكم
ثمود وعاد ومن ذا بقي
وأعجب من ذلك في امركم
عجائب في الحجر الملتصق
فأثبتته الله في كفه
على رغبة الخائن الأحمق

فيألم وينددم النبي العظيم بكافة قريش وإبي جهل بصورة خاصة على
لأثر هذه القضية المنكرة والأعمال الاجرامية الدينية ، الأعمال التي تنفّز منها
المشاعر ، وتشمئز منها نفوس الأحرار ، وترفع عنها حتى الوحوش والضواري ،
بل حتى اراذل الناس .

كما ويحذرهم مغبة اعمالهم تلك ومخلفاتها من وخيم العواقب والسيء من
الرواسب ، فيما اذا اقتضت ارادة الله تعالى أن ينتقم لنبيه وبثأر دينه ، كما
كان ينتقم لأتبيائه القدامى من الأمم السابقة والشعوب الماضية ، فحسف
ببعضهم وبدورهم الأرض ومسح الآخرين قردة وآخرين خنازير ، جزاء
بما كانوا يعملون

وهل قضية الصاق الحجر بكف ابي جهل الا بادرة من بواذر الإنتقام
ومقدمة من مقدمات العقاب والمواخذة ، وما ذلك من الظالمين ببعيد .

• • •

أفي هؤلاء يازعيم الهاشميين ان ينصاعوا إلى وعظك وإرشادك الخيرين
وتذكيرك الحق واصلاحك العادل . . . أفي هؤلاء أن تنفع معهم النصائح
والتذكير بأيام الله وانتقامه ، وقد أعماههم الشرك وأصمهم فهم في طغيانهم يعمهون .

فالطينة السوداء من خبثها هيهات تبيض سجايها
ما فتشوا يتربصون بالنبي الدوائر وينتهزون به المواتي من الفرص ووحدته ،
وعندما لا يسعهم المجال يوحون الى الأطفال فيقفوا له سماطين ، حتى اذا مر

عليهم في طريقه الى الصلاة رموه بالأحجار حتى يدموا ساقيه ويؤلوا رجليه . واستمروا على ذلك مدة من الزمن وهو صلى الله عليه وآله لا يخبر عمه الكريم حرصاً على عدم إيلاهم ومساءته ، حتى استبان ذلك على بن ابي طالب ذات يوم فصار يتبع رسول الله ليقف على المسيبين والفعلة ، فاذا الأطفال على عاداتهم مستعدين ، فتقدم احدهم فضرب النبي ، فانتقض عليه أمير المؤمنين فأخذه من اذنه ولم يزل بها حتى فصمها ورمى بها أمام الأطفال ، فارتجفوا وارتعدت فرائضهم وانهزموا هزيمة نكراء ، وما عادوا بعدها لمثل عملهم السابق ، وربما يرون رسول الله وعلياً مقبلين انهزموا ، ونبه بعضهم بعضاً مردداً : جاءكم قاطع الاذن ، جاءكم قاطع الاذن . ولم يكتفوا بالهزيمة بل يدخاؤون البيوت ويغلقون الأبواب .

ولما رأى الكبار أن المحاولة كأخواتها قد فشلت وتفلشت بداهم - بعد أن اخبرهم الخبير بأن مجدداً يصلي منفرداً في بعض شعاب مكة - فصاروا الى ناحية مبتغيين اساعته وايداءه ، فوجدوه يصلي لربه ، وكان بالقرب منهم مقدار من الفرث والدم ، فالتقاؤه عليه صلى الله عليه وآله اعظم توهين وايداء ، فانظروه الى السجود فالتقوه على ظهره وولوا هاربين ، وبعد ان لاحظ ذلك كر راجعاً الى المنزل متأثراً مألوماً ، فاستظهر عمه منه ذلك واستفهمه الحال ، وبعد إلحاح اطالعه على عمل القوم معه فاستاء هو الآخر ايما استياء ، ثم انتفض رضوان الله عليه انتفاضة الأسد المحصور ، فأخذ بيد النبي وهو مغضب وتبعه بعض اشباله ، حتى اذا حاذى القوم وشاهدوا حالته المستأسدة وغضبه تعوذوا بالآلهة من سطوته وغضبه ، كما ارادوا أن يعطوا سيقانهم للريح ويركنوا الى الفرار والانهزام ، لولا ان لاحظ منهم ذلك فيصبح بهم ان يلزموا أماكنهم وان لا يتحركوا بأي حركة والاعرضوا أنفسهم للخطر والموت ، فلا يسمعهم والحال هذه الا الرضوخ والسكون على مضض ، اذلة خاسئين

يتوسلون بالآلهة يسألونها النجاة والسلام .

أما ابو طالب فوقف على رؤوسهم مخاطباً النبي العظيم : يا بن أخي من الذي قرب منك من هؤلاء بسوء اودنا اليك بمكروه ، ولو قلت لي كلهم آذاني لما تركتهم إلا وانتقم منهم لك أجمعين ومن دون ما إستثناء . ولكن الرحمة الالهية والطف الملكوني المتمثلين برسول الله صلى الله عليه وآله لم يدعانه أن يشكو إلا من ابن الزبيرى ، اذ هو أشد القوم ايداءً واكثرهم تحمساً للجرام والمناكير ، فاستقدمه عم الرسول اليه ، فجاء يتعثر بأذباله هاماً وخوفاً ، فلطمه ابو طالب لطلات اطاحت بأسنانه وادمت فيه ووجهه ، ثم أمره ان ينصرف مخزياً يتخبط بالشأ والعار الى شحمة اذنيه . ثم أمر فتيان بني هاشم ان يحضروا له الفرث والدم فوراً ، فأحضروه له كذلك ، فأمرهم ان يخضبوا بها لحى القوم ويلطخوا بها جباههم ووجوههم ولم يتركوا منهم احداً ، وبعد الفراغ التفت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول : أيرضيك هذا يا محمد ؟ فاذاً بالجواب : نعم يا عم جزاك الله خير جزاء المحسنين . فقال ابو طالب : ان كان هذا قد كفناك فلا يكفيني أنا . ثم انشأ على رؤوس القوم ما هو أقتل عليهم من الفرث والدم ، واعظم عليهم من لهب النار :

انـت النبي محمد	قرم اغر مسود
لمسوديسن اكسارم	طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة اصلها	عمرو الحطيم الأوحد
هشم الربيكة في الجفان	وعيش مكة انكد
فجرت بذلك سنة	فيها الخبزة تثرد
ولنا السقاية للحجيج	بها يماث العسجد
والمالزمان وما حوت	عرفاتها والمسجد

أني تضام ولم امت وأنا الشجاع العريد
 وبطاح مكة لا يرى فيها نجيع أسود
 وبنو ابيك كأنهم أسد العرين توقدوا
 ولقد عهدتك صادقاً بالقول لا تزيد
 مازلت تنطق بالصواب وأنت طفل امرد

واخذ بعضد النبي وجاء به الى المنزل ، مرتفع الرأس ، موفور الكرامة ،
 ظافراً بالثأر ، منتصراً على الظالمين .

أما القوم فلم يرفعوا رؤوسهم حتى غاب عنهم ابوطالب ، فعند ذلك تنسموا
 ريح الحياة واستنشقوا نسائم الحرية فحمدوا والآلهة والمعبودات على السلامة والنجاة .
 وما كان هذا الموقف الخطير - الموقف العظيم الرهيب - ليتحقق لولا
 أبو طالب ، فهو وحده الذي يمكنه ذلك ، وهو وحده الذي يتسع له أن
 يطوح بكيان العظماء والزعماء ويهدد عروش الأصنام والطغيان ويستنهين بكل
 ما هنالك من شخصيات منافسين مثل ابي جهل وابي سفيان وشيبة وعتبة
 وابي البحتري ومن شاكلهم . فهو وحده الذي يستطيع الأخذ بظلامة رسول
 الله صلى الله عليه وآله ويعلن صارخاً باتباعه دين الله ينصره ويؤازره ،
 ثم التعريف بما عليه رسول الله من الشرف والمنعة والعظمة والسؤدد ، وما كان
 عليه آباؤه الميامين من المجد والشمم واسداء المعروف الى اهل مكة في الخن
 والشدائد وعند البلاء والقحط :

فهاشم جد النبي العظيم هو الذي هشم الثريد لقومه ، واهل مكة
 مستنون عجاج ، قد أضربهم الاملاق واضعفهم الجوع واشتدت عليهم
 المسكنة وباءوا بالويل والثبور والحاجة الملحة ، لولا اسعاف عمرو العلي
 الزعيم هاشم بن عبد مناف ... أفلا يكون هذا محتملاً على القوم ان يرفعوا
 هاشماً في حفيده ووليد محمد بن عبد الله ؟ ولا أقل من كف الأذى عنه ،
 ان لم يكن يتحتم عليهم اعزازة وتقديره ونصره .

ابو طالب يدعو الحمزة الى الاسلام

ذكر ابن ابي الحديد في ترجمة ابي طالب في شرح النهج ٣/٣٠٩ دعوة
ابي طالب هذه مصاغة بقالب من الشعر الذي نددت به شفثاه رضي الله عنه :

فصبر أبا يعلى على دين أحمد وكن يا اخي للدين وفقت صابرا
وحط من أتى بالحق من عندربه بصدق وعزم لا تكن حمز كافرا
فقد سرتني أن قلت انك مؤمن فكُن لرسول الله في الله ناصرا
ونساد قريشاً بالذي قد اتيته جهازاً وقل ما كان أحمد ساحرا

الحمزة عم رسول الله كما هو اخ لأبي طالب ، وهو ابن عبد المطلب
ابن هاشم بن عبد مناف ، وهو من ابطال الهاشميين وفرسان آل عبد المطلب ،
يتمتع بعلي المكانة ورفيع المنزلة وجليل المقام في الأوساط المكية ، مهاب
الطلعة جميل المنظر وقور كريم . . .

ومع كل ذلك كان يخضع لزعامه اخيه الكبير ابي طالب ، وقد اجابه
حين طلب اليه ان ينصاع الى دين محمد وشريعته الغراء ، فصدقه وآمن
بنبوته ورسالته ، وصار الى الدفاع عنه وحمايته وكف الأذى عنه وتزييف
الدعايات المغرضة التي ينمقها المشركون ، ويثيرها ويروجها اليهود الآثمون ،
كما صار يدعو الى دين الله ويرشد الى شريعة رسول الله ، لا تأخذه في
سبيل ذلك لومة لائم ولا قوة ذوي القوة ولا إرهاب المرهبين .

وما ان يبلغه نبأ يفيد الاساءة الى رسول الله او ائذائه فلم يهدأ حتى
يستعلم الفاعل ، فلا يولي عنه حتى يأخذ ظلالة رسول الله ويثأر له : فيستبين

ذات مرة أن ابا جهل قد تعرض للنبي واساء اليه ، فترصده ويبحث عنه حتى اذا عثر عليه في الندوة بين لمة من الرؤساء والشيوخ ، فلم يبرح عنه دون ان اقامه فاطمه على وجهه وجبهته لطلمات اخزته أمام الجماهير وفي الأوساط المكية ، فتحملها ولم يرفع اليه رأسه ابداً حذر الصواعق والسيف . وعلى هذا استمرت سيرة عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واسد الله ورسوله حتى قتل في واقعة أحد ومعركتها الرهيبة ومثلوا به افضع واشنع تمثيل ، الأمر الذي أودى بالنبي صلى الله عليه وآله حين وقف عليه أن يقول : ما وقفت موقفاً اغيض علي من هذا الموقف ، والله لان مكنتي الله من قريش لأمثلن بسبعين من قريش .

إلا انه صلى الله عليه وآله قد انصرف عن هذه الفكرة : بعد أن هبط عليه جبرئيل عن الله عزوجل بقوله تعالى « وان تعفوا اقرب للتقوى » ، فعندها قال : اشهد يا جبرئيل اني قد عفوت .

وهكذا قدر لعلم النبي ان تكون خاتمة الشهادة في سبيل الله قتيلا بين يدي رسول الله مضحياً نفسه لدين الله ، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً .

وما كان للحمزة من الجهاد والتزام النبي وخدمته واخيراً الشهادة دونه الابركة نصيحة اخيه ابي طالب وارشاده .

وقد فرح ابو طالب ايما فرح وسر سروراً ماله من نظير ، حيث أثرت موعظته ونصيحته بأخيه البطل ، وهو يشاهده وقد انظم الى قافلة النبي صلى الله عليه وآله وسائر الركب الاسلامي الحفيد ، بل صار من دعائه وناشريه مقتنياً اثر رسول الله مؤزرأ له في كل حركة وقضية .

* * *

يبدو لأبي طالب مرة اخرى ان يشجع ولديه علياً وجعفرأ على نصره

النبي ومعارضته والذب عنه ، فيصور ذلك بأبياته التي ذكرها ابن أبي الحديد في ترجمة أبي طالب كما جاء في شرح النهج ٣/ ٣١٠ :

إن علياً وجعفرأ ثقتي عند لم الزمان والنوب
لاأخذ لا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا اخذل النبي ولا بخذله من بني ذو حسب

فكان له من الولدين البارين ما يبهجه ويسره ويعلمه حيوية وطمأنينة وثقة تامة بحضورهما لكل المتطلبات واللوازم مهما كانت النتائج وان ادت الى باهض الفداء وغالي الثمن .

وقد نبه رضي الله عنه ولديه الكريمين - ولأسيما ببيته الثاني والثالث - على ما هناك من بواعث مهمة واسباب ضخمة ، كل واحد منها اذا ما قيس منفرداً كان من اقوى الدوافع المحتمة والحاكمة بوجود نصرة النبي والحاماة عنه دائماً وايداً : اولاً هو ابن شقيق أبي طالب ، ولم يكن له من اخوته كذلك : ثانياً انه نبي هذا الزمن ، والنبي لا بد من ان يلاقي في ابان دعوته الصعاب والأهوال . ثالثاً ان النبي يجب في سبيل الحفاظ عليه والإبقاء على حياته بذل الغالي والنفيس ، بل حتى الدماء والأرواح .

وذكر ابن أبي الحديد في ترجمة أبي طالب هذه الأبيات ايضاً :

فلا تسفها أحلامكم في محمد ولا تتبعوا أمر الغواة الأثائم
تمنيم ان تقتلوه وانما أحاديثكم هذي كأحلام نائم
زعمتم بأننا مسلمون محمداً ولما نقاذف دونه ونراجم
من القوم مفضل انى على العدى تمكن في الفرعين من آل هاشم
امين حبيب في العباد تسومه بخاتم رب قاهر في الخواتم

وكانت الأسباب الداعية الى انشائها مؤامرة دبرت لبيل وحيكث خيوطها في ظلامه الدامس ، كل سداها ولحمتها هو قتل أبي طالب باغتيال رسول الله

وقته لدى خروجه لصلاة الفجر ، ثم ليقضوا نفثهم وليوفوا نذورهم
 وليطوفوا بالآلهة الفاشلين . ولكن اشاء الله العظيم وعينه الساهرة على رسوله
 حركت أبا طالب وبعثته بحماس وقوة ان يخرج متطلعاً خفايا الشرك وخباياهم ،
 فأوصله الاستطلاع الى خارج مكة ، اذ يسمع نبرات وهمسات ، فأنصت
 ملياً فيعرف القوم تماماً ويقف على نيتهم الدنيئة من ابتغاء اغتيال الرسول
 لدى صلاة الفجر وعند خروجه للجامع ، فينكفيء راجعاً الى المنزل ، فينام
 عند رأس النبي صلى الله عليه وآله واقباً له وحارساً حتى مطلع الفجر ،
 فنهض النبي على عادته لتهيأ للصلاة والخروج للمسجد ، اذ يمنعه عمه البر
 الحنون عن الخروج محبذاً له أن تكون صلاته في البيت ، ولما كان صلى الله
 عليه وآله واقفاً من عمه اذ لا بد وان يكون منعه لمصلحة وغاية مقبولة
 ومعقولة ، فصار الى صلاته داخل المنزل .

أما المشركون الحاقدون ومن لف لفهم من اليهود القذرين الذين كان
 لهم الضلع الأكبر في ترويج المؤامرة وتديرها - قاتلهم الله اني يؤفكون -
 فهم حضروا قريباً من الجامع عند طلوع الفجر ، وانزوا الى زاوية مظلمة ،
 وظلوا يرقبون وينتظرون فلم يمر عليهم محمد ، وأوشك النور ان يفضحهم
 ويقشي أسرارهم ، فتعين عليهم التفرق ورجوع كل منهم الى بيته لئلا يطلع
 على مؤامرتهم احد فيخبر ابا طالب فينقض عليهم بمقوله الصارم البتار ، فما
 راعهم الا والآيات تطالعهم فاضحة وكاشفة .

واوحوا الى شياطينهم ان يحفظوا الآيات ليقفوا على مفادها ومعطياتها
 ولعلمهم يستظهرون من مضامينها الجاسوس والخبير الذي حرك ابا طالب واثار
 شعوره وعواطفه ، فلم يجدوا منفذاً لذلك الا ابا طالب نفسه ، ومن الذي
 يقدر على مسااته والدنومنه بمكرهه ؟ ! .

* * *

أقول : وقد ذكر ابن أبي الحديد بالمناسبة محاورة جلييلة ومساجلة علمية نبيلة تدور رحاها بين استاذ وتلميذ ، فكان الأستاذ هو ابو جعفر النقيب الاسكافي شيخ المعتزلة ورئيس علمائهم ، أما التلميذ فهو عبد الحميد بن ابي الحديد المعتزلي ، وقد ذكرها حرفياً في شرحه على النهج ٣/ ٣٩ ، ولكننا نلخصها ونوجزها مع المحافظة على جميع محتوياتها وبنودها .

والحاصل : ان ابن أبي الحديد قد اظهر لأستاذه النقيب كبير العجب وكثيره من تنازل ابي طالب وخضوعه للنبي صلى الله عليه وآله في حال انه شيخ كبير يتمتع بغير الصفات وعظيم المآثر وجليل المفاخر والمكارم ، بالإضافة الى انه رئيس مكة وسادن الكعبة وساتي الحاج ، مع العلم ان محمداً يتيمة ومكفولة والحافي عايه ومربية . ولم يكتف بكل ذلك بل صار لمدحه بشعر ونثره ، كما يمتدح الأدنى الأعلى ، وكما يمتدح العبد سيده ومولاه .

أما ملخص الجواب فحاصله : اعلم يا عبد الحميد ان قضية تصاغر الشيخ ابي طالب وقصة تنازله للنبي مع ما ذكرت من مكانته ومنزلته ، ومع كونه معهد الفضائل ومجموعة مفاخر وكالات وإضبارة ادب ومعارف ، ومع كونه صاحب اليد البيضاء على رسول الله وهو كفيله وحاميه من شرور دولة الكفر والشرك والأوثان ، وقد رأيته وقد تنازل لمحمد وتصاغر له لابصفة محمد الشخصية فحسب بل بصفته نبي مرسل وسفير عن الله عز وجل مبعوث من قبله تعالى ، وهو العليم بما للنبي من جلي المكانة وفضل القداسة وكبير الأثر في نفوس المؤمنين ، وهذا المعنى وحده كل المحرك وكل السبب لتصاغر الشيخ ابي طالب وتواضعه لمحمد ، والنبوة وحدها هي جديرة بالإكبار والإعظام وهي فقط التي تستلزم ان تنحني لها وأمامها كافة الزعامات والكرامات ، وتخضع حولها جميع الكفاءات ، كما تذوب عندها الشخصيات والمؤهلات .

أو ما ترى الى قوله الذي هو نص على تصديقه بالنبوة وتصريحه بالبعثة والرسالة :
لقد اكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحمد

أما ترى يا عبد الحميد الى العباس بن عبد المطلب وهو الشخصية
الكريمة التي انتقلت اليه سدانة الكعبة بعد أخيه أبي طالب وقد تنازل وتصاغر
لابن أخيه علي بن أبي طالب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ، وقد
جاء وهو يقول : مد يدك ابايعك حتى يقال عم رسول الله بايع ابن عم
رسول الله ، مع العلم ان العباس هو العم والأعلى سناً .

أو ما ترى الى أبي سفيان وهو بمنزلة العم لعلي عليه السلام وقد جاءه
ليبايعه بعد وفاة النبي الا انه امتنع عن قبول ذلك ، فاذاً القضية قضية نبوة
وأمامة ، وهما اكبر من أن تقف في طريقهما الزعامة والرياسة العامة .

ثم قال ابن أبي الحديد : استأذي العظيم أترى لو كان من المقدر
للحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما ان يعيشا الى
ما بعد وفاة رسول الله أهل كائنا يبايعان علماً بالخلافة ويقران له بالامامة
وولاية العهد للرسول ؟ .

قال الاسكافي : نعم يبايعانه بكل اطمئنان وترحيب ، والمعتقد انها
يسرعان الى ذلك سرعة تمشي النار في يابس العرفج او الخطب اليابس .

قال ابن أبي الحديد : لاني ارقب ذلك من جعفر بن أبي طالب ، ولم اكن
ارقبه من الحمزة ، لما هو فيه من فتوة البأس وشدة الشكيمة ووفرة اسباب
العظمة والشجاعة ، بالإضافة الى انه العم والأعلى سناً ، وما اراه إلا انه
يدعيها لنفسه .

قال الاسكافي : الأمر في اخلاق الحمزة كما ذكرت ، إلا أنه رضي الله عنه
صاحب دين متين وتصديق خالص للرسول العظيم ، وهما يمنعانه من طاب
الخلافة والتصدي لمقام رسول الله الكريم ، ولو قدر للحمزة أن يعيش الزمن

الذي عاشه علي مع الرسول صلى الله عليه وآله لرأى من أحوال النبي مع علي ما يكسر نخوته ويطأ طيء هامته ويقدم عالياً فيبايعه ويرشحه للامامة والخلافة . ثم اين نفس الحمزة السبعي من خلق علي اللطيف الروحاني ، واين نفس الحمزة الخلو من العلوم من نفس علي القدسية التي أدركت بفطرتها لبالقوة التعليمية ما لاتدركه الفلاسفة واكابر المفكرين ، ولوان الحمزة كان موجوداً حتى يرى من علي ما قدرآه غيره لكان أتبع اليه من ظله واطوع اليه من ابي ذر والمقداد ... واجدك تكرر كبير السن وعلمه ، وقد عرفت - بما لا مزيد عليه - انه والكثير من المحاسن والمكارم تذوب امام العظمة الالهية ، والمقام الرباني الكريم ، أمام النبوة والخلافة .

ولم يكن يستغرب كما لن يستكثر علي عم النبي الحمزة ان يتنازل لابن اخيه علي بن ابي طالب فيبايعه وما زالت الأعمام تخدم ابناء الأخوة وتتصاغر لهم وتبضعهم في كافة الأمور :

ألست ترى الى داود بن علي العباسي وعبد الله بن صالح بن علي وعيسى بن علي واسماعيل بن علي وعبد الصمد بن علي خدما ابن اخيهما السفاح عبد الله بن علي وبابيعه ، وكانوا أمراء جنده وقواد جيشه ، كما كانوا انصاره واعوانه في جميع الحالات .

أما ترى الى الحمزة والعباس ابني عبد المطلب وقد أطاعا ابن اخيهما محمداً واتبعاه وصدقاه دعوته ورضيا بزعامته .

ألست تعلم ان ابا طالب كان رئيس بني هاشم وشيخهم المطاع ، وكان محمد رسول الله يتيمه ومكفوله ، وكان جبارياً مجرى اولاده عنده ، ثم خضع له واطاعه وصدقاه في دعواه ، كما اعترف بزعامته ودان لأمره ، حتى مدحه بشعره كما ذكرت ... انظر الى قوله :

وابيض يستقى الغمام بوجهه ثمال التيامي عصمة للأرامل

تطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
وان سرأ قد اختص الله به محمداً صلى الله عليه وآله حتى اقام اباطال
وحاله معه حالة المادح له لسر عظيم وخاصية شريفة ، وان في هذا المعتبر
عبرة ان يكون هذا الانسان الفقير الذي لا أعوان له ولا انصار ، الانسان
الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه فضلاً عن ان يقهر غيره وتعمل دعوته
واقواله في النفوس ما لم تعمله الخمرة في الأبدان المعتدلة المزاج حتى يطيعه
اعمامه ويعظمه مريبيه وكافله ومن هو الى آخر العمر القيم عليه بنفخته وكسوته ،
وهذا في باب المعجزات عند المنصف اعظم من انشقاق القمر وإخبار القوم
بما يأكونه ويدخرونه في البيوت .

* * *

لقد والله انصف النقيب في هذا التصوير الواقعي والتحليل الحقيقي لعم
النبي الكريم ، وهو ان اعطى شيئاً او دل على شيء فانما يدل على تفهم
الرجل للتاريخ ووقائعه ، ومدى وقوفه على الأحداث الزمنية ، ومدى دراستها
الواقعية . لا لشيء غير التاريخ وتفهم الأجيال بصورته الصحيحة .
وقد استبان من خلال ذلك بما لأبي طالب العظيم من جهاد جبار
وخدمات فضلى ومفاداة منقطعة النظير ونضال وكفاح زهاء ثلاثين سنة ،
بعد التصديق بالشبهة والانصياع الى الرسالة والبعثة .

كما قد اصاب السيد النقيب فيما قرأه واستوحاه عن نفسية عم الرسول
الحمزة بن عبد المطالب رضوان الله عليه ، وفيما استشعره من إيمانه الصادق
ودينه الواقعي ، فرآه بعين بصيرته وهو يسرع الى مبايعته علماً سرعة تفشي
النار في الخطب اليابس كمن يراه عياناً ومن شاهده حساً ووجداناً . وليس
ذلك على المؤمنين بكثير ولا عزيز ، بل المؤمن ينظر بنور الله ، ينظر الى
المستقبل المرتقب كما ينظر الى الحاضر .

وينقدح في نفسي إضافة شيء الى قراءة النقيب وتكهنه ، والشيء الذي
يُختلج في الذهن : ان الحمزة البطل لم يكن ليكتفي من نفسه انه يسرع الى
بيعة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فحسب ، فيضرب على يده
او يصفق على يده فقط وينتهي كل شيء ، بل المعتقد فيه رضي الله عنه
أن يجند نفسه وجميع قواه وطاقاته وامكانياته لاجاد كل حركة تحاول شل
الأمر او إبعاد الخلافة عنه عايه السلام ، فأراه يقف بالمرصاد لتحطيم كل
دسيسة او مؤامرة تبغى معارضة علي في زعامته وخلافته ، بالرغم من معاطس
قوم يحسبون انهم يحسنون صنعا ، وما ينادعون إلا انفسهم ولكن لا يشعرون .
وعلي نفسه بما كان يستشف من عمه الحمزة واخيه جعفر نفس القراءة
لذا استنجدهما واستصرخهما في بعض الظروف الحرجة ، وحين تنمرت عليه
القهود واستأسدت عليه القروود ، فكان يردد : واحزنناه ولا حمزة لي اليوم ،
واجعفرناه ولا جعفر لي اليوم ...

أبو طالب يستسقي للناس

يحدثنا ابن أبي الحديد في ترجمة أبي طالب في شرح النهج ج ٣ :
أن أبا طالب رضوان الله عليه كان يقصده الناس كلما أمسكت السماء قطرها
وحبست الأرض بركاتها ، فهو ملاذهم وبه أملهم ورجاؤهم ، واليه فقط
مفرعهم ... كل ذلك لما يعلمونه من حاله رضوان الله عليه وما هو عليه من
توحيد الله وثقته به واعتماده عليه عز وجل ، كما لا يحتملون أن الله تبارك
وتعالى يرد له دعوة أو يؤخره عن رجاء ، لذا قصده بعض الأعراب المجاورين
لمكة المكرمة شاكين إليه ما يلاقونه من جذب الأرض ومنع السماء الدر ،
فوعده بالخير ولبي النداء .

ثم خرج مستصحباً معه النبي وهو بعد لم يبلغ الحلم ، فاستند إلى حائط
الكعبة وجعل بين يديه النبي صلى الله عليه وآله ثم دعا الله سبحانه بدعوات
وتوسل إليه بمحمد أن يمطر الناس ويغيثهم مما فيه من البلاء والشدة . ولما يتم
دعاؤه حتى هطل المطر وأرسلت السماء عزاليها فلاثت القفار والوديان ، حتى
مل الناس الكثرة وخافوا الغرق ، فعادوا يهرعون يسألونه لإيقاف المطر المهدد
بالخطر ، فسأل الله ذلك ، فوقف وأمسك وعاد الصحرى على أحسن أوقاته .
وعلى الأثر نظم أبو طالب لاميته الشهيرة والتي تحتوي مائة بيت أو
تزيد قليلاً والتي قد ذكرها جل المؤرخين ، ولكن الغالب لم يذكروها بكاملها
ومطلع القصيدة هو :

اعوذ برب البيت من كل طاعن عينا أو يلوح بباطل

الى ان يقول في اثنائها :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
ولعلنا نأتي على آخر القصيدة ان توفقنا ان شاء الله .

قال ابن ابي الحديد : ولأبي طالب أيضاً :

ألا أبلغا غني على ذات بينها لؤياً وخصاً من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً رسولاً كوسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة ولا حيف فيمن خصه الله في الكتب
وان الذي لفقم في كتابكم يكون لكم يوماً كراغبة السقب
أفيقوا أفيقوا قبل ان تحفر الزن ويصبح من لم يحن ذنباً كذي ذنب
فلا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا أو اصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا وبیت الله نسلم أحمداً لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولما تبين منا ومنكم سواف وأيد أيرت بالمهندة الشهب
بمعرك ضنك ترى كرى القنا والضباع العرج تعكف كالشرب
كأن مجال الخيل في حجراته وغمغة الأبطال معركة الحرب
أليس ابونا هاشم شد أزره واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

انشأ عم النبي العظيم هذه الأبيات تعريضاً بطائفة من لؤي وهم بنو كعب ، والكعبيون هؤلاء من الأسر العربية المرموقة ، لها مكانتها وأهميتها في اوساط مكة . وقد بلغ ابا طالب عنهم أنهم ينالون من النبي صلى الله عليه وآله ، كما يخذشون بقداسه وبعثته ثم يعرجون على انتقاص ابي طالب بما لا يناسبه ، ولكن كل السبب في التنديد والتعرض هو الثأر لرسول الله فقط ، وإلا لا يهمهم همسهم بأنه مسحور من جهة محمد أو مفتون به عاطفياً ، فكل ما في المقام أنه يحاول ويبعد عن الأذهان تلك الهمسات المحمومة والنفثات

المسمومة واعلان ما تنطوي عليه سريره وتكنه جوانحه وجوارحه من اعتقاده نبوة محمد ورسالته ، الأمر الذي يحتم عليه ان يذوب ويفنى في سبيل تحقيقها ونشرهما... كما ان انبعاثه نحوه لم يكن بالأمر الارتجالي او الفجائي ، بل هو أمر مدروس وخطة معاومة يذبعثان عن تبشير العلماء الأقدمين والكتب السماوية ، اذاً فاتخرس الألسن الحاقدة ولتكم الأفواه الكافرة الى الأبد .

وقال ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣/٣٠٩ : ولأبي طالب ايضاً هذه الأبيات بالمناسبة :

ألا أبغسا غني لؤيأ رسالة	بحق وما تغني رسالة مرسل
بني عمنا الأدين فيما يخصهم	واخواننا من عبد شمس ونوفل
أظاهرتهم قوماً علينا سفاهة	وأمرأ غويأ من غواة وجهل
يقولون لوأنا قتلنا محمداً	لقرت نواصي هاشم بالتذلل
كذبتم ورب الهدي تدمي نحوره	بمكة والبيت العتيق المقبل
تناولوه او تصطالوا دون نيله	صوارم تفري كل عضو ومفصل
فهلا ولما تنتج الحرب بكرها	بخيل تمام او بأخر معجل
وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً	على ربوة في رأس عنقاء عيطل
وتأوى اليه هاشم إن هاشمأ	عرانين كعب آخر بعد اول
فإن كنتم ترجون قتل محمد	فروموا بما جمعتم ثقل يذبل
فإننا سنحمله بكل طمرة	وذي ميعة نهذ المراكل هيكل
وكل رديني ظماء كعوبه	وعضب كأيماض الغمامة مفصل

أقول : كل من يعمن النظر وينعمه في شعر أبي طالب هذا يجده مفعماً بتعظيم النبي صلى الله عليه وآله ، ثم الارشاد الى دينه الحق والحضور للدفاع والدود عنه . وهذا لا يكاد يتأق الا للمؤمن الواقعي ، والمسلم الذي يكون الإسلام والايمان جارين مجرى دمه في عروقه واورده .

وحتماً ان يكون ابو طالب كذلك كما هو كذلك فعلاً ، واقواله وافعاله
قد دلت على ذلك ، والمرأ بأصغريه قلبه ولسانه .

قال ابن ابي الحديد بعد ذكره للأبيات المتقدمة: كان صديقنا علي بن يحيى
البطريق رحمه الله يقول : لولا خاصة النبوة وسرها لما كان مثل ابي طالب
- وهو شيخ قريش ورئيسها وذو شرفها - يمدح ابن اخيه محمداً وهو شاب
صغير قد رباه في حجره وهو يتيمه ومكفوله وجارى مجرى اولاده ، فيقول فيه:
وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً على ربوة في رأس عنقاء عيطل
الى كثير من الأمثال والنظائر ، فان هذا الأسلوب من الشعر لا يمدح
به التابع والذناي من الناس .

واذا تصورت هذا تصورت انه شعر ابي طالب ذاك الشيخ الوقور
المبجل العظيم في محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو شاب مستجير به معتمد
بظاه من قريش وطغاة العرب ومجرمي اليهود ، قد رباه في حجره وعلى
عاتقه طفلاً وبين يديه شاباً ، يأكل من زاده ويأوى الى داره ... علمت خاصة
النبوة ومكتون سرها وان أمره كان عظيماً وأن الله تعالى قد أوقع في القلوب
محبه وفي الأنفس منزلته .

وقرأت في أمالي الشيخ ابي جعفر محمد بن حبيب : ان ابا طالب رضي
الله عنه كان اذا رأى رسول الله احياناً يبكي ، وكان يقول : اذا مارأيت
محمداً تذكرت أخي عبد الله ، ولذا كان يغير مضجعه فلا يدعه بمكان واحد
لئلا يعرف مضجعه ، فكان يقيمه ليلاً من منامه ، ويفضج ابنه علياً مكانه .
وذكر ابن ابي الحديد ٤٦٠/٣ بطريقه الى الزبير بن بكار أنه قال :
أما ابو طالب فهو كافل رسول الله وحاميه من قريش وناصره والشفوق عليه
والرفيق به ، كما هو وصي أبيه عبد المطلب ، وكان سيد بني هاشم في زمانه ،
ولم يكن أحد في الجاهلية قد ساد الا بالمال إلا ابو طالب ، كما وهو اول

من سن القسامة في دم عمرو بن عاقمة ، ثم اثبتتها السنة النبوية في الاسلام ، وله ايضاً سقاية الحجيج وسدانه الكعبة ، وكان شاعراً مجيداً .

وذكر ابن ابي الحديد ايضاً : ان ابا طالب قد افترق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم ، وكان شديد الحرص والحذر عليه من شرور المعتدين من العرب واليهود المجرمين ، فعخرج يصحبه ولده جعفر يطلبان النبي ويفحصان عنه ، وبعد جهد وعناء وجداه وعلياً يصليان في بعض شعاب مكة ، فلما رأهما التفت الى جعفر وقال : يا بني تقدم صل جناح ابن عمك ، فقام جعفر عن يسار النبي ، فلما كمل الجناحان تقدم رسول الله عليهما وصار إماماً لهما ، فكانت جماعة ، وهي اول صلاة جماعة تكونت في الاسلام . وحين رأى ابو طالب تقدم النبي وتأخر الأخوين بكى رضوان الله عليه ، وقال يخاطب ولديه :

لا تحذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وإني
ثم قال ابن ابي الحديد : وقد اسلم جعفر من ذلك اليوم . كما ذكر ايضاً ٣٠٦/٣ بطريقه الى محمد بن اسحاق انه قال : لما علمت قريش أن ابا طالب قد ابى خذلان رسول الله كما ابى تسليمه اليهم ورأوا لإجماعه على مفارقتهم وإصراره على عداوتهم مشوا إليه بعارة بن الوليد بن المغيرة الخزومي - وكان اجل فتى في قريش - فقالوا له : يا ابا طالب هذا عمارة خذه لك فاتخذه ولداً وسلمنا محمداً هذا الذي خالف ديننا ودين آبائنا الأولين وفرق جماعتنا كما احدث البلبلة والضوضاء في صفوفنا ، فانما هو شاب مكان شاب وغلाम مكان غلام .

فقال ابو طالب : والله ما انصفتُموني ايها القوم ، تعطوني ابنكم اغذيه لكم واعطيكم ابني تقتلونه ، هذا ما لا يكون ابداً .

فقال له مطعم بن عدي بن نوفل - وكانت له صداقة مع ابي طالب

مصافياً له - : يا ابا طالب ما اراك تريد ان تقبل شيئاً من قومك ، ولعمري
لقد جهدوا في التخلص مما تكرهه ، وارك لا تنصفهم .

قال ابو طالب : والله يا مطعم ما انصفوني كما لم تنصفي انت ، واجدكم
وقد اجمعتم على خذلاني ، وارك وقد ظهرت القوم علي ، فاصنع ما بدى
لك ، فאלله حسبي وهو ارحم الراحمين .

فعند ذلك تنابذ القوم وصارت الأحقاد تلعب دوراً هاماً ، ونادى
بعضهم بعضاً ، وتآمروا فيما بينهم على من في القبائل من المسلمين ، فوثبت
كل قبيلة على من فيها من أعوان محمد وانصاره يعذبونهم ويفتنونهم عن
دينهم ، ومنع الله عز وجل رسوله بعمة الزعيم ابي طالب ، الأمر الذي
ادى بأبي طالب ان يكتب اباهب وراسله نثراً وشعراً استمالة له واستئذنة
لعواطفه نحو أو اصر النسب ووشائج الرحم اللذين هما اقوى الروابط التي
تربط بينه وبين ابن اخيه محمد ، ومن جملة تلك المساجلات والمراسلات القطعة
الشعرية التي يقول في مطلعها :

حديث عن ابي لهب أتنا

وكانفه على ذاكم رجال

والقطعة التي يقول في مطلعها :

تستعرض الأقوام توسعهم

عذراً وما ان قلت من عذر

ثم قال ابن اسحاق : ولم يستجب ابو لهب الى نداء ابي طالب واستعطافه ،
ولم يعرف عنه اي عمل من شأنه أن يؤدي الى تقدير ابي طالب او توقيره ،
إلا ما يروى من ان أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي لما وثب عليه قومه
ليعذبوه ويفتنوه عن اسلامه ودينه هرب منهم فاستجار بأبي طالب ، وكانت
أم ابي طالب مخزومية ، كما وهي ام والدرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأجاره ابو طالب وحماه وكف الأيدي العاتية عنه ، ففشى اليه رجال من
بني مخزوم فقالوا : يا ابا طالب هبك منعت عنا ابن اخيك فالك ولصاحبنا

تمنعه عنا ؟ قال ابو طالب : إنه قد استجار بي وهو ابن اخي ، وانا ان لم أمنع ابن اخي لم أمنع ابن اخي .

ثم ارتفعت الاصوات على أبي طالب كما وقد ارتفع صوته ايضاً ، فتهيج ابو لهب وتوترت أعصابه ، ولم يستطع صبراً دون ان قام على قدميه مغضباً محتمداً فقال : يا معشر قريش لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ولا زالون تتوثبون عليه في جواره من بني قومه لتنتهن اولنقومن معه حتى يبلغ مايريد . فعندئذ خافت قريش وحذرت من ان يتبع عمله قوله ، لما يعلمون من حاله من أنه اذا قال فعل ، فصاروا الى ارضائه بكل حيلة ووسيلة ، كما خدعوه بتنازله واستدرارهم عطفه ولطفه ، وقالوا كلهم بلسان واحد : بل نصرف عن اي عمل من شأنه ان يسيء اليك يا ابا عتبة . وكأنه قد رضي وهذا ، وبقي على مسيرته للقوم وموالاته لهم ومظاهرتهم لهم على اخيه وابن أخيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قال ابن اسحاق : وحين علم ابو طالب بموقف أبي لهب هذا طمع في استجلابه ، وأمل منه ان يرجع الى صوابه فينحاز الى جهة النبي وقافلته الخيرة ، فوجه اليه رسالة اكثر فيها الارشاد والنصح ، وختمها بأبياته هذه :

وان امرأاً قد كان مثلك عمه	لني معزل من ان يسام المظالما
ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة	نسب بها ما ان هبطت المواسما
أقول له بل اين منه نصيحتي	أبا عتبة ثبت سوادك قائما
وول سبيل العجز غيرك منهم	فانك لم تخلق على العجز دائما
وحارب فان الحرب نصف ولن ترى	اخا الحرب يعطي الخسف حتى يسالما
كذبتم وبيت الله نبي محمدأ	ولما تروا يوماً من الشعب قائما
وله ايضاً بالمناسبة :	

عجبت لحلم يابن شيبة عازب واحلام اقوام لذبك سخاف

يقولون شايح من اراد محمداً بسوء وقم في أمره بخلاف
أضاميم إما حاسد ذو خيانة وإما غريب عنك غير مضاف
فلا تركب الدهر مني ذمامة وانت امرؤ من خير عبد مناف
فلا تتركه ما حيت لمعشر وكن رجلاً ذا نجدة وعفاف
يزود العدى عن ذروة هاشمية ابلافهم في الناس خير إلا ف
وإن له قربى لديك قريية وایس بذی حلف ولا بمضاف
ولكنه من هاشم في صميمها الى اجر فوق البحور طواف
فراجم جميع الناس عنه وكن له وزيراً على الاعداء غير مجاف
وان غضبت منه قريش فقل لها بني عمنا ما قومكم بضعاف
وما بالكم تغشون منازلامة وما بال أحقاد هناك خواف
فما قومنا بالقوم يمحسون ظلمنا وما نحن فيما ساءهم بخفاف
ولكننا أهل الحفاظ والنهى وعز ببطحاء المشاعر واف

قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣/٣١٥ : إن ابا طالب يبلغه عن
ابي جهل شيخ المجرمين أنه قد أسمع النبي كلمات نائية وبذيئة ، مما ادى الى
تألم رسول الله وتأثره ، الأمر الذي انشأ على اثره هذين البيتين يخاطب بهما
النبي صلى الله عليه وآله أمام الجماهير من قريش :

لا يمنعك من حق تقوم به أبد تصول ولا سلق بأصوات
فإن كفك كفي ان اصبت بها ودون نفسك نفسي في الملمات
فحاول رضي الله عنه من ورائها ارشاد النبي صلى الله عليه وآله الى
اتخاذ الطرق التأديبية في حق المجرمين مهما كانوا من العظمة والمهابة ، فان
اليد المؤدبة هي مما تقصر الرجال عن ان تدناها او تطاولها ، وان كل يد تمتد
إليك فلا محالة من ان تلاقى القمطع بالنهاية ، فما عليك إلا ان لا تعني بمثل
كلمات ابي جهل الجوفاء ، فتتعذر عن حقك الذي جعله الله تعالى لك ،

والذي قد ألقيت مسؤوليته على عاتقك ، فامض لما امرت به واصدع بأمرك ،
والله من ورائك يسندك ويعضدك ، وهو خير مؤيد ومعين .

ومرة أخرى يستمع الى بعض المشركين وقد همس الى شياطينه بالقدرح
بمقام النبوة وقداصة الرسالة ، اذ يأخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله ويقف
به على رؤوس القوم وهو ينشد :

لقد أكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحداً
وشق له من اسمه ليجاه فذو العرش محمود وهذا محمد
وقال ابن أبي الحديد بعد ذكره للبيتين السابقين : وله أيضاً في المناسبة :
يا شاهد الله علي فاشهد اني على دين النبي أحمد
من ضل في الدين فاني مهتدي

• • •

وقال المسعودي في مرج الذهب ١/٣٧٠ : إن قريشاً قد تنازعت فيما
بينها على قصة وضع الحجر بعد ترميمات جرت على الكعبة ، واشتد النزاع
والخصام بين القبائل ، حتى كانت الحرب من الناس قاب قوسين أو أدنى ،
لولا أن يهرع العقلاء والمصلحون الى أبي طالب يسألونه التدخل السريع
في القضية تفادياً للحرب الطاحنة ، الحرب التي اذا نشبت ربما تتسع حركتها
وتمتد الى مالا يحمد عقباه .

ففكر ملياً ثم رفع اليهم راسه وقال : الرأي الصحيح والحل المجدي
هو أن تحكموا في أمركم اول طالع عليكم من باب شعبة ، واخيراً صوبوا
الرأي واستحسنوا الخطة واتجهوا يرقبون الطالع من باب شعبة ، فاذا هم
برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد طلع عليهم من الباب التي عناها
أبو طالب ، وكأن وجهه فلقة قر طالع او هو البدر ليلة كماله وتمامه .
فاجتمعوا عليه وأجمعوا على تحكيمهم لياه في قضيتهم المتأزمة ، فلم يكن

من النبي إلا أن فرش رداءه وتناول الحجر بيده الكريمة فوضعه في وسط الرداء ، ثم انتخب من الجمع العمدة والزعماء المتناحرة اربعة أنفار أعطى لكل واحد منهم طرفاً من الرداء ليحملوه الى مكانه الأصيل ، ولما وصلوا به تناوله صلى الله عليه وآله وسلم ووضعه في محله ومكانه القديم . واستحسن الجميع هذا الحل الرضي ، كما فرحوا بانتهاء الموضوع بسلام ، ورضى جميع الأطراف المتخاصمة .

قال المسعودي : فبينما الناس في فرح وهدوء اذ يسمعون هاتفاً يهتف ويقول : واعجباً لقوم يدعون لأنفسهم الشرف والمنعة والرعاية والسيادة من شيوخ وكهول قد عمدوا إلى اصغرهم سنّاً وأقلهم مالا فحكموه فيما شجر بينهم وجعلوه رئيساً عليهم ، أما اللات والعزى ليفوقهم سبقاً ، وليقسم بينهم خصوصاً ، وليكون له بعد اليوم شأن عظيم .

ثم قال المسعودي : وقد تنوزع في الهاتف من هو ؟

فن الناس من رأى أنه ابليس ظهر ذلك اليوم على صورة رجل من قريش كان قد مات ، وأن اللات والعزى هما اللذان احبياه لبنيه الناس على الخطر الداهم الذي سيجره عليهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم . ومن الناس من يرى ان المتكلم هو حكيم من حكماء العرب ، قد استنتج من تحكيم القوم للنبي ومن علمته تلك تفوقه وسموه ، وأنه سيكون على شأن عظيم .

قال المسعودي : وعلى أثر سماع أبي طالب مقالة الهاتف انشأ :

ان لنا أوله وآخره في الحكم العدل الذي لا ننكره

وقد جهدنا جهدنا ليغمره وقد عهدنا عهدنا لنحضره

فإن يكن حقاً ففينا أكثره

ابو طالب يدعو ملك الحبشة الى الاسلام

يحدثنا ابن هشام في سيرته ٣٥٧/١ وابن ابي الحديد في شرح النهج ٢٢٤/٣ ان ابا طالب رضي الله عنه قد كرر كتبه لامبراطور الحبشة يدعوه الى الاسلام وكان قد ختم بعض رسائله بمقطوعتين ، من الأولى :

أتعلم ملك الحبش أن محمداً نبي كموسى والمسيح بن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به فكل بأمر الله يهدي ويعصم
وانكم تتلون في كتابكم بصدق حديث لاحديث الترجم
فلا تجعلوا لله ندأً واسلموا فإن طريق الحق ليس بمظلم
ومن الثانية :

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر وعمر وأعداء النبي الأقارب
تعلم أبيت اللعن انك مساجد كريم فلا يشقى إليك المحسنان
تعلم بأن الله زادك بسطة وأسباب خير كلها بك لازب
قال ابن ابي الحديد والطبري وابن سعد في الطبقات: لما كثرت اعتداء المشركين
واليهود على المسلمين هرب من الاضطهاد المرير كثير من المسلمين ، وفروا
بأرواحهم ودينهم الى خارج الحجاز وبعض الى خارج مكة ، وكان من
اولئك النازحين جعفر بن ابي طالب وخمسة وثلاثون نفرأ من أصحابه قصدوا
الحبشة فلاذوا بجهاها حفاظاً على نفوسهم ودينهم .

• • •

اقول : مما لا ينكر أن هناك من المسلمين من لاذ بالفرار والنزوح الى
البلدان النائية ليسلموا على أرواحهم ودينهم من اذى وتعذيب قريش ، إلا

أن الحرب كذلك غير مقصود ، ولا يمكن أن يكون من المعقول بالنسبة الى ابن ابي طالب الطيار ، لأن قضيته تأتي وتأتي ان تنطبع بطابع الفرار والهزيمة ، بل هي سياسية تبشيرية قلباً وقالباً وروحاً وواقعاً .

وكيف لا تكون كذلك وهناك اكثر من مصدر ووثيقة يبرهنان على ان ابن ابي طالب هو الشخصية اللامعة في سماء مكة ، كما هو البطل المهيّب في دنيا العرب وقريش ، كما هو ثاني رجل في الاسلام وثاني مصل على الكرة الارضية بعد أخيه علي بن ابي طالب . . . اذا فكيف يأتى يمتلىء به استياؤه وتأله فيحدون به الى الفرار وان يعاف الرسول صلى الله عليه وآله ويغادر الوطن بغية النجاة والسلامة .

هذا مضافا الى انه ابن ابي طالب الرئيس العام ، وقد تحاشا الشرك ابن اخيه فكيف يكون بالامكان - والحالة هذه - أن يدنو من ابنه وفلذة كبده . يؤيد ذلك تفكير قريش بخاطر الرحلة وتصميمها على ارسال بعثة مناوئة لتقف في وجه الطيار وجماعته وتصد دعوته وتبشيره ، فكانت لرسالتهم تتألف من الزعماء والسياسيين : مثل عمرو بن العاص ، وعبد الله بن ربيعة المخزومي ، وعمارة بن الوليد ، وغير هؤلاء من رجال الفكر وابطال الدهاء . كما وقد زودوا البعثة بوفير المال وجليل الهدايا ، ليستميلوا بواسطتها اهل النفوذ والوجهاء ، حتى يتمكنوا من غايتهم ويحصلوا على الشيء الذي كانت بعثتهم من أجله .

وفعلا طبقوا كل ذلك ، فوزعوا الأموال المسيلة للعاب ، ونشروا الهدايا من هنا وهناك ، فكسبوا من هذا الطريق قلوب جماعة من أهل الحل والعقد ، وقلوب جماعة ممن يرتبطون بالبلاط الملكي ارتباطاً وثيقاً ، وظنوا أنهم سيحصلون على ما يريدون ، فنفثوا إلى الملك واستطاعوا تشويش ذهنه على ابن ابي طالب وجماعته ، زاعمين له مبينين أنهم قوم مشعوذون قد تنكروا لدينهم ودين

آبائهم الأولين ، وابتدعوا ديناً جديداً لا يعرفونه ولا الملك يعرفه ، وهذا هو الذي جاب عليهم تقصم القوم وسخط عشائرتهم ، فاضطروا الى الهجرة والاستجارة بحمي الملك ، متخذين من ذلك وسيلة وذريعة الى بث سمومهم ونشر دعوتهم في البلد الآمن المطمئن ، فيعكرون صفوه ويحدثون البلبلة والغوغاء في ربوعه المحيصة ، واذا ما اتخذت التدابير لقمع حركتهم وتحديد صلاحياتهم أو إبعادهم عن البلاد وبخلاف ذلك ربما يقع ما يكره ، وبالتالي الانقلاب على الحكم القائم والديانة المتأصلة .

فتأخذ المؤامرة مجالا غير قليل من تفكير الملك وقلقه ، فيستهملهم ريثما يتأمل في الأمر ويفحصه من جميع أطرافه ثم يرى رأيه . فلم يسع القوم حين ذاك إلا الموافقة والسكوت على مضمض الى ان يقفوا على النتيجة .

ومن حسن الصدف ان تصل احدى رسائل ابي طالب الى الملك في اليوم نفسه ، وما ان يقرأها ويتفهم معناها حتى يستولي عليه الهدوء والطمأنينة ، ويذهب عنه الهم والحذر .

وكان الكتاب يتضمن جملة من محاسن الاسلام وأحكام الدين المحمدي ، وانه الدين الحق الذي لا يأتيه الباطل الا من بين يديه ولا من خلفه ، كما هو لم يكن بالدين المرتجل الذي خلقتة الظروف الآتية ، بل هو أمر مرتقب قد بشرت به الكتب السماوية والعلماء الأقدمون ، كما استطاع ان يركز نفسه ويرسيها على قواعد متينة ودلائل وثيقة وآيات بينات يعجز البشر من الإتيان بما يماثلها ويضاهيها . واول شيء يستهدفه هو توحيد الله عز وجل ونفي الشركاء عنه تعالى ، ثم الأمر بمكارم الأخلاق والتحلل بصفات الخير والمحبة للناس ، والتوادد والتآلف فيما بينهم ، وتفقد الضعفاء ، والحث على صلة الرحم - الى غير ذلك من المكارم والمآثر .

ثم لفت نظره في نهاية الرسالة الى ولده جعفر ، وانه فضل حماه

والإنطواء تحت لوائه دون غيره ، وما ذلك إلا لما كان يعامه من جميل الفعال
وكرم النفسية والخصال ، والا فأرض الله واسعة فضاها .

وتدخل المحتويات في نفس الملك ، فيمتلئ حدة وغضباً على ابن العاص
وأصحابه ، ويرسل خلف الطيار ، فيوسع له ويعتني به فيقدره ويكرمه ، وبالتالي
أسلم على يدي القائد الاسلامي العظيم جعفر بن أبي طالب ، وآب ابن العاص
وصحبه فاشلين في مهمتهم خاسرين في رحلتهم .

ولعلنا نأتي على تفصيل الرحلتين والبعثتين في ترجمة أولاد أبي طالب ،
والمهم الآن هو بيان ان الطيار لم تكن سفرته كما يقولون من أنها
انهزامية بحثة نشأت عن الضغط الكافر والاضطهاد المشرك ، وقد عرفت
انها إن دلت على شيء فإنما تدل على أنها سياسية وتبشيرية ، وقد تمكنت
من التأثير على الامبراطور الحبشي ، ثم توسعت الى المجموعة الحبشية ، فكانت
الحبشة منظمة الى البلاد الاسلامية بالنهاية . . . كل ذلك ببركة عم النبي
وابنه الطيار ، كما تدلنا مراسلات الزعيم الهاشمي على انه رضي الله عنه لم
يكن توحيده لله وإيمانه به تقليدياً وتبعياً فقط ، بل انما كان فطرياً وغريزياً
من جهة ، ووراثياً تلقاه عن سلفه الصالح وآبائه الميامين من جهة أخرى .
والحق أن آباء رسول الله الأكرمين كانوا مؤمنين بالله ولا يشركون
به طرفه عين ابداً ، كانوا يدينون بدين ابراهيم الخليل جدهم الأعلى ، وما
لاشك فيه ان ملة ابراهيم ودينه هما نسخة طبق الأصل للدين الاسلامي
الحنيف « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان
من المشركين » « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين
آمنوا والله ولي المؤمنين » [آل عمران] .

« وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم
المسلمين » [الحج] .

وهناك آيات أخرى تؤيد أيضاً ان ديانة ابراهيم وملته قريبة من الديانة
الاسلامية ان لم تكن هي ، ودين ابراهيم هو الذي كان يرجع اليه آباء النبي
كلما تنقرض ديانة او تنسخ ، فهو دين معلوم لديهم محفوظ عندهم يحكمون
عملهم عليه ويسيروا على ضوئه ، كي لا يكون حال الأسر الأخرى
من العكوف على عبادة الأوثان وارتكاب المحارم والآثام ، لذا حرم ابوطالب
على أسرته وآله الملاذ غير المشروعة كالخمر والقمار والفجور ، وكل عمل
من شأنه ان يؤدي الى ما لا يرتضيه العقلاء النبلاء ، إلا ما كان من أمراي لب
المرفوض ، فإنه قد شذ عن هذه الأسرة الكريمة بكل معاني الشذوذ ، لهذا
فقد لفظه بنو هاشم لفظ النواة ، واسقطوه من قائمتهم ، قاتله الله ولعنه
وأعد له عذاباً أليماً .

ابو طالب يطلب من النبي المعجزة

يحدثنا ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٠٦/٣ عن العباس بن عبد المطلب انه قال : خرجت مع ابن اخي محمد واخي ابي طالب الى خارج مكة لغاية الترفيه عن محمد وقصد تسليته ، فجلسنا على تل كان هناك ، فاسترسلنا في الحديث فحضرنا فيه من هنا وهناك ، اذ يطلب ابو طالب من محمد أن يدعو اليه شجرة كانت تبعد عنا قليلا ، فحرك محمد شففيه فإذا بالشجرة وقد انقلعت من جذورها أقبات حتى وقفت أمامه قائلة « السلام عليك يا رسول الله وحجته على خلقه » . فقال ابو طالب : مرها يا ابن اخي أن تعود الى مكانها وترجع الى محلها . فتكلم محمد بكلمات لم نفهمها ، فاذا الشجرة وقد استدارت واتجهت الى مكانها فثبتت فيه ، ثم قضينا الوقت الذي كنا قد قررنا أن نقضيه وعدنا الى دورنا .

أقول : إن هذا الطلب من الزعيم الهاشمي إنما كان في اوائل البعثة وبدء أزمة الرسالة ، وإن دل على شيء فلأنما يدل على أن عم الرسول أراد أن يكون تصديقه بالنبوة والبعثة مرتكزاً على الدليل ومبتنيّاً على براهين واسس واقعية لا تقبل الجدل والنقاش ، مثل تقدم الشجرة وسلامها على رسول الله صلى الله عليه وآله ، كل ذلك مزيداً للأطمئنان والتأكد والثوق ، نظير ما وقع على تفسير للنبي الخليل حين سأل الله عز وجل أن يرّيه كيف يحيي الموتى ؟ قال : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي .

هذا أولاً ، وأما ثانياً فإنه قد اجتمع عليهم عدة من العرب المخاورين ، فأراد أبو طالب أن يرهم كرامات الرسول صلى الله عليه وآله ومعاجزه لعلمهم يهتدون الى دين الله وسراطه المستقيم ، وإلا فهو مؤمن بالله وبما جاء

به محمد من عند الله ، لايزيده تكرار الفضائل وخوارق العادة سوى الفرح
بما أعطى الله رسوله من عظيم المقام وجليل المنزلة ، وها هو يقول :
إن ابن آمنة النبي محمداً عندي بمثل منازل الأولاد
ويقول أيضاً :

ظهرت دلائل نوره فتزلزلت منها البسيطة وازدهت أيام
وهوت عروش الكفر عند ظهوره وبسيفه سيشفد الاسلام
وأناهم أمر عظيم فادح وتساقطت من حوله الأصنام
صلى عليه الله خلاق الورى ما أعقب الصبح المضيء ظلام
ومما لاشك فيه أن البيت الأول هو لإقرار صريح واعتراف واضح
بنبوة النبي صلى الله عليه وآله ، ثم أبان أنه بمنزلة أولاده عنده من حيث
الشفقة والحنان واللفظ ، بل زاد عليهم وتقدمهم أشواطاً بعيدة ، فيفقد
ذات يوم فلم يحضر الدار على مستمر عادته ، فيضطرب للحادث ويستولي
عليه القلق والتشويش ويرتبك للتأخر غير المعتاد ، لعلمه بتلبد الغيوم على
رسول الله وتجهم الوضع عليه والترص به ، الأمر الذي أدى بإكثار
الرسول لبأسأته بخبره ، فانتشروا في نواحي مكة ثم عادوا ولم يحصلوا على
أثر لا قليل ولا كثير ، فيزداد تالماً وامتناعاً ، ويأمر فتيان بني هاشم بالتسلح
الخفي وان يخرجوا إلى الناصي الكافر ، فيقف كل واحد منهم على رأس
كل رئيس وزعيم من العرب وقريش حتى يعود اليهم ، فإن جاءهم بمحمد
فذاك وإلا عمدوا إلى الزعماء والرؤساء فقتلوه عن آخرهم .

فخرج وأخرجوا ، ويقدر له أن يضيف إلى أعماله الخالدة وكراماته
المتتالية كرامة العنور على رسول الله . وفضيلة لقياء ووجدانه : فيأخذ بيده
ويأتي به إلى الندوة ، فيقف به على الجماهير ويشرف به على المجتمع ،
فأعلمهم بما بيته لهم إن هو لم يجد محمداً صحيحاً . ثم اوماً إلى فتياه

أن يخرجوا ما أخفوه تحت الثياب من السيوف ليرهبوا بها عدو الله وعدو
رسوله ، فأخرجوها فإذا هي صحائف يقطر منها الموت ، الأمر الذي أhal
القوم وارعد فرائصهم ، وبالتالي حدوا الآلة على سلامة محمد ، كما حدوها
على سلامتهم ونجاتهم ، ثم انشأ ابو طالب وهو آخذ بيد النبي صلى الله
عليه وآله :

ألا أبلغ قريشاً حيث حات	وكل سرائر منها غرور
فإني والضوايح عادات	وما تلو السفافرة الشهور
فلست بقاطع رحمي وولدي	ولو جرت مظالمها الجرور
أنا لبني أخي راع حفيظ	وردد الصدر مني والضمير
أيا أمر جمعهم ابناء فهر	بقتل محمد والقتل ذور
فلا وأبيك ما ظفرت قريش	ولا أمت رشاداً إذ تشير
لبني أخي ونوط القلب مني	وأبيض ماؤه غدق كثير
ويشرب بعده الولدان رباً	واحمد قد تضمنه القبور
إياي الأنف انف بني قصي	كأن جبينك القمر المسير

وبعد ان فرغ رجع بالنبي مرفوع الرأس موفور الكرامة فرحاً بما آتاه
الله تعالى من فضله .

° ° °

وهكذا يقدر لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يحيي حياة
طيبة ، حياة ملؤها البطولة ، ملؤها الجهاد في سبيل الله ، ملؤها المفاضة
والذب عن رسول الله ، وقد خدم بيت الله قرابة الستين عاماً ، كما قام
بشؤون زواره وحجابه طول عمره الكريم .

وتشاء له ارادة الله القدير أن يرحل عن هذه الدنيا الفانية ، الدنيا المليئة
بالأنعاب والمشاق والنصب والعناء ، ليحل مكانها دار الخلود والراحة ، دار

الفردوس والكرامة ، دار الأنبياء والأولياء والصالحين والأتقياء وحسن أولئك رفيقاً ، ليجزى بما كسب وقدم من خير عظيم ، وأعمال صالحة يستمر أثرها الى قيام يوم الدين .

كيف وقد اخذ الله عز وجل على نفسه المقدسة ان لا يضيع عمل عامل من ذكر وأنثى ، كما لا يضيع أجر من احسن عملاً ، وانه تعالى لا يضيع اجر المحسنين ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .

إذا فلتهدأ نفسك ولتقر عينك باعم رسول الله وناصر دين الله ، بما سيريك الله العظيم من نعيم مقبم ورحمة ابدية ، لازوال لها ولافناء . ويشيع نبأ مرضه رضوان الله عليه ، فيجتمع عليه للعبادة الأهل والأسرة والمعاريف والأصدقاء ، يصاحبونه ويماسونه وكلهم وجلون متصدعون لوعكة زعيمهم وسيدهم العظيم ، ولا سيما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فانه أشد الناس توجعاً وأكثرهم تألماً واستياء .

ويستشعر هو رضوان الله عليه بدنو أجله واقتراب وفاته ، فيستعد الى لقاء الله ويتأهب للدار الآخرة ، فيبحث خلف بني هاشم فيحضر كلهم أجمعون ملبين دعوة زعيمهم المضارق ، فيدير عينيه في وجوههم ، ثم اخذ يعظهم ويذكرهم بأيام الله وينصحهم بطاعة الله وملازمة أحكامه وسننه ، واقتفاء اثر رسول الله واتباع شريعته ومبادئه ، فيتعاضم الأنين ويتعالى البكاء والحنين . ثم ارشدهم الى الاعتناء بالبيت الحرام ، وتقديس الكعبة الموقرة ... الى كثير من النصائح والإرشادات .

ابو طالب ينشئ وصيته

ولما سكن نشيج القوم وهدأت زفراتهم وحرراتهم أخذ عم النبي العظيم
يسلي الهاشميين ويهون عليهم ، وانه ليس لوحده فقط أوجد الموت وخلق
الفناء ، بل هو حتم في رقاب العباد لا يمكن ان ينجو منه أحد ابداً :

كل ابن انثى وان طالت سلامته يوماً على آلة الحدباء محمول
واذا حلت الى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول

يا معشر بني هاشم ، يا معشر قريش ، أنتم صفوة الله من خلقه ،
وانتم قلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدم الشجاع ، الواسع الباع .
واعلموا أنكم لم تركوا للعرب في المآثر نصيباً الا أحرزتموه ، ولا شرفاً
إلا أدركتموه ، فلکم بنوآلکم على الناس الفضيلة ، ولهم به اليکم الوسيلة ،
والناس لکم حرب ، وعلى حربکم ألب .

وإني أوصيکم بنعظيم هذه البنية : فإن فيها مرضاة الرب ، وقواماً
للمعاش ، وثباتاً للوطنة . صلوا أرحامکم ولا تقطعوها ، فإن صلة الرحم منسأة
للأجل وزيادة في العدد ، وانركوا البغي والعقوق ففيها هلك القرون قبلکم ،
وأجيبوا الداعي ، واعطوا السائل ، وعليکم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ،
فإن فيها محبة في الخاص ، ومكرمة في العام . واني أوصيکم بمحمد ، فإنه
الأمين في قريش ، والصدیق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتکم به ،
ولقد جاءنا بأمر قبله الجنان ووعاه القلب .

وأيم الله كأنني انظر الى صعالیک العرب وأهل الأطراف والمستضعفين
من الناس ، وقد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموأ أمره ، فخاض بهم

غمار الموت ، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناناً ودورها ضرباً ،
وإذا بأعظمهم عليه احوجهم إليه ، وأبعدهم عنه احظاهم عنده ، قد محضته
العرب ودادها واعطته قيادها ، دونكم يا معشر قريش ، دونكم ابن اخيكم
كونوا له ولالة ولحزبه حاة .

فوالله لا يسلك أحد سبيل محمد لإرشده ، ولا يأخذ بهديه الا سعد ،
ولو كان لنفسي مسدة وفي أجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ودفعت عنه
الدواهي ، غير اني أشهد بشهادته وأعظم مقالته .

اقول : وأيم الله إنها وصية جليلة ومذكرة عظيمة ، ولعمر الحق إنها
وصية حازت منتهى السمو وانصفت بمنتهى الجلالة والعظمة ، تزخر بغرر
النصائح ودرر الكلم وبلغ المقال وجميل الوعظ والارشاد ، قد مجدها كثير
من المؤرخين وقدستها كتب التاريخ والسير ، وكان من اولئك مفتي الشوافع
في عصره السيد زيني دحلان في مؤلفه « أسنى المطالب » والحموي في كتابه
« ثمرات الأوراق » والسهيلي في « الروض » والسيد علي خان في « درجاته
الرفيعة » والمجلسي في « البحار » والسيد البرزنجي الشافعي وابن أبي الحديد
في « شرح النهج » ٢/٢١٣ .

واني لأقسم بالله - وانه لقسم لو تعلمون عظيم - أن وصية حامي
النبي وعمه الكريم هذه هي وصية ضخمة ، هي بوصايا الأنبياء أشبهه ،
وبنصائح الأئمة والأولياء انصب ، والى تعاليم العلماء والعباقره أقرب . فهي
وصية ثم عن مجموعة معارف ، وتعطي اضمامة من دروس قيمة وتعالم
رفيعة وراقية ، كما يستشف منها العلم الجم ، والأدب الوفير ، والبلاغة
المنقطعة النظير - الى غير ذلك مما يضع عم الرسول الكريم بمواضع العباقره
والمفكرين والعلماء اللامعين .

فأول ما استهدفه من معنى ظهر على لسان النبي الكريم أخيراً ، وهو

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله اصطفى إسماعيل من ولد إبراهيم ، ثم اصطفى من ولد إسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

أما قوله رضوان الله عليه « فيكم المقدام الشجاع الواسع الباع » يريد بذلك اسرة رسول الله الكريمة وسلسلته المحيطة ، فهي وحدها التي قد انفردت بطيب المختد وكريم المآثر وجليل صفات الخير — الى غير ذلك من عناوين الكمال وجمل الخلال والحصال والشجاعة الفذة .

وما لا يخالف فيه إثنان ولا يرتاب فيه أحد ان آباء النبي العظماء كانوا على درجة عليا من الجود والسخاء والرفقة والحنان والعطف على الضعفاء واللطف بالمعوزين والفقراء . اغاثوا الملهوف وسعوا جاهدين الى قضاء حوائج الناس والترفيه عليهم ، مضافاً الى تميزهم بعبادة الله وروحانية خدمة بيته الحرام والقيام بلوازم الزوار والحجاج من وفادة وسقاية — الى غير ذلك من المناخر مما جعلهم في الأنظار في اعلى مقامات السيادة والزعامة . ثم يلفت نظر الهاشمين الى العكوف على خدمة الكعبة ثم تعظيمها وتكريمها خدمة لله عز وجل وقربة اليه تعالى . هذا بالإضافة الى ما تحلفه الخدمة والسدانة من شرف كبير ، وعلى المكاة في النفوس المؤمنة والقلوب المحبة لله سبحانه . وذلك أمر لا ينبغي التفريط به بأي حال من الأحوال .

وأما قوله رضي الله عنه : « صلوا أرحامكم ولا تقطعوها » فهو إرشاد قيم متين ونصح جليل ثمين : كل هو معنى إنساني كريم يستشف منه الشعور بآمال الأقارب والأرحام وآلامهم ، ثم الترفيه عليهم جهد الامكان وحسب المستطاع ، لما لهم من حقوق فضلى وواجبات مثلى ، يحتمها العقل السليم وتفرضها الانسانية الحققة . أضف الى ذلك النتائج التي تنتج من جراء الصلة المشار اليها من آثار مستحسنة ومفاهيم محببة : منها الزيادة في الرزق

والإطالة في الأعمار ، ثم المودة في نفوس الأقرباء والأرحام . والله در القائل :
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم . فطالما استعبد الإنسان أحسان
وقد جاءت هذه النظرة من عم النبي الزعيم أبي طالب موافقة لآداب
القرآن وسنن الاسلام . . . وقد ورد في القرآن الكريم كما في سورة النساء
« واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » .

فقد جعل الله تعالى لزوم الانقاء من سخط الأرحام واجتناب عقوبتهم
مقارناً لخلفات عقوبه وعصيانه عز وجل ، وما ذلك إلا لأهميتهم عنده
وكرامتهم عليه .

وورد أيضاً في سورة محمد صلى الله عليه وآله « فهل عسيتم إن توليتم
أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك لعنهم الله فأصمهم وأعمى
أبصارهم » .

فنظر الله تعالى إلى الذين يقطعون أرحامهم ولا يصلونها فنظرته إلى
الذين يعيشون في الأرض الفساد ويسعون فيها بالجرائم والمنكرات ، نفقاس
الجميع بمقياس واحد ، ووزنهم بميزان واحد .
وورد أيضاً في سورة الأنفال « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض
في كتاب الله » .

وأما ما ورد في السنة النبوية . من فضيلة صلة الرحم والحث عليها -
فهناك الشيء الكثير . روى آل البيت عن جدهم النبي صلى الله عليه وآله :
صلوا أرحامكم ولا تقطعوها .
صلوا أرحامكم ولو بالسلام .

الرحم مشتقة من الرحمة : والرحمة من صفات الله عز وجل .
الرحم معنى معلق بين السماء والأرض ينادي « اللهم صل من وصلني
واقطع من قطعتني » .

إن صلة الرحم تطيل العمر كما تزيد المال والثراء .
صل رحمك ولو بشربة ماء ، وإن افضل ما يوصل به الرحم كف
الأذى عنه .

من مشى الى ذي قرابة بنفسه او بماله او بجاهه رعاية لصلة الرحم
اعطاه الله عز وجل اجر الشهداء في سبيل الله ، كما اعطاه بكل خطوة
يخطوها من الحسنات ما لا يعلم به إلا الله ، ويعطيه ايضاً ثواب عبادة مائة
سنة تطوعاً .

صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار .
وقال الامام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى « الذين يصلون
ما أمر الله به أن يوصل » الذي أمر الله به أن يوصل هو رحم رسول الله
صلى الله عليه وآله وذوو قرباه ثم رحم الانسان .

وأما قوله رضوان الله عليه « واتركوا البغي والعقوق » فانه درس نافع
وفكرة اجتماعية ضخمة ، لأن البغي والاعتداء من دون حق واضرار الناس
من دون ما سبب أو مبرر هو الظلم بعينه ، والظلم إن دام دمر .

وكذلك الاستهانة بحقوق الأبوين أو بحقوق الاخوة المؤمنين ، فهو
ظلم صريح ، وتحطيم للكرامة التي قدرها الله تعالى للابوين أو للانسان
بعضه مع بعض ، وقد تعرض القرآن المجيد للظلم والظالمين وذمهما فقال تعالى :

« فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين » سورة الأعراف .
« ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون » سورة ابراهيم .
« ويوم بعض الظالم على يديه » سورة الكهف .
« لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين » سورة مريم .
« ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين » سورة آل عمران .
وليست هذه الآيات الكريمة فقط هي كل الوارد في هذا الموضوع ،

بل هناك كثير مما تركناه رعاية للاختصار : ولما في هذا القدر من الكفاية.
أما ما ورد من السنة فنذكر على سبيل المثال ما نقله الشيخ ورام في
مجموعته ، بطريقه الى مولى المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام
عن ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله عز وجل انه
قال : اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصراً غيري .

وعنه عليه السلام : اياك وظلم من لم يجد عليك ناصراً إلا الله .
وعنه عليه السلام عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : الويل
لظالم أهل بيتي ، عذابهم مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار .
وعنه عليه السلام : لا يكبرن عليك بغى من ظلمك ، فإنه يسعى في
مضرة نفسه ونفعك .

وعنه أيضاً : ألا وإن الظلم ثلاثة أنواع : ظلم لا يغفره الله ، وظلم لا يتركه
الله ، وظلم ربما يغفره الله . أما الظلم الذي لا يغفر فهو الشرك بالله « إن الله
لا يغفر أن يشرك به » ، وأما الظلم الذي لا يترك فظلم الناس بعضهم لبعض ،
وأما الظلم الذي يمكن ان يغفر فهو ظلم الانسان نفسه بزجها في آتون محارم
الله وذل معصيته ، فهذا النوع من الظلم يمكن اعفاؤه والتسامح فيه فيما اذا
عقب بالتوبة وقرن بالندم على ما صدر والاقلاع عن المائل في المستقبل .
وعنه عليه السلام : بالظلم هلكت القرون والأمم السالفة .

قوله رضي الله عنه « أجيبوا الداعي واعطوا السائل » أما اجابة الدعوة
أو الداعي فتلك من صفات المؤمنين وسجات المتدينين ، مضافاً الى انها
تورث التآخي والتصافي بين الناس ، كما توجب التآلف والتوادد بين المسلمين .
وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله : لودعاني داع على كراع
لأجبتة .

كل ذلك حث وترغيب على إجابة الداعي مهما كان : حتى ولو كان

مثل كبراع الرجل الفقير البسيط ، وحتى لو كانت الدعوة بسيطة لا تتعدى كبراع الشاة ، وحتى لو كانت تستلزم التعب من جهة بُعد المكان ، مثل كراع الذي هو اسم مكان يبعد مقداراً ما عن البلد .

وثبت عنه صلى الله عليه وآله انه قال : اذا دعيتم فأجيبوا .
أما قصة اعطاء السائل فإنها اوضحت من مآثر الاسلام ومختصاته ،
وقد ندب إليها القرآن الكريم في أكثر من آية « واما السائل فلا تنهر » ،
« واطعموا البائس الفقير » .

وفي الحديث : إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

لو صدق السائل لهلك المسؤول .

من أراد أن ينمو ماله ويطول عمره فليكثر من الصدقة .

وما عسى أن يقول القائلون في وصية عم الرسول العظيم هذه ، فكل قول وثناء وكل تقريرض وتفخيم هو دون مستواها ودون شأنيتهما ومكانتهما ، فأكرم بها من وصية تصقل العقول وتصهر النفوس ببوتقة الخلق الاسلامي النبيل ، كما تطيع الانسانية بطابع الحضارة والمثل العليا التي تضع الانسان بمصاف العباقرة اللامعين والنبلاء الأكارم .

قوله رضي الله عنه : « وعليكم بصدق الحديث » ولا يكاد يخفى ما للصدق من أثر فعال يورث ترابط المجتمع ، ويؤدي الى التفاهم والتقارب بين افراده وجااعاته ، كما يظهرهما بمظهر الكمال والجلال ... ويحققهما بالثقفين العطاء والروحانيين من الملائكة المقربين .

وقد ورد في القرآن العزيز تمجيد الصدق والصادقين في كثير من الآيات الكريمة « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنههم من قضى نجبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » . فهذه الآية المباركة — وان كانت واردة في فضل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كما

ذكر ذلك السبط ابن الجوزي في تذكرته وابن أبي الحديد والقندوزي في
بنائيه. إلا أنها تخرج عن كونها مدحاً للصديقين وثناء على الصديق .
ومن الآيات « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم القاتلون » .
أما نظرة القرآن الى الكذب فهي نظرة ساخطة ماقته « سيعلمون غداً
من الكذاب الأشر » ، « ويل للمكذبين » .

ويكفي في ذم الكذب وقبحه كونه كذباً . وهو من الرذائل والصفات
المقنّية ، وبالتالي إنه يورث الإهتار الخلقي والتفسخ والتحلل في افراد المجتمع
ثم الوليل والدمار .

قوله رضي الله عنه « وعليكم بأداء الأمانة » هو توجيه فطري وشعور
بأهمية الأمانة ولزوم الحفاظ عليها ثم أدائها وتسليمها الى أهلها كاملة غير
منقوصة . ويكفي في خلاف ذلك ثبوت الخيانة في حق الأمين او المؤمن ،
والخيانة جرم خطير وعمل حقير يورثان في بني الانسان التباغض والتناحر
ثم التقابل المسلح والحرب الطاحنة ، ومن هنا كان القرآن الحجد بصر في اكثر
من آية على لزوم اداء الأمانة « فليؤدي الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه » ،
« والذينهم لأماناتهم وعهدهم راعون » .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ليس مني من غش امتي
او خادعهم او خانهم .

قوله رضي الله عنه : « واني أوصيكم بمحمد فانه الأمين في قریش
والصديق في العرب » ، فانه تأكيد بالإيضاء برسول الله ، ولزوم اتباعه
ونصرته ، ولزوم احاطته والحفاظة عليه . وسد كل النوافذ والثغور التي يمكن
أن يتسرب منها العدو فيسأل الى عرقلة حركته او يعترض سير قافلته .
هذا أولاً ، وأما ثانياً فإنه تصديق للبعثة ، واعتراف بالرسالة والنبوة ،
وارشاد الى ذلك ، لذا اتبعه بقوله « ولقد جاءنا بأمر قبله الجنان ووعاه

القلب « يعني الاسلام .

ثم أقسم رضي الله عنه فقال : « والله لا يسلك أحد سبيل مجد الاسعد ، ولا يأخذ أحد بهديه للإرشاد » ومن الجلي الواضح أن سبيل محمد وهدى محمد هو الدعوة الى الله ثم الى دين الله الحق ، وبها يتحقق للانسان الهدى والرشاد والسعادة والصلاح .

ثم اخذ يقرأ عليهم عن مستقبل النبي القريب او البعيد ، وما سيكون عليه من التوسع وانتشار الصيت والانتصار على الدول الكافرة والمشركة ، ولا بد من ان تتهافت عليه الناس بعد ذلك خاشعة تأتمر بأمره وتنتهي بنواحيه ، أفلا يكون هذا من اجل الدوافع والأسباب المقتضية الى مساندته والالتفاف حوله والأخذ بقواه : لتكون لهم السيادة والقيادة والامرة والوزارة .

أفلا يكون ذلك موجباً لعدم فسح المجال للآخرين الأبعاد أن يحيطوا بمحمد ، فيكونوا بهذه الوساطة هم الدعاة والولاة ، في حال ان الآل والأسرة هم أحق بالاحاطة والنصرة ليحصلوا على الأولوية في الوصاية والولاية .
ثم تمنى رضي الله عنه ان يفسح الله في أجله ويمد له في عمره ، لالحب البقاء والخلود في الدنيا ، بل ليكف عن رسول الله الهزاهز ، ويدفع عن حضرته الدواهي ، حتى تعلو كلمة الله ويشاهد انتشار ألوية الدين عالية خفاقة ، وحتى يرى الرؤساء والعظماء غادية وجائية ، وهي تعتذر الى ابن اخيه مستشعرة تقصيرها في حقه آملة منه العفو والصفح عما صدر منها من الأذى والاساءة اليه صلى الله عليه وآله ، وهناك فليكن الموت وليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

• • •

رضي الله عنك وارضاك يوم لا ينفع فيه المال والبنون إلا من أتى الله بقلب سليم من درن الجاهلية وأوضاع الوثنية ، مؤمن بالله لم تأخذه فيه

تأخذه فيه لومة لائم ، ولا في موالاته لرسول الله ومؤازرته إياه رعد
الفوضويين وإبراق المرجفين .

تمنيت أن تعيش الزمن الذي يتم فيه الأمر للرسول الأعظم صلى الله
عليه وآله وسلم ، لتستكثر من صالح الأعمال ، وتتوصل الى خير الزاد ليوم
المعاد ، وتقي الرسول من مكائد الكفر ودسائس الشرك ، اولتموت في
سبيل الله ورسوله شهيداً سعيداً ، وهنالك الفوز المبين والفردوس الأعلى
مقر الأنبياء والمؤمنين ، وحيث رحمة رب العالمين .

وما أدري يا عم رسول الله كيف استشعرت التقصير ، فرجوت ان
يفسح في أجلك لتحوز على خدمات لله ورسوله أكثر وجهاد أوفر ، وهل
تركت شيئاً تكون فيه الخدمة او تتحقق منه المفاداة إلا وقد صنعته ؟

ألم تحتمل الذل والهوان من حيث توحيدك لله ومن حيث ملازمتك
لرسول الله ، تلك الملازمة التي اطاحت بقلاع الكفر وهدمت صروح
الأصنام والشرك ، ثم تخضع لرسول الله ذاك الخضوع الذي لم يحدث التاريخ
منذ عرف له مثيلاً ونظيراً ، وانت عمه ومربيه وكافله ، وانت زعيم مكة
وولي الله على بيته الحرام ؟

ألم تحتمل مرارة الحصار المشين وتبعات الاعتقال المؤلمة طوال
ثلاث سنين ؟

ألم تحمد تحوشات الكفر ، وتفضح مؤامرات الشرك ، وتأتي على
عدوانهم وما يبيتونه من اضاليل وإباطيل ، فتنسقه وتنقضه من الأساس ؟
ألم تنذر نفسك وتوقفها على مدح رسول الله ونشر فضائله ومكارمه
ومآثره ، فلثت الكتب بنترك وشعرك ؟

أما بكفليك كل هذا العمل الخير ، العمل الذي يكون بعضه موجباً
لأن تشملك رحمة الله وتستدرجك جنته ورضوانه ، واخيراً ختمت وصيتك

بكلمتك الرائعة « غير اني اشهد بشهادته واعظم مقالته » .

نعم والله يا عم رسول الله ، لقد شهدت بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وأعظمت مقالته من أول يوم أظهر فيه صلى الله عليه وآله الشهادة لله عز وجل بالوحدانية وله بالرسالة ، ولكنك أيها العظيم أحببت أن تختتم بما ابتدأت به ، لتكون آخر دعواك : أن الحمد لله رب العالمين . ولا يضر الأسود نبح الكلاب ، كما لا يضر نقيق الضفادع وطنطنة الذباب في عظمة العظام ومقامات الأبطال ، وسوف ترد ويردون على الله ، كما سيعرض الظالمون على الله ورسوله : فتسود وجوههم حياءً من رسول الله بما زوروا ولفقوا ، ولا ينفعهم إذ يندمون ، كما لا ينفعهم إذ يعتذرون يوم يعرض الظالم على يديه ويقول الكافر باللائك الجاحد لفضلك : ياليتني كنت تراباً ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

• • •

وتحدث ابن ابي الحديد فقال : وان لشيخ الأبطح وصية اخرى شعرية قد اختص بها نفعاً من ابطال بني هاشم الأفذاذ ، وهم اربعة العباس ابن عبد المطاب والحزمة بن عبد المطاب وعلي وجعفر ولداه :

أوصي بنصر نبي الخير أربعة ابني علياً وعم الخير عباسا

وحزمة الأسد المخشي صولته وجعفرأ فذودوا دونه الناسا

كونوا فداء لكم أمي وماولدت في نصر أحمد دون الناس أتراسا

لله درك ، والله انت يا كافل المصطفى وحامي ، ما اعظمتك واكرم نفسك ونفسيك ، وما اشد تصلبك لدين الله وحرصاك على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما أزهذك في دمك وروحك تبذلها بكل سخاء وطمانينة لا في سبيل الله ورسوله فحسب ، بل لكل مساند لها ومعاضد ، فأنت وفي مثل هذه الظروف الحرجة وهاتيك الساعة الصعبة الرهيبة لم تفتأ توصي

وتلهج بذكر الله عز وجل ، وتشهد الهمم والعزائم نحو الحفاظ على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله .

فسلام الله عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حياً .

* * *

قال التفتوني في ضياء العالمين والواحدي في اسباب النزول وابن شهر اشوب في المناقب وابن ابي الحديد في شرح النهج : إن لأبي طالب عم النبي العظيم وصية ثالثة خص بها ولده طالب الذي هو اكبر أولاده ، يحثه فيها على التدين بدين رسول الله واتباعه في أقواله وأفعاله ، والدود عنه والذب عن دينه بكل القوى والامكانيات ، وفي ذلك الخير العميم والنجاة في الدارين ، ثم أنشأ الوصية بقال شعري فقال :

أبني طالب إن شيخك ناصح فبما يقول مسدد لك واثق
فاضرب بسيفك من أراد مساة أبداً واثك للمنية ذائق
هذا رجائي فيك بعد منيتي إني عليك بكل رشد واثق
فاعضد قواه يا بني وكن له إني بجدك لا محالة لاحق
آهاً اردد حسرة لفراقه اذ لم اجله وهو عال باسقى
اترى أراه واللواء أمامه وعلي بني اللواء معاتق

ويحدثنا صاحب اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي نقلاً عن مقاتل من حديث طويل : إن ابا طالب رضي الله عنه قد جمع اليه بني هاشم في أواخر ايامه وعند استفحال المرض فيه وبأسه من الحياة ، كما ارسل على الزعماء والأحلاف من قريش والعرب ، وعند اجتماعهم من حوله قد استوى جالساً وخطب فيهم خطبة عظيمة أكثر فيها من الإيحاء برسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن جملة ذلك ان قال : يا قوم ان ابن اخي محمداً - كما يقول - نبي مرسل ، أخبرنا بذلك آبائونا

وعلمائنا من قبل ، فهو نبي صادق وامين ناطق .

وفيه أيضاً ٤٠٧/١ بطريقه الى أبي علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن عبد الله بن محمد عن سلمة اللؤلؤي عن صادق آل محمد عليه وعليهم السلام أنه قال بمناسبة اسلام ابي ذر الغفاري رضوان الله عليه : وكان الامام الصادق قد سئل عن كيفية اسلام ابي ذر ، فقال : كان ابو ذر يرعى الغنم ، فاذا هو يرى ذئباً وقد جاء من جهة يمين الغنم ، فذاده بعصاه ، فصار الذئب الى شمال الغنم فهش عليه بالعصى وقال : ما رأيت ذئباً اخبث منك ولا اشر ، فتكلم الذئب بقدره الله قائلاً : هنالك من هو اكثر شراً مني واخبث ، وهم أهل مكة ، بعث الله فيهم نبياً من انفسهم فكذبوه وشتموه ونسبوا له كل شيء . ثم ادار بظهره وولى .

فيأخذ حديث الذئب هذا من قلب أبي ذر مأخذاً عظيماً ، كما يأخذ الوفير من تفكيره واهتمامه ، الأمر الذي حداه أن يعهد بغنمه الى بعض احبائه ويقصد مكة ليقف على جليلة الحال وواقع خبر الذئب ، فيصادف دخوله مكة عند الظهر ، وكان الوقت حاراً ، وقد اعياه التعب وامض به العطش ، فانفق أن مر على زمزم فأدلى دلوه فإذا به يخرج محلوأً لبناً سائغاً ، فشرب وتفاءل .

ثم قصد جانباً من جوانب الكعبة ، فاذا هو بحاقة من قریش ، فجلس قريباً منهم واذا به يسمع شتم محمد وسبه وانتقاصه ورميه بالسحر والجنون وما اشبه ، فبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم شيخ كبير عليه آثار الجلالة والمهابة والعظمة ، وما أن نظروه حتى تواصلوا بالكف عن ذكر محمد بسوء فقلبوا الحديث الى شكل آخر . ولما وصل اليهم قام المجتمع إجلالاً له وإكباراً لمقامه ، فجلس معهم حتى كان آخر النهار قام الشيخ وانصرف الى شأنه . فسألت بعضهم عنه ؟ فقل لي : هو شيخ الأبطح ابو طالب ،

فلحقته وصرت أماسيه ، فالتفت إلى وقال : ألك حاجة فتقضيه ؟ قلت : حاجتي النبي المبعوث فيكم . قال : وما تريد منه ؟ قلت : أؤمن به واصلقه واطيعه . فدلني على علي ابنه فقال : هو يد لك عليه . فسألت عن علي ابن أبي طالب فوصلت اليه ، قال لي : وما حاجتك ؟ قلت : حاجتي النبي المبعوث فيكم . قال : وما تريد منه ؟ قلت : أؤمن به واطيعه . فقام معي إلى رسول الله ، فسلمت عليه وآمنت به وصدقته ولازمت خدمته .

أقول : إن ذكر هذه القضية من قبل الامام جعفر بن محمد عليه السلام ماهي الا لاثبات أن ابا طالب كان يرشد إلى رسول الله ويشيد بنبوته وبعثته ، ولا يكثر عليه أن يكون اول داعية إلى الله ورسوله واول محام عن رسول الله ودين رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبواسطته رضوان الله عليه كثر أعوانه وانصاره .

ابو طالب يصير الى الفردوس الأعلى

وهكذا تنتهي حياة عم رسول الله صلى الله عليه وآله وتنطوي صفحتها المشرقة ، كما انطلقت شمعتهما الوضاعة ، لكنها تركت للأجيال وفيراً من التعاليم الخيرة والدروس القيمة والنصائح الغر ، ما اذا سار الناس على ابحاءاتها ومحتوياتها لكافوا من أرقى الأمم حياة وحضارة ومدنية وثقافة ، ولكانوا أشد الناس تمسكاً بالدين . واكثرهم تصلباً للمبدأ والعقيدة ، وحباً لله ورسوله ، واستمارة في سبيلها .

وما إن يشيع نبأ وفاته رضي الله عنه فتزدحم مكة بالناس من كل مكان ، كما خيم الوجوم والإنكار على الجميع : فارتى لإلأباك وبأكبة ونائحا ونائحة ، حتى أصبحت مكة ضجة واحدة ، فالأسى والحزن يلوحان على الوجوه .

وبأادر أمير المؤمنين علي الى رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره بوفاة عمه ، ثم يستوحي الارشاد والتعليم فيما يخص التجهيز والتشييع ، وما أن فهم صلى الله عليه وآله الفأجة حتى أجهد بالبكاء وانتحب انتحاباً عالياً ، حتى تحادرت دموعه على كريمة المأركة ، ثم رفع رأسه الى علي وقال : امض بأعلي جهزه وقم في أمره وأعلمني اذا ماتم ذلك .

فرجع علي وأأخذ بتجهيز أبيه ، فغسله وكفنه ووضعنه في سريره ووجه الى النبي من يعلمه بأحمل الجثمان الكريم ، فحضر رسول الله صلى الله عليه وآله فانظم الى التشييع مألوماً متوجعاً ، ورفع الجثمان على الرؤوس تتلاقفه

الأيدي تبركاً بجثمان عم النبي العظيم ، حتى اذا جيء به الى مثواه الأخير ومرقده النهائي ، أراد النبي ان ينزله بنفسه الى حفرة إلا ان امير المؤمنين علياً تبرع عنه صلى الله عليه وآله فتكفل انزاله وايداعه في مقره . وفي بعض الروايات أن النبي هو الذي زل مع عمه الى القبر ، وربما نأقي الى بيان ذلك فيما بعد انشاء الله تعالى .

وكيف كان انزل عم الرسول في حفرة ، وأهالوا عليه التراب ، وصار الى جوار ربه ورحمته .

وبعد اجراء مراسيم الدفن قام رسول الله على القبر الزكي مؤبناً عمه وكافله ، فكان مما قاله صلى الله عليه وآله :

وصلتك رحم يا عم ، جزيت خبيراً يا عم ، فاقم ربيت وكفأت صغيراً ، وآزرت ونصرت كبيراً . أما والله يا عم لأستغفرن لك واشفعن فيك شفاعه يعجب منها الثقلان .

• • •

لعمري إنه تأبين عظيم وخطير ، يصدر من عظيم العطاء وسيد الأنبياء والحكماء ، يصدر من رسول رب الأرض والسماء ، فهو تأبين لم يعرف التاريخ له مثيلاً ، ولم يسجل له نظيراً على مسرح الدنيا وفي دنيا التاريخ . الله اكبر ، ياله من تأبين يتكفل فيه النبي الكريم لعمه العظيم ان يشفع له شفاعه يعجب منها الثقلان وعالمنا الجن والإنس . . . ياله من شفاعه تتمناها الأنبياء ، وتذوب شوقاً إليها الائمة والأولياء .

فهنيئاً لك ملايين المرات يا عم رسول الله هذه الشفاعه ، الشفاعه التي ستجد آثارها أمامك يوم لا تنفع فيه شفاعه الشافعين ، يوم ينادي فيه الانسان : ربّي نفسي لا ولدي ولا أقاربي . . حتى نبي الله الخليل ينادي : ربّي نفسي لا ولدي اسماعيل .

فهنيئاً لك يا عم رسول الله ذلك الضمان الضخم ، ومن أولى منه صلى الله عليه وآله بشكران النعمة وعرفان الجميل ، وهو الذي علم الناس وأرشدهم الى مقابلة الإحسان بالإحسان والنعمة بالشكران .

وبحدثنا الحجة الأميني في غديره ٣٩٩/٧ عن أبي الفرج الاصفهاني عن الصحابي الكريم حذيفة اليماني من حديث طويل قد استعرض قضية وفاة عم النبي الزعيم أبي طالب رضوان الله عليه وقصة تشييعه وتوجع الرسول وحزنه عليه - الى ان يقول :

وقام العباس وابو بكر بن أبي قحافة ، فأبناؤه وشهداء على إيمانه وتدينه كما اخذ فقهه من النبي مأخذاً عظيماً ، وصادف في السنة التي مات فيها أبو طالب ان ماتت أم المؤمنين خديجة ، وبفقدائها تجدد الحزن على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وصار مجمعاً لمصيبتين كبيرتين كل منهما يهدد القوى ويورث الاستياء الأليم ، لذا سمي رسول الله ذلك العام بعام الحزن ، كما نشطت في تلك الأيام الأعداء والخصوم ، وتحركت عليه علناً وجهراً شراذم اليهود ، وصار الجميع يتفنون في ايدائه ويتفكحون بأنواع الاساءة الى حضرته ، اذ خللهم الجووواتتهم الفرصة ، فغاب عنهم المحامي والناصر والكفيل والمؤازر ، فغاب عنهم اللبث المصور والأسد الخفيف ، فغيب الثرى عم النبي وعضده وبقي محمد لا معين له ولا ذاب عنه سوى نفر من بني هاشم ، وهم يقلون العدو عدداً وعدة ، الأمر الذي ادى برسول الله صلى الله عليه وآله ان يكرر دعاءه ، على الظلمة والظالمين ، ويسأل الله تعالى الخلاص والنجاة من الأبدى الكافرة ، وكان من جملة ادعائه :

اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس . اللهم يا ارحم الراحمين ، انت رب المستضعفين ، وانت ربي الى من تكاني يا ابي ، الى بعيد يتجهمني ، او الى عدو يمتهك أمري ، إن لم يكن بالهي

بك غضب علي فلا ابالي ان يحل علي سخطك ، ولك العتي حتى ترضى ،
فلاحول ولا قوة الا بك ياغيث المستغيثين .

* * *

يستشف من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله مدى تجهم الوضع
عليه واشتداد البلاء عليه وتنكر الكفر والشرك له ولشريعته ، وقد مرت
عليه ازمات حرجة وظروف مجعدة ألزمته ان يدعو على القوم ، والا كان
يقال له أن يدعو عليهم ، فيقول : لا ، بل يدعو لهم فيقول : اللهم اهد
قومي لانهم لا يعلمون .

واخيراً تداركته رحمة الله وعنايته ، فأوحى اليه عز وجل ان اخرج
من مكة ، فمالك بها من ناصر بعد أبي طالب .

ويخرج الرسول من الوطن ومسقط الرأس المحب مكرهاً مضطراً خائفاً
يتربص ، وبعد لأي وعناء ومصاعب وأهوال وصل الى المدينة المنورة ،
فاستراح صلى الله عليه وآله نوعاً ما من الجهد والبلاء ، وانقذه الله تعالى
من مخالب الكفر وأيدي المحرمين .

ثم التحق به امير المؤمنين علي بن ابي طالب يصحب العائلة النبوية ،
فبنى له ولعلی دارين الى جانب من جوانب المسجد .

وفي المدينة كثر عدد المسلمين وتوفر الأعوان والأنصار ، ثم صار
المسلمون يؤمنونها من الخارج يتعاقبون على الخدمة ليل نهار ، يفدونه بالآباء
والانفس والامهات وعظائم الأموال ، إلا انه صلى الله عليه وآله كما
نشطت دعوته وعلت كلمته وظهر أمره وانتشرت رايته وتعالى كرامته
تذكر عمه وتذكر موافقه وخدماته للدين والاسلام ، فيبكي لطفه عليه ثم يصير
الى الاستغفار له والترحم عليه .

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢١٣/٣ : قصد جماعة من مجاوري

المدينة النبي صلى الله عليه وآله يشكو به توقف المطر وحبس الأرض بركاتها عنهم ، ففقدوا من جراء ذلك كل ضروريات الحياة ومقومات المعيشة ، ثم قام واحد فأنشأ بمحضر من رسول الله مستعرضاً ما نالهم من القحط والجذب ومخلفاتها المؤلمة بأبيات من الشعر :

اتيناك والعذراء تدمى لبانها وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفيه الصبي استكانة من الجوع ضعفاً لا يمر ولا يجلي
ولا شيء مما يأكل الدهر عندنا سوى الحنظل العالى والعلهز الفسل
وليس لنا إلا اليك فرارنا وابن فرار الناس إلا إلى الرسل
فانصدع رسول الله للحالة ، وتألم للوضع ، ثم قام إلى المنبر فارتقاها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً سيحاً طبعاً غير رايث ، تنبت به الزرع وتملأ به الضرع ونحي به الأرض .
فلم يستتم دعاؤه صلى الله عليه وآله حتى أبرقت السماء وادهمت ورعدت ، ثم أرسلت عزاليها كأفواه القرب ، واستمر المطر حتى خاف الناس الغرق ، فجاءوا يهرعون إلى رسول الله ينادون : الغرق الغرق يارسول الله ، فرمق النبي السماء بطرفه وقال : اللهم حوالينا ولا علينا .
فانجباب السحاب وتفتح الغيم وتوقف المطر وعاد الصحو كما كان ، فتبسم رسول الله فرحاً بكرامة الله ونعمته عليه ، ثم قال : رحم الله عمي ابا طالب أو الله در عمي ابي طالب لو كان حياً لقرت عينه ، من الذي ينشدنا من شعره ؟ فابتدره امير المؤمنين علي بن ابي طالب فقال : لعلك يارسول الله اردت قوله :

وابيض يستقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل
فقال : نعم يا علي ، ما أردت الاذاك ، استمر يا علي ، فاستمر إلى آخر القصيدة والنبي يواصل الترحم والاستغفار لعمه الكريم .

وقال سبط ابن الجوزي في التذكرة وابن أبي الحديد في شرح النهج : دار حديث أبي طالب في منزل النبي صلى الله عليه وآله بعد موت أبي طالب ، وكانت الجلاسة عائدية تضم العباس عم النبي وولد أبي طالب عقيلاً وجعفرأً وعلياً وأم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، اذ يلتفت العباس الى رسول الله فقال : يا بن أخي ما ترجو لعمك أبي طالب في الآخرة ؟ قال صلى الله عليه وآله : ارجو له رحمة ربي ، وارجو له كل خير .

وقالا ايضاً : إن النبي قال لعلي ذات يوم وبمناسبة جرى فيها ذكر عم النبي الراحل : يا علي ليس أحد أحق بمقامي منك لقدمك في الاسلام وقربك مني ومصاهرتك لي ، فعندك سيدة نساء العالمين ، وقبل ذلك ماكان من حياة ابيك أبي طالب وبلائته في مناصرتي ، فأنا حريص أن اراعي ذلك في ولده .

ونجده صلى الله عليه وآله مرة أخرى يتحدث الى عقيل بن أبي طالب فيقول له : يا أبا يزيد اني احبك حبين ، حباً لقرايبي منك ، وحباً لما كنت أعلمه من حب عمي أبي طالب لك ، والمرء يحفظ في ولده . وما ذلك منه صلى الله عليه وآله الا تقديرأً لعمه المحسن الكريم ، ومكافأةً لنصره العظيم .

ومن الواضح الجلي الذي لا يقبل الشك والريب أنه صلى الله عليه وآله لا يود أحداً إلا أن يوده الله ، ولا يحب الا من يحبه الله ، كما لا يبغض الا من يبغضه وسخط عليه .

ومن هنا وهناك يحصل اليقين والجزم بأن ابا طالب العظيم هو ممن احبه الله فأحبه رسول الله وقدره ورحم عليه واستغفر له .

قال ابن أبي الحديد : إن ابا عبيدة بن عبد المطلب لما اصيب بجائحة بدر في رجله وجاء به المسلمون يحماونه ومنح ساقه يسيل ، حتى وضعوه

أمام رسول الله على العرش ، فقال له : يا رسول الله صلى الله عليك
لو كان عمك ابو طالب حياً لعلم أنه صدق في قوله :

كذبت بيت الله نخلي محمداً ولما نطاعن دونه ونناضل

وننصره حتى نصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فلما سمع صلى الله عليه وآله هذين البيتين بكى حتى سالت دموعه على
لحيته الكريمة ، ثم صار الى الترحم عليه والاستغفار له . وبعد أن وضعت
الحرب أوزارها وانتهت المعركة صار النبي يتفقد القتلى ، وكان بخدمته
ابو بكر ، اذ ينقدح في ذهنه بيت من قصيدة ابي طالب اللامية ، فأنشده
للنبي فقال :

كذبت بيت الله إن جد جدنا لناتبن أسيافا بالأماثل

فوالله يا رسول الله لقد صدق ابو طالب في قوله « لناتبن أسيافا
بالأماثل » . فقال رسول الله : إنا لله وإنا اليه راجعون ، رحم الله عمي
أبا طالب ، لو كان حياً لما صرنا الى مانحن فيه .

نقال ابن أبي الحديد بطريقه الى ابن اسحق أنه قال : فلم يزل
ابو طالب ثابتاً صابراً مستمراً على نصر رسول الله وحايته حتى مات في
السنة الحادية عشرة من مبعث النبي ، فطمعت في النبي عند ذلك قريش
ونالت منه ، فخرج من مكة خائفاً يطلب أحياء العرب .

أبو طالب والدليل على إيمانه

التحدث عن الموضوع ذو شجون ، أقل مخلفاته وأدنى لوازمه ورواسبه جروح في قلوب المؤمنين وقروح في جفون الأوفياء من المسلمين ، جروح وقروح لا تندمل مادام هناك أناس لا يتحرجون عن منكر فعلوه ، ومادام هناك عملاء عبدوا الدينار وسجدوا للدرهم وخضعوا لمن في يده شيء منها حتى أعماهم ذلك وأصمهم فعمدوا الى قاب الحقائق وتشويه الوقائع ، كما قلبوا للأحداث ظهر الحجب وأجهزوا على كل ما من شأنه أن يصفان ويقر ويحترم ويعظم ، فتذكروا لكرامات العطاء واستهانوا بجرمات المجاهدين الأولين .

كما استباحوا من أجل الوصول إلى ملاذهم وشهواتهم وآرائهم اقتحام مراكز الأبطال من رجال رسول الله ومؤازريه ونصرائه ، كافتحامهم مركز عم النبي وكافله ، ونسبوا له مالا يناسب مقامه الكبير من المات على غير الاسلام والإيمان ، في حال أن الله ورسوله والأطائب من المسلمين يعلمون أنه رضي الله عنه براء من تلك النسبة .

فيا للوقاحة والصلافة ، ويا للمادة المسياة للعاب . كيف لعبت دوراً هاماً ، فغيرت مجرى التاريخ ، وعمدت الى ارتكاب مالا يحل ارتكابه شرعاً وأدبياً في حق عم النبي المحامي وناصر الاسلام ، قد انتحلوا الرواية ونسبوها الى رسول الله مرة وإلى علي مرة ثانية وإلى العباس بن عبد المطلب ثلاثة وإلى عبد الله بن عباس رابعة ، في حال أن هؤلاء كلهم اعراف الناس

واعلمهم بما كان عليه ابو طالب من تدين راسخ وقدم ثابت في الاسلام ،
ومالاتي في سبياه من المصائب والحزن وهكذا حتى توفاه الله واختار له
دار أوليائه وصفوته ، فيستحيل اذاً عليهم - ولا سيما بالنسبة الى رسول الله -
ان يمجده عمه ويستغفر له ثم يذمه ويقول فيه مالا يليق بشأنه وشانه ، واليه

صلى الله عليه وآله نسب القول المأثور « من مدح وذم فقد كذب مرتين » .

نعوذ بالله من همزات الشياطين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ليت هذا البعض من المؤرخين قد اكتفى بالمرور على الموضوع مَرَّ
الكرام ومن دون تعليق وتكبير والتزموا جانب الحياد لالها ولا عليها لكان
ذلك خيراً لهم واصاح في رعاية رسول الله وحفظه في عمه الكفيل ، ولكنهم
ساروا على سيرة الماضين من المؤتورين والحاقدين ، وبنوا على جملة من
اسس وضع حجرها الأول جمع من الإنتهازيين الذين يركضون وراء الدرهم ،
والذين يتزلفون الى اهل النفوذ والسلطة ، ولوبيع الضمائر والدين ، والذين
قد اخزاهم عم النبي وفصحهم بنثره وشعره وتأديبه .

أغيره لطم ابا جهل الطاغوت عدة مرات فأطاح بأسنانه ، ومن الذي
ضرب ابن الزبيرى وادماه وكسر ثناياه ، ومن الذي لطم جباه القوم
ووجوههم بالفرث والدم ، ومن الذي أهان المعبودات والآلهة ودعا الى الله
وحده ، ومن الذي كان يترصد نفثات العدو وحركاته التآمرية فينقض
عابها انقضاض الكوكب فلا يرجع حتى يفرقها ويبددها ، ومن الذي قدحى
رسول الله وسانده حتى قال الناس « لا إله الا الله محمد رسول الله » .

فبشرف الحق والحقيقة أقسم أن بعض هذا من الزعيم الهاشمي هو
أكبر محفز للقوم وابناء القوم ليثأروا للكرامة المهدورة والمقدسات المهانة ،
ولكن لما لم يتسن لهم ذلك في حياته رضي الله عنه عمدوا إليه بعد وفاته ،
حيث خلأهم الجو وأمنا العقوبة ، فلفقوا وزوروا ما شاءت لهم نفوسهم

واهاؤهم ومبولهم .

وما ادري أكانوا يشعرون بأن عملهم ذاك هو ليس الا الطعن بقداسة النبوة وصميم الرسالة ، الأمر الذي حتم علينا ان نخوض المعركة ونكشف النقاب عن الحقيقة المضامة ، والواقع المهتظم انتصاراً للحقيقة ومعاضدة للواقع ، وهما كل الغاية . والله من وراء القصد .

ولست ادري ولا المؤرخون انفسهم يدرون كيف استساغوا لعلم النبي هذه النسبة ، وكيف بنوا عليها وعلقوا عليها ، والحال أن الكثير منهم هم الذين حدثونا وأثبتوا المثأت من الاعترافات والأقارير التي نددت بها شفتا عم الرسول صلى الله عليه وآله ، والتي قد انبثقت عن فمه رضي الله عنه :
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبيا كموسى خط في اول الكتب

يا معشر قريش ، يا معشر بني هاشم أطبعوا مجداً وصدقوه تفاحوا .
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكفى بأدنى اشارة يستظهر منها الاسلام ويستشف منها قبول الدين ، وعلى ذلك مشت سيرة أولياء الأمور بعد الرسول ، فأبوسفيان في عرف اولئك هو المؤمن الحقيقي والمسلم الواقعي ، في حال أن ابن ابي الحديد وأماليه هم الذين عرفونا حقيقة اسلام ابي سفيان وإيمانه ، وهم الذين اوقفونا على ترده وتلكته في الشهادتين حين اخافه العباس من بأس الاسلام وشدة وطأته عام الفتح ، وجاء به وقد أردفه خلفه ، وبعد اخذ الرخصة لاجتماعه بالنبي حضر عند رسول الله صلى الله عليه وآله وأمارات الكره وعدم الاختيار بادبان على ملاحظه ، وما إن نظر اليه النبي حتى أطرق براسه وكأنه لا يريد أن ينظره ، فطلب العباس منه أن يرفع اليه رأسه ويعرض عليه الاسلام ، فكرامة لعمه رفع اليه طرفه وقال : أما آن لك ان تسلم يا ابا سفيان ، فترعوي عن غيك وتثوب الى رشدك ، فتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ ! فكان من

محققات اسلامه وتدينه لو كان هناك إله غير الله لكان اغنانا يوم بدر ،
وأما الشهادة لك بالرسالة ففي النفس منها شيء .

قال ابن أبي الحديد : لما رأى العباس من أبي سفيان ذلك وكره
بخاصرته وقال : قلها يا ويلك تسلم على نفسك وعرضك . فقالها متلجلجاً
متلعثمًا ، فقبلها منه رسول الله على علاتها ، وهكذا كان اسلام أبي سفيان .
وقال ابن أبي الحديد : ثم إن العباس صحب ابا سفيان يوم دخول
النبي الى مكة ، فأوقفه في المضيق الذي تمر منه جنود الله وجيوش الاسلام
وكتائب النبي الخيرة ليطلعه على العظمة الالهية والكرامة الملكوية ومقام مجد
العظيم ، فصارت تمر عليه الرايات وهو يستفهم العباس متعجباً مندهشاً ،
فيقول : يا عباس لمن هذه الكتيبة ولمن هذه ؟ والعباس يقول : هذه كتيبة
فلان ، وتلك كتيبة فلان . الى ان دنت منه كتيبة الرسول صلى الله عليه وآله
تعاوها هيئة الله وتشع عليها انوار النبوة ، فقال ابو سفيان : لمن هذه
يا ابا الفضل ؟ قال : هي كتيبة رسول الله ، فاذا به بكل صلافة ووقاحة
يقول : لقد اصبح ملك ابن اخيك عقيماً يا عباس . . . الأمر الذي أهاج
مشاعر العباس واغضبه فقال بتأثر وحدة : إنها النبوة يا ويلك لا ام لك ،
فاضطر الى القول مجاملاً : نعم يا ابا الفضل انها النبوة ، انها النبوة .

ويحدثنا ابن أبي الحديد في بعض المناسبات عن تدين أبي سفيان
وإسلامه حين مر على قبر الحمزة بن عبد المطاب ، فلم يمتلك أعصابه دون
ان ركل القبر برجله وهو يقول : إيه ابا عماره - او اجاس ابا عماره - وانظر
الى الملك الذي كنا نقتل عليه بالأمس لقد أصبح اليوم وهو كالكرة تتلاعب
به ايدي صبياننا .

ولم يكفه ذلك حتى اعقب مقالته هذه بقوله هذا : فوالذي يحلف
به ابو سفيان لا من جنة ولا نار ولا حساب ولا عقاب ، وانما هو الملك .

كل هذا والكثير من امثاله يستعرضه المؤرخون ولم يحرك منهم ساكناً ابداً ولم يثرفيهم لا قليل ولا كثير من التردد في ايمانه ، كما لم يشكك منهم أحسد في إسلامه ، كما لم يشككوا ولم يترددوا في إسلام معاوية في حال انهم هم الذين رووا أن معاوية قد تنكر للإسلام واستهان بحرمات المسلمين وكرامة الدين ، وانه كان يتمتع وينفعل عند سماعه ذكر النبي صلى الله عليه وآله في الأذان ، فرووا مقالته : ايه ابن ابي كبشة مارضيت لنفسك حتى قرنت إسمك مع اسم الله .

ورروا أيضاً أنه خطب المسلمين عام الصلح في النخيلة ، فقال فيما قال : أيها الناس ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا واعلم انكم تفعلون ذلك ، وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم ، وقد اعطيت ذلك وانتم له كارهون .

كما رووا أنه قد ألحق زبداً بأبيه ابي سفيان ، والحال أنه مخالفة صريحة للنصوص الاسلامية الدالة على ما لا يقبل الشك من أن الولد للفراش وللعماء الحجر .

ورروا أيضاً أنه سب امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وعم السب الى كل قطر قد امتد اليه سلطانه وحكمه ، وهو يعلم يقيناً أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي اكثر من مرة : « يا علي من سبك فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ، ومن سب الله فقد كفر » .

وانه حارب علياً مع علمه بأنه امام زمانه وحجة الله في عصره ، وهو يعلم أن النبي قال له : « يا علي حربك حربي وسلمك سلامي » . كما يعلم أن الخارج على امام زمانه كافر ومن اهل النار .

ورروا أنه قتل المسلمين الأبرار مثل حجر بن عدي ، وكانت خاتمة اعماله الخيرة تولية ابنه يزيد امور المسلمين وزعامة الدين ، وتمليكهم رقاب

الأمة بغير رضى منها . . .

كل ذلك وهو مؤمن مسلم ، يتحاشى من خدشسه ومن الاشارة الى مخازيه . أما يزيد بن معاوية الذي رووا عنه انه الخمير السكير اللاعب بالفهود والقروود ، والذي هدم الكعبة واباح المدينة للجند ثلاثة ايام ، وقتل الحسين ابن علي ربحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، والذي كان يردد :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

فهو من المسلمين الأتقياء ، لم يذن احد من التشكيك في ايمانه واسلامه ، بل لعله عندهم من امراء المؤمنين والخلفاء الراشدين . . . أما ابو طالب عم النبي العظيم وحاميه الذي قدم لأ الدنيا جهاداً في سبيل الله وذنباً عن رسول الله - الى غير ذلك من طرق النصر والتأييد والتفاني والتسديد ، فهو قد مات كافراً في عرف هؤلاء . فإننا لله وانا اليه راجعون .

أما ما ربحاً قيل او يقال : ماهي الأسباب وما الدوافع التي دعت البعض من المؤرخين الى أن يغضوا النظر أو يهملوا ما لعن النبي الكريم من المقامات الكثر وجلى الخدمات لله ورسوله ، ثم يرمونه بما يشينه من الموت على غير الايمان والدين ، في حال أنهم وغيرهم من المؤرخين قد احتفظوا بما لا يحصى من محققات دينه وإيمانه ودلائل تصديقه بالنبوة وإقراره بالبعثة والرسالة ، فلماذا سكتوا عن هذا وعلقوا وبنوا على تلك !!! .

أقول : هناك دواع ودوافع أدت الى ذلك ، يمكن أن نستنتج من مجموع الأحداث وما جريات الظروف وملابسات الأحوال ، مما يمكن حصرها في أمور ثلاثة :

أولاً - إن عم النبي العظيم قد وتر الأقربين والأباعد في الله ، وحطم الآلهة والزعماء في سبيل الحفاظ على رسول الله والانتصار لشريعته ، وبعضه كاف للنبوض والتحفز للثأر منه . وحيث لا يمكنهم ذلك في حياته صاروا إليه بعد

وفاته ، فالمغيرة بن شعبة وأمثاله - ممن اطاح ابو طالب بمعنيتهم وكرامتهم
كما لطف وجوههم وجباههم بالدم والفرث - هو المدير الوحيد لهذه الفكرة
كما هو مديرها ومروجها . ولعل التاريخ نفسه ربما يشير الى عداء المغيرة
لبنى هاشم ، ولا سيما لزعيم بني هاشم ابي طالب .

ولما كان لايسعه التظاهر في حياته حذر زعامته وسطوته عمد الى تسميم
أفكار البسطاء من الناس وتشويش أفكارهم على أبي طالب من بعد مماته ،
من انه رضي الله عنه ماانساق الى محمد عقائدياً ودينياً ، بل انما كان هو نتيجة
للعاطفة أو من حيث التأثير الساحر . فوافقت هذه النفثات تجاوباً عند تلك
الشرذمة من الناس : فعلقوا ووسعوا ، وأخيراً يموت أبو طالب على غير
الإسلام .

وأما ثانياً - الحسد ، والحسد لا يكاد يخفى ماله من الفعالية وما يبتني
عليه من أسس تعود بالحسد الى رجاء حيازة كل مالمحسود من كرامات
وفضائل ان امكنه ذلك ، وإلا غير المجرى وقلب الحقائق وتكلم بما شاءت
له احقاداه وضغائنه ، ولله در القائل :

ان يحسدوك على علاك فأبما متسافل الدرجات يحسد من علا
ومما لاشك فيه أن أبا طالب هو ألمع شخصية واجل انسان في دنيا
مكة وسماء العطاء والزعماء ، بالاضافة الى ما يتمتع به من مؤهلات علمية
وأدبية وثقافية وخلق انساني رفيع ، ثم سداة الكعبة والقيام بشؤون الحجاج ،
وما الى ذلك من الفضائل والمفاخر .

هذا ماكان عليه قبل الإسلام وقبل أن تشع أنوار النبوة على الكرة
الأرضية ، أما بعد الإسلام فهو السباق لكل خير ، كما هو أول من
لبي الدعوة الى الله ومحاربة كل ما هنالك من معبودات ومقدسات ، ثم التزم
جانب رسول الله صلى الله عليه وآله بكل الملامزة من مفاهيم ومعان ،

آمن به وصدق بكل ما جاء به من ربه ، ثم حماه وفداه بنفسه ثم بولده وآله
ثم بجميع ما يملك . . وأي فضل وأي شرف أجل وأجمل من الجهاد في
سبيل الله ثم الحفاظ على حياة رسول الله . وعلى الفضيلتين قد حصل عم النبي
الكريم .

وعليه - والحالة هذه - فهو رضوان الله عليه أقرب الموارد الى أن يحسد
على ما آتاه الله من السمو ورفيع المقام والدرجة، فحسدوه أخيراً ونسبوا اليه
مالا يناسب مقامه العظيم .

وأما ثالثاً - فإن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد سلك جادة أبيه ،
كما نهج منهجه وسار على ضوء سيرته ، فلأزم رسول الله ملازمة منقطعة
النظير ، فأزره وناصره ومشى في فلكه ، بل تعدى ما كان عليه ابوه : فغاض
غمار الحرب ، وغاص في اوساط المعارك ، فبارز الأبطال ، ونازل الفرسان
لا يرهب السيوف ولا يهاب الألوف . وقد اشتهر عنه قوله البطولي العظيم
« أما والله لو تظاهرت العجم والعرب على قتالي لما وليتهم ظهري وانا ابن
ابي طالب » .

فهو قائد الرسول في كل حروبه ، وحامل لوائه في جميع غزواته ،
كما قتل الطواغيت من خصوم النبي ومناوئيه مثل طلحة بن ابي طلحة ،
وابطال بني عبد الدار ، والوليد بن عقبة خال معاوية ، وحنظلة بن
ابي سفيان ، وعتبة وشيبة في وقعة بدر ، كما قتل عمرو بن عبدود في وقعة الخندق
ومرحباً يوم خيبر - وهكذا حتى ظهر امر الله وعات كلمته ، وحتى
ساد الحق والعدل ، وولت دول الفساد وحكومات الظلم والجور ، وعادت
حياة المسلمين هادئة هائلة ، وقد ساد عليها الاستقرار والاطمئنان .

وعند ذلك صارت التقاريف الالهية والمدائح النبوية تتوارد عليه :
فمرة ينزل على رسول الله - كما في قصة الغدير - قوله تعالى « يا أيها الرسول

بلغ ما أنزل اليك من ربك » من تخليف علي وجعله أميراً للمسلمين من بعده ،
وثانية يهتف جبرئيل بين السماء والأرض « لاسيف إلا ذو الفقار ولا قتي
إلا علي » .

أما تقارير النبي واقواله في حقّه فقد ملأت الحافقين ، وما من كتاب
أو مؤلف انتحى منحى التراجم والتاريخ أو الأخبار والأحاديث إلا وكان
لذكر الكثير منها المجال الواسع ، بل هناك مؤلفات خاصة ترجع الى مناقب
علي وفضائله ، الأمر الذي أقض مضاجع المتورين والحاقلين ، وأهاج
حفاظ الخصوم والمنائين ، مما حدا بهم الى التنقيب من كوة أو ثغرة ينفذون
منها الى انتقاص علي والإقراء عليه ، فلم يفلحوا وما وجدوا فعزوه الى
الدعابة ، حتى قال قائلهم لابن عباس في حديث جرى فيه ذكره « أما
والله لو ولي الناس علي بن أبي طالب لحملهم على المحجة البيضاء لولا دعابة
فيه » . كما قالوا إن أبا طالب قد مات على غير الإيمان والإسلام ، محاولين
من كلا النسبتين التقليل من أهمية علي وأبيه في النفوس ومن معنويتيهما في
التاريخ الإسلامي المجيد ، وعندئذ يفرح المبطلون .

• • •

أقول : أما حديث الدعابة فهو امر متحل وحديث مفتعل لم يكن
له في التاريخ الصحيح عين ولا أثر ، كما انه لم يعرف من مزاج
امير المؤمنين علي بن أبي طالب التصدي للمزاج او التقرب من الفكهيات أو
قصد الأندية التي تعتد من أجلها في تلك الأدوار ، ولعل كل من خاض
في صفاته ومزاياه وغاص في مآثره وقضياه يعرف ذلك بوضوح ويقف
على الحقيقة بأجلى مظاهرها ، كما يتحقق ما كان عليه في العهد النبوي الكريم وبعده :
أما هو في عهد النبي صلى الله عليه وآله فيكفيه ملازمته له واحاطته
إياه منذ نعومة اظفاره وطفولته ، لا يفارقه إلا في ظروف استثنائية ، ولا

ينفصل عنه إلا عند الضرورة ، حتى شب وراهق وخاض المعارك ودخل
لهوات الحرب وتعين لبعوث النبي ومهامه . فأين الفرصة ياترى لأن يكون
ذا دعابة وفكاهة ؟ .

وأما بعد النبي صلى الله عليه وآله فيكفيه مصابه برسول الله العظيم ،
ثم فقد له لبضعته وريحانته الزهراء ، ثم بما جيء به من اجماع القوم على
تأخيرته عن المقام الذي جعله الله ورسوله له ، واجتماعهم على قطيعته ومحاربه
ثم انشغاله بحروب الناكثين والقاسطين والمارقين الجمل وصفين والنهروان .
ففى كانت تلازمه الدعابة ، أو اذ امرؤ تلعبه ؟ .

انا لا أدري ولعل القائل نفسه لا يدري : ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم .

نعم هناك شيء واحد نص عليه التاريخ ، وهو الوحيد في بابيه وكان
بطله ومصدره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فروي انه اهدي الى
النبي طبق فيه رطب أول فضوجه . فدعا علياً لمشاركته فيه ، فصاراً بأكلان
سوية : إلا انه صار الرسول يضع نواه أمام علي : وبعد الفراغ التفت
رسول الله الى علي وقال : ما اكثر النوى أمامك يا علي ، الذي يظهر انك
محب للتمر وراغب فيه ؟ فأجاب عليه السلام : بأبي انت وامى يا رسول
الله المحب للتمر الأكل فيه من يأكاه ونواه . فاستملح النبي الجواب
واستألفه وتبسم .

فتعطينا هذه البادرة ان النكتة أو اللطيفة ربما تصدر عن الأنبياء
والعظماء ، كما صدرت فعلاً عن سيد النبيين وخاتم المرسلين محمد صلى الله
عليه وآله مع ابن عمه علي بن ابي طالب . اذاً لم يكن عروض النكتة
الأدبية واللطيفة المستباحة ضائرة في عظمة العظيم ولا قادحاً في كرامة الانبياء ،
فكيف ياترى تكون خصلة يعاب بها على الإمام فيما لو طرأت منه ، ام

كيف وقد ثبت صحيحاً عن النبي انه قال : المؤمن لا يكون عبوساً سيء الخلق ، أو المؤمن هش بش - الى غير ذلك من الأحاديث المؤدية الى لزوم كون المؤمن منشرحاً مرحاً يحدث بنعم الله وفضله عليه .

أما قضية نسبة المهات على الكفر الى أبي طالب ، فربما قد لاقت بعض الرواج ولا سيما في عهد معاوية ، كما نمت وترعرعت في أيامه حيث قد وقف على كل من تاريخي أبيه وأبي طالب ، فرأى الثاني حافلاً بالجهاد والمفاخر وعظيم المكارم والمآثر ، ونظر الى الأول فرآه مليشاً بالمساوية والردائل ، فأدعى قلبه واقترح اجفانه ، فعمل ما في وسعه أن يعمل لإشاعة ممت أبي طالب على الكفر ، بعد أن أخضع للغرض نفسه مثل أبي هريرة من المذنبين والوصوليين ، فأغدق عليهم الأموال المسببة للعباب ، كما مناهم الإمرة والولاية ، غرق أبو هريرة الى شحمة اذنيه في خدمة البلاط الأموي والتزلف الى معاوية ، وصار يختلق الأحاديث ويفتعل الأقاويل على الرسول الأمين ، وقد بلغت من الكثرة بحيث قد فاقت حتى على محفوظات أزواج الرسول واقاربه الذين لا يفارقونه ليل نهار : مثل علي بن أبي طالب وعبد الله بن العباس . وكان أكثرها يهدف الى ذم علي وأبيه وعمه العباس ابن عبد المطلب .

فمن ذلك ما رواه عن عائشة انها قالت : كان عندي رسول الله إذ أقبل علينا العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب ، فقال رسول الله : ألا من أراد أن ينظر الى رجلين من أهل النار فلينظر الى هذين المقبلين . ومما نسبته الى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال له : يا أبا هريرة اذا وقع احد جناحي الذبابة في اناء فاغسطس الجناح الثاني واشربه ففي الجناح الأول داء وفي الثاني دواء .

أقول : من المستحيل صدور الحديث الأول من النبي في حق عمه

العظيم وابن عمه علي بن ابي طالب ، وهو العليم بما لهما من الأسبقية في الدين والقدم الراسخ في الإسلام . واذا كان العباس وعلي من اهل النار فهل الجنة لأبي هريرة ومعاوية وبطانتها الأئمة ؟

ثم انا نحاشي عائشة أن تنسب ذلك الى رسول الله ، وهي التي اجابت على سؤال توجه اليها : مارأيتك في علي بن ابي طالب ؟ قالت : علي خير البشر ، ومن شك في ذلك فقد كفر . فكيف ياترى تروي عن النبي أنه من اهل النار ؟ !

وأما الحديث الثاني فهو كالأول من حيث استحالة صدوره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بل هو لا يعقل أن يصدر عن أي عاقل فضلاً عن ان يصدر عن حكيم الحكماء وسيد الأنبياء الذي هو مستودع علم الله وخزانة اسرارهِ ، اترى ان العقل البشري قد ادرك اضرار الذباب ومخلفاته القاتلة ومفاسده الفتاكة كما استشعر منه نقله للأمراض والجراثيم بقمه ودمه ، حتى خصص الحكماء والعقلاء المبالغ الطائلة لمكافحة وإبادته ، وملاؤوا الكتب بالنصائح والارشاد الى اعدامه ونسفه من حيز الوجود ، وخفي ذلك على رسول رب العالمين فقال لأبي هريرة ما قال ؟؟ كلا والى كلاً ، الحديث مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثم مع غض النظر عن نسبة الحديث وعن معطياته ، هو مجاف للذوق ومناف للطبائع الانسانية التي جاء الدين ملائماً لها وموافقاً في كافة المجالات والاعتبارات . وهل من المستذوق والمستحسن أن يعمد الانسان الى ان يشرب الماء الذي يكون مجمعاً للذباب والحشرات والأقذار والجراثيم ؟ اللهم الا ان يكون ابو هريرة قد استحسن ذلك ، كما استذوقه ووجد من نفسه المناعة الكافية ضد رواسب الذباب ومخلفاته ، فاختاق الرواية لنعم وتنتشر ، وإنا لله وإنا اليه راجعون . فلترجع الأضواء على السنة النبوية للشيخ محمود ابو ربة .

وعليه فلا يستغرب من أبي هريرة أن ينسب إلى أبي طالب الممات على غير الإسلام .

ويكفي في تكذيب النسبة أيضاً ما رواه ابن أبي الحديد والسبط ابن الجوزي في التذكرة من اعتكاف الرسول في بيته أياماً بعد وفاة أبي طالب يترحم على عمه ويستغفر له .

ابو طالب في نظر النبي وعلي

أما رسول الله صلى الله عليه وآله يعتبره الوالد الشفيق ، والعم الحنون المربي ، والكفيل الذي كان موضع ثقة وأسراره ومحل آرائه واستشارته ، كما كان يعظمه ويحترمه ، وقدر له جهاده وجهوده ، وشكر له أعماله ومواقفه ، فاستغفر له وأكثر من الترحم عليه .

يحدثنا الشيخ يوسف بن قرغلي الحنفي صاحب تذكرة الخواص عن جده أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المولود في سنة خمسائة واحد وثمانين من الهجرة والمتوفى سنة ستمائة وأربعة وخمسين يحدث عن عبد الباقي عن محمد الأنصاري عن أبي الحسن الجوهري عن أبي عمرو ومحمد بن العباس ابن حياته عن أبي الحسن أحمد بن معروف عن الحسن بن الفهم عن محمد ابن سعيد عن محمد بن عمرو بن واقد الواقدي عن معمر بن راشد عن محمد ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن علي بن أبي طالب أنه قال : لما توفي أبو طالب جئت الى النبي صلى الله عليه وآله ، فأخبرته بوفاة فبكي بكاءً شديداً حتى اخضلت كريمة المباركة : ثم رفع اليه رأسه وقال : اذهب يا علي ففسله وكفنه ثم اعلمني غفره الله ورحمه . فقال العباس ابن عبد المطلب : انك لترجو له . فقال : نعم يا عم ، أي والله اني لأرجو له كل خير . وجعل رسول الله يستغفر له أياماً لا يخرج من البيت . ويحدثنا أحمد بن حنبل في مسنده ٩٩/١ عن حبة العري أنه قال : رأيت علياً وقد ضحك من على المنبر ولم اره قد صدر منه قبل ذلك مثل

هذا . ثم قال : اني تذكرت قول ابي طالب وقد ظهر علينا ، وانا ورسول الله
نصلي ببطن نخل كان خارج مكة . فقال يخاطب النبي : ما تصنعان يا ابن
اخي . فقالت : نصلي لربنا يا أبتاه . ثم دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله
الى الاسلام ، فقال ما بالذي تقولانه او ما بالذي تصنعانه من بأس .

أقول : ان قول ابي طالب هذا يدل بمفهومه ومنطوقه على تصويب
دعوة النبي وتصديقه ، ثم قبول نصحه وارشاده ، وإلا لأكثر من الرد وخلق
المبررات للاعتذار .

وذكر صاحب التذكرة ايضاً بطريقه الى الواقدي عن ابن عباس
أنه قال : عارض رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة عمه ابي طالب ،
والألم والتوجع يلوحان على وجهه الكريم ، وهو يردد « وصلتك رحم يا عم ،
وجزاك الله خيراً يا عم » حتى اذا أودع حفرته وقف عليها رسول الله
وقال : رحمك الله يا عم ، فقد آويت وكفلت صغيراً وعاضدت ووازر
كبيراً ، فرحمك الله وجزاك الله جزاء الحسين ، فوالله لأشفعن فيك شفاعه
يعجب منها الثقلان .

ومن النعم الالهية على عم الرسول العظيم أن كان مورداً لعنايته تعالى ،
كما صار مورداً للتعالم الاسلامية من قبل أن تنتشر ، وقد ثبت عن الرسول
الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : اذا مات ابن آدم انقطع أمله
الا من ثلاث : صدقة جارية ينتفع بها الناس ، او كتاب علم ينفع بما فيه
من علم ، أو ولد صالح يذكر أباه بخير او يذكر بواسطته بخير .

وقد حصل ابو طالب على كل الأمور الثلاثة ، فقد ترك دار ضيافته
وقفاً على الوفود والحجاج والمتنفعين من الضعفاء المسلمين ، كما خلف زمزم
البئر التي تلقاها عن آبائه الميامين ، فأوقفها كصدقة جارية لإرواء الناس
وسد حاجاتهم .

ولولم تكن كذلك لاستغلها اولاده في المصالح الزراعية والنفعية ،
ولكانت تدر عليهم الخير الوفير والنعم الجمة ، ولكنهم عرفوا عن أبيهم
وقفتها للمصالح العامة ، فانصرفوا عن فوائدها وأعرضوا عنها ، ولم تزل
باقية حتى يومنا هذا ، وقد يحمل الحجاج من مائتها للتبرك به والاستشفاء
به ، كما ترك للأجيال الصاعدة ثروة أدبية وعلمية كبيرتين .

وهذا ديوانه وما سجلته له كتب الحديث من الخطب والنصائح الغر
لأدل دليل على انه رضي الله عنه قد ترك كتاباً ينتفع به ، فدبوانه مليء
بالدعوة الى الله والإرشاد الى شريعة رسول الله ، ثم بيان محاسن الاسلام ،
ثم بيان تمسكه بالدين وتضحيته في سبيله ، ثم توصيفه للرسول الأعظم ذلك
التوصيف الرائع الراقى ، ثم حثه قريشاً وبني هاشم على اقتفاء اثر الرسول
وتصديقه في الدعوة - الى غير ذلك من التوجيه الديني والإيحاء العقائدي .

كما خلف اولاداً قلما ينبج الزمن لهم مثيلاً ونظيراً : مثل علي
أمير المؤمنين وسيد الأولين والآخرين بعد النبي الأمين ، وجعفر الطيار القائد
الاسلامي العظيم ثاني المصلين في الاسلام ، وعقيل بن ابي طالب السيد الجليل
محبوب النبي وصفيه ، قاهر النفاق ومحطم الجبابرة الطغاة .

وما لاشك فيه أن مثل هؤلاء الأولاد كلهم خير للأب كما يذكرونه
بخير ، ويذكر الأب بواسطتهم بخير ، ولا سيما امير المؤمنين عليه السلام ،
فإنه كان أكثر اخوته برأ وخيراً لأبيه ، فانه طوال حياته لم يترك الترحم
عليه والاستغفار له ، فكان يستنيب عنه وعن عبد الله والد رسول الله
وآمنة والدته اشخاصاً يحجون عنهم ، واوصى ولده الحسن أن يقوم بذلك
بعد وفاته ، كما كان عليه السلام يستشعر أن أباه العظيم هو الذي هداه الى
الاسلام وعبد له الطريق لصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن
محاربه للأوثان والاصنام زهاء الخمسين عاماً قوي على تكسيها وتحطيمها

عند امر النبي بذلك حين واتته الفرصة . فعلي يعتبر أن كل ما حصل عليه من مفاخر ومناقب فهو إنما كان ببركة أبيه ومن جهة فسح المجال أمامه للملازمة النبي والركون اليه .

هذا بالإضافة الى كرامة الأبوة وقداستها وفضلها ومكانتها ، لذا كان حزنه عليه عميقاً ووجدته لا يكاد يوصف ، وقد رثاه بمرثيات كثيرة نذكر قطعة من بعضها على سبيل المثال :

ابا طالب عصمة المستجير	وغيث المحول ونور الظلم
لقد هز فقدك أهل الحفاظ	فصلى عليك ولي النعم
ولقائك ربك رضوانه	فقد كنت للمصطفى خير عم

فيصور أباه بهذا التصوير الجميل ، التصوير البعيد عن المبالغة والغلو ، وحاشا مقامه الرفيع أن يقرب من طرق المبالغة او يدنو من سبل الغلو ، وهو العايم بمقام أبيه الكبير في الأوساط المكية والعربية .

فأبو طالب في الحقيقة ونفس الأمر ربيع القلوب وغيث المحول وعصمة المستجير وكهف اللاجئين ، كما هو النور الذي يشرق على الأجواء الصاخبة والظلمات الخالكة ، فيبدد الظلام ويبدك حصون الفقر بإشعاع نواله الخضل وبحر جوده الفضفاض .

ثم تعرض عايه السلام الى ما خلفه فقد أبيه العظيم من الألم والاستياء الممضين في نفوس أهل النهى والحفاظ ، وخاصة في نفس زعيم أهل النهى والحفاظ الرسول الأمين ، ومن بعده المسلمون الذين صهرهم الاسلام وأنار نفوسهم وعقولهم الدين ، والذين عرفوا لأبي طالب كافل النبي وحاميه مقامه وجهاده وخدماته .

ثم صار عليه السلام الى رجاء الله تعالى أن يلطف بأبيه ، ويسعفه بعفوه ومرضاته وعطفه وغفرانه .

قال الشبلنجي في نور الأبصار ص ١٣ تبعاً لابن هشام والحلي في سيرتها : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أخبر ب وفاة عمه أبي طالب بكى واسترجع وعارض جنازته وهو يقول : وصلتك رحم ياعم ، وجزاك الله خيراً ياعم . وجعل رسول الله يستغفر له أياماً لا يخرج من بيته .

وقال أيضاً « تنبيه » الكفر أربعة أنواع : كفر إنكار ، وكفر جحود ، وكفر نفاق ، وكفر عناد . أما كفر الانكار فهو ان لا يعرف الله بالقلب ولا يعترف به باللسان ، وأما كفر الجحود فهو ان يعترف بالله بالقلب ولا يعترف به بلسانه ككفر إبليس ، وأما كفر النفاق فهو أن يعترف بالله بلسانه دون قلبه ، وأما كفر العناد فهو أن يعترف بالله بقلبه ولسانه ولكن لا يظهر ذلك كما لا يكون منقاداً ومطيعاً بحسب الظاهر ككفر أبي طالب .

ثم ذكر الشبلنجي أبيات أبي طالب هذه :

ولقد علمت بأن دين محمد	من خير أديان البرية ديننا
ودعوتني وعلمت انك ناصحي	ولقد صدقت وكنت ثم أميننا
لولا الملامة أو جذاري سبة	لوجدتني سمحاً بذلك مييننا

ثم قال الشبلنجي بعد عرضه الأبيات : واعلم أن جميع أنواع الكفر الأربعة سواء لا يغفر الله لأصحابها ، نعوذ بالله منها إذا ماتوا عليها .

أقول : ذهب اللغويون الى أن تحت لفظة الكفر معان ومصاديق متكررة :

منها - الكفر ضد الإيمان بالله ، وهو نكرانه وجحوده .

ومنها - الكفر بالنعمة ، وهو عدم شكرانها ، والاستهانة بواجباتها .

ومنها - الكفر بمعنى الظلمة ، فيقال لليل « كافر » لكون ظلمته

تخفي الأشياء وتسترها .

ومنها - الكفر بمعنى التغطية : فيقال لكل شيء غطى شيئاً « فقد كفره » .

ومنها - الكفر بمعنى ستر البذر في الأرض ، فيقال للزارع « كافر »

لستره للبذر في جوف الأرض .

ومن هنا يظهر الغموض والتشويش في تقسيم الشبلنجي وعدم انسجامه مع مانص عليه أهل اللغة ، فاللغويون جعلوا الكفر بمعنى الجحود قسماً من الكفر ضد الإيمان لا قسماً له ، فالإنكار لوجود الله تعالى مرادف لجحوده . وعليه فكفر ابي طالب رضي الله عنه لم يكن كذلك باعتراف الشبلنجي نفسه . أما كونه من قبيل الكفر بالنعمة - بالاضافة الى انه لايريده قطعاً -

فالحس والوجدان يشهدان لعن النبي العظيم انه لم يكفر بنعم الله عليه ، بل لعله على العكس ما وجد الا شاكراً مقدراً لفضل الله وآلائه ، ولو أنه كان على خلاف ذلك لما واصلته النعمة ولازمته رحمة الله وكرامته حتى النفس الأخير من حياته . والمعروف أن كفران النعمة وعدم شكرانها يستلزم زوالها وفنائها .

نعم يمكن أن يكون كفر عم الرسول المزعوم محمولاً على المعاصي المتبقية ، مثل كفر الليل وكفر الزارع وكفر مغطى الشيء ، إلا أن ذلك لا يعطي المعنى الذي يحوم حوله الشبلنجي وأشيأخه ، فالذي لا يستر البذر والذي لم يغط الشيء وان كان مصراً على الترك لا يكون مستحقاً دخول النار ، كما لا يكون من الكفار المستوجبين غضب الجبار وأليم عذاب الله ، حتى اذا توقفت ضرورات الحياة العامة على البذر والزرع وقلنا إن ذلك من فصيلة الواجبات النظامية الكفائية ، فالواحد لا يجب عليه تعييناً أن يقوم به ، بحيث اذا لم يتم يعد كافراً .

على أن عدم القيام بالواجب حتى العيني منه مالم يكن إنكاراً لضروري من ضرورات الإسلام لا يكون موجباً للكفر والجحود ، فغاية ما يمكن أن يثبت في حقه الفسق ، بالإضافة الى ان عدم التظاهر بالواجب وعدم وقوف الناس على اتیانه لا ينهض دليلاً على العصيان وعدم القيام به ، فلا

يكون هناك شيء غير مرضي أبداً حتى الفسق ، والحال كذلك تماماً بالنسبة الى ابي طالب .

ثم ان الأحكام الإسلامية لم تفرض ولم تشرع في عهده ، بل انها إنما فرضت ووجبت بعد الهجرة وبعد وفاة ابي طالب . نعم كل ما كان واجباً في حياته هو توحيد الله ثم الشهادة للنبي صلى الله عليه وآله بالبعثة والرسالة ، وهناك ألف دليل ودليل على إيمانه بالله ونبي الشركاء عنه وتصديقه للنبي ومساندته ، وقد ثبت عنه رضي الله عنه قوله :

ملك الناس لبس له شريك هو الجبار والمبدي المعيد
ومن فوق السماء له بحق ومن تحت السماء له عبيد
وقوله :

لا تيأسن اذا ماضت من فرج يأتي به الله في الروحان والدلج
فما تجرع كاس الصبر معتم بالله الا سقاه الله بالفرج
على أن البيت الثالث قد استشف منه الشبلنجي ومن نحا منحاه كفر
ابي طالب ، فغاية ما يفيد الكتمان للتدين والإيمان لظروف مقتضية ومناسبات خاصة ، وهو كل مفهوم ومنطوقه ، فإراجع بامعان حيث يتحقق ما نقوله ، مضافاً الى ان البيت ملصق بالأبيات لا أنه منها ، تلك فكرة كثير من المؤرخين الأحرار كما هي الحق والمختار .

مضافاً الى أن نسبة الممات على الكفر تستلزم مخالفة الرسول والإمام علي للنصوص القرآنية الدالة على تحريم الإستغفار والرحم للكافرين والمشركين : فلما أن يقال لم تمر عليهما ولم يعلمها ، وإما أن يكون قد علمها وخبرها وخالفها مضمونها . وكل من التقديرين لا يمكن القول به والزامه ، بل هو طعن بقداسة النبوة وشرف الإمامة .

وهل من الممكن أن الرسول ووصيه لم يقف على مثل قوله عز من

قائل : « لا تجدد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباؤهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » ؟ !
أو مثل قوله تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء » ؟ .

والمفروض ان رواية استغفار النبي لعنه ورحمه عايه تكساد تكون اجماعية ، إذ لا بد وأن يكون أبو طالب مؤمناً مستكمل الإيمان ، وإلا نسبنا الى الرسول الأعظم وابن عمه علي إما الجهل بالقرآن وإما تعمد مخالفة نصوصه ، والعياذ بالله .

وعن قم أمير المؤمنين قد أخذ المؤرخون وفي الطليعة ابن أبي الحديد أنه قال : والله ما عبد أبي ابو طالب ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم بن عبد مناف وثناً ولا صنماً قط ، وإنما كانوا يصلون الى الكعبة على دين الخليل ابراهيم .

ويحدثنا السيد علي خان في درجاته الرفيعة وابن أبي الحديد في شرح النهج وابن هشام في السيرة أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يخطب الناس في الكوفة إذ قام اليه رجل من الحاضرين فقال : انت بالمكان الرفيع السذي جعلك الله فيه وأبوك ابوطالب يعذب في النار ؟ فانتنفض أمير المؤمنين انتفاضة الأسد المغضب وقال للرجل : صه ياهذا فض الله فاك ، فوالذي بعث محمداً بالحق لو شفع ابو طالب في كل مذنب لشفعه الله فيه ، ويليک ياهذا أبي يعذب في النار وابنته قسيم الجنة والنار ، والله إن نور أبي طالب ليظفي أنوار الخلائق كلها يوم القيامة إلا نور رسول الله صلى الله عليه وآله ونوري ونور فاطمة والحسن والحسين ، والله مامات أبو طالب حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا .

أقول : ولعمري إنها شهادة كريمة وعظيمة تصدر من ربيب رسول

الله - ووصيه في حق أول مؤمن بالله ، وأول معترف بنبوته رسول الله ،
وأول متفاني في سبيلهما هو ابو طالب ، وعلي هو سيد آل البيت الذين
نزههم القرآن الكريم عن كل شين حيث يقول : « إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » .

أبو طالب في نظر آل البيت عليهم السلام

فهو عندهم المؤمن حقاً والموحد واقعاً علانية وجهرأ ، وهو عندهم المجاهد الوحيد والمكافح الأعظم ، والذي دافع وناضل دفاع ونضال المستميت في سبيل إعلاء كلمة الله وإرساء قواعد دين رسول الله ، ومحاربة كل معبود ومقدس يناهض الله أو يقرب معه ، كما حامى رسول الله وعصمه عن الكفر والشرك وصدقه في دعواه وأيده في ديانته ، ولم يزل كذلك حتى توفاه الله فذهب الى روحه وريحانه حيث منازل الأنبياء والمرسلين ودرجات الأولياء والمقربين .

ذكر السيد صاحب الدرجات الرفيعة بطريقه الى ريحانة الرسول وسيد شباب أهل الجنة الامام الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام أنه قال : حدثني ابي أمير المؤمنين عن ابيه ابي طالب أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله ذات يوم : بماذا قد بعثت يا بن أخي ؟ فقال : يا عم بعثت بصلة الرحم ، وان يعبد الله وحده ، ولا يعبد معه أحد . فقال : وانت يا محمد عندي الصادق الأمين .

لرؤسنا هذا الحديث على طاولة التشريح ومنضدة الفحص والتدقيق وجدناه يفيد أول ما يفيد الإقرار بالبعثة والايان برسالة النبي الذي لم يكن الاستفهام عنها ابداً ، فكان امر النبوة مفروغ عنه وانه متحقق لا محالة ، بل كل الاستفهام والاستشعار إنما كان عن الشيء الذي بعث من اجله صلى الله عليه وآله ، لذا كان الجواب موافقاً للسؤال « بعثت بصلة الرحم وان يعبد

الله وحده » ، فكانت النتيجة أن قال : وانت عندي الصادق الأمين .
ونقل السيد صاحب الدرجات بطريقه الى الامام السجاد زين العابدين
علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عن ابيه عن جده علي عليه السلام
انه قال : كنت جالساً في الرحبة والناس مجتمعون من حولى اذ قام الي رجل
فقال : يا أمير المؤمنين انت في المكان الذي انزلك الله فيه وابوك يعذب في النار ؟
فقلت : صه يا هذا فض الله فاك ، فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً لوشفع
ابي في كل مذب لشفعه الله فيه ، أبي يعذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار .
وروى الحديث ايضاً الامام شمس الدين علي بن فخار بن معد الموسوي
المتوفى سنة ستائة وثلاثين هجرية في مؤلفه الحجة على الداهب الى تكفير
ابي طالب ، وقد رواه بطرق عديدة فليراجع الكتاب .

قال السيد الموسوي قدس سره : حدثني السيد النقيب أبو جعفر يحيى ابن زيد العلوي الحسيني البصري بمدينة السلام سنة ستمائة واربعة بعد الهجرة ، قال اخبرني والذي محمد بن محمد ابى زيد النقيب البصري ، قال اخبرني تاج الدين والشرف محمد بن محمد ابى الغنائم المعروف بابن السخطة العلوي الحسيني البصري ، قال اخبرني الشريف الامام ابو الحسن علي بن محمد الصوفي العمري النسابة ، قال حدثنا ابو عبد الله الحسين بن أحمد البصري عن ابي الحسن يحيى بن محمد المدني ، قال رأيت بالمدينة المنورة سنة ثمانين بعد الثلاثمائة ، فأخبرني عن ابيه علي بن همام رضي الله عنه ، عن جعفر ابن الضراري ، عن عمران بن معافى ، عن صفوان بن يحيى ، عن عاصم

ابن حميد، عن ابي بصير ، عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال : مات والله جندنا أبوطالب مؤمناً مسلماً .

وشعره في ديوانه يدل على ايمانه ثم محبته وتربيته ونصرته ومعاداته اعداء الله واعداء رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم موالاته اولى الله واولياء رسول الله ، ثم تصديقه للرسول بكل ما جاء به من ربه ، ثم أمره لولده ان يسلموا ويؤمنوا بما يدعو اليه ، ثم وصفه لرسول الله صلى الله عليه وآله بأنه خير الخلق ، وأنه يدعو الى الحق والمنهاج المستقيم ، وأنه رسول رب العالمين ، فيثبت هذا القول في نفوس اولاده وقلوبهم حين دعاهم ، فيؤازروا رسول الله وما تلبثوا عما قرره .

• • •

اقول : وكما لا اشكال فيه ولا شبهة تعتريه أن العظة من المتعظ تؤثر اثرها في النفوس وتأخذ مأخذها من مجامع القلوب ، فتستولي على المشاعر وتهيمن على الافكار ، فتتخذ الى الأعماق : فتكون مقبولة شهية محبوبة تتجاوب مع الاحساس ، كما كانت موعظة ابي طالب لولده فإنها لما كانت خارجة من القلب ونابعة عن الصميم ومنبعثة عن الواقع أثرت اثرأ فعالا منقطع النظير في نفس علي وجعفر وعقيل ، فأصبحوا من المؤمنين الأقوياء الأشداء على اعداء الله والرسول صلى الله عليه وآله .

وتحدث المجلسي في بحار الأنوار في الجزء التاسع منه فقال : لقد توارت الأخبار عن الامام علي بن الحسين بن علي عليهما السلام أنه قال رداً على سؤال قد وجه اليه هذا مضمون السؤال والجواب :

السائل : مولاى يا بن رسول الله جعلت فداك أهل كان جدك ابوطالب مؤمناً حقاً ؟

الامام : نعم يا هذا إنه كان والله مؤمناً مسلماً حقاً .

السائل : سيدي ان هنا قوماً يزعمون أنه مات كافراً ؟

الامام : واعجباً أيطعنون على ابي طالب ام على رسول الله ، أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد نهاه الله عز وجل ان يقر مؤمنة تحت كافر في غير آية من القرآن الكريم ، ولا يشك أحد أن فاطمة بنت أسد - وهي من المؤمنات الصادقات - فانها لم تزل تحت ابي طالب الى ان توفى ، أما قرأت يا هذا قوله تعالى « ما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » . اقول : ولعمري ان استدلال الامام هذا على ايمان جده هو أقوى دليل واجل برهان ، يأكل جميع ما يأفكون .. وكيف لا يكون كذلك وقد صدر عن حفيد الرسول ووارث علمه ، وقد استنتجه وحصله من عملية جده رسول الله صلى الله عليه وآله مع ابنته زينب وزوجها ابي العاص ، حيث فرق بينهما وسحب ابنته منه لبقائه على الشرك وإيمان ابنة رسول الله ، فن سحب هذه وابقائه تلك - اعني فاطمة بنت أسد تحت ابي طالب - يجزم بايمانه وتدينه ، والا لما ساغ للنبي ابقاء علاقة الزوجية بينهما وتوثيق الروابط بينها وبينه .

ويحدثنا ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣/٣١٢ بطريقه الى الإمام علي ابن الحسين عليه السلام أنه قال عند سؤال تقدم به اليه بعض المسلمين ، وكان حاصل السؤال : أصحيح يا مولاي ما ينسبه بعض الناس الى جدك ابي طالب من الموت على الشرك ؟ فقال عليه السلام : واعجباً إن الله تعالى نهى رسوله أن يقر مؤمنة مسلمة تحت كافر وعلى نكاحه ، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات الى الاسلام ، ولم تزل تحت ابي طالب حتى مات .

وقال ابن ابي الحديد : ووجه عين السؤال الى الامام الباقر عليه السلام فأجاب : والله يا هذا لو وضع ايمان جدنا ابي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق في كفة لرجح ايمان ابي طالب على ايمان الخلق اجمعين ، ألم تعلموا

أن رسول الله كان يستغفر لعمه ويترحم عليه طيلة حياته ، وهل يعقل أن يستغفر لمشرك ؟ ألم تعلموا أن جدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان يأمر بالحج عنه ، وأوصى ولديه الحسين بأن يحجوا عنه وعن والد رسول الله ووالدته ؟ ألم تعلموا أن علياً كان يكرر أن لإيمان أبي طالب رجحاناً ذاتياً على لإيمان الناس أجمعين ، فلإيمانه إيمان عالم عارف بالإيمان تابع ومقلد ؟ !

ويحدثنا الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة والحموي في فرائد السمطين بطريقهما إلى زيد بن المنذر عن الإمام الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : قال لي رسول الله يا علي خلقت أنا وأنت من نور واحد كان ذلك بين يدي الله عز وجل من قبل أن يخلق آدم بألني عام ، ولما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه ولم يزل ينقله الله من صلب أبي صلب حتى أقره في صلب عبد المطلب ، ثم قسمه نصفين فصار قسم في صلب أبي عبد الله وصار القسم الثاني في صلب عمي أبي طالب ، فأنت مني وأنا منك ، لحمك لحمي ودمك دمي .

أقول : لقد أكثر المحدثون ذكر هذا الخبر ، ولعل كل من تعرض لسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تعرض له بطرق عديدة ، فيكاد يكون مجمعاً على صحته ووثاقه أسناده . وعليه فإن دل على شيء فإنما يدل بالصراحة على استحالة إبداع الله الحكيم نور أوليائه وصفوته وأحبابه في أصلاب المشركين كعبد المطلب وعبد الله والد رسول الله وأبي طالب بن عبد المطلب عم الرسول الكريم ، وعليه يتضح أن جد النبي صلى الله عليه وآله وآله وأباه - ولا سيما عمه العظيم ، لأنه أدرك الإسلام وشاهد مفاخره ومآثره فتمجد به ودعا إليه وتقاني دونه ، فهو وهما من المؤمنين - فافهم واغتنم .

ونقل صاحب البحار بسنده إلى الصحابي الكريم أبي ذر الغفاري رضوان

الله عليه أنه كان يقول : لقد سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله
كان يقول : خلقت انا وعلي بن أبي طالب من نور واحد ، كنا نسبح
الله ونقدسه يمتلئ العرش من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، ولما
خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه وسكن الجنة ونحن في صلبه ، وركب
نوح السفينة ونحن في صلبه ، وقذف إبراهيم خليل الله في النار ونحن في
صلبه ، ولم يزل الله ينقلنا من أصلاب طاهرة الى أرحام طاهرة ، حتى
انتهى بنا الى صلب عبد المطلب ، فقسم ذلك النور الى قسمين : فأودع
قسماً منه في صلب أبي عبد الله ، وأودع القسم الثاني في صلب عمي
أبي طالب . فجعل في النبوة والبركة وفي علي الإمامة والفروسية ، وشق لنا
إسمين من اسمائه ، فذو العرش محمود وأنا محمد ، والله العلي الأعلى وهذا
علي - وأشار صلى الله عليه وآله الى علي بن أبي طالب بيده الكريمة المقدسة .

هذا والحديث أكثر من نص على إيمان اسرة النبي ولحمته ، وتنزيهها
من أرجاس الوثنية وأقذار الكفر وأوضار الشرك ، وإلا لالتجتمعت طهارة
الأصلاب والأرحام مع عبادة الأوثان والأصنام التي هي من أعظم أنواع
الرجس وأقذر ألوانه وصوره ، فلا بد إذاً - والحالة هذه - ان يكون
آباء النبي العظيم موحدين متألّفين .

ذكر ابن شاذان في المناقب بسنده عن صفوان بن يحيى بن عاصم
ابن حميد عن أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام انه قال : مات
أبو طالب مؤمناً مسلماً . وشعره في ديوانه يدل على إيمانه وتدينه ، ثم محبته
ونصرته للرسول صلى الله عليه وآله ، ثم معاداته لأعداء الله ورسوله وموالاة
أوليائهما ، ثم تصديقه في كل قول جاء به عن ربه . ثم أمره لولديه علي
وجعفر أن يسلموا ويؤمنوا بما يدعو اليه ، وقال لها فيما قال : إن مجدداً خيراً
الخلق ، وانه يدعركم الى الحق والصراط المستقيم .

وقال السيد الموسوي في الحجة على الزاهب ص ٨٤ : اخبرني الشيخ ابو عبد الله محمد بن ادريس في سنة ثلاث وتسعين بعد الخمسائة ، قال اخبرني الشريف ابو الحسن العريضي ، قال اخبرني الحسين بن طحال المقدادي ، عن الشيخ ابي علي الحسن بن محمد الطوسي ، عن ابيه الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، عن رجالة ، عن ابي بصير ليث المرادي ، قال : قلت للامام الباقر عليه السلام : إن بعض الناس يقولون : إن جدك ابا طالب في ضحضاح من نار . فقال مغضباً : كذب والله اعداء الله ، إن ايمان جدنا ابي طالب لووضع في كفة ميزان ووضع ايمان هذا الخلق في كفة لرجح ايمان ابي طالب على ايمان الخلق اجمعين . وكان والله امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام يأمر أن يحج عنه وعن اب رسول الله وأمه ، واوصى بالحج عنهم بعد وفاته .

وذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ بطرقه الى الامام الصادق عليه السلام ، انه قد تقدم اليه بعض الناس بهذا السؤال : السائل : مولاي يا بن رسول الله جعلني الله فداك : أصحيح ما يزعمه البعض في جدك ابي طالب من أنه مات كافراً مشركاً ؟

الامام : كذب والله اعداء الله والرسول صلى الله عليه وآله ، ما بهذا نزل جبرئيل على رسول الله عن الله عز وجل يبشره بأنه قد حرم النار على صلب أنزله وبطن حمله وحجر كفله ، ومما لا يشك فيه أحد أن الحجر الذي كفله هو عمه ابو طالب . واعلم يا هذا أن مثل جدنا ابي طالب مثل اصحاب الكهف أسروا بالإيمان فأثامهم الله أجراً مرتين ، وإن جدنا قد كنتم لإيمانه فأعطاه الله أجره مرتين .

قال ابن ابي الحديد والقاضي النقيدي والسيد الموسوي في الحجة : إن الامام الصادق بنفسه قد ابتدأ ذات يوم يونس بن نباتة - وهو أحد اصحابه ومخلصيه - :

الإمام : ماذا يقول الناس يا بن نبأة في جدنا أبي طالب ؟
يونس : يقول بعضهم انه في ضحضاح من نار يغلي منه مشاشه .
الإمام : كذب والله اعداء الله ، إن جدنا أبا طالب من رفقاء النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين في جنات الخلد ، وكيف يقال في حقه ذلك
وهو القاتل :

يا شاهد الله علي فاشهد أني على دين النبي احمد
قال ابن أبي الحديد والموسوي والنقدي : وكان الامام الصادق يأمر
اصحابه ومواليه ان يحفظوا شعر جده أبي طالب ويحفظوه ابناهم .
وكان عليه السلام يقول : إن الله تعالى يبعث جدنا أبا طالب يوم
القيامة وعليه سياء الأنبياء وبهاء الملوك .

قال النقدي في المواهب وابن شاذان في المناقب والسيد الموسوي في
الحجة والسيد علي خان في الدرجات : ان داود الرقي قال : دخلت على
سيدي ومولاي ابن الباقر جعفر بن محمد عليه السلام فشكوت له من رجل
تصعب علي ولم يقني مالي بدمته من دين مع حاجتي وإلحاحي . فقال عليه السلام :
إذا مررت بمكة فطف بالبيت الحرام سبعة أشواط عن عبد المطلب جد
رسول الله صلى الله عليه وآله ، وطف كذلك عن ابوي النبي عبد الله وآمنة
بنت وهب ، ثم عن أبي طالب عم رسول الله وحاميه ، ثم عن فاطمة بنت
أسد مربية رسول الله وخادمتة ، وصل لكل طواف ركعتين ، ثم اطلب
من الله سبحانه أن يمكنك من غريمك ويرد عليك أموالك . ففعلت ما امرني
به سيدي ومولاي ، وارتدت الخروج من البيت من باب الصفا فاذا أنا
بصاحبي ينتظرني على الباب ، وبمجرد أن رأني بشرني وجهي وقال : يا داود
هلم معي تسلم دينك واقبض حَقَّك . فتبعته الى الدار فتسلمت اموالي ، وكان
ذلك ببركة توسلي الى الله تعالى بأب النبي وأمه وجده وعمه سلام الله عليهم اجمعين .

ابو طالب في نظر الامام الكاظم

وهو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ، وما هو يتحدث للجماهير الاسلامية والأجيال المتعاقبة ، فيحكي لهم مآثر جده العظيم ، وما يعرفه عنه من إيمان صادق و إخلاص لله ورسوله ، وذلك على أثر سؤال وجهه اليه بعض الناس ، وهذا نص السؤال والجواب :
السائل : مولاي يا بن رسول الله جعلت فداك ، ما حال جدك ابي طالب بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله ؟

الامام : اعلم يا داود أن جدنا ابا طالب كان قبل البعثة ينتظر رسالة رسول الله وايام نبوته ، حتى اذا تحقق له ذلك آمن به وافر بكل ما جاء به من ربه ، كما دفع اليه وصايا الأنبياء السالفين من آبائه ، الوصايا التي انتقلت اليه بطريق الوراثة ، وكيف لا يكون كذلك وهو القائل :

قل لمن كان من كنانة بالعز	وأهل الندى وأهل المعالي
قد أناكم من الملوك رسول	فاقبلوه بصالح الأعمال
وانصروا أحداً فإن من الله	رداء عليه غير مدال

يا داود لو لم يكن ابو طالب مؤمناً بالنبي لما كان مندفعا نحو رسول الله ذاك الاندفاع الغريب ، الاندفاع الذي قل أن يصادف لأي مؤمن او مسلم نظيره ، حتى تحمل مرارة الاعتقال والإقامة الجبرية مدة ثلاث سنين ، وحتى استمات في سبيل إعلاء كلمة الله وفي سبيل الحفاظ على حياة رسول الله زهاء الخمسين عاماً .

وهل رأيت يا داود او سمعت أن انساناً يدين بدين قد تمكن منه قلبه وعاش عليه مدة من الزمن ، ومع احتفاظه به يدعو الى دين آخر يقاومه ويناهضه بل يقلعه من الاساس ويريفه ؟

وابو طالب يا داود لا يخاف محمداً ولا يرهبه : بل النبي يحتاجه ويفتدبه في كثير من الحالات والمجالات ، وعليه لابد وأن يكون اندفاع جدنا ابي طالب اندفاع ايمان وتصديق بالنبوة ، لذا آوى وحامى وجاهد وكافح ، فلا تعني يا داود بالأقاويل المغرضة والتهويلات المبعضة .

فالله بالمرصاد لكل باغ وظالم ، فلا تكن تقابل رسول الله يو القيامة وانت قد مسست عمه ومربيه وآذيته ، ولقد ثبت عن جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : من آذى أهل بيتي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فقد دخل النار .

أبو طالب في نظر الامام الرضا

والرضا هو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب عليهم السلام .

قال السيد علي خان الحسيني في درجاته الرفيعة وابن ابي الحديد في الجزء الثالث من شرح النهج والسيد الموسوي في الحجة وابن شاذان في المناقب : - إن ابان بن محمود - وهو من أصحاب الإمام الرضا كما هو من المؤمنين الصالحاء الذين قد درسوا وتثقفوا على يد الإمام عليه السلام حتى أصبح داعية للدين ومرشداً قديراً للإسلام . . . كتب هذا الرجل الى الإمام يستفهمه عن همسات ربما يسمعها في بعض الأندبة ، فكان نص السؤال :

مولاي يا بن رسول الله جعلت فداك ، إني شككت في إيمان جددك أبي طالب ، فتداركني يا مولاي وإلا ضللت وهلكت ، انقذني ياسيدي وإلا خسرت وهويت .

وبعد أن وصل الكتاب كتب الإمام اليه الجواب ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » . يا ابان وانك ان لم تقر بإيمان ابي طالب يكون مصيرك الى النار لاحتاجة . والسلام .

ذكر المفسرون ومنهم صاحب مجمع البيان والسيد عبد الله شبر في تفسيره والزحشري في كشفه في تفسير الآية المباركة أن من يشاقق الرسول ويعانده فيما يأمر وينهى ويصر على المخالفة ويتنكب صراطه المستقيم ويتخذ غير جادته القويمة فهو ليس من الله والرسول بشيء ، كما وهو خارج على حدود النبوة ، بل هو من شهر السيف في وجه توحيد الله وفي وجه رسوله صلى الله عليه وآله .

ولا سيما اذا كانت المعاندة والمخالفة ناشئة عن سبق الإصرار ، وبعد تبين الهدى والتعرف على الحق الجلي المتمثلين بتوحيد الله عز وجل والتمسك بالإسلام العظيم اللذين هما المحور والحجر الأساس لدعوة الرسول وبعثته ، كما وهما السبيل الذي سلكه المؤمنون والطريق الذي سار عليه المسامون الأوفياء . أما وجه استدلال الإمام عليه السلام بالآية فحاصله : إن التعرض لأبي طالب والمس بكرامته والنيل من قداسته ومقامه الرفيع هو عين المعاندة للرسول والمخالفة المكشوفة له صلى الله عليه وآله وسلم ، وكيف لا يكون الحال كذلك وقد ثبت عنه انه كان كثير الذكر لعنه كثير الترحم عليه والإستغفار له ، وعلى ذلك سار المسامون والمؤمنون . وعليه فن ينبغي غير ذلك في عم الرسول وحاميه فهو مجاف ومخالف ، كما هو مشاقت ومعاندة للرسول صلى الله عليه وآله ، بل معاندة لله وللمسلمين .

ولم يكتف الإمام عليه السلام بالآية جواباً على الكتاب ، بل ذيلها بقوله : « وانك يا ابا ن ان لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك الى النار » ، نظراً الى أنه ربما تفوت على السائل خصوصيات الاستدلال .

ونقل السيد صاحب الدرجات والسيد الموسوي في الحجة والقاضي النقدي في المواهب بطريقهم الى الإمام الرضا عليه السلام أنه كان يقول : كان نقش خاتم جسدنا أبي طالب « رضيت بالله رباً ، وبمحمد نبياً ،

وبعلي إماماً » .

وقال ابن أبي الحديد والسيد في الحجة : وكتب عبد العظيم بن عبد الله العاوي الحسني الى الإمام الرضا ، فكان نص الكتاب : عرفني بابن رسول الله عن الخبر المروي المفيد بأن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه . فكتب عليه السلام الجواب ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فإنك ان شككت في إيمان أبي طالب فتنبأ مقعدك من النار . ونقل السيد في الحجة والتقي في مواهبه والسيد علي خان في الدرجات وابن شهر آشوب في المناقب وصاحب البحار بطريقهم الى الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال :

أوحى الله تعالى لي : أن ياخذني قد أيدتك بشيعتين : شيعة تنصرك علانية وجهرآ ، وشيعة تنصرك سرآ وخفية . أما الشيعة التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم علي بن أبي طالب ، وأما الشيعة التي تنصرك خفية وسرآ فسيدهم وأفضلهم أبو طالب . كما أوحى الله لي بعد موت عمي أبي طالب : أن ياخذني من مكة فما لك بها من ناصر بعد أبي طالب .

ابو طالب في نظر ابن عباس

وهو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ، كما وهو ابن عم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وهو تلميذ رسول الله كما هو تلميذ علي عليه السلام ، واختص به بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى أصبح من حواريه ومواليه .

ومن جراء ملازمته واتصاله حصل على مراتب من العلم ودرجات من المعرفة ، فتفوق وامتاز على غيره : وأصبح من الرواة الفذة والمحدث الصادق عند المسلمين كافة ، لأبعارض في حديث ولا يناقش في رواية ، وحصل على لقب حبر الأمة .

يحدثنا الشيخ الصدوق في أماليه بطريقه الى أبي حمزة الثمالي عن عكرمة عن عبد الله هذا عن أبيه العباس بن عبد المطلب أنه قال : كنت ذات يوم في ندوة القوم - والندوة ذلك اليوم هو البيت الحرام ، وكانت الندوة تظم جماعة من الأبطال والزعماء العربية المناوئة لرسول الله وأبي طالب - وكان الحديث كل محوره أبو طالب وقصة دفاعه عن النبي وملازمته إياه ، فغرب الحديث وشرق - وعزاه بعضهم الى أنه ما آمن بمحمد قلباً ، وأنه مات على دين الأشياخ دين الوثنية والأصنام ، فعند ذلك رأيت أن لا مقام للسكوت ، وما رأيت إلا أن أوقف القوم عند حدهم : كما أوقفهم على حقيقة أبي طالب وواقعه ، قلت : اسمعوا يا قوم واعلموا أن أخي أبا طالب

والله لقد شهد أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله ، كما أنه كان يعتقد بأن محمداً أرسله الله وابتعثه ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون . فعند ذلك احجم القوم وسكتوا ، وما كان يمكنهم إلا ذلك . وعن ابن عباس عن ابيه ايضاً أنه قال في بعض المناسبات : والله ما مات ابوطالب حتى اعطى رسول الله من نفسه الرضا ، أما والله لقد شهد عند الموت أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله . الى كثير من هذا النوع مما تركناه رعاية للاختصار .

* * *

اقول : ربما يستشف من الحديث الأخير كون الشهادتين قد صدرتا عند الموت فقط ، وانها كل ما نددت به شفتا الزعيم ابني طالب ، بل انما كان ذلك حيث طلب العباس من أخيه في تلك الساعة الرهيبية أن تكون خاتمة كلامه ونهاية حديثه هي الشهادة لله بالوحدانية وللنبي بالرسالة . والطلب لم يكن من مخترعات العباس ومبتكراته ، بل هو إيحاء من الرسول صلى الله عليه وآله ليلقنه ابا طالب ، لتكون آخر دعواه كأولها أن الحمد لله رب العالمين ، ولتكون سنة باقية على مر العصور وكر الدهور والأجيال المتعاقبة ، لأن الإنسان في ذلك الحال وفي تلك الساعة الحرجة - ساعة فراق الأحبة ، ساعة فراق الدنيا - ربما ينشغل بنفسه عن كل شيء وراء ذلك ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله من إيحاؤه الى عمه العباس بأن يلقي أخاه ابا طالب ويذكره بأول سؤال يسأله عند إزالته القبر ، ليلهج به ويحدد العهد به حتى يكون على بصيرة منه وليجيب عند السؤال ، وإلا ليس هو أول اعتراف وأخير إقرار ، بل هو يتبع سلسلة غير منتهية من الاعترافات والأقارب سجلتها الكتب ولا كتبها الألسن .

والعباس نفسه هو من يشهد له بما نقول ، ومن ذلك ما رواه السيد

الموسوي في الحجة والتقدي في المواهب والسيد علي خان في الدرجات وابن
ابي الحديد في شرح النهج بطريقهم الى احمد الرقي عن خاف بن حماد
الأسدي عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن عبد الله بن عباس عن العباس
ابن عبد المطلب أنه قال :

قال اخي ابوطالب لابن اخيه محمد بمحضر جماعة من العرب وقريش :
يا بن اخي الله ارسلك ؟

قال محمد : نعم يا عم ، الله ارسلني وبغني نبياً لأنذر الناس وابشرهم
برحمة الله .

فقال ابوطالب : إن للأنبياء معاجز وخوارق للعادة يتعذر على عادي
الناس الاتيان بالمائل والنظائر .

فقال صلى الله عليه وآله : نعم يا عم كان الأمر كما تقول .

فقال ابوطالب : أرنا آية نبوتك ورسالتك يا بن اخي .

قال محمد : اطلب يا عم الشيء الذي تريده .

قال : ادع لنا تلك الشجرة لتأتيتك .

قال النبي : قم يا عم ادعها عني وقل لها « يقول لك محمد أقبلني الي » .

فقام ابوطالب ففعل كما امره النبي ، واذأً بالشجرة وقد انقلعت من
جذورها وأقبلت نحو النبي حتى وقفت بين يديه ونطقت بأذن الله قائلة :
السلام عليك يا رسول الله .

فالتفت ابوطالب وقال : قل لها يا بن اخي فترجع من حيث اتت
والي مكانها الذي انحدرت منه . فأمرها محمد أن تنصرف الى مكانها
فانصرفت . فعندها قال ابوطالب : اشهد انك صادق صديق يا محمد . ثم
التفت الى علي ابنه وقال : يا علي ائزم جانب ابن عمك ، فانه لا يدلك
الا على خير ، ولا يهديك الا سبيل الرشاد .

أقول : والذي يظهر من ما جريات الحديث وخصوصياته أنه كان في أوائل البعثة وفي مبتدأ أيام الدعوة ، وليس الغرض من الطلب بهذا إلا لإيقاف الناس وإفهامهم بأن محمداً يدعي النبوة ومدعيها كذلك لا بد وأن يقرن دعواه بالكرامة والمعجزة ، وفعلما جاء محمد بخارق العادة والمعجزة قائم بها من آمن وكفر بها من كفر ، ومن كفر فلن يضر الله شيئاً ، ومن كفر فعليه كفره وإن الله غني عن العالمين .

ويحدثنا القاضي النقدي في المواهب بطريقه الى الصحابي أبي ذر الغفاري - رحمه الله - أبي ذر الذي قال في حقه رسول الله العظيم « ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء بأصدق ذي لهجة من أبي ذر » - نعم ابو ذر هذا قال : كنت في مجلس من مجالس قريش ابان دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فتعرضوا للاساءة بأبي طالب والنيل من كرامته ، فلم يسعني الا أن قلت : ما اعلمه عن حاله وما اعرفه من خدماته : فقلت : والله الذي لا إله إلا هو ما مات ابو طالب إلا مؤمناً مسلماً كامل الاسلام والايمان ، ابتغى بذلك نصرة الحق ، لأني علمت أن الساكت عن الحق شيطان أخرس ، واني رأيت رسول الله وممته يترحم على عمه ويستغفر له وتلك طريقته مع المؤمنين والمسلمين .

وذكر الفضل بن شاذان والنقدي في المواهب بطريقهما عن الشيخ أبي الفتح الكراچكي عن طاهر بن موسى بن جعفر الحسيني عن أبي القاسم ميمون بن حمزة الحسيني عن مزاحم بن عبد الواحد البصري عن أبي بكر عبد العزيز بن عبد الرحمان عن العباس بن علي البصري عن جعفر بن عبد الواحد بن جعفر عن العباس بن الفضل عن اسحاق بن عيسى بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن المهاجر مولى نوفل اليعاني عن أبي رافع خدام رسول الله صلى الله عليه وآله قال : سمعت ابا طالب يقول :

حدثني ابن اخي محمد ان الله عز وجل بعثه بصلة الرحم وان يعبد الله وحده ولا يشرك به احد ، ومحمد عندي الصادق الأمين .

أقول : لم ينفرد بالرواية هذه ابن شاذان والتقليد فحسب ، بل رواها جمع كثير من المؤرخين كابن حجر في الاصابة ٤ / ١١٦ وزيني دحلان في اسنى المطالب والشيخ ابراهيم الحنبلي في نهاية الطلب ، الا أن الرواية كانت بهذه الصورة عن عروة الثقفي عن ابي طالب انه قال : حدثني ابن اخي محمد أن الله سبحانه أرسله بصلة الرحم واقام الصلاة وابتاء الزكاة ، وكان يقول اشكر ترزق ولا تكفر تعذب ، ومحمد عندي الصادق الأمين .

وذكر الأميني في غديره ٧ / ٣٨١ عن الامام احمد بن الحسين الموصلي الحنفي الشهير بابن وحشي في شرحه على كتاب شهاب الأخبار تأليف العلامة محمد بن سلامة القضاعي المتوفى سنة اربعمائة وخمسين هجرية انه قال : بغض أبي طالب كفر وجريمة لا تغتفر ، كما نص على ذلك العلامة التفتوني والشيخ علي الأجهوري في فتاواه والتلمساني في حاشيته على كتاب الشفاء مع اضافة « وان ابا طالب لا ينبغي أن يذكر الاخير والا بحمايته للنبي ومؤازرته له ونصرته اياه بقوله وفعله ، وفي ذكره بمكروهه ايداء للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومؤذي النبي كافر يجب قتله ، وقد نهى الله تعالى في غير آية من القرآن عن ايداء النبي ، وفي بغض أبي طالب ايداء للنبي ومؤذي النبي كافر » .

وقال ابو طاهر : إن حب ابي طالب ايمان ، وبغضه كفر ونفاق ، لانه ايداء للرسول صلى الله عليه وسلم ، وايدأوه كفر ونفاق .

ابو طالب في نظر المأمون

قال ابن أبي الحديد في شرحه على التهجد ٣ / ٢١٣ : وكان المأمون معجباً بإيمان أبي طالب الذي يحكيه شعره ونثره ، وكان كثيراً ما يردد هذه الأبيات ويكررها :

نصرت الرسول رسول الاله	بيض تلالاً كلمع البروق
اذب واحصي رسول الاله	حماسة عم عليه شقيق
وما إن دب لأعدائه	ديب البكار حذار الفنيق
ولكن اذير لهم سامياً	كما زار لث بغيل مضيق

قال ابن أبي الحديد : قال المأمون بعد ترده هذه الأبيات : لقد أسلم والله ابو طالب بأبياته هذه .

° ° °

يظهر من هذه الحادثة ان المأمون لم يكن على احاطة تامة ووقوف شامل على ما صدر عن عم النبي العظيم ، الدال بصراحة أكثر مما استشفه من الأبيات التي كانت قد أعجبتة والتي قد استظهر منها اسلامه وإيمانه ، مثل قوله :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديننا
وقوله أيضاً :

أنت النبي محمد قرم اغر مسود
لمسودين اكارم طابوا وطاب المولد

وقال ابن أبي الحديد : لقد صح عن الخليفة عمر بن الخطاب أنه كان منصهراً بيني زهير بن أبي سلمى ، وكان يحفظهما ويردهما كثيراً ويعجبه أن يقرأ أمامه ، والبيتان هما :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما تكتن الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب او يعجل فينقم
وقال ابن أبي الحديد : قال عمر : ما رأيت جاهلياً أعلم بالحكم من
زهير بن أبي سلمى ، ولو قلت إن شعره هو شعر مؤمن يدخل الجنة
لإقراره بالبعث والنشور لقلت حقاً ولكنت صادقاً غير مبالغ .

ونحن نقول : اذا كان الخليفة عمر قد استشف من بيني زهير إيمانه
بالله واعتقاده بالبعث فحكم بأنه من المؤمنين ومن أهل الجنة في حال أنه
لم يدرك الإسلام او ادرك ولم يؤمن بالنبي ، اذا فما بال اقوام لا يقتدون به
ويسرون على ضوء استفادته واستنتاجه بالنسبة الى عم النبي العظيم أبي طالب
فيستظهرون من شعره ونثره وخدماته ودفاعه ومحاماته وجهاده في سبيل الله
وإعلاء كلمته وحفظه لرسول الله وتفاديه اياه بالنفس والأولاد ، ثم يفكروا
في أقواله مثل :

ملك الناس ليس له شريك هو الجبار والمبدى المعبد
ومثل قوله :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كوسى خط في أول الكتب
فبالله عليك ايها القارئ الكريم ألم يكن هذا من عم الرسول أجلى
وضوحاً وأقوى اعترافاً بالله وبالمعاد وبالنبي من قول زهير بن أبي سلمى ؟؟
قال الحافظ ابو نعيم في حلية الأولياء وابو الفرج الاصفهاني وصاحب
نهاية الطلب عن العروة الوثقى عن أبي رافع خادم رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم انه قال : سمعت أبا طالب يقول : حدثني ابن أخي محمد بن عبد الله

- وكان والله صادقاً - إن الله عز وجل قد بعثه بصلوة الرحم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، كما كان يقول اشكر الله ترزق ولا تكفر تعذب .
وهذا وكثير من هذا القبيل يذكره المؤرخون ويتنص عليه المحدثون ، وكأنه لم يكن ومعه يموت كافراً وهو في ضحضاح من نار ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وأنا لله وأنا إليه راجعون .

ابو طالب في نظر ابي لهب

وابو لهب هذا هو ابن عبد المطالب واخ لأبي طالب من ابيه فقط ، لأن أبا طالب لم يكن له شقيق في اكثر الروايات إلا عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد كان ابو لهب قبل أن يدعي الرسول بالبعثة ويعلن الرسالة والنبوة خاضعاً خاشعاً لزعامة أخيه أبي طالب ، يأتمر بأمره وينزجر بزواجه ، يقف الى جنبه وينادي باسمه اذا اقتضت الظروف الشاكسة .

ولكن بعد الدعوة ، وتظاهر النبي بالبعثة ، وانحياز أبي طالب الى جانب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يحميه ويقول بقوله ويذب عنه ، انصرف ابو لهب بكفه الى الجبهة المعارضة ، كما انحاز تماماً الى الكتلة المشركة ، وصار يعمل معها ليل نهار على إخماد صوت أبي طالب ثم شل حركة محمد .

وليس خروج ابي لهب هذا على ما عليه اخوته وذووه من العناد والإصرار على المقاومة الفاسدة . . . أول خروج على الحق ظهر على مسرح الدنيا ، بل هناك من الأشباه والنظائر كثير ، وكثير وليس غريباً أن يخرج الخبيث من الطيب ، كما اتفق ذلك بالنسبة الى نوح النبي وولده وآدم وولده .

وعلى أي حال تجاهل ابو لهب كل القيم الانسانية ، وتعالى عن الحق الصراح ، وتجاهر بالأذى والعداء لأبي طالب أخيه ثم لابن أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان هو اشد واكثر أثراً على النبي وعمه الزعيم من

الزمرة المشركة الكافرة ، حتى انزل الله فيه سورة كاماة من القرآن الكريم
« تبّت يدا أبي لهب وتب » ما أغنى عنه ماله وما كسب » سيصلى ناراً ذات
لهب » وامرأته حمالة الحطب » في جيدها حبل من مسد » .

وعلى هذا الأساس اجتمع بنو هاشم ، فأجمعوا على رفضه واسقاطه
عن قائمتهم بأرشاد من أبي طالب وتحريك منه ، لا لشيء سوى انصرافه
عما هم عليه من دين محمد وشريعته المحمّدية ومظاهرتة للمعارضين من
المشركين .

ومع هذا كله قد تأخذه حمية النسب ووشائج القرى ، ومن أجلها
فقط قد يغضب أحياناً على القوم ، فيثار لأبي طالب ويمنع الكفر عن بعض
المحاولات المعادية .

وقد تقدم منا بيان بعض المواقف من هذا النوع ، فنكتفي به فراجع .

ابو طالب واجماع آل البيت على ايمانه

وآل البيت هم الأئمة الطيبون والسادة الأطائب المكرمون ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .
« قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » .

(القرآن الكريم)

« إني مخلف فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، أحدهما أكبر من الآخر ، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً ، فانظروا كيف تخلفوني فيها » .

« مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى » .

« مثل أهل بيتي فيكم كالنجوم ، فالنجوم أمان لأهل السماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون ، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون » .

(محمد رسول الله)

ومما لا يرتاب فيه أحد ان المقصود من آل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام .

ذكر الطبرسي في مجمع البيان والزنجشيري في الكشاف والسيوطي في الدر المنثور انه سئل رسول الله عند نزول آيتي التطهير والمودة من هم آل البيت

المعنيون في الآيتين ؟ قال صلى الله عليه وآله : هم علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة التسعة من ذرية الحسين ، وهم علي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي الرضا والجواد محمد وعلي الهادي والحسن العسكري ومحمد المهدي الذي سيظهره الله عز وجل نيملاً به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظاماً وجوراً ، فهم أولاء آل البيت ، وهم خيرته وصفوته : كما وهم خزان علم الله وحججه ، وأوصياء رسول الله وخلفاؤه على امته ، بهم فتح الله ، وبهم يختم ، وبهم ينزل الغيث ، وبهم يكشف الضر ، وبهم يمسك السماء أن تقع على الأرض ، وبهم يدفع البلاء وتستدر الرحمة الإلهية .

قال ابن كثير في جامع الأصول في ترجمة عم الرسول أبي طالب في حديث طويل : وقد اجمع آل البيت على إيمان أبي طالب ، واجماعهم حجة عند المسلمين كافة .

أقول : إن اجماع آل البيت مما لا اشكال في تحققه ، كما لا يكاد يخفى على كل مستقرئ متبوع ، فهم قد أجمعوا بلا استثناء على إيمان جدهم الأعلى الزعيم أبي طالب ، وتبعتهم على ذلك ذرياتهم لحد الآن وإلى يوم القيامة ، فهو غير قابل للمناقشة والخذشة عندهم ابداً ، بل هو عندهم أمر مفروغ عنه ، وانه من قبيل لإرسال المسامات .

وكيف يكون معرضاً للنقاش والجدل وقد علم أن مصدره وباني أسسه هو رسول الله صلى الله عليه وآله : « رحمك الله يا عم ، فوالله لأشفعن فيك شفاعة يعجب منها الثقلان » .

ابو طالب في نظر أئمة الزيدية

والزيدية هؤلاء هم طائفة من طوائف المسلمين ، لها وزنها وأهميتها في الأوساط الاسلامية ، كما هم يشكلون عسداً هائلاً من حيث الوفرة والكثرة ، ولعل البلدان الاسلامية المترامية الأطراف قلّ أن لا يوجد فيها من الزيدية . نعم يقطن كثير منهم في اليمن العربي .

أما تسميتهم بالزيدية فنظراً إلى اعتقادهم بامامة زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، ومن زيد تنتقل الإمامة في نظرهم الى كل من نهض بالسيف وقاوم الظلم والطغيان وجاهد الكفار وثار على الحكام الجائرين المتمردين ، بشرط أن يكون من ولد علي وفاطمة . ولعل هذه العقيدة لا تزال موجودة حتى هذه العصور القريبة .

أما انهم يلحقون بالامامية بحيث يعدون منهم فلا ، لأن الامامية ترى : أولاً وقبل كل شيء أن الزيدية هم طائفة من طوائف المسلمين وفرقة من فرقهم ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . وثانياً أن الامامية لا يقولون بامامة شخص منها كانت عظمتة ومؤهلاته ، ومهما كان نسبه ومميزاته ، إلا من قامت على زعامته وخلافته الأدلة القطعية المعلومة الصدور عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، كما قامت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة الأحد عشر من ذريته ، أما غير هؤلاء من السادة الأمائل من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله فهم سادة كرام مقرون محترمون لانتمائهم بهـذه السلسلة الطيبة والشجرة المباركة الميمونة . كما وأن الامامية لا ترى

القيام بالسيف وشن الحروب شرطاً أساسياً في إمامة الامام ، فالامام يرى رأيه ويراعي ظروفه الخاصة وامكاناته الوقتية ، كما كان ذلك بالنسبة الى صالح الامام الحسن ونهضة الامام الحسين عليهما السلام .

ومستندهم في ذلك قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم « الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا » ، بمعنى أنها عليهما السلام إمامان على كل حال وعلى كل الفروض والتقدير ، نهضا بالسيف أم لم ينهضا . كما وان الامامية لا يرون الامامة في كافة ذرية علي والزهراء وعلى العموم ، بل الذي يرونه أنها تنحصر في ذرية الحسين فقط ، ولم تساعدهم الأدلة القطعية إلا على ذلك ، مثل قول الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم « الحسين إمام اخو إمام ابن إمام أبو أئمة تسع » .

فقام الامامة عند الشيعة مقام رفيع ورهيب ، كما هو خطير وعظيم ، لا يرتقيه او يتسمنه إلا بنص من الله تعالى ونص من رسول الله ، باعتبار أنه صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فما يصدر عنه صلى الله عليه وآله من قول وفعل هو من الله وبوحي منه عز وجل « ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

فقام الامامة عندهم ك مقام النبوة ، لا يتحقق ولا يكاد يثبت الا بالنص او المعجز الخارق للعادة .

ومن هنا وهناك قد ذهبوا الى عدم إمكان الترشيح والانتخاب في الامامة ، قياساً على النبوة وعطفاً على قدسيتها وكرامتها ، فكما أن النبوة لا يمكن - بل لا يعقل فيها الانتخاب والترشيح كذلك الامامة ، لما يتحملانه معاً من الغاية الواحدة وما يستهدفانه من الغرض المتحد .

نعم كل ما هناك من فرق أن الامام يفقد صفة النبوة فقط ، ولعل الرسول قد عني ذلك بقوله « يا علي انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا

أنه لا نبي بعدي » فهارون عليه السلام كان حائزاً على جميع صفات موسى أخيه ، كما كان مرشحاً من قبل الله عز وجل للنبوّة بعد موسى ، ولكن لما كانت النبوات قد ختمت بنبوّة الرسول محمد صلى الله عليه وآله أعطى عالياً كل الصفات والمزايا التي كانت بين موسى وهارون من الأخوة والوصاية والوزارة وولاية العهد الا النبوّة .

إذاً النبوّة والامامة سيات من ناحية كون كل واحد منهما منصب يمنحه الله لمن يشاء من عباده ، أو ينص عليه الرسول بالخصوص .

هذا بالإضافة الى ان الطائفة الزيدية تختلف عقائدياً عن الشيعة الإمامية : أولاً انها لا تعترف إلا بأربعة من أئمة الإمامية ، وهم علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ، وهذا مناهض كايّاً لعقيدة الامامية الذين يرون أن الأئمة الثابت في حقهم النص اثني عشر شخصاً لا يزيدون واحداً ولا ينقصونه ابداً ، كما أن من انكر واحداً من الاثني عشر عندهم كان كمن انكر الجميع .

ومن جهة أخرى إن الزيدية يختلفون من حيث الفقه والطريقة عن الامامية الشيعة ، لأن فقههم - على الأكثر - ينتسب الى المذهب الحنفي ، وفيهم الشوافع وفيهم غير ذلك من المذاهب الآخرين ، أما الشيعة ففقههم لا يتعدى الفقه الجعفري ، الفقه الذي أخذه الخلف عن السلف وعلي الأكثر عن الامام الصادق جعفر بن محمد ، الفقه الذي أخذه عن أبيه الباقر ، وهو عن أبيه علي بن الحسين ، وهو عن أبيه الحسين ، وهو عن أبيه علي بن أبي طالب ، وهو عن ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعلي كان باب مدينة علم النبي كما أخبر به صلى الله عليه وآله في قوله « أنا مدينة العلم وعلي بابها » ألا من أراد المدينة فليأتها من بابها » والفقرة الأخيرة من قول الرسول العظيم تقريراً إن لم يكن تحقيقاً تعطي الارشاد العام الى علم علي وفقهه ، وهذا الفقه هو فقه الشيعة من

الصدر الأول والى يوم القيامة ، كما أنهم يعتقدون ان هذا الفقه هو الذي نزل به جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فعلمه علماً وعلمه على لأولاده ، وهم بدورهم علموه العلماء ، ولم يزل كذلك حتى وصل الى علماء العصر .

وكيف كان الأمر الطائفة الزيدية - وان لم يكونوا من الشيعة الامامية - الا انهم مثل باقي الفرق الاسلامية ، والمهم هنا أن الزيدية هؤلاء قد أجمع علماءهم ومحدثوهم على إيمان عم النبي العظيم أبي طالب ، ومستند إجماعهم روايات يروونها بطرقهم عن العدول والثقات عندهم .

ومن الروايات التي كانت مصدراً وأساساً للاجماع رواية أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : سمعت الشيخ أبا طالب يتحدث بمكة : حدثني ابن أخي محمد بن عبد الله عن الله عز وجل أنه تعالى بعثه بصلة الرحم ، وان يعبد وحده ، ومحمد عندي الصادق الأمين . كما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يقول : أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة - وضم أصبعيه .

قال السيد علي خان في الدرجات الرفيعة والقاضي في المواهب : إن الزيدية ذهبوا إلى وجوب حق أبي طالب على المسلمين كافة ، لأنه حمى نبي الاسلام وانقذه من مخالب الكفر والشرك ، ولولاه لكان نسباً منسياً ، فأبو طالب هو الذي أرسى قواعد الدين ، وبنى على قواعد الاسلام بحمايته للرسول ونصرته له ، كما أنه أول المؤمنين به وأول المصدقين لدعواه ، وقال بعض علمائهم :

حماه ابونا ابو طالب واسلم والناس لم تسلم

وقد كان يكمم لإيمانه وأما الولاء فلم يكمم

اقتطعنا هذين البيتين من قصيدة قبلت في المقام ، والذي يظهر أن

القائل علوي النسب حيث يقول « حماه ابونا ابوطالب » يعنى انه حماه من دولتي الكفر والشرك وخلصه من موت محتم ، اذ لولا ابوطالب لقضت المؤامرات الكافرة والدسائس المشركة على رسول الله ، وبه يقضون على كل ما جاء به عن ربه من دين وشريعة ، فحفظه ابوطالب وحماه ، وبه حفظ الدين واستقام الاسلام ، فمن هنا وهناك كان حقه واجباً على المسلمين الى أن يقوم الناس لرب العالمين .

أبو طالب في نظر علماء المغرب العربي

ذهب الكثير منهم الى أن عم الرسول الزعيم اباطالب حامي النبي وكافله هو من اوائل المؤمنين والقدامى من المسلمين ، كما يرون أنه هو أول مجاهد في سبيل الله ، ولم تأخذه في سبيل اعلاء كلمته لومة لائم ولا اراهاب المراهبين ، كما حمى النبي ووقاه عن كل ميسوؤه ويؤذيه ، وفداه بكل ما يملك ، وتحمل في سبيله المشاق والأهوال والتكبات والآلام ، وبشر بدعوة الرسول وحث عليها واستمات في سبيلها . ولم يكتف بكل ذلك حتى أعلن للملأ فلسفة جهاده ومحاماته ، وغاية دفاعه والذب عنه ، وأن كل ما هنالك هو عقيدته بلزوم القيام بوجه الأضنام ومقاومة الشرك والأوثان ، وحفظ رسول الله بكل ما يتمكن من قوى وطاقت حتى بالنفس والاولاد والأسرة . ولم يكتف بذلك ايضاً بل صار الى المواجهة العلنية ، ثم الافصاح بتدينه وإسلامه ، وشعره ونثره يصرخان بذلك ، ثم ترحم النبي عليه واستغفاره له ، وذكره دائماً بنحير . . .

كل ذلك أدلة قاطعة على إيمانه واسلامه ، والمشكك في ذلك ظالم له متعدد على حقوقه المفروضة ، مضافاً الى أنه ايداء للنبي صلى الله عليه وآله ، ومؤذي للنبي كافر عند كافة المسلمين .

قال السيد صاحب الدرجات الرفيعة ص ١٥٧ قال السيد زعيم المغاربة السيد الجليل السيد العارف بالله السيد عبد الرحمن الادريسي الحسيني المغربي نزيل مكة المكرمة والمتوفى بها سنة سبع وثمانين بعد الألف - وقد سئل عن

إيمان عم النبي العظيم وكافله الزعيم الهاشمي أبي طالب ، وكان السيد الأديسي من أرباب الحال والمقال وأبطال واقطاب الرجال ، فقال رحمه الله للسائل : أعلم قريك الله منه ورزقك كمال الفهم ان ناصر دين الله وكافل رسول الله أباطالب رضي الله عنه قد قال بإيمانه خلق كثير وجع غفير من المؤرخين والمحدثين ، كما قال بإيمانه جماعة من أهل الشهود والكشف ، كما قد وردت فيه أحاديث كثيرة تشهد بإيمانه وتدينه ، اوردها الحافظ ابن حجر في إصابته وتكلم عليها :

منها - ما جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من أن جبرئيل نزل على رسول الله صلوات الله عليه يبشره عن الله فقال فيما قال : يا رسول الله إن الله عز وجل يقول لك : إنه لا يعذب صلباً أنزلك ، وبطناً حملك ، وحجراً كفلك . فقال رسول الله : حبيبي جبرئيل أوضحه لي ؟ فقال : الصلب الذي أنزلك هو صلب عبد الله بن عبد المطلب ، والبطن الذي حملك هو بطن أمك آمنة بنت وهب ، وأما الحجر الذي كفلك هو عمك ابوطالب .

ومنها - ما اورده الحب الطبري في كتابه ذخائر العقبي عن السيوطي في كتابه المسالك أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وامي وعمي أبي طالب . وبطبيعة الحال لا يشفع رسول الله إلا للمؤمنين الموحدين والمتدينين من المسلمين .

ومنها - ما اخرجه الشعراني أن الله تبارك وتعالى أحى أباطالب للرسول فأمن به وأسلم على يديه .

ومنها - ما اخرجه التلمساني المغربي في مؤلفه شمس الأنوار وكنوز الأسرار من قول أبي طالب :

لقد أكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحمد

وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد
 قال الثعلبي في تفسيره وعند تفسيره لقول الله عز وجل « وانذر عشيرتلك
 الأقرين » إن هذه الآية دليل على إيمان أبي طالب وهكذا الطبري في تفسيره .
 أقول : ولعل نظر الثعلبي والطبري ومن هو على شاكاتهما يرمي ويستهدف
 حضور أبي طالب في دار النبي يوم الانذار وقيامه وانحيازه الى النبي من
 دون كل المجتمعين ، ومعارضته اخاه ابا لهب ، حيث صد رسول الله وعارضه
 وتعهد للقيام معه معها كلفه الأمر ، وهو في الواقع للدليل قوي على إيمانه
 وتدينه ، وفي الحقيقة انها نظرة موفقة وصائبة قد وقعت في محلها تماماً .
 وقد ذكرنا ذلك مفصلاً فيما تقدم فراجع .

ابو طالب في نظر العامة

يحدثنا السيد في الدرجات الرفيعة ان الأغلب من الجمهور وجلهم يذهبون الى القول بإيمان عم الرسول ابي طالب وتدينه ، وممالا يعتريه الريب ان من اولئك العظماء ابو القاسم الباخي شيخ المعزلة وعلمهم المفضل ، وكذلك النقيب ابو جعفر الاسكافي ، وكثير امثالها . يستندون في ذلك الى روايات قد اعتمدوا عليها متناً وسنداً :

منها - ما قدروه عن حماد بن سامة عن ثابت بن دينار عن اسحاق ابن عبيد الله عن العباس بن عبد المطلب أنه قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله : ما الذي ترجوه لعمك ابي طالب ؟ فقال : أرجو لعمي الرحمة والغفران ، كما أرجو الله أن يعطيه كل خير وكرامة .

ومنها - ان ابا بكر بن ابي قحافة قد جاء بأبيه ابي قحافة ، وهو اعمى يقوده الى النبي يوم فتح مكة ، فلما نظر اليه النبي قال لأبي بكر : هلا تركت الشيخ حتى آتيت به . قال ابو بكر : أردت يارسول الله أن يأجره الله ، فوالله يارسول الله والذي بعثك بالحق نبياً لانا اشد فرحاً بإسلام عمك ابي طالب مني بأبي ، التمس بذلك قرّة عينك .

ومنها - ما يروونه بطرق متعددة بعضها عن العباس وبعضها عن ابي بكر كلها تنطق أن ابا طالب مامات حتى قال « لا إله الا الله محمد رسول الله » . ومنها - عن العباس انه قال : لقنت أخي ابا طالب الشهادتين عند الموت ليجدد بها العهد ، وليكون آخر كلام يخرج به من الدنيا ، فقأها ولكنه ضعف من أن يسمعها رسول الله صلى الله عليه وآله .

ومنها - ما قدره عن عبد الله بن عباس انه قال : قال ابو طالب
لرسول صلى الله عليه وآله ذات يوم : أالله يا بن اخي بعثك وارسلك ؟
قال : نعم يا عم الله بعثني وارسلني الى الناس كافة .
قال ابو طالب : أرنا آية ذلك . فدعا رسول الله شجرة كانت بالقرب
منا ، فانقلعت بأمر من الله واقبلت نحوه ولها دوي عظيم ، فوقفت أمامه
وقالت : السلام عليك يا رسول الله .

ولما نظرنا ذلك فرحنا بكرامة الله على رسوله ، وعند ذلك قال
ابو طالب : مرها يا بن الأخ ان تنكفيء الى محلها من الأرض ، فأمرها
فرجعت ، وعندها قال ابو طالب : اشهد أنك صادق صديق .
ثم التفت الى ولده علي وقال :

ان الوثيقة في لزوم محمد فأشدد بصحبته علي يدك
ونقل الأميني في الغدير ٣٩٩/٧ عن أبي الفداء والشعراني بطريقهما الى
ابن عباس انه قال : مامات ابو طالب حتى اعطى رسول الله من نفسه الرضا .
وفي نفس الصفحة عن ابن عباس ايضاً أنه قال : لما تقارب الموت
من عمي ابي طالب أخذ يحرك شفتيه كأنه يقول شيئاً ، فأصغى اليه العباس
ابن عبد المطلب وادنى اليه رأسه ليسمع ما يقول ، وكان رسول الله حاضراً ،
ثم رفع رأسه الى النبي وقال : يا بن اخي لقد قال عملك الكلمة التي اردته
أن يقولها ، فقال رسول الله : الحمد لله .

ابو طالب في نظر الشيعة الامامية

والشيعة الامامية هم طائفة من الطوائف الاسلامية الضخمة ، وهي اذا ما قيست الى بقية الطوائف لا تقل عنها إن لم تكن تكثرها ، فهي لا تقل عن الحنفية منفردة والشافعية كذلك . والشيعة الامامية هم المسلمون الذين شايعوا علياً أمير المؤمنين وتابعوه في جميع اقواله وافعاله ، ولم نعال اذا قلنا انهم هم المؤمنون الذين لم يحيدوا قيد أنملة عن اقوال رسول الله واحاديثه ، بل في الحقيقة ونفس الأمر انهم إنما شايعوا علياً وتابعوه بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه قد صح عندهم قوله لعمار بن ياسر : يا عمار لو سلك الناس وادياً وسلك علي بن ابي طالب وادياً فاسلك الوادي الذي يسلكه علي .

والتشيع لم يكن بالأمر الذي قد تكون بعد زمن النبوة ، بل فيه نما وترعرع ونشأ وتأصل .

وكان ممن يفتخر بالشيعة والتشيع : ابو طالب بن عبد المطلب ، والعباس بن عبد المطلب ، وعبد الله بن عباس ، وجعفر بن ابي طالب ، وعقيل بن ابي طالب ، وعبد الله بن جعفر ، والحسن بن علي ، والحسين ابن علي بن ابي طالب ، ومحمد بن الحنفية ، ومسلم بن عقيل ، وقثم وعبد الرحمان والفضل اولاد العباس بن عبد المطلب ، وابوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وعون ومحمد ابنا جعفر بن ابي طالب ،

وربيعة بن الحرث بن عبد المطالب . . . وهكذا الى جميع بني عبد المطالب وكافة بني هاشم ، ثم جمع غفير من عظماء الصحابة ورجال الاسلام ، مثل عمر بن سلمة ، وسلمان الفارسي ، وعمار بن ياسر ، وياسر ابيه ، والمقداد ابن الأسود الكندي ، وابي ذر الغفاري ، وحذيفة اليماني ، وخزيمة بن ثابت ، وابي أيوب الأنصاري ، ومالك بن نويرة ، ومالك بن النيهان ، وابي بن كعب ، وسعد بن عباد الخزرجي ، وقيس بن سعد ، وابي قتادة الأنصاري ، وعدي بن حاتم الطائي ، وعباد بن الصامت ، وبلال الحبشي مؤذن الرسول صلى الله عليه وآله ، وابي رافع خادم النبي ، وهاشم بن عتبة ابن ابي وقاص ، وعثمان بن حنيف ، وسهل بن حنيف ، وحكيم بن جبة العبدي ، وخالد بن سعيد بن ابي وقاص ، والبراء بن مالك الأنصاري ، ورقاعة بن رافع الأنصاري ، ومالك بن ربيعة بن الوليد الساعدي ، وعقبة ابن عمرة بن تغلبة الأنصاري ، وهند بن ابي هالة التميمي ربيب النبي صلى الله عليه وآله ، وجعدة بن هبيرة ، وأبي عمرة الأنصاري ، وحجر ابن عدي الكندي ، واسامة بن زيد الكلبي ، وزيد بن أرقم ، وعمر بن الحقم الخزاعي ، والمسور بن شداد الفهري ، وابي ليسلي الأنصاري ، وابي برزة الأسلمي ، ومسعود بن اوس ، وعبد الله بن مسعود . . . الى كثير من هذا اللون والعيار الثقيل من وجوه الصحابة وخيار المسلمين ممن تركناهم رعاية للاختصار الذي هو مبنى هذا المؤلف ، وما ذكر فهو على سبيل المثال لا الحصر .

فالشيعة اذاً لم يكونوا قد جاءوا متأخرين ، ووجدوا على هامش المسامحين ، او كانوا - كما يقولون - قد خلقتهم وخلقت فكرتهم الظروف وتبنتهم السياسة . . . بل الشيعة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والذين قد تناسلوا وتكاثروا ، والذي قد صاروا الى التشيع اخيراً من غيرهم

لا يحصى عددهم إلا الله تعالى : بل اذا أردنا ان نأتي على آخر من جاء الى التشيع من بقية الطوائف الاسلامية الآخر لما وسعنا ذلك ، وهم لا يزالون يتكاثرون ويستعمرون في التكاثر والانتشار الى اليوم والى يوم القيامة .

وعلى سبيل المثال نذكر من الأسر العربية التي رجعت الى التشيع في الأدوار القرية الدليات ، وهم يسكنون غالباً في النعمانية والزبيدية من لواء الكوت ، وقسم كبير من الأسرة القرغولية الذين يسكنون في الدبوني والعزبية من لواء الكوت ايضاً ، وقسم كبير من الجبابيين ، وقسم كبير من الجبوريين ، وقسم كذلك من العبيديين ، وقبائل متعددة من شمر وهكذا .

والشيعة يعتقدون أن الذي قد أسس قواعدهم وبنا كيانهم هو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، كما يعتقدون أن اول غارس لبذرة الشيعة والتشيع هو الله عز وجل ، كما وهو تعالى قد وضع الحجر الأساس لها « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » ، « قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى » ، « وآت ذا القربى حقه » ، « فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم ثم ننتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ، « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » - الى غير ذلك مما ورد في القرآن الكريم في فضل آل البيت الذين هم رمز الشيعة والتشيع .

أما ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك فكثير وكثير ، نذكر جملة من ذلك :

اخرج الامام احمد بن حنبل في مسنده والبيهقي في صحيحه عن ابي الحمراء أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا من اراد أن ينظر الى آدم في علمه والى نوح في عزمه والى ابراهيم في حلمه والى موسى في هيبته والى عيسى في زهده فليتنظر الى علي بن ابي طالب .

ابي طالب .

وأخرج القندوزي الحنفي في ينابيع المودة والخطيب الخوارزمي الحنفي في المناقب عن سعيد بن عقيصا عن ابي عبد الله الحسين بن علي بن ابي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي ذات يوم : انت اخي وانا اخوك ، انا المصطفى للنبوّة وانت المجتبي للامامة ، يا علي انا وانت ابوا هذه الأمة : يا علي انت وصي ووارثي وابو ولدي ، اتباعك اتباعي واولياؤك اوليائي واعدائك اعدائي ، وانت صاحبي على الخوض وصاحبي في المقام المحمود وصاحب لوائي في الآخرة كما انت صاحب لوائي في الدنيا ، لقد سعد من تولاك وشقي من عاداك ، وان أهل مودتك في السماء اكثر منهم في الأرض . يا علي انت حجة الله على الناس بعدي ، قولك قولي ، أمرك أمري ، نهيك نهبي ، طاعتك طاعتي ومعصيتك معصيتي حزبك حزبي ، وحزبي حزب الله ، وحزب الله هم الغالبون . يا علي من أبغضك فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله ، ومن أبغض الله فقد كفر ، ومن كفر فقد دخل النار .

وقال القندوزي ايضاً : لقد اخرج الحافظ ابو نعيم في حلية الأولياء والحموي في الفرائد عن عكرمة عن عبد الله بن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سره ان يحيا حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة عدن التي غرسها ربي فليوال علي بن ابي طالب من بعدي وليوال وليه وليقتد بالأئمة من ولده بعده ، فانهم عترتي ، خلقتوا من طينتي ورزقوا فهماً وعلماً ، فويل للمكذابين بفضلهم من أمني القاطعين فيهم صلاتي ، لا أنا لهم الله شفاعتي يوم القيامة .

وقال القندوزي ايضاً : لقد اخرج الامام أحمد بن حنبل في المسند وابو نعيم في الحلية عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم :

من سره ان يحيا حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة عدن غرسها ربي بيسده
فليتمسك بولاية علي بن ابي طالب .

اقول : هذا وكثير من النظائر والمشابهات هو الذي روج الشيعة
والتشيع من زمن النبوة ، كما اوجب استمرارهما وتأصلهما بالرغم من العوائق
والمكافحات ، بل الاستئصال والابادة في بعض الأدوار .

وعلى كل حال قد اتحدت كلمة الشيعة ، كما اتفقوا كلهم أجمعون على
إيمان عم الرسول ابي طالب العظيم ، لا يختلف في ذلك منهم اثنان ، اخذه
الحلف عن السلف ، وهكذا حتى اليوم والى قيام يوم الدين .

وقد ألفوا في الموضوع مؤلفات قيمة ، مؤلفات ضخمة . ولعلنا
نذكرها في الفصول الآتية انشاء الله تعالى .

ابو طالب في نظر ابن حجر

وابن حجر هذا محدث ومؤرخ قديم وشهير ، إلا أنه وقف من عم النبي وكافله الزعيم ابي طالب موقفاً شائناً ومعادياً ، موقف المتعامي عن الحق الحائد عن جادة الصواب ، موقف الناصر للجميل ، موقف المستهين بكل ما صدر من المحدثين الأطناب والرواة الأمثال الذين ذهبوا إلى إيمان عم النبي العظيم وتدينسه ، الرواة الذين عززوا مذهبهم ودعواهم بأقوى البراهين واثق الأدلة .

ولو أن ابن حجر قد نظر بمنظار بصيرته وفكر بامعان ودقة إلى أولئك الرواة وما ذكروه من الأحاديث ، وجرد نفسه ومشاعره عن العاطفة والتعصب الأعمى لما كان بإمكانه إلا أن يسير في ركاب القائلين بإيمان عم الرسول صلى الله عليه وآله ، ولما وسعه إلا أن يسير بعجلة الذاهبين إلى تدينسه وإسلامه رضي الله عنه .

ولكنه اعرض عن كل ذلك وانصرف عن كل ما هنا لك ، فجرى عدواً وراء أقاويل جماعته الموتورين والحاقدين الذين ثأروا لكرامتهم المهانة وشخصياتهم المحطمة أيام زعامته وحمايته لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد بنى ابن حجر على تلكم القواعد المنهارة والأركان الواهية المنخورة ، فجاء يحدث في إصابته أن شذمة من الروافض ذهبوا إلى إيمان ابي طالب وإسلامه ، وتمسكوا بما نسب إليه من قوله :

ودعوتني وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديننا
أقول : لم يكن بالشيء الغريب من ابن حجر ولا بالشيء الكثير عليه أن
يعمد على تشويه الحقائق ومسخ الواقع ، فدرس ما شاءت له أهواؤه وافترى
ما سنحت له الفرصة أن يفترى من الأكاذيب والأقاويل في حق أول ناصر
للاسلام وأول فدائي للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، ذاك عم
النبي الكريم الزعيم أبو طالب ، وسيعلم الذين ظلموا وافتروا أي منقلب
ينقلبون ، يوم لا تغني عنهم جماعتهم ، ولا ينفعهم اذ يندمون .

وفات ابن حجر ومن اقتفى أثره بمن جاء بعده أن الطعن في أبي طالب
طعن صراح في صميم النبوة ووخر بأوصال الرسالة وقداستها ، لأنه يؤدي
إلى رمي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالخالفة القطعية للنصوص
القرآنية والنهي البين عن مواصلة الترحم والاستغفار للكفرة والمشركين
« ولا تصل على أحد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره » ، « سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لن يغفر الله لهم » .

هذا مع العلم أن الرسول صلى الله عليه وآله قام على قبر عمه وقرضه
وأبنته ، ثم اعتكف في بيته أياماً لم يخرج منه . كل ذلك بغية التخصص
للاستغفار إلى عمه الكريم ، ولم يزل كذلك مداوماً على الاستغفار ملازماً
طوال حياته صلى الله عليه وآله على الترحم على عمه المحامي والكفيل - راجع
شرح النهج لأبن أبي الحديد والتذكرة للسيط ابن الجوزي ونبايع المودة
للقندوزي الحنفي وكفاية الطالب للكنجي الشافعي واسنى المطالب للسيد زيني
دحلان الشافعي والسيرة لابن هشام وسيرة الحلبي للتأكد من الموضوع .

أما البيتان اللذان نوه عنهما ابن حجر وشكك في نسبتها إلى أبي طالب
رضي الله عنه ، كما ندد بالشيعة على حسابهما ورماهم بالرفض مرة وبالاغتراب
على الواهي والمنهار من القواعد والأسس والمزيف من الأدلة ، كما كان

ذلك بالنسبة الى استدلالهم بالبيتين السابقين على ايمان ابي طالب .

وما درى ابن حجر - او كان يدري وتعامى عن الحق وتغافل عن الواقع الصريح - كما تعامى وتغافل من كان قباه فظفروا وطوى كشحاً عما تكررت روايته وأثبتته الجلسل من المؤرخين إن لم يكن الكل . نعم روى البيتين كل من ابن ابي الحديد وابن الجوزي والحلي وابن هشام والطبري وصاحب ثمرات الأعواد والكنجي الشافعي في الكفاية والثعلبي في تفسيره والبيهقي في دلائله والزنجشيري في كشفه . . . كما رواها الأعلام من الرواة والقطاحل من المحدثين : مثل عبد الله بن عباس ومقاتل والقاسم بن مخضرة وعطاء بن دينار وجمع كثير من امثالهم ، وقد عدها العلامة البرزنجي من شهير شعر أبي طالب ، فلتراجع السيرة الحلبية في ص ٣٩٦ والسيرة المشامية في ٢٨٣/١ و ٢٨٥ لكل من السيرتين ، كما رواها من الشيعة كافة روااتهم ومؤرخيهم ، راجع البحار وأعيان الشيعة والغدير .

واذا كان الأمر كذلك فكيف يا ترى قد استساغ ابن حجر أن يخص شذمة من الروافض قد نسبت ، من دون ما تأكد وتوثق ذنبك البيتين الى ابي طالب ، ثم استدلت بهما على ايمانه وتدينه ؟ ؟

ولكن الحق لا بد وان ينتصر ، ولا بد وان يظهره الله تعالى ، حتى على السنة جاحديه ومعانديه . . . والحق لا بد أن يعلو ولا يعلو عليه شيء ، كما انتصر وظهر فعلا على أسنة المنكرين والجاحدين « قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » ، فلا يقدح بكرامة الشيعة اذاً إذ ينسبهم ابن حجر ونظراء ابن حجر الى الرفض والترفص .

ولعمري لانهم ارادوا أن يذموا فذموا ، وأرادوا أن ينتقصوا فمجدوا وعظموا ، فلتكن الشيعة روافض مترفضين ، فالحق فيهم ومنهم ومعهم ، وهم معدنه وأساسه ومصدره ومنتهاه ، واليهم يرجع ويعود ، وهم حقيقة

وواقعاً روافض ، لأنهم رفضوا الأباطيل والأكاذيب ، ونبذوا المناكير والأضاليل الهريرية التي ما ازل الله بها من سلطان ، كما يبرأ منها رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنون ، المناكير والأضاليل التي تتفرز من فضاعتها وبشاعتها النفوس وتستنفر من هولها وشناعتها المشاعر والأحاسيس النقية . ولمن يهمه أن يقف على جليلة الأمر : ويطالع على واقع الأحوال ، ويتعرف على القضايا التي تنكرت لها الروافض وحاربتها بكل مالمحاربة من معنى ووقفت منها موقف المصادم المعارض ، بكل مالمديها من قوى وطاقات وجهود وامكانيات ، نذكر ونذكر ولعل الذكرى تنفع المؤمنين ، « سيذكر من يخشى » ويتجنبها الأشقي « الذي يصلّي النار والكبرى » .

فأقول : قال البخاري في صحيحه ٧٥/٤ من كتاب الاستئذان ، كما حدث مسلم في مسنده ص ٤٨١ في باب « يدخل اللجنة اقوام افندتهم كأفئدة الطيور كما حدث صاحب ارشاد الساري ٩/٩ عن ابي هريرة انه قال : خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً - وزاد احمد بن حنبل في مسنده بعرض سبعة اذرع .

واخرج ابن ماجة في صحيحه في تفسير سورة ق والقرآن المجيد ١٣٧/٣ كما صححه ابن خزيمة باسناده الى ام المؤمنين عائشة : كما نقله القسطلاني في ارشاد الساري ٤٩٣/١٠ كما اخرجه البخاري في صحيحه ٨٦/١ في باب فضل السجود من كتاب الأذان عن الراوية المكنانة ابي هريرة أنه قال : قال للنبي صلى الله عليه وسلم جماعة من المسلمين : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله . فقال صلى الله عليه وسلم : فإنكم ترون ربكم يوم القيامة

كذلك ، ثم يجمع الله الناس فيقول لهم : ألا من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، من كان يعبد الشمس فليتبّع الشمس ، ومن كان يعبد القمر فليتبّع القمر ، ومن كان يعبد الطاغوت فليتبّع الطاغوت . فبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون ، فيقول لهم : انا ربكم . فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا أنا عرفناه ، فيأتيهم على الصورة التي يعرفون فيقول : انا ربكم . فيقولون : نعم انت ربنا فيتبعونه اقول : وبودي أن اترك هذه الأحاديث بلا تعليق ، لأنها كفر صراح واستخفاف بالله العظيم . . . ولكن ثمة شيء واحد يجيش في صدري ، فأجدي مرغماً الى ان أقوله وابديه ، هو أن اقول :

ايها المؤمنون ، ايها المسلمون الأطائب ، يا من رباكم محمد النبي على العلم والمعارف ، وغذاكم بالفضيلة ومكارم الأخلاق ، هل ترضون لربكم أن يكون بتلك الصور المخزية المنكرة ، الصورة التي قد اخترعها ابو هريرة وصورها من عندياته ، ثم نسبها الى الرسول العظيم ، الرسول الذي هو أول عارف بالله ، وأول مقدر له ، وأول داع اليه عز وجل ؟ ! المعتقد انكم تقولون معي كلا والـف كلا ، ونهتف الجميع تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ثم نستغفر الله من تلك الأباطيل والأكاذيب الدنيئة .

واليك قارئى الكريم ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن حنبل في مسنده ٣١٤/٢ عن ابي هريرة انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان النار لتغلي يوم القيامة كما يغلي القدر ، فلا تسكن حتى يضع الله رجله فيها ، فتقول : قط قط .

هذا ، وليس بغريب على مثل هذا الراوي الذي نقل عنه مسلم في صحيحه والنسائي وأحمد الحديث التالى : أخذ رسول الله بيدي فقال : خالق الله التربة يوم السبت ، وخالق الجبال فيها يوم الأحد ، وخالق الشجر

يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل .
وقد قضى أئمة الحديث بأن هذا الحديث مأخوذ عن كعب الأحبار ،
وانه مخالف لنص القرآن في انه خلق السماوات والأرض في ستة ايام ،
فثل هذه الرواية تعد - ولا ريب - كذباً صراحاً وافتراءً على رسول الله ،
وهذا الحديث وحده يكشف ولا ريب عن روايات ابي هريرة التي يجب الاحتياط الشديد في تصديقها (١) .

أجل . انه ليس بغريب على مثل هذا الراوي الذي قد اتهمه بالكذب علي وعمر وعثمان وعائشه وغيرهم (٢) : ان يأتي بهذا وامثاله من الأعاجيب كل هذا وكثير من النظائر ينص عليه المؤرخون وتذكره كتب الحديث والسير ، ثم انهم يعتبرون ابا هريرة مع ذلك كله الصحابي الجليل والرواية الصادق ، فلم يدر في محيلة ابن حجر واصحابه السالكين في فلك المغيرة ابن شعبة والسائرين في ركاب معاوية بن ابي سفيان أن يشككوا في إيمان ابي هريرة او يلوحوا من قريب او بعيد الى منكراته ومخازيه الطاعنة بكرامة الباري وقداسسته عز وجل ، والناصة على ما لا يليق نسبته الى النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم .

نعم حرص هؤلاء وحاولوا جاهدين أن يموهوا على من اتبعهم من الغاوين ، بأن عم النبي ابا طالب مات كافراً مشركاً ، في حال أن ابا طالب رضوان الله عليه قد ملأ الدنيا من اقصاها الى اقصاها هتافاً بالدين الحمدي

(١) راجع (أضواء على السنة المحمدية) للأستاذ محمود أبي ربة المصري

ص ٢٠٩ ط ٣ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٠٣ .

واعلاناً بالدعوة الى الله ، كما قدملأها جهاداً في سبيل الله وحفاظاً على حياة رسول الله ، حتى تفرى الليل عن صبحه واسفر الحق عن محضه ، وصار النبي يؤدي رسالته بكل طمأنينة وهمدوء ، فما ذلك من ابي طالب إلا خدمة لله وحرصاً على تركيز شريعة السماء المحيدة ، وهي كل غايته وتعام غرضه ومتوحياته ، وإلا فهو الغني بشخصيته والعظيم بمكانته وسموه ، تنحني لزعامته العظاء وتطأطأ لسيادته الرؤساء والزعماء .

فما الذي كان يحدوه أن ينصرف عن كل تلك المقامات والمؤهلات الرفيعة ، ويصير خادماً لمحمد اليتيم الذي رباه وكفله وينصاع ويتصاغر له ، ذاك الانصياع والتصاغر اللذين لا يتفقان لأحد ابداً .

واليك ايها القارئ الكريم هذا البيت الذي هو واحد من عشرات ، بل هو واحد من مئات مما صدر عنه مما يصرح فيه عن انصهاره بالاسلام واعتقاده بالنبوة :

لقد اكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحمد
إذا فلتكن الشيعة روافض ، ولتفتخر بالرفض والترفص ، فالشرف
كل الشرف ، والمجد كل المجد في الرفض والرافضية بهذا المعنى . وهذا الشافعي
محمد بن ادريس يفتخر بها ويعتز بالترفص ، اقرؤا معي أبياته الشهيرة :

باراكباً قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج الى منى فيضاً كملتطم الفرات الفائض
اعلمهم ان التشيع مذهبي ابدأ اقول به ولست بتناقض
ان كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان اني رافضي

قال ابو نعيم في حليته ١٥٢/٩ بعد ذكره للأبيات هذه : إنها من مشاهير الشافعي ، كما ذكرها كذلك ابن حجر في صواعقه ص ٧٩ باختلاف يسير ، وقال البيهقي : ان الداعي للشافعي أن ينظم الأبيات مقالة بلغته عن

بعض المشعوذين تعرض به وتنتقصه لاكثره التحدث في فضائل آل البيت
فنسبوه الى الرفض والترفض .

وذكر الأبيات ايضاً الفخر الرازي في تفسيره في آواخر تفسير قوله
تعالى « قل لا اسئلكم عليه اجراً إلا المودة في القربى » .

وذكرها ايضاً الشبلنجي في نور الأبصار ص ١٠٨ ، وذكر فيها ايضاً له :

آل النبي ذريعتي وهم اليه وسيلتي
أرجو بهم اعطى غداً بيد اليمين صحيفتي

وفيه ايضاً :

يا آل بيت رسول الله جبكم فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عايكم لاصلاة له

وقال الشبلنجي ص ١٠٤ حكى الامام ابو بكر البيهقي في كتابه الجامع
لفضائل الشافعي ، قال : بلغ الامام الشافعي أن جماعة من الناس كانوا
يمتنعون وينزعجون من سماع فضائل آل محمد ، وربما يصل الحال بهؤلاء
الى الطعن بالشافعي ، حيث يكثر التحدث بفضائل آل النبي ، فقال مندداً
بهؤلاء ومعرضاً بهم :

اذا في مجلس نذكر علياً وسبطيه وفاطمة الزكيه
يقال تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضيه
برئت الى المهيمن من أناس يرون الرفض حب الفاطميه

وقال الشبلنجي ايضاً ص ١٥٠ : قال الشعرائي : وما احسن وأجمل
ما اورده في المناسبة الشيخ الأكبر في الفتوحات الاسلاميه :

فلا تعدل بأهل البيت خلقاً فأهل البيت اهل للسياده
فبغضهم من الانسان خسر حقيقي وجههم عباده

وفي المناسبة قال ابن حجر في صواعقه ص ١١٠ : قال الشيخ

شمس الدين ابن العربي :

رأيت ولائي آل طه فريضة على رغم اهل البعد يورثني القربي
فما طلب المبعوث اجراً على الهدى بتبايخه إلا المودة في القربى
وذكر صاحب المستدرک على الصحيحين ١٥٠/٣ بسنده الى ابي سعيد
الخدري أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يبغضنا أهل البيت
أحد إلا أدخله الله النار .

وجاء في الصواعق ص ١٤٣ نفس الحديث بلا زيادة ولا نقصان ،
وفي الدر المنثور للسيوطي في أواخر تفسير آية المودة مثل ذلك .

وفي تاريخ بغداد ١٢٢/٣ بسنده الى ابن عباس انه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وآله : ولو أن عبداً عبد الله بين الركن والمقام
ألف عام وألف عام حتى كان كالشن البالي ويلقى الله مبغضاً لعلي بن
ابي طالب اكبه الله على منخره في نار جهنم .

اقول : وقد تركنا الكثير من هذا اللون من الحديث النبوي الوارد
في فضل آل البيت ، ولا سيما أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه وعليهم
ألف تحية وسلام ، رعاية للاختصار وإرجاء للموضوع الى ترجمة الامام
عليه السلام . وعليه فقد انضح أن الرفض والترفص لم يكن مما يعاب به
على الشيعة ، بل هو موضع اعتزاز المسلمين وافتخارهم ، اذاً نسأله سبحانه
أن يحمينا عليه ويميتنا عليه لنلقى الله عز وجل ونحن شيعة وروافض ولنا الفخر
ومع هذا كله يأتي ابن حجر في اصابته يقول : وقد وقفت على
تصنيف لبعض الشيعة يحاول فيه صاحبه إثبات ايمان ابي طالب ، وكان
مستنده فيه أحاديث واهية السند ضعيفة الدلالة .

أقول : أليس هذا من ابن حجر نسف لقوله المتقدم ونقض له من
الأساس ؟ أليس قد قال : إن شرذمة من الشيعة قد استدلت على إيمان

ابي طالب يبيتين نسبا اليه ، وقال مؤخرأ : قد وقفت على مصنف لبعض الشيعة يذهب فيه الى اثبات ايمان ابي طالب ؟ افلا يتدبر هؤلاء ام على قلوب اقفاها .

واكثر الظن أن المؤلف الذي يعنيه هو الحجة على الذهاب الى تكفير ابي طالب ، وهذا المؤلف للسيد العلم بن معد بن فخار الموسوي الحلبي الذي اثبت فيه إيمان جده الأعلى ابي طالب بقوي الأدلة متناً وسنداً ، فكان من جملة ما فيه اربعون حديثاً متصلة لم يكن في سلسلتها إلا العدل الموثوق بروايته ، فليراجع تعرف أهمية الكتاب والكاتب .

ومن الطبيعي أن تكون أحاديث الشيعة وروايات الروافض عند ابن حجر واشياخه ضعيفة الدلالة واهية السند ، لا شيء غير أنها تعتمد جملة وتفصيلا على حديث آل البيت النبوي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، ولأنها تخص عم الرسول العظيم أبا الكرار أبا طالب كافل رسول الله وناصره .

فبشراف الأنبياء أقسم لو قدر أن تكون تلکم الأحاديث وهاتيك الروايات التي جاءت من طريق الروافض والشيعة تعني تمجيد واحد من اصحاب المغيرة بن شعبة او من بطانة معاوية بن ابي سفيان وأمثالها لكانت عند القوم - ولا سيما في نظر ابن حجر - من اضخم الروايات واعظم الأحاديث سنداً واقواها افادة ودلالة ، ولكانت فوق كل حديث وأعلى كل رواية ، ولكنها واردة في ابي طالب وائر الأقربين والأبعدين ، ووالد علي أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين ، لذا كانت واهية السند ضعيفة الدلالة .

هذا وكأن ابن حجر لم ينقل في الاصابة أو أنه لم يدر ما كتب :
فإن كان لا يدرى فتلك مصيبة وإن كان يدرى فالمصيبة اعظم
أو أنه الحق لا بد أن يعلو وينتصر ، فيظهره الله عز وجل على كل

حال حتى على ألسنة جاحلديه ومعانديه من حيث يشعرون او من حيث لا يشعرون . لذا نجد ما نقله ابن حجر في إصابته من محققات إيمان عم النبي الزعيم الهاشمي اكثر مما نقلته الشيعة وأوفر ، وها هو يحدث ان ابن عساكر ذكر في صدر ترجمة أبي طالب بسنده الى عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن حبيب بن ثابت عن ابن عباس أنه كان يقول في تفسير قوله تعالى « وهم ينهون عنه ويننون عنه » أنها نزلت في فضل أبي طالب ، وفي سبيل الاشادة بأعماله الخالدة المؤازرة للدين والرسول الأمين ، فأبو طالب هو وحده الذي نذر نفسه العظيمة للذود عن النبي ، ونهى الطغاة وابعادهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وذكر ايضاً بسنده الى عكرمة عن ابن عدي عن هيثم البكاء عن ثابت عن أنس بن مالك أنه قال : مرض ابو طالب فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابو طالب للنبي : يا بن أخي ادع الله الذي بعثك أن يشفيني ويبعفيني . فما كان من الرسول إلا أن رفع يديه الى السماء وقال « اللهم اشف عمي ، اللهم عاف عمي » . فقام ابو طالب على اثر الدعاء وكأنما نشط من عقال ، وصار من وقته وساعته الى مزاوله أعماله الاعتيادية وكأنه لم يطرأ عليه اي مرض او ألم .

وقال ابن حجر : قال ابن عساكر : إن ابا طالب قد أسلم وآمن بالبعثة والرسالة . وذكر ابن حجر عن مسند ابن حنبل عن حبة العرفي انه قال : رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقد ضحك من على المنبر حتى بدت نواجذه ، ثم قال عليه السلام : إني تذكرت قول أبي طالب وقد ظهر علينا وانا أصلي مع رسول الله في نخل كان خارج مكة ، فانظرنا حتى اذا فرغنا فقال لنسا : ماذا تصنعان يا ولدي ؟ فأجابته رسول الله صلى الله عليه وسلم : نصلي لربنا يا عم ، ثم دعاه الى الاسلام فقال ابو طالب :

ما بالذي تقوله يا بن أخي من بأس .

وقال ابن حجر : ذكر البخاري بطريق طلحة بن يحيى عن موسى ابن طلحة عن عقيل بن أبي طالب أنه قال : جاءت قريش الى أبي طالب فقالت : يا أبا طالب إن محمداً قد سب آلهتنا وديننا كما آذانا واستهان بكرامتنا ومقدساتنا ، فإما ان تنهأ وتكف عنا وإما ان تخلي بيننا وبينه . فالتفت عم رسول الله الى وقال : يا عقيل جئني بمحمد ، فلم يسعني الا الإمثال ، فأسرعت الى الفحص عنه فوجدته فأثبت به الى عمه ، وبعد ان استقر به المجلس كلمه ابو طالب بخضوع ورفق ، وكان من جملة حديثه : اي مجد ان بني عمك هؤلاء يزعمون انك تؤذيهم وتعرض لمقدساتهم وتسب آلهتهم فان كان ما يزعمونه صحيحاً خفف وطأئك عليهم ، وحينذاك يفتض رسول الله على القوم قائلاً : يا قوم أترون هذه الشمس ، فوالله ما انا قادر على ردها . وعند ذلك قال ابو طالب : والله يا قوم ما كذب ابن اخي قط وهو الصادق الأمين .

وذكر ابن حجر بسنده الى أبي قره عن أبي موسى بن عبيدة عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه قال : إن أبا بكر قد جاء بأبيه أبي قحافة الى النبي وهو اعشى يومه عند فتح مكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : هلا تركت الشيخ حتى اتيت به . فقال ابو بكر : إنما اردت يا رسول الله ان يؤجره الله ، فوالذي بعثك بالحق يا رسول الله نبياً لأنا اشد فرحاً باسلام عمك أبي طالب مني بأبي .

وذكر ابن حجر بطريقه الى أبي طالب نفسه انه قال : كنت مع ابن اخي محمد بندي الحجاز إذ عطشت عطشاً شديداً حتى أشرفت منه على الموت ، فرأيت أن لا بد من ان اذكر الأمر الى ابن اخي ولم ارعده شيئاً ، فبينت له حالتي ، ولما نظرتني تألم لحالتي : ثم أهوى على الأرض بعضى كانت

بيده ، فاذا أنا بعين ماء نبت ، فقال محمد : اشرب يا عم ، فشربت حتى ارتويت ، والله يعلم ما رأيت . اطعم . ولا ألد من ذلك الماء .

وذكر ابن حجر عن فوائد الرازي بطريق الوليد بن مسلم عن عبد الله ابن عمر بن الخطاب أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وامي وعمي ابي طالب .

وذكر ابن حجر أن جماعة قد استدلوا على ايمان ابي طالب بهذه الآية « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

اقول : لقد استدل كثير من المفسرين بهذه الآية على ايمان عم النبي الكريم وتدينه : منهم الزمخشري في الكشاف - والرازي في تفسيره ، والسيوطي في الدر المنثور ، والشيعة كلهم ايضاً كذلك .

اذاً كيف ياترى يقول ابن حجر : وان شذمة من الشيعة قد استدلت على ايمان ابي طالب ببنتين نسباً اليه ؟ ! نعوذ بالله من كل شيطان رجيم ، هماز مشاء بنميم .

ونكتفي بهذا القدر مما نقله ابن حجر ، وبه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد .

• • •

ليست نسبة الملمات على الشرك والكفر قد اقتضرت على عم الرسول ابي طالب ، بل تعدوا بها الى ابوي النبي الكريمين .

قال ابن عساكر في تاريخه في ترجمة ابي طالب : وقد أورد البرزنجي الحنفي رسالة قيمة ألفها رداً على مؤلف الشيخ علي القاري الهروي المؤلف الذي ذهب فيه الهروي هذا الى أن ابوي النبي الزكيين ماتا مشركين وهما من اهل النار ، فالسيد البرزنجي ممن ثار لكرامتهما وتهيج مغضباً لمقامهما

العظيم : فانتفض مستبسلا في وجهه الهروي ، فألف ردأ مقدعاً وقوياً أقي به على جميع دلائل الهروي ونسف بقوي حجته واصبل برهانه كل مذكّره ، وزيف جميع محتويات المؤلف ، واثبت بقاطع الدليل وواضح البراهين إيمان السيدين الشريفين والذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما اثبت ايضاً إيمان عمه وحاميه الزعيم ابي طالب .

قال ابن عساكر : وقال البرزنجي : وقد وجدت في سيرة ابن هشام قصيدة ابي طالب اللامية القصيدة التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي منها قوله :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
اقول : هذه القصيدة هي من أشهر شعر أبي طالب ، وهي تحتوي على ما جاوز المائة بيت او جاورها ، كما هي تذكر في أغلب كتب السير والتراجم ، وقد تعرض لأكثرها ابن ابي الحديد في شرح النهج .
وذكر البرزنجي مقطوعتين لأبي طالب لم يذكرهما ابن عساكر كما ذكرهما صاحب الحجة ايضاً ، يقول في الأولى :

ألم ترني من بعدهم همته	بفرقة خير الوالدين كرام
بأحمد لما أن شددت مطيتي	برحل وقد ودعته بسلام
بكي حزنا والعيس قد قلصد بنا	وناوش بالكفين فضل زمام
ذكرت أباه ثم رقرقت دمة	تفيض على الخدين ذات زمام
فقلت له رح راشداً في عمومة	مواسين في البأساء غير لثام
فلما هبطنا ارض بصرى تشرفوا	انا فوق دور ينظرون جام
وجاء بحير بعد ذلك حاسراً	لنا بشراب طيب وطعام
فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا	كثير عليه اليوم غير حرام

فأما رآه مقبلاً نحو داره
 حتى رأسه شبه السجود وضمه
 وأقبل رهط يطلبون الذي رأى
 فذلك من أعلامه وبيانه
 فتأروا إليهم خشية لعراهم
 دريس وهمام وقد كان فيهم
 فجاءوا وقد هموا بقتل محمد
 بتأويله التوراة حتى تيقنوا
 اتبعون قتلاً للنبي محمد
 ويقول في الثانية وقد ذكرها أيضاً البيهقي في خصائصه ص ٢٨٥ :
 فأرجعوا عن مجد حتى رأوا
 وحتى رأوا أحبار كل مدينة
 زبراً وتاماً وقد كان شاهداً
 فقال لهم قولوا بحير وايقنوا
 كما قال للرهط الذين تهودوا
 فقال ولم يترك له النصيح رده
 فاني أخاف عليه الحاسدين وأنه
 له أيضاً يندد بأبي جهل ويعرض بأعماله العدوانية التي يقوم بها مع

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما يتعرض لمصير أبي جهل المرتقب ،
 المصير المهان الأسود :

صدق ابن آمنة النبي محمد
 ان ابن آمنة النبي محمد
 فأربع أبا جهل على ظلع فما
 فتميزوا غيظاً به ونفطعوا
 سيقوم بالحق الجلي ويصدع
 زالت جدودك تستخف وتظلم

سترى بعينك أن رايت قتاله وحروبه من أمره ما تسمع
أقول : وهذه نظرة من عم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مستقبل
إبي جهل وما يلاقيه من الذل والامتهان والحقارة والخسران المبين ، وهذه
النظرة والقراءة إن دلت على شيء فهي إنما تدل على أنها نظرة إيمان وقراءة انغمار
بنور الله عز وجل ، وقد قيل « المؤمن ينظر بنور الله » لذا كانت نظرة عم
النبي وقراءته قد أصابت الواقع وحكت عن الحقيقة ، وبالتالي كان الأمر
كما تكهن وقرأ ، فقتل أبو جهل أشر قتلة ومات أخزى ميتة ، ووطأه
المسلمون بالأحذية ، وذهب إلى جهنم وساءت مصيراً .

ابو طالب في نظر الاسكافي

الاسكافي هذا علم من الأعلام ، وبطل العلم والأدب والتاريخ ، كما هو من أعظم العباقرة والمفكرين ، له مقامه الكريم ومكانته السامية الرفيعة في الأوساط الاسلامية بكل فرقها وطوائفها ولاسيما عند المعزلة . وقد ذكر له التاريخ آراء تاريخية سديدة ، وتحقيقات علمية رشيدة ، ونظرات موفقة ترى الانسان واقع الأشياء وتوقفه على حقائق الأحداث .

ذكر بعض آرائه وتحقيقاته تلميذه الفذ عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح النهج ، وكان من جملة ما ذكره الرد الموفق والمفوق ، الرد الذي زيف فيه رسالة الجاحظ المؤلفة لغاية إثبات أن مبيت أبي بكر مع النبي صلى الله عليه وآله بالغار أفضل من مبيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على فراش النبي ليلة خروجه من مكة ، فليراجع المجلد الثالث ليعرف وزن الرد وقيمته العلمية ، كما يتضح أن موقف الامام علي وقصة منامه على فراش النبي لا يضاهيه اي موقف آخر ، ولا يقاس به اي مقام آخر .

فالامام بات على فراش الرسول واقياً بروحه ، وهو يرى الأسود نزار وتزجر ، ويلاحظ لمعان السيوف من وراء شقوق الباب ، فهو يرتقب الهجوم عليه لحظة بعد لحظة ، واذا ما كان ذلك قطعوه ارباً ارباً ومثلوا به أفضع مثلاً ، وعليه ابن هذا الموقف من موقف من كان بصحبة رسول الله وقد استظل بظله واحتمى بحماه وستر عن الأبصار كرامة له ؟ !

وأياً كان الأمر المهم تعريف ما كان عليه الاسكافي من المنزلة العلمية والقدرة التاريخية والأدبية ، وكان من جملة آرائه وتحقيقاته موقفه المشرف

من عم الرسول الزعيم ابي طالب رضي الله عنه ، الموقف الكريم الذي أبان فيه للأجيال ما لشخصيته الفذة من إيمان عميق ، وإخلاص صادق أصيل لله عز وجل ، وتقان ودفاع ومحاماة في سبيل رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم الذود عن حياض الاسلام والذب عن المسلمين ، فكان مما قاله فيه - كما نقله عنه تلميذه ابن ابي الحديد في الجزء الثالث من شرح النهج - أن من قرأ علوم السير والتاريخ عرف ان الاسلام لولا ابو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً . أقول : إن الامر كان حقيقة كذلك لا يشوبه نوع من المبالغة والغلو ، ولا يخالطه شيء من الحجالة والماراة ، فأبو طالب لو لم يلزم النبي ذاك الالتزام المنقطع النظير ويحميه من كيد العدو ثم يعضده ويسنده ويصدقه ويؤازره لنقضت المؤامرات الكافرة عليه ، فيحفظه له ومحاماته عنه حفظ الاسلام ، فقام عموده واخضر عوده واينع ثمره وانتشرت اعلامه ومعالمه ، فكان الأمر كما حققه الاسكافي وارتآه .

ولم يكن غريباً ولا كثيراً على العارفين الواعين أن يقرأوا الواقع ويتوسموا الأحداث كما هي ، ويقولوا الحق لا يبتغون عنه بدلا ولا يتخذون عنه حولا ، كل الغاية من وراء ذلك نشر الحقائق والاعلان عن الواقع مهما كانت العقبات المضادة كأداء ، فهم يرون أنها لاتصمد أمام الحق ، كما لا يمكن أن تقف في وجه المعلومات التي تحققوها وجاسوا خلالها .

أما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . لذا ارسل الاسكافي كلمته الطيبة - الكلمة التي اسر الله فيها كما اسر رسوله صلى الله عليه وآله - وتبعه على هذه الشكرة وسايره على الرأي تلميذه وخريج مدرسته عبد الحميد بن ابي الحديد فقال :

ولولا ابو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب خاض الحاما

وقال ايضاً : لولا ابو طالب لما قام للاسلام عمود ، ولما اخضر له عود ، وإن حقه واجب على المسلمين كافة الى يوم القيامة .

اقول : ولا بد ان يكون ابو طالب صاحب ذلك الجهاد وهاتيك الجهود وتلك الخدمات والتضحيات والحماية والرعاية منبعضا عن ايمانه بالله فجاهد في سبيله ، وناشئاً عن تصديقه رسول الله فحماه وفداه بنفسه واولاده .

ولعلنا لانغالي اذا قلنا : إن عم الرسول أبي طالب كان يعتقد ببعثته صلى الله عليه وآله من قبل أن يتنبأ ومن قبل أن يأتيه الوحي من ربه ، وعلى ذلك وثائق ومستندات تاريخية متوفرة : منها ما نقله الحجة الأميني في غديره ٩٩/٣ نقلا عن الراوندي في كتابه الخرائج بطريقه الى فاطمة بنت أسد أنها قالت : لما توفي جد رسول الله صلى الله عليه وآله عبد المطلب رضوان الله عليه كان وصيه ولده الكبير أبا طالب ، وقد اوصاه بوصايا كثيرة واكثر ايصاءه بمحمد بن عبد الله ، فقام ابر طالب بجميع الوصايا ولا سيما ما يرجع منها الى محمد ، فاحتضنه وكفاه وأولاه عنايته وصار عنده اعز من بنيه جعفر وعقيل وعلي ، ثم أنا بدوري لزمته خدمته وتوليت تدبير شؤونه ، وكان من جملة ما اقوم له به ومما عودته عليه أن التقط له من نخلات في دارنا حفنة من الرطب في كل يوم ، فنسيت ذات يوم أن التقط ، وبعد أن تنبّهت الى اني لم أحضر العادة لمحمد أسرع الى ذلك ، فتبين لي أن أطفال الجيران قد دخلوا الدار والتقطوا من الرطب ما كان موجوداً ، فتأملت من نفسي فوضعت كمي على وجهي ونمت خجلة من مجد ، ثم انتبه من النوم وصرت ارقبه ، ولما لم يجد عادته قام بنفسه الى النخلات فخاطب واحدة منهن : أيتها النخلة انا جائع ، فوالله لقد رأيت النخلة وقد انحنت وتدلّت عليه اغصانها ، فأكل منها كفايته وارتفعت الأغصان ، فتعجبت للحادث وبقيت انتظر أبا طالب إذ هو كان غائبا لأحكي له القصة واطلعه

على القضية والكرامة التي منحها الله ابننا محمداً ، فبينما أنا كذلك اذ دخل علي ابوطالب ، فوجدني مندهاة في وجوم ، فسألني عن الوضع والمقتضي ، فنقلت له ما شاهدته وما رأيته من ابن أخيه ، فقال لي : يا فاطمة لاتعجبي ولا تستكبري الأمر من محمد ، فانه نبي هذه الأمة ، والنبي يا فاطمة لاترد له دعوة كما لاتزوى دونه حاجة يطلبها من الله عز وجل ، أما انك ستلدين له وزيراً بعد يأس .

قال الراوندي : وقد ولدت علياً كذلك .

اقول : لم يكن ذكر هذه القضية ومنطوياتها مقصوراً على خصوص الخرائج ، بل ذكرها جمع من أرباب السير كالخلي في سيرته وابن هشام في سيرته وزيني دحلان في أسنى المطالب والقاضي النقدي في المواهب .

ابو طالب في نظر ابن أبي الحديد

وابن أبي الحديد هو عبد الحميد المعتزلي من أفاضل العلماء والعلماء والأفاضل ، هو مؤرخ قدير وأديب شهير ، له في كل فن من العلم اليد الطولي والكفاءة البينة ، ومن استقرأ شرحه على نهج البلاغة عرف مدى مقدرته العلمية والفنية ، وسعة اطلاعه وتضلعه في الأدب والتاريخ والفلك والفلسفة وغير ذلك من أنواع المعارف . كما وهو تلميذ النقيب أبي جعفر الاسكافي المعتزلي ، وحيث وصل بنا الحديث الى هنا وجدني مندفعاً الى إعطاء صور موجزة عن المعتزلة والاعتزال ، فأقول :

اطلق الاعتزال على جماعة قد اعتزلوا حروب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في الجمل وصفين والنهرwan ، وكان ممن اعتزل وصار معتزلياً بهذا المعنى سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب واسامة بن زيد وكثير من أمثالهم .

أما الاعتزال الذي كان عند الاسكافي والحديدي وجمع غفير من بغداديين وبصريين لم يكن من ذلك النوع الذي يؤدي الى اعتزال حروب الامام الثلاثة ، لأن الاعتزال كفكرة ومبدأ إنما كان في الزمن العباسي ، وقد حدث أيام خلافة المنصور الدوانيقي يوم كان الحسن البصري هو المدرس العام في بغداد ، وكان البصري ينتمي بدراسته وفقهه الى أبي موسى الأشعري ، وكان من جملة تلاميذه البارزين عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء ، واتفق أن حصلت مشادة كلامية بين واصل واستاذه البصري اثناء الدرس ادت الى ثورة الاستاذ وغضبه ، كما ادت الى خروج واصل عن حدود الأدب

مع استاذة ، الأمر الذي أدى به أن يبعد واصلاً عن الدرس ، فكان مما قال له : اعتزل درسنا ومجالسنا ، فاعتزل واصل واستقل ، وكون على الأثر لنفسه حافلة دراسية وحوزة علمية ، فاجتمع عليه خلق كثير وتزداد على درسه جمع غفير وأصبحوا يعرفون بالمعتزلة ، كما صار الحسن البصري وجماعته يعرفون بالأشاعرة .

وقد حدث بين الطائفتين خلاف عقائدي كبير ، حتى أدى الأمر بكل من الفرقتين أن ترمي الأخرى بالخروج من الدين وتنبئها بالتعدي على حدود الشريعة .

وعلى كل حال ليس المهم في المقام الاثنان على آخر ما هناك من موارد الخلاف والنقاش ، اذ هي كثيرة ، ولكن رأينا من الضروري أن نتعرض لأهم الاسس التي دارت عليه رضى القيل والقال والخصام والجدال ، وهو نكران الاشاعرة للحسن والقبح العقليين المؤدى الى تعطيل المستلزمات العقلية ، وعزل العقل عن كل مدركاته واستشعاراته ، وقصر الحكم والتدخل بشؤون الخلق على الشرع وحده ، فلا حكم إلا له ولا أمر إلا له ، فله الأمر من قبل ومن بعد ، فالحسن عندهم ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه .

وبمقتضى هذا اذا صدر من الشرع أمر بادخال مثل ابي ذر وسلمان الى النار ويزيد وابليس الى الجنة كان حسناً وطيباً ، لأن الحسن ما حسنه والقبيح ما قبحه والعقل قد احيل على التقاعد ، فلا يضع ولا يرفع ولا يعطي ولا يمنع ، الأمر الذي أدى بالمعتزلة ان يصلوا ويجولوا ويرعدوا وبرقوا ، كما أجمعوا على تزيف هذه الفكرة وتسخيفها وأنها بالكفر أشبه ، لذا حاولوا جاهدين اثبات مستقلات العقل ومستلزماته بالأدلة القطعية الرامية الى أن للعقل تمام الحرية ، ولا يمكن أن يعطل عن وظيفته المقررة له ، فهو يحكم بقبح الظلم والكذب والخيانة كما يحكم بحسن الصدق والاحسان ووجوب اداء

اداء الامانة ، وهو والشرع دائماً وأبداً متساندان متعاضان ، ولا يمكن ان يكون بينهما اي انفكالك ابدأ .

والعقل يحكم بثبوت الحكمة والعدل بالنسبة الى الله عز وجل ، فهو لا يرفع ولا يضع ولا يعطي ولا يمنع ولا يثيب ولا يعاقب إلا بمقتضى الحكمة والمصلحة ، كما لا يكلف الا بما يطاق ولا يأمر الا بالممكن ولا يثيب الا من يستحق الثواب ولا يعاقب الا من يستحق العقاب ، فلا يعقل اذاً في حقه تعالى أن يشتهي إدخال المؤمنين النار والشياطين الى الجنة ، لأن ذلك خلاف الحكمة والعدل ، وخلاف مقتضى الربوبية ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ومن هنا سميت المعتزلة - بالعدلية ، كما سميت الامامية أيضاً كذلك ، لتوافق الطائفتين على تحكيم العقل واثبات الحكمة والعدل بالنسبة الى الله سبحانه . وعليه ربما يتكرر في الكتب النقل عن العدلية ، فهم الامامية والمعتزلة أما الاعتزال بالمعنى الأول الذي يحكى عن قعود الجماعة وتأخيرهم عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في حروبه لم يكن اعتزالاً كفكرة عقائدية ، بل هو انحراف عن الخليفة الحق وقعود عن الامام المفترض الطاعة باجماع المسلمين ، فاطلاق الاعتزال على اولئك لالمعنى له ، بل غير معروف في ذلك الدور .

* * *

واذا اتضح ذلك فابن ابي الحديد معتزلي حقيقي ومعتزلي واقعي ، يعتقد بأن الله تعالى حكيم وعادل ، ومقتضى ذلك أنه عز وجل لا يفعل القبيح ولا يقرب من أي شيء يناهى العدل ويحاف الحكمة .

ولكننا وجدناه وقد خرج على عقيدته وفر عن مبدأه ، كما تنكر لها وضرب بهما عرض الجدار ، فجاء في مستهل كلامه وبعد البسملة فلا فصل فقال « الحمد لله الذي قدم المفضل على الفاضل » وهو يعني بالمفضل

ابا بكر وبالفاضل الامام علي بن ابي طالب ، والحوال أن تقديم المفضل
على الفاضل قبيح عند المعتزلة فضلا عن الامامية ، كما هو مستحيل الصدور
عن الرب الحكيم لمنافاته لئلاسته وحكمته وعدالته :

ولست ادري - ولعل ابن ابي الحديد نفسه لا يدري أيضاً - كيف
استساغ أن يحمده الله على ذلك العمل الذي يأباه العقل وينفر منه الحكماء
والعقلاء ، وكأنه يعتبره نعمة لازمة الحمد والشكر .

نعم يمكن ان يكون قد تابع الاشاعرة وقلدهم في هذه المسألة بالخصوص ،
ولكن كان اللازم عليه أن يشير ولو من بعيد الى تقليده هذا وتبعيته تلك -
راجع شرح النهج الجزء الاول .

ونجده مرة ثانية وقد اعرض ونأجابه عن طريقة اشياخه واساتذته
المعتزلة ، وقد توقف عن البت بإيمان عم النبي العظيم ابي طالب ، وهاهو
يذكر في شرح النهج ٣ / ١٣٧ بعد ان يسرد كثيراً من الروايات عن آل
البيت النبوي ، الروايات الناصية على إيمانه وتدبته رضوان الله عليه ثم يقول :
فأما أنا فالحال ملتبسة علي والأخبار متعارضة عندي ، والله اعلم بحقيقة الحال .
الى ان يقول : وقد صنف بعض الطالبيين كتاباً في هذا العصر فبعثه
الي يسألني أن اكتب عليه بخطي نظماً أو نثراً أشهد فيه بصحة ما نقله واعترف
له بوثاقته متناً وسنداً ، فتخرجت ان احكم قاطعاً ، لما عندي فيه من التوقف
ولكني لم استجز أن اقعده عن تعظيم ابي طالب ، فلاني اعلم انه لولاه لما
قامت للإسلام دعامة ، واعلم ان حقه واجب على المسلمين عامة الى يوم القيامة
والى ان تقوم الساعة ، فكتبت على ظهر المؤلف :

ولولا ابو طالب وابنه
الى أن يقول :

وما ضر محمد ابي طالب
جهول لغى او بصير تعامى

ثم قال : فوفيته حقه من التعظيم والإجلال ، ولم أكن اجزم بأمر عندي فيه وقفة .

* * *

اقول : التفكير والتدبر في نثر ابن أبي الحديد هذا ونظمه يعطيان التناقض في الأقوال والتضارب في الكلام :

فمرة نجده من المكبرين لمقام عم النبي الأمين ، ومن القائلين بوجوب حقه على المسامحين الى يوم الدين ، وان الدين والاسلام لولا أبو طالب لما قامت لهما دعامة ، كما عرض بمن يتعامى عن حقه ويتغافل عن خدماته لله والرسول صلى الله عليه وآله .

ونجده مرة أخرى يتوقف من البت بإيمانه رضي الله عليه ، يتعامى عن الحق الذي أوجب عليه على كافة المسلمين ، في حال ان القول بإيمانه بعد قيام الأدلة التي ذكرها آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً موافق للاحتياط ، فكان اللازم عليه أن لا يتوقف في ذلك بعد شهادة الأئمة البررة ، وان لا يقدم على شهادتهم وادلتهم دعوى المغيرة بن شعبة وأقوابله الباطلة العدائية ، وهو من جماعة الناقلين والمسجلين لما كان عليه المغيرة من المخازي والمناكير ، خصوصاً في الزمن الاسلامي الكريم ، ولقد نقل لنا هو وغيره اختلاف المغيرة على الفواحش ، وقد شهد عليه المسامحون بالزنى ، ولولا انه كان يعد من الصحابة وانه شيخ كبير وأن قضية إقامة الحد عليه ربما تكون سبباً للشهير بالصحابة ومدعاة للتعريض بكرامة المسامحين ، لذا حاول الخليفة عمر درء الحد عنه بكل صورة بالنظر الى تلك الأمور ، فغلق الموضوع وسد الحديث ، فجلد الشهود ثلثاً لتوسع القضية . . ومن كان هذا حاله كيف تقدم روايته على رواية من تزعمهم الله عن كل شيء ، وطهرهم القرآن من الدنس والرجس تطهيراً .

ثم اذا كان ابو طالب في بعض شعر ابن ابي الحديد هو الفاتح للهدى والاسلام ، ولولاه لم تقم للاسلام دعامة ، وان حقه واجب على المسلمين بصورة عامة الى يوم القيامة ، فكيف يمكن لأبي طالب أن لا يدين بالاسلام الذي فتحه وأيده وبذل في سبيل ارساء قواعده النفس والنفائس . وقد برهنت الوقائع والأحداث التاريخية انه رضي الله عنه حارب الشرك ، وقاوم الكفر والوثنية ، وحطم الأصنام ، واستهان بكل من يقدسها ويعظمها من الجاهلاء والطفلة المردة . . . أفلا يكون بعض هذا مقنعاً لابن ابي الحديد ومن مشى في ركبته أن يقولوا بإيمانه ، لا أن يخطأوا ويتوقفوا فيه ويستشكوا من الحكم عليه بالتدين والايمان .

ثم اذا كان عم النبي الكريم غير منحقق ايمانه عند ابن ابي الحديد وجماعته كيف جاز له أن يحكم بوجود حقه على المجموعة الاسلامية الى قيام يوم الدين ، أهمل كان يتصور أن هذا كان تقديراً للمسلمين وتوقيراً لمقامهم الرفيع ، والحال انه توهين لهم وحط من كرامتهم ، لانه أوجب عليهم تقديس المشركين والاعتراف بحقوقهم وفضلهم مدى الدهر وابد الآبدن ، والى ان يقوم الناس لرب العالمين .

وهذا القرآن الكريم يصرح ناهياً عن الاشادة بذكر الكفار ، ونفى ابدأ عن ان يكون لهم حق على المؤمنين والمسلمين « ما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » . ومن هنا حكم الاسلام بانقطاع عصمة الزوجية بين الزوجة المسلمة والزوج الكافر ، كل ذلك لئلا يكون للكافرين على المؤمنين سبيل وحق ، ولذلك فقط فرق رسول الله صلى الله عليه وآله بين بنته زينب وزوجها ابي وقاص الكافر المشرك .

إذاً كيف ياترى يوجب ابن ابي الحديد حق المشركين على عامة المسلمين الى الأبد ، وهل هذا منه الا المخالفة الصريحة للنصوص الاسلامية .

ثم اذا كان المتعامي والمتغافل عن حق ابي طالب وفضله هو متعامي عن الحق ومعاند للعدل — على حسب مؤدى قوله — يكون المعنى والمفاد الحكم على عامة المشككين بالتقصير وترك الواجب ، واذا كان ذلك عن اصرار فللقول بأنه الكفر بمجمله الواسع .

وابن ابي الحديد بالذات هو واحد من اولئك المتوقفين المشككين ، والحال أنه هو نفسه قد روى لنا عن ابن عباس أنه قال : ان مثل عمي ابي طالب مثل امحاب الكهف أسر الإيمان فأثاء الله أجره مرتين ، كما وهو الذي روى أن بغض ابي طالب كفر ونفساق . كما وهو الذي حكى أن المعتزلة قالت بايمان ابي طالب — فإننا لله وإنا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال الحلي في سيرته ١ / ٩٤ : روى الشيخ السحيمي والشعراني والسبكي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : قال العباس بن عبد المطلب حين رآه يحرك شفتيه عند الموت وساعة الاحتضار ، فأدنى اليه رأسه لسمع مايقول ، ثم رفع رأسه وقال يخاطب النبي : يا بن اخي إن عمك قد قال الكلمة التي اردتها منه . فقال رسول الله : الحمد لله .

ثم قال الشعراني : وقد صح هذا الحديث عند اهل الكشف والشهود ، كما صح عندهم إيمان عم النبي وتدينه .

وقال السيد زيني دحلان في اسنى المطالب : إن عم النبي ابا طالب قد عد من الرواة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه باسناده الى الإمام الباقر عن آبائه عن علي عن ابي طالب أنه قال : حدثني ابن اخي محمد : أن الله بعثه بصلة الرحم ، واقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وهو والله كان صادقاً صدوقاً .

وكان ابو طالب دائماً وأبداً يشيد بذوة رسول الله ، كما تفانى في الذب عنها .

قال السيد ابن معد في الحجة والقاضي النقدي في المواهب : أن ابا طالب قال هذه الأبيات :

ألا يارسول الله انك صادق فبوركت مهدياً وبوركت هادي
شرعت لنا الدين الحنيفي بعدما نرى عبد الناس الحمير طواعيا
فياخير مدعو وباخير مرسل الى جننا والانس لبنيك داعيا
أتيت ببرهان من الله واضح فأصبحت فينا صادق الوعد راعيا
فبوركت في الاحوال حياً وميتاً وبوركت مولوداً وبوركت ناشيا

ويحدث الفضل بن شاذان في منساقه أن من جملة مواقف عم النبي العظيم الزعيم ابي طالب موقفه البطولي الكريم ، الموقف الذي ذكره ابن إسحق عن كثير بن عامر ، وذلك على اثر مجيء راكب الى الأبطح ومعه سبعة نوق محملة مثقاله بمقاش الحرير والديباج والذهب والفضة وبعض الأحجار الكريمة ، وعلى كل ناقة عبد أسود ، والكل يطلبون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان الراكب المتقدم عليه مهابة وجلالة ، كما تبين مؤخراً أنه وصي أبيه وقد جاء بهذه النوق واحمالها والعبيد باعتبار انها ثالث أبيه الذي أوصاه بإبصارها الى النبي صلى الله عليه وآله ، فصادف أن مر الراكب على جماعة من رؤساء قريش وزعمائها ، وكان من جملتهم ابو جهل وابو البحتري ، فقام الأخير في وجوهمهم وقال : لأي مكان تقصدون ؟ قالوا : نقصد رسول الله محمداً . قال ابو البحتري : هذا محمد - وأوماً الى ابي جهل - فنظره الغلام المتقدم ملياً : ثم ساق النوق مسرعاً وقال : ماهو بصاحبي .

ثم أوقف الجمال بمكان وصار بنفسه فقط يدور في أزقة مكة حذراً من أن يسأل عن النبي فيأتيه غيره مدعياً أنه هو ، ومن الصدف ان قابل رسول الله وجهاً لوجه في بعض الطريق ، وبمجرد ان تفرس في وجهه تحقق أنه هو رسول الله ، فنزل من على بعيره وأهوى على يديه ورجليه لثماً وتقبيلاً ،

ولإذا به صلى الله عليه وآله يقول : انت ناجي بن المنذر السكاك ؟ قال : نعم فذاك ابي وامى يارسول الله . قال النبي : اين ثلث ابيك المتكون من سبعة نوق حممة وسبعة عبيد ؟ فقال : بالقرب منا يارسول الله ، اسمح لي قليلا الآن آتيك بها .

ثم ذهب مسرعاً فقاد الجمال وجاء مع النبي الى دار عمه ابي طالب ، أما ابو جهل فلما تحقق وصول الجمال الى رسول الله ثارت ثائثرته وقامت قيامته ودعى بالويل والثبور ، وقد اظلمت الدنيا في عينه وصار الى إلهاجة قريش وإثارتهم شارحاً لهم أن اموالاً ضخمة وثروة طائلة نذرها بعض الناس الى أصنام الكعبة وقد استولى عليها محمد واوصلها الى دار عمه ابي طالب ، وعليه يلزم الجميع باشتراك اليهود أن ينضموا الى قيادته ليستخلصوا الأموال من محمد ، وإلا وضع السيف في صدره وانتحر .

وحينئذ ما كان من القوم إلا ان يوافقوه ويقوموا معه الى دار ابي طالب ، ولما قربوا من الدار الهاشمية وسمع ابو طالب ضجيج القوم وصهيل الخيل عرف مغزى مجيء القوم ، خرج ومعه بعض أسود بني هاشم ، فاستقبل ابا جهل وقال : ماتريد وما وراءك يا ابا جهل ؟ فقال : إن ابن أخيك محمد جنى علينا وخان الآلهة الخيانة العظمى ، يهون لقريش أن تسفك في سبيلها الدماء وتزهق الأرواح وتسبي الذراري والنساء .

قال ابو طالب : انت أقل وأدنى من أن تصل الى ذلك ، ولكن عرفني ما الخبر .

قال ابو جهل : إن محمداً قد استولى على نذر وصل للكعبة بما فيها من أصنام ، فلا بد من تسليمه لنا لنعمل فيه رأينا .

فقال ابو طالب : قف مكانك ولا تتكلم حتى اجتمع بمحمد واقف على تفاصيل القضية ثم آتيك برأيه .

فدخل على النبي صلى الله عليه وآله وأوقفه على إرادة أبي جهل ودعواه وصار ينتظر أمره ورأبه إذ تكلم رسول الله فقال : يا عم ان الأموال ثلث ميت. أوصى أن تصل الي وقد وصلت فعلا وجاء بها ابن الميت ، فهي لي خاصة لا يشاركني فيها أي أحد ، كما ليس لأي انسان فيها حق ، ولكن أبا جهل لا يقنع بذلك يا عم ، وعليه اتفق معه على يوم للمباهلة فنخرج نحن وهم الى قريب من الكعبة ونخرج معنا الجمال فيتقدم أبو جهل الى مقدساته يسألنا أن تكلمه النوق بأي كلام والى سبع مرات ، فان كلمته فهي له وليس لي حق الاعتراض عليه بأي لون من ألوان الاعتراض ، وإن أيس من كلامها أتقدم أنا فأسأل ربي أن تكلمني ، فإن كلمتني فهي لي وليس لأحد فيها حق وان لم تكلمني فهي لأبي جهل أيضاً وليس لي فيها حق .

قال ابو طالب : هذا هو الرأي السديد والحل الوحيد ، فأسرع الى أبي جهل فأفهمه نظرية رسول الله صلى الله عليه وآله ، وان لاحل للمشكلة إلا ذلك ، فلم يسمعه إلا الموافقة والرضا ، وتفرقوا على ذلك .

وصار أبو جهل يقضي جل أوقاته واكثر جلساته عند هبل شيخ الآلهة وكبير المعبودات ، وهو يخضع له ويتوسل به ويطلب اليه أن لا يشمت به الرجال والنساء ، فينصره على محمد ويخضع له الجمال لتكلمه . ولم يزل على هذا الحال الى أن حانت الليلة التي تكون في صبيحتها المباهلة ، بات أبو جهل عند هبل باكباً متضرعاً بمنه إن هو قد انتصر على محمد وظفر بالأموال ليضع عليه قبة من الذهب وخامخالين من الذهب وتاجاً مرصعاً بالاحجار الكريمة وقلادة من الباقوت الاحمر .

ولما صار الفجر وقرب طلوع الشمس ارسل الى شياطينه ليحضروا المباهلة ، فجاءوه بهرعون . ثم حضر النبي ويخدمته عمه ابو طالب والهاشميون ، وجيء بالجمال فأوقفت في جانب ، وبعد ان أخذ كل من الطرفين مكانه

التفت رسول الله صلى الله عليه وآله الى عمه وقال : قل لأبي جهل أن يكلم النوق ، فتقدم اليها وكأما أراد وحاول منها ذلك ماتسنى له ما أراد حتى عجز وكل . فقال ابو طالب للنبي : قم يا محمد كلم النوق ، قام رسول الله صلى الله عليه وآله ووقف في مقابها ، وبمجرد أن نظرتة كلمته وسامت عليه من قبل أن يكلمها ويحدثها ، وأخيراً كلمها وكلمته بكل لباقة وطلاقة ، وانتهت القصة في صالح رسول الله صلى الله عليه وآله .

وعند ذلك أمر ابو طالب فتيان بني هاشم أن يسوقوا النوق الى الدار ، أما ابو جهل فقد صار اضحوكة بين الناس وسخرية للنساء والأطفال ، ورأى أن يتذرع برمي النبي بالسكر والشعوذة ، وعلم ابو طالب بذلك فصدده وزجره وأوقفه عند حده ، وعاد ابو طالب برسول الله صلى الله عليه وآله موفور الكرامة ظافراً منتصراً بعون الله عز وجل ومعونة عمه الكريم .

ونقل الفضل في المناقب والقاضي في المواهب بسندهما عن المفضل بن عمر انه قال : ومن مواقف ابي طالب المؤمنة ما قد سمعته عن صادق آل البيت جعفر بن محمد عليه السلام ، وكان يحدث أصحابه أنه لما ولد رسول الله صلى الله عليه وآله كانت جدتي فاطمة بنت أسد حاضرة حين ولادته ، إذ كشف لها عن بصرها فرأت بياض قصور الشام وفارس ، فتعجبت لذلك ثم بعد أن وصلت الى دارها اخبرت بما شاهدت وما رأت ابا طالب ، فقال لها ابو طالب : لاتعجبي يا فاطمة من الأمر ، إن محمداً نبي هذه الأمة ، وستلدين وصيه ووزيره .

وفي نفس الصفحة كما هو موجود في معاني الأخبار بسندهما الى الدقاق عن الكايني عن الحسن بن محمد عن محمد بن يحيى القارسي عن ابي حنيفة محمد بن يحيى عن الوليد بن ابان عن محمد بن مسكان عن أبيه عن الامام الصادق عليه السلام انه قال : جاءت فاطمة بنت أسد - وكانت حاضرة

حين ولد رسول الله صلى الله عليه وآله - ثم اقبلت تبشرا أبا طالب بمولود ابن أخيه ، فقال لها : وانا ابشرك ببشارة يافاطمة ، فانتظري سبئاً ستلدين مثله الا النبوة . وكان السبت آنذاك ثلاثين سنة ، فعد بين حديث ابي طالب هذا وولادة علي فكان ثلاثون سنة لا تزيد ولا تنقص .

وقال مفتي الشوافع زيني دحلان في اسنى المطالب : إن وصية ابي طالب هي من جملة مواقفه المؤمنة الخيرة .

وقال المجلسي في البحار : وان من جملة مواقف ابي طالب الخيرة والمؤيدة لإيمانه قوله لفاطمة بنت أسد زوجته : اخبرني عن محمد ساعة ولادته أنه سقط معتمداً على يده اليمنى يصعد منه نور الى السماء وهو يقول « لا إله إلا الله » . قالت : نعم حدثك عن مشاهدة وحس . فقال لها : اكتمى الأمر ولا تخبري به أحداً ، فإني اخاف عليه عيون الحاسدين والمالكين من اليهود الأرجاس والشياطين من العرب ، أما انك ستلدين مولوداً ذكراً يكون له وصياً ووزيراً ، فانتظري سبئاً - والسبت ثلاثون سنة - وأخيراً كان الأمر كما اخبر وكما حدث ، فولدت علياً بعد هذا الإخبار بثلاثين سنة بعد رأس . وقال صاحب درر البحار نور الدين محمداً بن المرتضى والقاضي النقدي

في مواهبه : وان من مؤيدات إيمان عم النبي الزعيم ابي طالب رضوان الله عليه حضوره لقضاء حوائج النبي صلى الله عليه وآله واستعداده لكل متطلباته ورغباته بكل صورة وعلى كل حال ، ومن ذلك ان اتفق لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يخرج ذات يوم الى خارج مكة للتروح والانفراد بنفسه ، وبعد أن قضى المدة التي كان قد قرر أن يقضيها هناك كر راجعاً الى المنزل ، فر في طريقه على نادي بني تميم ، وكان مناديهم يهتف بالناس بين شعاب مكة وضواحيها : ألا من اراد القرى والضيافة فليحضر المأدبة والوليمة المقامة من قبل بني تميم على شرف رئيسهم عبد الله بن جذعان . فأخذ

الناس يتهافون زرافات ووحداً على النادي ، ولما مر عليهم رسول الله قام اليه عبد الله وجماعة من زعماء بني تميم فاستقبلوه وساموا عليه وعرضوا عليه حضور الوليمة ، فامتنع عن الأجابة معتلاً بترقب عمه ابي طالب له وانتظاره إياه ، واخيراً أقسموا عليه برب البيت وشية عبد المطلب ، فما وسعه حين ذاك إلا الإجابة والموافقة ، وبعد تناول الطعام والاستراحة قام ليرجع الى البيت فقام ، الناس كلهم اجمعون اجلالا لخضرته ، فودعوه بما استقبلوه به من الحفاوة والتوقير والتكريم ، بعد ان أخذ منهم كلاماً على أن تكون وليمة عنده وفي بيت عمه الزعيم ابي طالب ، فليحضروا كلهم ولا يتخاف منهم أحد حتى الاتباع والخلفاء .

ثم فارقه وعاد الى أهله ، وبعد أن وصل صلى الله عليه وآله وسلم اخذت القضية تعظم عليه وتكبر في عينه ، ولا سيما أن عمه ابا طالب كان في تلك الظروف لاتساعد حاليه المادية على القيام بتلك المأدبة الخطيرة التي تستلزم جملة من الأسباب والمعدات ، ما ربما يصعب على عمه تهيتها . هذا من جهة ومن جهة اخرى إن الأمر لابلد منه ، لأنه صلى الله عليه وآله قد اعطى كلاماً عليه . ومع هذا وذاك يتعقد الموقف عليه ، كما يكتر عليه التفكير والقلق ، وبينما هو على هذا الحال اذ تستشعر منه زوجة عمه فاطمة بنت أسد القلق والاهتمام ، الأمر الذي ادى بها الى ان تستفهمه عن البواعث والدواعي ، ولم تزل به حتى اوقفها على جليلة الحال ، فقالت مهذئة عليه وفاتحة امامه ابواب الراحة والاطمئنان ، وان الموضوع اقل من أن يكون مثاراً لقلقه ومدعاة لاهتمامه وتفكيره بل هو بسيط للغاية ، ولا سيما وانها تمتلك مقداراً من العسل يقوم بسد كل ففقات الوليمة إن لم يمنع ابو طالب لمكان أنه هو يريد أن يتولى أمرها ، وبينما هما في الحديث اذ دخل عليها ابو طالب فقال : فيما اتما عليه ؟ فأخبرته فاطمة بالقصة واطلعه على تعهد

النبي لبني تميم ، فانتفض ابو طالب الى رسول الله فضمه الى صدره وقبله بين عينيه وصار يهون عليه الأمر ويبسطه عليه ، وان غداً منه قريب فيرى ماتقر به عينه ويسر به خاطره . وتتهياً بعون الله وليمة تتحدث بها الركبان في كل مكان . فاطمأن صلى الله عليه وآله وارتاح نفسياً لفضان عمه ، وصار يرقب الغد الموعود .

أما ابو طالب فقد خرج من الدار مسرعاً الى أخيه العباس ليستدين منه من المال مايسد به نفقات الوليمة ، فاعترضه في الطريق بعض الهاشميين فرآه على غير حالته الطبيعية ، وأخيراً تكاشفا فقال الهاشمي : لاجاجة الى قصد العباس انا اقوم بكل ماتريد ياأبا طالب . فغاب قليلاً ثم عاد فجاء بما يكفي من الذهب والفضة وقال : الوفاء ممدود غير محدود يازعيم مكة .

فشكره ابو طالب وودعه وصار الى إعداد اللوازم والمقتضيات ، وبعد أن كمل كل شيء أمر جملة من المنادين أن ينسأدوا بالناس في أرجاء مكة وضواحيها : ألا من أراد أن يحضر الوليمة التي سيقمها محمد بن عبد الله في دار عمه ابي طالب على شرف عبد الله بن جذعان رئيس بني تميم فليحضر غداً فالدعوة عامة للجميع . فوصل الخبر الى العباس بن عبد المطلب . فتصور أن هذا المطلب سيكلف أخاه مبلغاً ضخماً ، فبادر ليعرض عليه المعاونة والمساهمة فيه ، فاعتذره ابو طالب محتجاً بتأمية الأمر وحضور كافة اللوازم ، ثم اراد العباس من أخيه أن يتلطف عليه بادارة شؤون الوليمة كخصوصية يختص بها وككرامة يكرمه بها ، فأجابه الى ذلك . فنحر العباس الابل والغنم ، ونصب القدور وصنع فاخر الحلوى كما لتون المطبوخات واكثر الشواء ، ثم هيا ابو طالب عرشاً خاصاً للنبي صلى الله عليه وآله وحلاه بالأحجار الكريمة والحريير والديباج ، حتى اذا صار الظهر قريباً وبانت طلائع المدعوين جاء برسول الله فأجلسه على العرش ، فكان كالبدر ليلة تمامه وكاله ،

فشغل الناس نوره الملكوتي ووقاره الآلي حتى صاروا جميعاً لا يفترون عن
النظر الى هيئته وطلعت البهية ، والفرح والسرور باديان على الجميع .
وبعد الفراغ من تناول الطعام قام الشعراء والأدباء يمتدحون رسول الله
وعمه الزعيم ابا طالب ، كما عرجوا على الوليمة الفخمة ، الوليمة التي لم يقفوا
على مثيل لها في دنيا الولايم والمكارم ، كما كانت هي إحدى معالي عم الرسول
العظيم ابي طالب رضوان الله عليه ، وعلى مثلها فقص ماسواها .

ابو طالب واهل الكهف

لقد قيس عم النبي العظيم ابو طالب بأهل الكهف بالنظر الى أن الطرفين كانا يتستران بإيمانها ويتكتمان في عقيدتها وتدينها ، لذا استحقا ان يعطيها الله جزاءهما وأجرهما مرتين وثوابها ضعفين .

وربما قد عضد هذا القياس والتشبيه بعض الروايات التي استندت الى عبد الله بن عباس مرة والى بعض أئمة آل البيت مرة اخرى ، في حال أن ظواهر حال كل من الاثنين تأبى لها أن يكون إيمانها وتدينها على تلك الصورة من الخفاء والسرية التي ينقلها الرواة والمحدثون .

وكيف يكون كذلك في حال انهم نقلوا عن كل من ابي طالب واهل الكهف جملة من المقابلات الموجهة ، وسبباً من الاحتجاج العلني مع ملاحظة العصر ومشركي ازمنتها ؟ ! .

أما الحال بالنسبة الى اهل الكهف فانهم لما كانوا يقلون عن العدو عدداً وعدة فهم محاربون من قبله ومطاردون من ناحيته ، حتى خافوا على أنفسهم بدى لهم أن يفروا بدنيهم وأرواحهم الى حيث لا يدرون ، وما زالوا كذلك حتى ادركتهم رحمة الله عز وجل ، فأخفتهم عن أبصار الكفرة وغيبتهم عن انظار المجرمين الجبابرة . . واخيراً ألمسوا الدخول الى الكهف ، فلبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً .

والقرآن الكريم حين ينقل قصتهم وواقع قضيتهم لا يعطينا اكثر من ذلك ، « نحن نقص عليك نبأهم بالحق أنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى »

وعليه لولم يكونوا متظاهرين بإيمانهم بالله معلنين بملأهم عليه من المبدأ والعقيدة لما كان هناك للكفرة الطغاة سبيل عليهم ابداً ، كما لم يكن هناك موجب لاختفائهم في الكهف كذلك .

• • •

وأما بالنسبة الى إيمان عم النبي الزعيم أبي طالب فهو أبين من الأملس ، واطهر من الشمس ، وأوضح من النهار في اليوم الضاحي . كشف عنه ثمره وشعره للذات ضاقت بهما كتب الحديث وسجلتها له الوقائع والأحداث : ألم تعلموا انا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في محكم الكتب « اخبرني ابن أخي محمد أن الله بعثه بصلوة الرحم ، وان يعبد الله وحده ، وهو عندي الصادق الأمين » .

الى مثأت من هذا اللون من الاقرار والاعترافات التي كان ينتهز بها المجتمعات والأندية غير هياب ولا مكترث .

ولا نجدنا مغالين بالقول حين نقول : إن كل من استقرأ التاريخ وتدبر بامعان مانتقله لشيخ الأبطح من أقوال وأفعال وأثر فعال في تقوية الدين وشد أزر المسلمين ومعاونة الرسول الأمين صلى الله عليه وآله لما خرج منه الا مؤمناً مصداقاً بإسلام عم النبي جازماً متحققاً لإيمانه رضوان الله عليه .

قال بعض عارفي فضله وتدينه : فإيمان من كان محلقاً للألاء في افق مكة ان لم يكن هو إيمان عم النبي المجاهد أبي طالب ؟ وتدين من ياترى كان مشرقاً وضاءً يسترعي اليقضة والانتباه في عالم الخارج غير تدين أبي طالب كافل النبي وداعية الاسلام ؟ ! ولهذا وذلك فقد عده المشركون من الصباة للدين مجد ومن المسحورين الذين نفت في أعماقهم حب مجد وشريعته ، ولذا اجمع الشرك على قطيعته واتخاذ كل وسائل التهوين في حقه ، فلا يزيد ذلك

إلا فناءً في الله وتفتاناً في سبيل رسول الله علانية وجهرًا . إذاً لابد وأن تكون تلك الأخبار وهاتيك الأحاديث بعد فرض صحتها وصحة نسبتها الى بعض آل البيت واردة مورد الحاراة للناس ، وعلى حسب ماتهضمه عقولهم وتدركه أحاسيسهم ، واردة مورد الاقتناع بالنسبة الى المغفلين والبسطاء من الرجال الذين قد استحوذ عليهم الشيطان ، فصرفهم عن ذكر الله الحكيم وأعمالهم عن مقامات عم النبي العظيم ومواقفه الخالدة في الدين والاسلام ، كما أعماهم وأصمهم عن ادراك حقيقة ابي طالب المؤمنة وجهوده الخيرة ، اولئك المغفلون والبسطاء الذين قد حشى أدمغتهم واذهانهم بهذه الفكرة ، المناوئ الأول . والمعادي المتجاهر لأبي طالب المغيرة بن شعبة ، المغيرة الذي هو أول حاسد وحاقد لبني هاشم ولا سيما آل ابي طالب ، لشرفهم الموروث ومجدهم العالي وزعامتهم العامة ومكانتهم السامية في الأسرة القرشية والعربية . الأمر الذي أدى به أن يحمل على شيخ الأبطح وسيد بني هاشم حملاته المنكرة العدوانية ، تلك الحملات التي يعلم الله ويشهد أنها حملات مبغضة حاقدة ، وإن مغزاها لا أساس له من الصحة . وهكذا الحال بالنسبة الى رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم المخاضين والوفياء من المسلمين ، وسيجمع الله عز وجل بين ابن شعبة وعم النبي الكريم أمام رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم يعرض عليه مازوره ابن شعبة وما ابتدعه على عمه ، فيتولى المحاكمة والمحاسبة رسول الله ، ثم أمير المؤمنين بمحض من الأئمة البررة والمساكين الأطائب .

ياترى كيف حال من يكون شفاعؤه خصماؤه ؟

ويل لمن . شفاعؤه خصماؤه . والصور في يوم القيامة تنفخ

قال السيد زيني دحلان في اسنى المطالب ص ٤٥ : وقد صح عن

العباس بن عبد المطلب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنرجو

لأبي طالب خيراً ؟ قال : كل الخير أرجوه من ربي لعمي أبي طالب .
ثم قال السيد دحلان : وهذا الحديث رواه أيضاً ابن سعد في الطبقات
بسند صحيح ، ورجاؤه هذا محقق ، ولا يرجو صلى الله عليه وسلم كل
الخير إلا للمؤمن .

ثم قال السيد دحلان : قال بعض العارفين : انه ثبت عند أهل
الكشف والشهود إيمان أبي طالب العاني .

° ° °

أقول : قد تقدم منا - قبل قليل - أن نسبة المات على الشرك وتهمة
المات على الكفر لم تقتصر على خصوص عم النبي الكريم أبي طالب ، بل
تجاوزت الى ابوي النبي الشريفي واسرته الطيبة ، وكان مصدر ذلك حديثاً
رواه مسلم في صحيحه بطريق أبي داود عن حماد بن سلمة عن ثابت عن انس
ابن مالك أنه قال : أقبل رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله : اين
مكان أبيه يكون في الجنة هو أم في النار ؟ وكان أب الرجل قد مات في الزمن
الجاهلي ، فقال له رسول الله : إن أبي وإباك في النار .

وبعد أن وقف العلماء على حديث مسلم هذا قامت قياساتهم واثارت
ثائرتهم ، فصالوا وجالوا وتطاول بعضهم على بعض ، فانتصر قسم كبير
منهم للسيد الجليلين ، ودافعوا عن مقامها الرفيع ، واثبتوا في أكثر من
مؤلف لإيمانها وانها من أهل الجنة .

ومن هنا ذهب الفاضل السيوطي الى التنديد بالحديث الذي رواه مسلم ،
فطعن في متنه وسنده وقال مالمخصه : إن الحديث من افراد مسلم ، ومثله
لا يثبت به المدعى .

أما قولهم بأنه يجوز بما في الصحيحين أو بما في أحدهما فيما اذا لم
يتنقده الحفاظ او يخذش بصحته رواية الحديث ، والحديث معلول

سنداً ومتمشاً :

أما من حيث السند ففيه « ثابت » ، وثابت هذا قد عده المحدثون في عداد الضعفاء ، مما لا يتحرج في رجاله عن النكرات ومجهول الحال ، وأما « حماد » المذكور في السند فقد ناقش جمع من الرواة في حديثه ، لذا تنكب البخاري عن الأخذ منه ، كما قيل كان أبو العوجاء الملحد يدس في كتبه المناكير .

وأما من حيث المتن فالكلام عليه يتوقف على بيان مقدمة تتلخص بما حاصله : إن كثيراً من المؤرخين والمحدثين ذكروا سبلاً وافرأ من الأحاديث تدل بمفهومها ومنطوقها على أن أهل الفترة لا يدخلون النار ابداً إلا بعد الاختبار وعرض الاسلام عليهم ، فن قبله منهم ودان به كان من أهل النعيم والجنة ، ومن أباه ونفر عنه كان من أهل النار ، ولعل أب الرجل ممن لا يتقبل الاسلام فيكون من أهل النار .

ثم قال السيوطي : وإذا عرفت هذا فاعلم أنه روي بطريق معمر بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال للأعرابي آنف الذكر حين سأله عن مكان أبيه : أي قبر لمشرك مرت به فبشره في النار . وعليه الرواية لم تكن ناظرة لا لأب النبي ولا لأب الأعرابي ، ومعمر هذا لم يناقش في صدقه كما لم يחדش احد في صحة حديثه ، وقد اتفق الشيخان على التخريج له والنقل عنه . وعليه فحديثه يقدم على حديث مسلم ، اذ هو أقوى دلالة وافادة ، كما هو أوثق متناً وسنداً . هذا بالاضافة الى أن رواية معمر معتضدة بالروايات المماثلة مضموناً وطريقاً ، فنتعين هي اذاً وتطرح رواية مسلم .

وقال السيوطي : ومع غض النظر عن كل ذلك لا يمكننا القول بكفر أبوي النبي العظيمين ، بل عامة أهل الفترة ، لجواز تقبلهم للدين واعتناقهم للإسلام عندما يعرضان عليهم ، ومتى ما قام الاحتمال بطل الاستدلال . اللهم

الا ان يدعى قيام اجماع على تعذيب أهل الفترة ، فيقاس على ذلك ابوا النبي الشريفان ، ولكن قيام الاجماع اول الكلام ، ودون اثباته خرط القتاد ، بل التحقيق يقضي أن لا اجماع في المنام فلا قياس .

ثم قال السيوطي : وكيف يسعنا القول والحكم بكفر أبوي النبي وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم قوله « ما زلت اخرج من نكاح كنكاح الاسلام حتى خرجت من ابى عبد الله وامى آمنة » كما صح عنه أنه قال « ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء قط » .

وقال السيوطي : قال الجاحظ : ومن اعتقد غير هذا في ابوي النبي فهو كافر ، والحمد لله الذي قد برأ نبيه من كل وصمة وطهره من كل دنس تطهيراً . ولا يجوز لأي انسان ان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم بمباح ولا في غيره ، ونكفير ابويه ايذاء له مما لا ريب ، ومؤذي النبي كافر بلا كلام .

وقال السيوطي : وروى الطبري في ذخائر العقبى عن ابى هريرة أنه قال : جاءت سبعة بنت ابى لهب الى رسول الله شاكية اليه ماسمعه من البعض من سب أبيها أمامها ، فغضب رسول الله عند سماعه ذلك ، ثم قام الى المسجد فصعد المنبر فقال فيما قال : فما بال اقوام يؤذوني في قرابتي ، ألم يعلموا أن من آذاني فقد آذى الله .

وشكا عكرمة بن ابى جهل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعضهم حيث اسمعوه شتم ابيه وسبه ، الأمر الذي ادى بالنبي أن يمنع منعاً باتاً عن سب ابى جهل تكريماً لابنه المسلم . ثم قال : « لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات » ، فكيف اذاً باترى يكون الحال فيمن ينسب الى ابوي النبي الكفر ، وهو اعظم من الشتم والسب ، في حال ان نسبة الكفر اليهما لادليل عليه ، فالذي يجب ان نعتقده فيها انها مؤمنان وناجيان من النار

ومن غضب الجبار .

وقال الطبري : واعلم انه قد قال بنجاة ابوي الرسول جمع غفير وخلق كثير من العلماء ، ممن جمع بين الفقه والحديث والأصول ، مثل ابن العربي وابن شاهين وابن منبه وابن ناصر الدين الدمشقي والرازي والسبكي والقرطبي ومحب الدين الطبري وابن حجر العسقلاني وحافظ الدين الحنفي وخاتمة الحفاظ السيوطي وابن حجر الهيتمي ومن هذا حذوهم من الحفاظ وأئمة الحديث .

قال ابن حجر في النعمة الكبرى : احذر ان تروغ عن القول بنجاة ابوي النبي الشريفين ، فالنبي حذر عن ذلك عند شكاية بنت ابي لهب وعكرمة بن ابي جهل ، حيث قال صلى الله عليه وسلم « لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات » كما قال ايضاً « من آذاني في قرابتي فقد آذى الله » .

وقال الطبري في كتابه الصغير : القول والخوض في حديث نسبة الكفر الى الأبوين الشريفين خلاف حقوق النبي المفروضة ، كما وهو يؤذيه صلى الله عليه وسلم ، فاني ارى هدر دم من يقول بذلك ، فعلى العاقل ان يصرف نفسه عن هذه الورطة الصعبة ، وإياك ايها المسلم ان يسبق لسانك الى خلاف ما قلناه من نجاة الأبوين الكريمين ، فتكون ممن آذى رسول الله في آباءه الطاهرين ، نسأله تعالى المعافاة عن الخوض في مثل هذه المهالك ، وإياك ان تصغي لما ذهب اليه القاريء علي الهروي من القول بكفر السيدين الجليلين والدي النبي الأمين ، حيث قد زعم انه ركن الى مسألة نسبة المات على الكفر الى ابي حنيفة النعمان بن ثابت وعن كتابه المسمى بالفقه الاكبر ، وعلى هذا الأساس نشط الهروي ، فألف كتاباً طبعه على هامش كتاب الشفاء معتزاً مفتخراً بتلك الفكرة المقيتة ، وليته اذ لم يراع حق رسول الله حيث قد آذاه في آباءه صلى الله عليه وسلم اخفى عن التعرض لها لانفيهاً ولا اثباتاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم قال الطبري : ولما شاع نبأ كتاب الهروي هذا انتدب اليه جماعة من رجال الاسلام وجماعة من حملة العلم ممن اسخطهم واقض مضجعهم ذلك المؤلف المشؤوم ، المؤلف الذي استهدف في أول ما استهدف كفر ابوي النبي الكريمين ، ثم اسقاط وجوب الصلاة على مجد وآل مجد اثناء الصلاة . وكان في طليعة اولئك الأفذاذ الثائرين بوجه الهروي الامام عبد القادر الشافعي ، فانه رحمه الله قد ألف كتاباً جليلاً قد رد فيه مزاعم الهروي ومفترياته ، كما مزق فيه آراءه السقيمة شر ممزق ، معتمداً في ذلك على الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، مما ادى بالهروي أن يؤوب بالخزي والعار واللعنة الى يوم المآب ، فنسأله سبحانه وتعالى العافية من أباطيل الهروي وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ثم قال الطبري : ولقد صح عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وامي وعمي ابي طالب واخ كان لي في الجاهلية .

ثم قال الطبري في الصفحة السابعة من الذخائر : واخرج تمام الحديث الفخر الرازي في فوائده ثم قال : فان قلت : أليس قد صرح ابو حنيفة في الفقه الأكبر بأن ابوي النبي صلى الله عليه وسلم ماتا كافرين فهما من اهل النار ؟ قلنا : لقد عز على الحنفية كثيراً أن يصلح هذا القول من ابي حنيفة ، ولا سيما الحنفيون المتعصبون الذين لا يميزون تعمد الخطأ على ابي حنيفة ، بل لعالمهم يعتقدون عصمته في جميع اقواله وافعاله ، وهذه مرتبة لا تنطبق إلا على خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم على حد تعبير الامام مالك بن انس حيث قال : كل انسان يؤاخذ على أقواله وحديثه إلا صاحب هذا القبر . وأشار الى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

هذا بالإضافة الى أنا لانسلم ان الذي قد استند اليه حديث تكفير ابوي النبي هو ابو حنيفة النعمان بن ثابت ، والحديث الذي ذكره الهروي وعلق عليه لم يوجد له في الفقه الأكبر عين ولا اثر ، وكذلك قد استقرأنا الفقه الأصغر فلم نعر على أي شيء من ذلك .

ولعل الهروي قد اشتبه عليه الحال بأبي حنيفة محمد بن يوسف البخاري ، والبخاري هذا لم يكن معصوماً ، فلا يستبعد منه ان يتعرض لمثل تلكم الأحاديث البشعة ، وانا نبرأ الى الله عز وجل من تلك المقالة ، كما نزه جناب الامام الأعظم عنها .

وكيف يكون من المعقول أن يصدر من ابي حنيفة النعمان وهو العارف بمقام آباء النبي ما يؤذي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكيف يمكن له ان يتفوه بمثل ذلك وهو الرجل التقي الورع العالم ، فيعتمد الى نشر مقدمة لكتابه الذي يحتوي على أصول الفقه والدين ومبادئ الاعتقاد : ثم يعممه على الناس كافة ليعملوا على مافيه ، ثم يضمنه سب النبي وشم آبائه الاطهار ورميهم بالكفر الذي لا يابق بشأنها وشأنه صلى الله عليه وآله وسلم ، فيؤذيه بأمس الناس به رحماً واقربهم اليه مودة .

وهذا الامام النسفي ممن يرى امامة ابي حنيفة كما يعتقد ورعه وتقاه ، والنسفي ممن ذهب مطمئناً الى القول بنجاة الأبوين الشريفين ، فهل ياترى لو كان النسفي يعلم بقول امامه الذي ذكره الهروي عن الفقه الأكبر هل كان من مستطاعه أن يخالف أو يرى غير ما يراه مقتضاه ، في حال ان النسفي هو الذي روى عن الثقات من اساتذته واشياخه ان الله عز وجل قد أحيا للنبي ابويه كرامة له فعرض عايبها الاسلام فأسلما ثم ماتا عليه .

قال النسفي : إن محققي الحنفية الجامعين بين الفقه والحديث قد نقلوا عن ابي حنيفة نفسه أنه قال لواحد من أصحابه حين تقدم اليه بسؤال مضمونه :

ما تقول في رجل اقر بالاسلام مجملاً لبعده عن البلاد الاسلامية وتوطئه البلاد الكافرة ، فهو لا يعرف من نفسه غير انه مسلم هوية وجنسية فقط ، فاذا مات على هذا فهل يموت مؤمناً مسلماً ؟ .

فقال ابو حنيفة : نعم يموت مؤمناً مسلماً .

السائل : وان لم يعمل بكل شيء طوال حياته من متطلبات الدين وأحكام الاسلام ؟ .

ابو حنيفة : نعم هو مؤمن حياً وميتاً وان لم يعمل أي عمل من اعمال الاسلام . ثم قال النسفي : فمن يكون هذا رأيه بالنسبة الى هذا النوع من الناس فكيف ياترى يكون رأيه فيمن دلت عليهم الآثار والأخبار انهم موحدون مؤمنون بالله لا يشركون بعبادة ربهم أحداً ، كما كان كذلك آباء رسول الله صلى الله عليه وآله .

هذا مضافاً الى أن ابا حنيفة رضي الله عنه لم يدع لنفسه العصمة والتزهد المطلق عن الخطأ ، وهو شخصياً كان يقول وبالحرف الواحد : لا يحل لأحد أن يأخذ بأقوالنا حتى يعلم بأخذنا من الكتاب والسنة .

ولو سلمنا تنزلاً أن القول محل النزاع هو قوله وحديثه لزمنا العمل على وصيته ، بمعنى انه وجب علينا أن نعرض مانسب اليه على الكتاب والسنة ، فان وجدناه موافقاً لها اخذناه ، وان وجدناه مخالفاً تركناه واعرضنا عنه ، اذ هو مجتهد والمجتهد ربما يخطئ ، وان أصاب له اجر عشر حسنات وان اخطأ له اجر حسنة واحدة . وكان المعروف من حال ابي حنيفة أن الخطأ ارغب اليه من الصواب ، ولم يكن من اولئك الثفر الذين اذا أخطأوا أصرروا على صحة ما فعلوا وصعب عليهم الاعتراف بالخطأ . نعوذ بالله من ذلك . وقال الطبري : وقال السيوطي في مؤلفه الدرجة المتينة في فضل الآباء الشريفة : ذهب كثير من أئمة الاسلام الى نجاة الأبوين الشريفين ، وليس

من المعقول أن لا يقف أولئك الفحول على تلك الأقوال المؤذية للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحينئذ لا محالة من أن يكونوا قد وقفوا عليها وخاضوا غمراتها ونفذوا إلى أعماقها ، واجوبتهم على مؤلف الهروي لأدل دليل على ذلك ، لذا كانت هي على الهروي ومن هذا حذوه أشد وقعا من رواسي الجبال والصواعق الفاتكة .

ثم ان المحقق ابن العربي محي السدين قد قال - وقوله الحق - : ان ابوي النبي الزكيين لا إشكال في أنها من المعنيين بآية الاصطفاء الكريمة ، وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . ذكر ذلك الشيخان البخاري ومسلم . ومن ثم قد استدل الفخر الرازي بالآية نفسها على عصمة كافة الأنبياء كما ندد بالمخالفين الذين قد استدلوا بالآية الثانية ، وهي قوله تعالى « ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه » على عدم عصمتهم . قال السيد صاحب شرح المواقف : لا ريب ولا اشكال في عصمة الأنبياء كافة ، ولا مجال للاستدلال بالآية على عدم عصمتهم ، لأنه مبني على عدم تفهم مفاد الآية وعدم الوقوف على مغزاها ومعطياتها ، وتصور أن الظالم لنفسه هو بعض المصطفين والحال انه غير معقول ابداً ، لأن اصطفاء الله الحكيم واختياره لا يكون الا للأخيار والعدول من المؤمنين والمسلمين ، فلا يمكن ان يقع على الأشرار والمجرمين والظالمين لأنفسهم ، اذاً لا بد وأن يكون التبعض من العباد ، والعباد هم على نوعين منهم شقي وسعيد . وعليه لما كان الأنبياء المكرمون ممن تحقق الاصطفاء بالنسبة اليهم لا بد وأن يكونوا معصومين من الذنب منزهين عن الوقوع في الأخطاء ، وهو المطلوب كما هو الحق ، والحق أحق ان يتبع .

وحيث ان ابوي النبي الكريمين قد قام الدليل على اصطفائهما فلا بد اذاً من ان يكونا برئين من الكفر والشرك ، ولا سيما بعد تكثر الأحاديث

على إحيائها ثم عرض الاسلام عليها فقبلاه وماتا عليه . وكان ممن ذكر حديث الإحياء هذا من العلماء والمحدثين ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ ، وعدوه من الحديث الحسن بل الصحيح .

قال الطبري في الذخائر : يمكننا أن نقول بأن ابوي النبي الطاهرين لم يكفرا بالله طرفه عين ابداً بل كانا يدينان بدين جدتهما الاعلى ابراهيم الخليل ، وهذا الوجه يسري ويجري في جميع آباء النبي صلى الله عليه وسلم واجداده ، والقرآن الكريم هو الذي دلنا على ذلك وعلى دعاء ابراهيم ، الدعاء الذي يطلب فيه من الله سبحانه أن تكون ذريته مؤمنة بالله مسلمة « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة » وقد استجاب الله دعاء نبيه فكانت ذريته مؤمنة مسلمة . وإذا كان الأمر كذلك فأبناء النبي كلهم من تلك الشجرة الطيبة والغمامة الصيبة الى عبد المطلب وعبد الله ، وهكذا الحال بالنسبة الى كافة ولد عبد المطلب ماعدى ابي لهب .

نقل الحافظ ابو نعيم في حلية الأولياء بطريقه الى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : لم يلتق آباؤي على سفاح أبداً ، ولم يزل ينقاني الله من الأصلاب الطاهرة الى الأرحام المطهرة مصطفى مهذباً لاتنبعث شعبتان إلا كنت في خيرهما .

روى ابن سعد في الطبقات والبخاري والبيهقي عن واثلة بن الأسقع انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله اصطفى اسماعيل من ولد ابراهيم ، واصطفى من ولد اسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفى من بني هاشم محمداً . ونقل أحمد بن حنبل في مسنده والترمذي في صحيحه وابن مردويه

وأبو نعيم والبيهقي عن ابن عباس انه قال : قال رسول الله : إن الله عز وجل حين خلق الخلق جعلني من خير خلقه ، ثم خلق القبائل جعلني من خير قبيلة ، ثم خلق البيوت جعلني من خير البيوت ، ثم خلق النفوس جعلني من خير النفوس .

وروى البخاري وابن شاذان عن ابن عباس انه قال : دخل اناس على عمه رسول الله صفية بنت عبد المطلب ، فصاروا يتفخخون ويذكرون الأوضاع الجاهلية ، فقالت صفية : منا رسول الله محمد وكفى . فقال لها بعضهم : تنبت النخلة على الكناسة . فغضبت صفية وتأملت للكلمة الجارحة ، فأسرعت الى رسول الله شاكية اليه ومخبرة إياه بما سمعته من القوم ، فتأثر رسول الله وانزعج ، ثم قصد المسجد وأمر بلال الحبشي أن ينادي جماعة فجاء الناس يهرعون ، فقام النبي الى المنبر فخطب الناس فقال فيما قال : إنسبوني معرفة من انا . فقال المسلمون : انت محمد رسول الله . فقال : إنسبوني معرفة من انا . فقالوا : أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . فعند ذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم : اذا ما بال اقوام يزلون اصلي ، فوالله اني افضلهم اصلا وخيرهم موضعاً .

وحدث البيهقي عن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : خلق الله الخلق فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً .

وروى الحاكم والطبراني وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : خلق الله الخلق فاختر منهم بني آدم ، واختر من بني آدم العرب ، واختر من العرب قريشاً ، واختر من قريش بني هاشم ، واخترني من بني هاشم .

وفي طبقات ابن سعد : واختر من بني هاشم آل عبد المطلب ،

واختارني من آل عبد المطلب .

ونقل ابن عساكر عن ابي هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم حتى خرجت من افضل بني هاشم .

وعن الحاكم والترمذي عن الإمام الصادق عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : جاءني جبرئيل فقال لي : اي محمد إن الله بعثني ان اطوف في مضر فلم اجد حياً خيراً من بني هاشم ، ثم امرني ان اختار من انفسهم فلم اجد خيراً من نفسك .

قال المفسرون ومنهم الزمخشري في الكشاف ان قوله تعالى « هو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين » دليل على ثبوت الايمان والتوحيد بالنسبة الى آباء النبي واجداده الكرام ، وانهم يتنقلون من الأصلاب الساجدة الطاهرة الى الأرحام الساجدة المطهرة .

كما قالوا أيضاً : إن هذه الآية المباركة - وهي قوله تعالى « والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم » - ان ابوي النبي الطيبين تشملهم الذرية .

واخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اذا دخل المؤمن الى الجنة اول ما يسأل عن ابويه وزوجته وذريته .

وأخرج الترمذي وابن مردويه وابو نعيم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : بعد ان نزل قوله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » أنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب والعيوب .

وأخرج ابو سعيد النيسابوري عن عمران بن حصين انه قال : قال

رسول الله : سألت ربي أن لا يدخل أحداً من أهل بيتي النار ، وقد أعطاني ذلك .

وقال الطبري في الذخائر وابن حجر في الإصابة : ونحن في سعة من القول بأن جد النبي العظيم عبد المطلب وامه آمنة بنت وهب من المؤمنين ، كما هما صحابيان ايضاً ، لأن اصح ما وقفنا عليه من تعريف الصحابي هو « من لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمناً ومات على ذلك فهو صحابي محترم كما هو من أهل الجنة ايضاً » فيدخل في ذلك من طالت صحبته او قصرت ، وسيان في ذلك من حضر معه بعض حروبه او لم يحضر ، وسواء في ذلك من نظر اليه أو لم ينظر كالأعمى . نعم لا يكون صحابياً من لقي رسول الله كافرأ ومات على الكفر . وهذا التعريف هو الحق وهو المعتمد عليه ، كما هو الذي تساعد عليه الأدلة الخاصة والقواعد العامة ، وعليه فانطباقه على جد النبي وأمه واضح جداً : أما امه صلى الله عليه وآله وسلم فقد عاشت ست سنين كما رأت بعضاً من كراماته ومعجزه اثناء ولادته وبعدها . وأما جده عبد المطلب فقد عاش معه أكثر من أمه ورأى ايضاً قسماً وفيراً من علامات النبوة وآثارهما كما كان يرقب ذلك من قبل ان يولد .

وقد أبد هذا المعنى كل من ابن عساكر وابن سعد في الطبقات بطريقهما الى مجاهد ونافع وابن جبير انهم قالوا جميعاً : قال عبد المطلب لأُم أيمن : إن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يقولون : ان ابني مجدأ نبي لهذه الأمة ، وهو كذلك .

وقال ابن عساكر : إن عبد المطلب قال لأولاده وقومه عند الموت : احتفظوا بمحمد الا تسمعون مايقوله الناس فيه . كما قال ابن سكين وغيره من أهل الحديث ان عبد المطلب من الصحابة ، والى ذلك ذهب العلامة البرزنجي الحنفي وألف رسالة في الموضوع ، ولم يقتصر البرزنجي على اثبات

إيمان جده النبي وإبويه وصحبته ، بل تعدى الى عم النبي أبي طالب
 وأنه رضي الله عنه أطول صحبة لرسول الله وأكثرهم مشاهدة لكراماته
 ومعجزه وأوفرهم خدمة له وجهاداً في سبيله واعترافاً بنبوته ، كما استدل
 البرزنجي بكثير من نثره وشعره الاسلاميين . ومن حديث البرزنجي : ان
 ابا طالب صدق بالنبي وآمن به بقلبه ولسانه ، فهو من الناجين من النار ،
 قال بذلك اكثر المتكلمين وأئمة الأشاعرة .

وقال البرزنجي : قال العلامة محمد افندي السجقلي في رسالته المسماة
 بالردود والفرح الرسالة المتكفلة لاثبات ايمان الأبوين الشريفين ، وكان من
 جملة ما كان فيها ان والذي النبي اخص من ابوي النبي ، لأن الأب اطلق
 على العم كما ورد في القاموس والقرآن الكريم كما في قضية ابراهيم وعمه
 آزر ، وكما اطلق على أبي طالب بالنسبة الى رسول الله لمقام كفالته وتربيته
 له صلى الله عليه وآله وسلم ، كما اطلق لفظ الأم على فاطمة بنت اسد
 لأنها قامت بشؤون النبي وخدمته ، فوالدا النبي مما لا اشكال في انها من
 أهل الايمان كما هما من أهل الجنة ، أما ابو طالب فهو لما كان اكثر مشاهدة
 وصحبة فهو مؤمن مسلم وصحابي ، شعره ونثره يدلان على مدى تمسكه بالبعثة
 ومدى اقراره واعترافه بالنبوة والرسالة ، وعليه لا ينبغي ان يصحى للقول
 المخالف الشاذ .

• • •

أقول : لقد اتضح مما اسلفناه من اقوال العلماء وادلتهم القاطعة والقوية
 على ايمان اسرة النبي الكريمة ولا سيما ابوه وامه وجده وعمه صلوات الله
 عليهم اجمعين ، ولعمري انهم حاولوا أمراً حسناً وجليلاً وزابلوا معنى رفيعاً
 وكرماً لله فيه رضا وللرسول صلى الله عليه وآله فيه تعظيم وتكريم واعزاز
 وتقدير ، بعد ان اوشك ان يلوثه النفعيون والانتهازيون والحاقدون المتصيدون

في الماء العكر ، مثل ابن شعبة والحريري ومن اقتضى اثرهما من الأوائل والأواخر ، ممن أدمى نواظرهم وقلوبهم مجد بني هاشم الأصيل وعزتهم الحبيدة اللذان قد اصبحا حديث التاريخ والأجيال ، الأمر الذي أدى بأولئك وهؤلاء ان يتذكروا للهاشمين الأطهار ، فيقبلوا لهم ظهر الحجن محاولين تشويه تاريخهم الناصع وسمعتهم الكريمة ، فعملوا ماوسعهم ان يعملوا جادين في اخفاء نور الله المودع في اصلاهم تكريماً لهم ، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، فقيض الله للقيام بوجه اولئك المنافقين بوجه عام جماعة من ابطال العلم وجملة من محدثي الاسلام ، فروثوا عليه وثبة الأسد الشبل ، ونهضوا الى اكاذيبهم ومفترياتهم نهضة الليث المصور ، فأبادوها وفندوها ببايع البيان وقوي الحجة والبرهان ، فله درهم وعليه تعالى جزاؤهم يوم يردون عليه وعليهم بهاء نصره الحق وانوار الدعوة الى الدين والعدل ، وعندئذ يجدون ما اعداه الله للصادقين المخاضين المقدرين للرسول والحافظين فيه آباءه وآله من النعيم المقيم في الفردوس الأعلى ، كما يجلدون تقدير النبي وشفاعته يوم لاتنفع فيه شفاعاة الشافعين ، يوم لاينفع فيه المال والبنون إلا من أنى الله بقلب سليم ، موال لآل البيت قد حفظ النبي صلى الله عليه وآله في آباءه وذريته .

نعم وايم الله حاول اولئك الأفذاذ أمراً ارضوا به الله ورسوله والمسلمين الأمجاد ، كما هو تجنب لما من شأنه ان يؤذي النبي من نسبة الكفر الى آباءه واجداداه واسرته الكريمة ، الأسرة التي قد رفع الله شأنها واطهر للعالم كرامتها ومنزلتها ، كما نزهها عن درن الجاهلية ودنس الوثنية ، فهم السادة الأبرار والمصطفون الأخيار من لدن آدم وحتى عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب صلوات الله عليهم اجمعين .

وهذه هي نظرة الامامية بالنسبة الى الأسرة الطاهرة من الصدر الأول ،

وحتى يومنا هذا ، والى أن يقوم الناس لرب العالمين ، والى ان يردوا على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم فرحون مستبشرون بولائهم له ولآله وآبائه ، الآباء الذين كانوا الوعاء المبارك له صلى الله عليه وآله . وتلك مؤلفساتهم الضخمة ومدوناتهم القيمة مشحونة بالأدلة والبراهين على طهارتهم وزاهتهم اجمعين ، ولا سيما العم الكريم ابي طالب حامي الرسول وكافله رضوان الله عليه .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ان الامامية قد دلها التبع والاستقراء لتاريخ ما قبل الاسلام على اليقين بأن بني هاشم - وخصوصاً زعيمهم ابا طالب - لم يسجدوا لصنم قط ولا لوثن اصلا ، ولو كان ثمة نوع من هذا اللون لظهر ولتناقله التاريخ كما نقله عن غير الهاشميين من القبائل العربية والقرشية ، ولنوهت عن المعبود الذي كان يخص الهاشميين والعياذ بالله .

بل لعل التاريخ والحقائق والوثائق تعطي العكس ، تعطي أن لاعلاقة لهم الا بالله عز وجل ولا اعتماد لهم الا عليه . وقد عرفت بما لامزيد عليه أن جد النبي عبد المطلب وعمه ابا طالب تقصدهما الناس للاستسقاء وعند الشدائد فيفرج الله بواسطته عنهم ويكشف عنهم الضر والبلوى ، وما ذلك منه تعالى إلا لعلمه بأنهم من المؤمنين الموحدين المخلصين ، وإلا لاستحال عليه ان يجري الخير والكرامة على ايدي الكافرين والمشركين .

هذا مضافاً الى مانص عليه المؤرخون - ومنهم المسعودي في مروج الذهب - من أن عبد المطلب رضي الله عنه هو اول شخصية تقدمت الى جعل ابواب الكعبة ذهاباً مرصعاً بالأحجار الكريمة من خالص امواله ، كل ذلك تعظيماً لشعائر الله ربه ورب آبائه الأولين ، في الظرف الذي كان فيه الناس - ولا سيما العرب بصورة عامة - تبذل قصارى جهودها واهم طاقتها وامكاناتها على تشييد الأصنام وزخرفتها وتطعيمها بالخبوهرات والحلي والحلل

لتظهر للرأي العام بالمنظر الجذاب والمظهر الطيب الخلاب .

وأما عم النبي ابو طالب فقد لازم خدمة الكعبة ومداواة البيت الحرام ، وحارب ماعلى سطحها من أوثان وأحجار ، ودعا الى الله وحده ، وكان متى مادهمته داهمة أو اصابته كارثة لاذ بفنائها واستجار بجهاها ، فلا ينكفي حتى يعطيه الله ما يريد .

بل زاد على ما كان عليه ابوه الكريم ، فنصر النبي وخدمه ووازره وحاه ووقاه بنفسه وولده ، ثم بأسرته وعشيرته ، وهكذا الى آخر لحظة من حياته .

قال السيد في الحجة والنقدي في المواهب : ولعم النبي الكريم هذه

المقطوعة :

ألا قل لعمرو والوليد ومطعم	ألا ليت حظي من حياطتكم بكر
من الخور حجاب كثير رغاؤه	يرش على الساقين من بوله قطر
تخلف خالف الورد ليس بلا حق	إذا ما علا الفياء قيل له وبر
نرى اخويننا من ابينا وامنا	إذا سئلا قالوا لغيرنا الامر
بلى لهما امر ولكن نخرجنا	كما خرجت من رأس ذي علق صخر
هما غمزا للقوم في أخويهما	فقد أصبحت منهم اكفهم صفر
وتيم ونحزوم وزهرة منهم	وكانوا لنا مولى إذا بني النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة	ولا منهم ما كان لنا منهم شفر
فقد سفهت احلامهم وعقولهم	وكانوا كجفر بش ما صنعت جفر
وما ذاك الا سؤدد خصنا به	رب العباد واصطفانا له الفخر
رجال تهادوا حاسدين وبغضة	لاهل العلى فيبينهم ابداً وتر
وليد ابوه كان عبداً لجدنا	الى علجة زرقاء حال بها البحر

تربص ابو طالب بهذه الأبيات اجتماع قريش في الندوة ، فألقاها على

مسامعهم والحلم والاعتقاد باديان عليه .

كما يظهر انه من جملة ما كان يحاوله أنه اهاب بأباء رسول الله صلى الله عليه وآله وتذكير الناس بزعامة بني هاشم المستمدة من اقدم العصور وسالف الزمان ، ثم تعريفهم بأن محمداً صلى الله عليه وآله هو النتيجة الطيبة لأولئك السادة الأكارم ، كما هو المصطفى من السماء والمرضى من البرية ، كما ندد بقریش بصورة خاصة وبالمجموعة العربية بصورة عامة ، حيث ابتعدنا عن روحانية عبادة الله وتجنبنا خلاوة التقرب من رسول الله وعزة النبوة ، فتظاهرتا مع العدو وعاونتسا من كانوا عبيداً لها ، فلبس المولى ولبس العشير ، ولبس ما قدمت لهم ايديهم أن سخط الله عليهم وهم في العذاب مشتركون .

قال العلامة الدينوري في نهاية الطالب والحجة الأميني في الغدير ٧ / ٣٤٨ : ان النبي صلى الله عليه وآله حين امره الله باظهار النبوة والقيام بمهمة الدعوة الالهية ترجح لديه ان يقصد عمه العباس بن عبد المطلب ليعامه الحال ويوقفه على جليلة الأمر وترشيح الله عز وجل له بالنبوة والسقارة ، وما ان عرف العباس ما عنده وما يهمة ابدى له رأيه وان يقصد عمه أبا طالب لأنه كبير آل عبد المطلب وزعيم بني هاشم والشخصية المهمة في ارجاء مكة ، وكان من جملة ما قاله : الرأي عندي يابن الأخ أن تقصده بما يهملك تجد منه ما يسرك من المؤازرة والمعاونة وكف الأذى عنك ، وإلا لم يخللك ولم يتخل عنك ابداً ، وكل من الأمرين في صالحك .

فاستصوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرأي واستملحه ، فنهض من مجلس عمه العباس وتوجه الى عمه شيخ الأبطح ، فأطاعه على ما عنده وافهمه بكل شيء ، حتى اذا فرغ من حديثه فما كان من ابي طالب الا أن نهض مستبسلاً فقتل سيفه واخذ بيد النبي واخرجه الى الندوة —

وكانت مكنتضة بالناس — فأوقفه على رؤوس القوم ، ثم خطب المجتمع وقال فيما قال : اي محمد يابن ابي تكلم بما احببت وقل ماشئت واطهر ما بدى لك ، فانك الرفيع كعباً والمنيع حزباً والأعلى اباً وجداً ، فوالله لا يسلمك لسان إلا سلقته ألسن حداد شداد واجتذبتة سيوف حداد ، فوالله يا محمد لتذل لك العرب ذل اليهم لحاضنها ، ثم اعلم يابن اخي لقد كان ابي عبد المطلب يقرأ الكتب جميعاً فعرف منها عظيم مقامك وكبير منزلتك وما سيظهره الله على يديك ، وقد اخبرني بكل ذلك ، كما وقد اخبرني في اكثر من مرة أنه سيخرج الله تعالى من صلبه النبي الموعود لهذه الأمة ، كما قال لي : يا أبا طالب كم وددت اني ادرك زمن نبوته لأسلم له أمري واؤمن به ، فمن ادركه منكم فليؤمن به ولينصره على اعدائه .

وقال ابن هشام في سيرته ١٧/٢ : إن حياة ابي طالب كلها مواقف مشرفة ، حياة جهاد في سبيل الله ، حياة محاماة عن رسول الله ، حياة مملوءة بالخدمات الجليلة ، حياة تشف عن ايمان صادق وتدين بالشرعية لا يعرفان التكم ولا يقفان موقف المتستر المحامل ، ومن ذلك موقفه في قوله الذي انشأه على ملأ من الناس وفي المجتمع العام في الندوة وهو آخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

ألا ان خير الناس نفساً والداً	إذا عد سادات البرية أحمد
نبي الهى والكريم بأصاه	واخلاقه وهو الرشيد المؤيد
جري على جمل الخطوب كأنه	شهاب بكفي قابس يتوقد
من الأكرمين لوي بن غالب	على وجهه يسقى الغمام ويسعد
كثير رماد سيد وابن سيد	يحض على مقري الضيوف ويحشد
وبيني لأولاد العشيرة سؤداً	إذا نحن طفتنا في البلاد وبمجد
ومن جملة ذلك ايضاً قوله :	

زعمت قريش أن احمد ساحر كذبوا ورب الراقصات الى الحرم
مازلت اعرفه بصدق حديثه وهو الأمين على النفائس والحرم
ومن ذلك ايضاً قوله :
نحن وهذا النبي نصره نضرب عنه العدو بالشهب

* * *

أقول : لست ادري ولا المنجم يدري مع هذه الوثائق الصارخة
والمستندات العانية والهتافات المدوية كيف تستساغ نسبة الملمات على الكفر
الى عم النبي العظيم ابي طالب ، أو نسبة التكتم في الإيمان والتدين ، في
حال أنه لو كان في ذلك الدور المظلم ثمة إيمان حقيقي ودين اصيل لا يعتورها
شيء من التورية والتعويه لكانا ملازمين لأبي طالب وحده .
فهو فقط كان يحاكي بإيمانه ودينه إيمان ودين أهل الدرجات العالية
وأهل العلم واليقين ، وإيمان الأولياء المخلصين .
إيمان من لاتأخذه في الله عز وجل لومة لائم ، ولا وعيد متوعد ،
أو لإرهاب قوة أو حكومة .
إيمان من طابق فيه سره اعلانه ، ووافق فيه ضميره بيانه ولسانه .
وسنوضح الأمر أكثر وننور الأفكار بما وقفنا عليه من مآثر عم النبي
الزعيم ابي طالب الكريمة تحت عنوان (ابو طالب في بطون الكتب) .

ابو طالب في بطون الكتب

قال السيد ابن فخر في الحجة والقاضي في المواهب والخيزي في مؤمن قريش : قيل لتأبط شراً الشاعر الشهير : من سيد العرب ؟ فقال : سيد العرب اجمعين ابو طالب بن عبد المطلب .

وقيل للأحنف بن قيس التميمي : من اي شخص قد تعلمت الحكمة واقتبست المعارف ؟ فقال : تعلمت ذلك ودرسته على يد حكيم عصره وحليم دهره قيس بن عاصم المنتقري .

وقيل لعاصم هذا : علم من رأيت فتعلمت وحلم من رأيت فتعلمت ؟ قال عاصم : تعلمته من الحكيم الذي لم تنفذ حكمته قط اكثم بن صيفي . وقيل لأكثم : ممن تعلمت الحكمة والرياسة والحكم والسياسة ؟ فقال : اخذت ذلك عن حليف الحلم والأدب ونبراس المجد والكرم سيد العرب والعجم ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

وقال القاضي والكرابجي : قيل لأكثم بن صيفي - وكان من المعمرين كما كان حكيم العرب على الاطلاق - : انك لأعلم اهل زماذك واحكمهم واعقلهم واحلمهم ، فقال : ولم لا اكون كذلك وقد جالست الشيخ ابا طالب دهره ، وعبد المطلب دهره ، وهاشماً دهره ، وعبد مناف دهره ، وقصباً دهره . وكل هؤلاء سادات وابناء سادات ، فتخاقت بأخلاقهم وتعلمت من علمهم وحلمهم واقتبست من سؤددهم واتبعت آثارهم .

ونقل بعض المؤرخين ومنهم ابن الجوزي في تاريخه بطريقه الى مجاهد عن

ابن عباس انه قال : لما تكثرت البشائر ابان ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنبوته وتكررت التنبؤات ببعثته قال الزعيم عبد المطلب لابنه ابي طالب : اسمعت مايقوله هؤلاء في محمد يابني ؟ قال : نعم . فقال عبد المطلب : يا ابا طالب احتفظ بمحمد فان له مقاماً رفيعاً وشأناً عظيماً ، وما اظنه إلا ان يكون نبي هذه الامة . وقد قام ابو طالب بكل متطلبات أبيه وزاد .

وتحدث ابن شاذان في مناقبه عن ابن عباس عن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين أنه قال : قال ابو طالب ذات يوم للعباس اخيه : ألا اخبرك يا عباس عن ابن اخي محمد ؟ قال العباس : نعم يا اخي حدثني عن ابن اخي محمد . فقال : اعلم يا عباس اني لازمت محمداً ملازمة كلية فلم افارقه ابداً لاني ليل ولا في نهار ، لأثمن عليه احداً لامن قريب ولا من بعيد حتى صرت انيمه معي في فراشي ، فلاحظت ذات ليلة فرأيت انه يضرب بيني وبينه ستر تفوح منه روائح المسك والعنبر ، فاذا أصبحنا لم نجد السر ، وقد انتهت ليلته من الليالي لم اجد محمداً معي ، فارتعيت للمفاجئة وارتعت للحادث ، فقممت مضطرباً مألوماً وإذا به من حولي وهو يقول : هاانا حاضرك حولك يا عم . وكان في اغلب الأوقات يقصد بثرزمزم فيشرب من مائها ، كما شاهدته ليلاً يصلي كثيراً ثم يقرأ ما نزل عليه من القرآن الكريم .

وذكر القاضي نور الله في تفسيره عن ابي طالب انه قال : ما كنا نعرف التسمية على الطعام حتى رأينا محمداً يبتدىء بالطعام والشراب بها ، واذا فرغ قال « الحمد لله رب العالمين » فالتزمنا ذلك وصار عملنا على الابتداء بالبسملة والختام بالحمد ، فرأينا توفر الخيرات وتكثر البركات . ونقل القاضي في المراهب ص ٤٥ عن ابي طالب انه قال : كنت

اشاهد من ابن اخي محمد أنواراً تسطع الى عنان السماء ، كما اني لم اعثر على كذبة منه قط ، كما لم ار فيه شيئاً من وضر الجاهلية ابداً ، وما رأيته وقف على صبيان يلعبون في الطريق ابداً ، ولم يلتفت اليهم ابداً ، وكانت الوحدة والعزلة والانفراد لنفسه احب شيء اليه ، كما كان التواضع من خصائصه ومآثره . واتفق لليهود ان قالوا للمنافقين والمشركين من العرب وقريش : إنا وجدنا في كتبنا السماوية أن من صفات الأنبياء التي لا يشاركون فيها اي واحد من الناس أن يجنبهم الله اكل الحرام والمشتبهات ، ومحمد ابن عبد الله قد ادعى النبوة ، فاللزام اذاً اختباره وامتحانه .

فهبطوا مأدبة فخمة في دار واحد من زعماء قریش كان يتردد على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان من جملة الطعام دجاجة ميتة ، فدعي رسول الله لتلك الوليمة وجعلت الدجاجة الميتة امامه صلى الله عليه وآله ، وصار المدبرون لهذه المؤامرة يرقبونه عن كثب اليروا هل يمد يده الى تلك الدجاجة ، فلما رأوه منصرفاً عنها اوحوا الى شياطينهم ان يصروا عليه بالتناول منها ، فامتنع ابداً وقال : اني أرى انها ميتة واكلها حرام علي ، وقد صانني ربي عن مثل ذلك . فأخذوا يحافون له أنها لم تكن كما يظن ، وهو يصبر على انها ميتة ، واخيراً قالوا له : اذا لم تمتد اليها يدك فاسمح لنا نحن نلقمك منها شيئاً .

فقام بعضهم فتناول منها قطعة وكلموا حاول أن يوصلها الى فم النبي ما استطاع ، فقام آخر وكل ما اراد ان يدني يده من فم النبي لانتصل يده اليه الى ان عجز ، وأخيراً انصرفوا عن الموضوع خوفاً من الشياطين ، وتكاشفوا فيما بينهم فقال بعضهم : إن محمداً هذا ساحر عظيم وكاهن خطير .

وفي المواهب ايضاً بسنده الى العباس بن عبد المطلب انه كان ابو طالب لا يمكن اولاده ولا عائلته من الطعام لا في ليل ولا في نهار حتى يحضر

رسول الله صلى الله عليه وآله فياً كل معهم على المائدة ، معتقداً ان في حضوره معهم استدراراً للبركة وتوفراً للخير ، وفي خلاف ذلك يتقص عليهم طعامهم وان كان كثيراً ولا يكفيهم مطبوخهم وان كان قليلاً .

وتحدث صاحب الكافي بسنده الى جعفر بن اسماعيل عن ادريس بن السائب عن الامام الصادق عن ابيه الباقر عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب عليهم السلام انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مجلس ذكر فيه عمه ابو طالب ، فقال : لقد عني عمي ابو طالب عقيقة دعا اليها آل عبد المطلب ونفراً من قريش ، وبعد أن حضروا أحبوا أن يعرفوا المناسبة التي ادت إلى الايلام والاطعام ، قالوا : يا ابا طالب بأي مناسبة كانت وليمتك هذه ؟ قال : عقيقة وصدقة عققناها على شرف ابن اخي محمد وقد اختصصتكم بها دون غيركم من الناس . قالوا : ياسيد العرب ولماذا قد سميت ابن اخيك محمداً ؟ قال : ليحمده أهل السماء وأهل الأرض . وفي بعض النسخ لمحمدة أهل السماوات والأرض . ونقل ابن هشام في السيرة ١ / ٣٧٨ كما جاء في البداية والنهاية ٣ / ٩٧ والغدير ٧ / ٣٦٤ ان ابا طالب انشأ ابياته التسالية على جماهير قريش غير هباب ولا مكرث ، حاول فيها وصف النبي بما هو أهله ، كما امتدحه وحدث عن فضله وكرامته وبعثته ونبوته :

هو العالم المهدي في كل منسر	عظيم اللوا أمره السدھر محمد
إذا قال قولاً لا يعاد لقولاه	كوحى كتاب في صفيح يخلد
يجيش له من هاشم يتبعونه	يسددهم رب العلى ويؤيد
هم راجعوا سهل بن بيضاء راضيا	وكان امام العالمين محمد
تسابع فيها كل ليث كأنه	إذا مشى في رفرق الدرر اصرد
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم اصبحوا	على مهل اذ سائر الناس رقد

سلوا من قريش كل كهل وأمرد
متى شرك الاقوام في مجد قومنا
وكننا قديماً لانقر ظلامه
فيا لقصي هل لكم في نفوسكم
واني واياكم كما قال قائل

وتحدث ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣ / ٣٢٠ ماملخصه : إن أبا طالب لم يكن حامياً ومدافعاً عن رسول الله فحسب ، بل كان يحامي ايضاً ويدافع عن كل انسان آمن بالله وصدق رسول الله في بعثته ورسالته فيما اذا قد اعتدى عليه الكفر وتعرض لايدائه الشرك ، ومن ذلك ثأره وانتصاره للصحابي الجليل عثمان بن مضعون ، حين تعرض له الطغاة من اليهود والمشركين ، فنصره ابو طالب واخذ بثأره بيده ولسانه فقال :

أمن تذكر دهر غير مأمون
أمن تذكر اقوام ذوي سفه
ألا ترون اذل الله جمعكم
ونمنع الضيم من يبغي مضيمتنا
ومرهقات كأن المالح خالطها
حتى تذلل رجال لاحلوم لها
او يؤمنوا بكتاب منزل عجب

ونقل المجلسي في البحار بسنده الى الامام الباقر عن آبائه عليهم السلام عن ابي طالب انه قال : لما اتى على رسول الله اثنان وعشرون شهراً من ولادته قد رمدت عيناه ، فقال لي ابي عبد المطلب : خذ ابن اخيك الى عراف الجحفة ليداوي عينه ، فامتنأت أمر أبي ، فحملت محمداً بعد أن غطيته بعباءتي عن حرارة الشمس ، فعرضته على الطبيب ، وبمجرد ان

نظرة قال : يا ابا طالب من يكون هذا وما هو منك ؟ قلت هو محمد بن عبد الله ابن اخي ، ولماذا كان سؤالك هذا ؟ قال : يا ابا طالب إن مهدياً هذا نبي هذا الزمان . قلت : وما دلائك على ذلك ؟ قال : اني ارى دلائل النبوة وعلامة الرسالة باديان عليه ، كما اني ارى نوراً يخرج من جبينه فيتصل بعنان السماء ، كما اسمع رفيف اجنحة الملائكة التي تحوم من حوله لاجل المحافظة عليه .

ثم قال : يا ابا طالب اشهد علي اني اشهد ان لا اله الا الله وان مهدياً هذا رسول الله ، وانه هو النبي الذي بشرت به الكتب السماوية من قبل ، يا ابا طالب احتفظ بمحمد وحافظ عليه بكل ماتستطيع من فتك اليهود وشروع الكفرة الجرمين .

قلت : ايها الحكيم انك لتحدثني عن شأن عظيم وامر خطير يكون لابن اخي مهدي . فقال : اعلم يا ابا طالب ان محمداً هذا أجل وارفع مكاناً وقداسة مما حدثت لك به ، انصرف بابن اخيك ولا تمكن احداً من النظر اليه او الدنو منه ، وان عينيه سيفيضان قريباً انشاء الله . يا ابا طالب ولقد قرأت في الكتب عندنا انك انت الذي ستبولى تربيته وكفالته ، وانت الذي تمنعه عن عدوه وعدو الله .

قال ابو طالب : ثم اخفيت به تحت قبائي وجئت به الى ابي ، فنقلت له جميع ما وقع بيني وبين العراف جمة وتفصيلاً ، فقال لي ابي : وانا يا بني اعرف ذلك وارقبه من قبل ان يوح به الحكيم ويعرفك به ، فيازملك يا ابا طالب ان تكتم الأمر وان تخفيه حتى يقضي الله امراً كان مفعولاً وحتى يظهر امر الله في محمد ، فوالله يا ابا طالب ما يموت محمد حتى يسود العالم بأسره أعاجماً وعرباً .

وقال صاحب البحار أيضاً : لما سافر رسول الله صلى الله عليه وآله

متاجراً الى الشام بترجيح من عمه ابي طالب كان في القافلة المتوجهة آنذاك جماعة من شخصيات قريش ، منهم عبد مناف بن كنانة ونوفل بن معاوية وهما من اوصاهما ابو طالب برسول الله ، كما حثها على مداراته وخدمته ، وفعلًا قاما بوصية ابي طالب تماماً حتى وصلت القافلة الى الشام ، ففترقت التجار تدور بسلعها وبضائعها ، فكان عبد مناف ونوفل مصطحبين ، اذ صادفها في بعض الطريق ابو المزيهب - وهو راهب كبير وعالم شهير - فاستوقفها واخذ يسألها وقال فيما قال : من اي مكان انتما ؟ قالوا : نحن من مكة ومن قريش . قال : من اي قريش لأن قريشاً تنشق الى فروع وطوائف . فأجاباه على الشيء الذي يحاول التعرف عليه . ثم قال : هل من بني هاشم في القافلة معكم ؟ قالوا : نعم معنا فقي من بني هاشم اسمه محمد . قال : نعم هو مقصدي ، وهو الشخص الذي اردت التعرف عايه والوقوف على احواله . قالوا : ان هذا الانسان لم يكن في قريش اخل منه ذكراً ولا اوطأ منه شخصية ، ولا يعرف إلا بيتهم ابي طالب ، كما هو فعلاً اجبر لامرأة منا تعرف بخديجة بنت خويلد ، فإنه جاء متاجراً بأموالها . قال : مها يكن من امر اني اريد منكما مواجهته ومقاباته . قالوا : ما حاجتك اليه ؟ فأخذ يحرك شفتيه وهو يقول : هو هو والمسيح بن مريم ، اني ارجوكم ان تدلاني عايه ، فبينما هم كذلك اذ يطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ووجهه كأنه القمر المنير ، اذ تركها الراهب وقصد النبي فأهوى على يديه ورجليه يقبل يديه ويلثم رجليه ، ثم توجه الى الرجلين فقال : اسمعا مني ما اقوله لكما ، ان محمداً هذا والله نبي هذا الزمان ، وسيخرج عما قريب وسيدعو الناس الى شهادة ان لا اله الا الله وانه رسول الله فاتبعوه ولا تعصوا له امراً .

ثم قال لها : هل ولد لعمه ابي طالب ولد سمي بعلي ؟ قالوا : لا .

فقال : اما ان يكون قد ولد أو سيولد عما قريب ، وهو أول من يؤمن
بمحمد ويصدق على دعواه ، هكذا وجدنا في كتبنا ، كما وجدنا ان علي
ابن ابي طالب سيكون سيد العرب بعد محمد ابن عمه ، كما هو رباني هذه
الامة وذو قرنيها ، يعطي السيف حقه ، اسمه في الملائكة الأعلى علي ، كما هو
أعلى الخلائق درجة يوم القيامة بعد محمد ، ويعرف عند الملائكة بالبطل
الأزهر ، كما هو أكثر معرفة عند أهل السماء من الشمس الطالعة .

ثم انصرف الراهب وعاد الرجلان الى قافلتها وهما في سبات عميق
وفكر متواصل ، وهكذا الى ان وصات القافلة الى مكة واجتمع عبد مناف
ونوفل بأبي طالب فنقلا له ما لقيه من الراهب ، فقال ابو طالب : واني
والله اعرف ذلك عن ابي عبد المطلب ، وانا في ترقب للأمر وعلى استعداد
لتلقي ماسيحي* به عن ربه ، كما انا على استعداد لمناصرتة ومؤازرتة مهما
كانت المخلفات من الشدة والصعوبة .

وفي دائرة المعارف الاسلامية في ترجمة ابي طالب ١ / ٣٦١ : ابو طالب
عبد مناف بن عبد المطلب عم النبي ، وهو الذي كفل ابن اخيه اليتيم عند
وفاة جده عبد المطلب - الى ان يقول - : وعندما بدأ أهل مكة يضطهدون
النبي لمهاجمته عقائدهم ناصره ابو طالب بصفته رب الأسرة ، ورفض ان
يتخلى عنه أبداً ، كما رفض ان يتخلى عن القيام بهذا الواجب الأبوي رغم
اعتراض المكين واحتجاجهم ، وحذا حذوه بنو هاشم عدى ابي لب .
ولما اعلن القرشيون اقصاء ابي طالب وبني هاشم عن المجتمع المكي
اعتكفوا في حبيهم في شعب ابي طالب ، وعاشوا هناك مضطهدين كل
الاضطهاد ومدة من الزمن ، ولذلك نجد ان النبي خسر خسارة عظيمة بموت
عمه المخلص ابي طالب قبل هجرته الى المدينة بثلاث سنوات وبعد بعثته
بعشر سنين .

وليس عجباً ان تجعل الروايات من ابني طالب مادة لها ، فهو الرجل الذي كان على صلة وثيقة بالنبي ، كما وهو يعرف عنه الشيء الكثير .
ونقل السيد الموسوي في الحجة ص ٢٢٦ كما نقل صاحب ذخائر العقبى ص ٢٤٠ قال ابو طالب يهجو قريشاً ويندد بأعمالهم المحرمة ويحذرهم مغبة تماديهم في الغي والضلال ونتائج تخلفهم عن شريعة رسول الله ومتاوتنها بمحض منهم :

تطاول ليلى لأمر نصب	ودمع كسح السقاء السرب
للعب قصي بأحلامها	وهل يرجع الحلم بعد اللب
وقالوا لأحمد انت امرؤ	خلوف الحديث ضعيف السبب
وان كان أحمد قد جاءهم	بصدق ولم يأتهم بالكذب
فيا لقصي الم تخبروا	بما قد خيلا من شؤون العرب
فرمتم بأحمد مارمتم	على الاصرات وقرب النسب
فاني ومن حج من راكب	وكعبة مكة ذات الحجب
تناولن أحمد او تصطالوا	ظباة الرماح وحد القضب
وقال أيضاً :	

خذوا حظكم من سلمنا ان حربنا اذا ضرستنا الحرب نار تسعر
فانا واياكم على كل حالة لمثلان بل انتم الى الصلح افقر
وقال السيد في الحجة ص ٢٢٥ : لقد حكى لي الشيخ ابو الحسن علي
ابن ابي المجد الواعظ الواسطي في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وخمسمائة
حكاية مطبوعة قال فيها : كنت اروي ابيات ابني طالب التي انشأها على
اثر التصاق الحجر بكفي ابي جهل حين هم ان يضرب به رسول الله صلى الله
عليه وآله وهو يصلي ، وكان يعجبني من الأبيات هذا البيت فأكثر ترديده :
بكف الذي قام في جنبه الى الصائن الصادق المتقي

فرايت في منامي ذات ليلة رسول الله صلى الله عليه وآله في مكان موقور كأنه الجنة ، وهو جالس على كرسي من زبرجدة خضراء وإلى جنبه كرسي آخر وعليه شيخ بهي وقور عليه سياء الجلالة والعظمة نوره يأخذ بالأبصار ، فدنوت من رسول الله لأسلم عليه واتشرف بلثم يديه ، وقالت : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك ياصفوة الله ورحمة الله وبركاته . فرد علي السلام وقال لي : سلم على عمي - وأشار بيده المباركة الى الجالس من حوله - قلت : بأبي انت وامي يا رسول الله أي اعمامك هو ؟ فقال : هو عمي ابو طالب الذي آواني صغيراً ووازرني كبيراً . فدنوت حينئذ منه وقلت : السلام عليك يا عم رسول الله ، فرد علي السلام ، ثم قبلت يديه وتبركت بحضرته . ثم نطنت اني احفظ ابياته التي قالها على اثر التصاق الحجر بكف ابني جهل ، فقلت له : يا عم رسول الله اني احفظ أبياتك في قصة الحجر وأرغب أن أقرأها عليك لتصحيحها لي فيها اذا كان فيها شيء من الخلل . فقال : أقرأها علي ، فصرت انشده الى ان وصلت الى قوله :

بكف الذي قام في جنبه الى الصائن الصادق المتقي
اذ يستوقفي رضي الله عنه ويطلب الي إعادة البيت ورسول الله مستبشر
فرح للوضع ، فأعده كما احفظ ، فقال : لم تكن روايتك للبيت صحيحة
وعلى ما صدر مني ، بل الذي قد قلته كان هكذا :

بكف الذي قام في جنبه الى الصابر الصادق المتقي
فاستيقظت معجباً بالرؤيا مرتاحاً لمشاهدني رسول الله صلى الله عليه وآله
وزيارة عمه المحامي والكافل ثم التصحيح الملبح ، فعمدت الى مجموعتي التي
كنت ألفتها وجمعت فيها كثيراً من الشعر العربي ولا سيما شعر ابني طالب
الحامسي ، فكتبت في المجموعة وتحت الأبيات الخاصة : اخبرني عم النبي

أبو طالب رضوان الله عليه يحضر من رسول الله صلى الله عليه وآله انه
قد قال هذا البيت بهذه الصورة :

بكف الذي قام في جنبه الى الصابر الصادق المتقي

• • •

أقول : وسيجمع الله الخلق يوم القيامة فيوفي الصابرين اجرهم بغير
حساب ، ويؤتي بعم رسول الله ابي طالب ونوره يسعى بين يديه ، فيزف
الى الفردوس الأعلى والجنان العالية ، وعليه وقار الأنبياء وبهاء الأولياء
والجاهدين في سبيل الله وروحانية المحاماة عن رسول الله ، فيوضع له كرسي
الى جانب النبي صلى الله عليه وآله الذي نافح وكافح من أجل دينه والحرص
على سلامته ، وضحي في سبيل ذلك كل ما لديه من نفس ونفائس ، حتى
علت كلمة الله فكانت هي العليا ، وظهر امر الله وولت دولة الأصنام
وكانت هي السفلى ، وتحطمت فلول الوثنية على صخرة التوحيد الصلبة ،
فينظر حينئذ الى ما اعده الله عز وجل له من المقام الكريم والدرجات الرفيعة ،
ثم يتهافت المؤمنون على رسول الله يسلمون عليه زرافات ووحدانا ، وبطبيعة
الحال أنه صلى الله عليه وآله يريد توقيف عمه فيأمر المسلمين بالسلام عليه ، ولا
بد للمسلمين من أن يمتثلوا أمر رسول الله فينتالون على ابي طالب مسلمين
عليه ومهتين له بمقامه العظيم .

ومن الطبيعي أن صاحب الرؤيا هو واحد من المسلمين إلا أنه يمتاز
بأنه يعرف عم النبي ، لأنه قد رآه وعرفه ، وعليه تكون القضية قضية
يقضة ووجدان لا قضية رؤيا وأحلام ان كنا نؤمن بيوم الحساب .
أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم اليها لانرجعون .

قال العلامة البجائية الشيخ عبد الواحد المظفر : ان عم النبي العظيم
الزعيم ابا طالب هو بطل حركة رسول الله ، كما هو بطل المحاماة عنه صلى

الله عليه وآله ، كما هو بطل بكل معنى البطولة وبكل مفاهيمها ، اذ نحن اذا تصورنا البطولة تصوراً عميقاً ودقيقاً وفحصنا الشخصيات فحصاً عاماً وشاملاً - باستثناء شخصيات الأنبياء والمبعوثين بالرسالة الالهية - وتصورنا البطل من واجهة كونه مفكراً وعبقرياً ، أو من زاوية كونه قائدأً باسلاً ، أو من حيث كونه شجاعاً لا يعرف التقهقر ولا الخور - كما هو المعنى الحقيقي للبطل - أو من حيث كونه زعيماً عظيماً ، أو من حيث كونه جواداً كريماً ، أو من حيث كونه شاعراً وأديباً - كما ذهب الى ذلك كارليل الانجليزي في كتابه الأبطال - أو من حيث كونه عالماً محيطاً ، أو من حيث كونه نجيباً ومنجباً للأشبال ... الى غير ذلك من صفات المجد والكمال وسمات العظمة والجلال التي هي من لوازم الأبطال وخصائص البطولة ، انضح لنا جيداً وبصورة تعكس الواقع كما هو أن البطل الجامع لكل المستازمات والمتصف بكل المتطلبات يكاد يكون معدوماً ، أو على تقدير أن يوجد فعلى ندره . نعم ما يوجد في الخارج فهو الحائر على بعض من تلك المزايا وهاتيك الحلال . وعليه فعم النبي ابو طالب من اولئك الأفراد النادري الوجود ، والذين قلّ أن تنجب الانسانية لهم نظيراً ومثيلاً في دنيا الوجود ، فهو كما اسلفنا بطل بكل ما للبطل من معنى ، وبطل بكل ما للبطل من مفاهيم متألّفة كانت او متباينة ، فهو حلیم شديد ، عظیم متواضع ، كبير صغير ، نبيه متغافل ، قوي ضعيف ، متحرك ساكن ، شجاع يحترم الدماء ويتعد عن ارباب الناس واشاعة الهلع والاضطراب فيهم . الى غير ذلك من متنافر الصفات ومتباين الطباع .

ولا يقال : ليس من الممكن أن يكون الفرد الواحد مجعاً للمتناقضات ومركراً للمتنافرات والمتباينات ، لاستحالة اجتماع النقيضين على مائدة واحدة وبساط واحد .

لأننا نقول : نعم من المستحيل اجتماع الأضداد ، وليس من المعقول تألف المتباينات ، ولكن حيث تجتمع على المعنون من واجهة واحدة ونحاول احتلاله من زاوية متحدة ، أما إذا كان عروضها على المعنون من جهات وحشيات وزوايا متعددة فهو بمكان من الامكان ، كما وقع ذلك في الشريعة وصادف بالنسبة الى الأحكام الاسلامية ، واتفق بالنسبة الى عم النبي الكريم ابي طالب . فحياته رضي الله عنه مليئة بالمتضادات حافلة بالمتناقضات ، كما وهي حياة جهاد ونضال عنيفين : تدور رحاهما بين حق وباطل ، بين توحيد وشرك ، بين عدل وجور ، بين خشوع وجبروت ، بين قوى الخير وقوى الشر .

فهو رضي الله عنه المبدأ لقوة الحركة الاصلاحية ، والمصدر لتفسير قافلة النبي صلى الله عليه وآله ، كما ان اعتقاده بأهميتها وشعوره بمسؤوليتها كان عاملاً قوياً ومن اهم العوامل والبواعث على دعمه رسالة السماء ودعوة التوحيد المهادفين الى اعلاء كرامة الله القدير واسعاد البشرية جمعاء في حياتها المادية والروحية ، كما وهما الحجر الأساس الى تحرير المجموعة الانسانية من اوضاع الجاهلية في البيئة المتعددة على الأخلاق والمثل العليا النبيلة والطاغية على الصراط السوي المستقيم .

ومن هنا وهناك شعر ابو طالب بضرورة معاونة رسول الله صلى الله عليه وآله ولزوم مؤازرته والوقوف معه جنباً الى جنب في جميع الأحوال والتطورات ، حتى يتسنى له القيام بكل هدوء واطمئنان بالمسؤولية التي أقيمت على عاتقه ، وحتى يستطيع اداء مهمته كما تريد السماء ، وحتى يحصل ابو طالب على فضيلة الرجل المجاهد وكرامة المحاماة عن رسول الله والناسر لنبوته .

ولهذه الأغراض فقط كان رضوان الله عليه يهتف نثراً مرة وشعراً

مرة اخرى يحرض النبي صلى الله عليه وآله ، يحرضه على الاسترسال في امره والاستبسال في واجبه .

فاصدع بما تؤمر ماعليك غضاضة ولقد صدقت وثم كنت أميناً
أما انه رضي الله عنه بطل بصورة سياسي مخنك ، فانه استطاع ان
يخضع الأقوام المختلفي الطباع المتبايني العقائد ، فيجمعهم على بساط واحد ،
ويجلسهم على مائدة واحدة ، ويجعلهم اخواناً متراصين متكاتفين ، فيكون
منهم كتلة قوية ومجموعة قهارة ، بأمكانها أن تقاوم التكتلات الكافرة ،
وتقف في وجه التيارات المشتركة . كما سخرها للدفاع عن الدين ، والجهاد
في سبيل الحق المبين ، والذود عن حياض الاسلام الأغر . ثم تفادي رسول
الله صلى الله عليه وآله بكل معاني المفاداة ...

كل ذلك بفضل تدبره للأمر ، ودراسته العميقة للأحداث ، ومعرفته
الكبيرة بالطرق والأساليب التي يمكنه ان يصل الى ما يريد من نواحيها
ونوافذها ، فيستولي على أحاسيس الناس ومشاعرهم من دون أن يلتجئ
الى طرق شائكة وملتوية ، ربما لاتكون حميدة العاقبة سايمة النتائج .

وبهذه السياسة الحكيمة والفراصة القوية تمكن ابو طالب ان يقضي
على السيول الجارفة من المؤامرات والحركات المشتركة ، كما استطاع القضاء
على النعرات القبلية والطبقية ، فنجده مرة يثير بني هاشم ويشجعهم على
الاسلام ثم التزام جانب النبي وحجائه ، ونجده مرة يتوسع في الأمر فيذكر
العرب وقريشاً بما لرسول الله صلى الله عليه وآله من الشرف العظيم والحجد
الرفيع من قديم الزمن وسالف الدهور ، وما لآبائه الغر الميامين من الأيادي
البيضاء على قريش بصورة خاصة ، الأمر الذي يحتم عليهم بطبيعته الانصياع
الى النبي والخضوع له ، ثم اتباعه فيما تنبأ به واقتفاء اثره ، ثم مواساته في
محنته وشدائده .

وقد وجد رضي الله عنه ان أثمرت سياسته واينعت أفكاره وفراسته ، فوجد النبي وقد أحاط بمحضرة الفدائيون والمخلصون من هاشميين وغير هاشميين يقدونه بكل غال ونفيس ، ويواسونه في السراء والضراء .

* * *

أما انه رضوان الله عليه بطل بصورة مفكر عبقري وفيلسوف ألمعي ، فالواقع والوجدان يشهدان له بذلك ، ولكن لايراد بالمفكر والفلسفي هما صاحبا التخيلات الفارغة والتي لا ترجع الى معنى معقول ومقبول ، التخيلات والتصورات الجوفاء التي هي ربما تكون كل ما في خزانة بعض المفكرين والفلاسفة ، بل ابو طالب مفكر عبقري وفيلسوف ألمعي يبني على اساس من الدراسة الصحيحة ، والإمعان في الحقائق ، والخوض في غمرات الأحداث ، والغور في أعماق الوقائع ، ثم تصور العواقب وترتيب أقيسة النتائج ، ثم تعبيد الطرق للحصول الى الغاية الحميدة والمقصد الكريم ، من دون ماخسارة بالأموال والأرواح ، وتضحية بالعزير والممتلكات .

فهذه السياسة والحنكة اعلن ابو طالب الحرب على الصهانية والمشركين وقاوم الأوثان وحطم الأصنام والجاهلية . . .

بهذا وامثاله قدر للزعيم الهاشمي ابي طالب ان يفلح وينجح وينصر رسول الله وبصقه في جميع المقال والدعوى ، واخيراً يتغلب على كافة العقبات ويقضي على جميع المؤامرات الحاقدة ، الأمر الذي اضطر المشركين ان يعملوا ويعملوا ليل نهار جادين جاحدين ، يحاولون ويحاولون فصل ابي طالب عن ابن اخيه ، ثم لينفذوا فيه مآرئهم . وليقفوا صفاً واحداً ، ثائرين لكرامة أوثانهم المحطمة وأصنامهم المبعثرة المهانة .

وما دروا أنهم يحاولون المستحيل ، وما علموا أن ابا طالب لا يمكن أن يتخلى عن رسول الله أبداً ، لأنه رضي الله عنه كان يرى ان الانفصال

عن مجد أو الابتعاد عنه انفصال عن دينه وعقيدته ، وابتعاد عن ربه ورب
آبائه الأولين ، الرب الذي خدم بيته طوال حياته وخدم زواره وحجاجه
زهاء نصف قرن ، وأخيراً هو ابتعاد عن الرسول الذي ثبتت نبوته بالأدلة
القطعية والبراهين القوية ، والتي شاهدها بذاته ووقف على بعضها بنفسه
وأعرب عنها بلسانه :

والله لن يصلوا إليك يجمعهم
الى أن يقول :

ولقد علمت بأن دين محمد
من خير أديان البرية ديناً

* * *

اما بطولته رضي الله عنه بصورة قائد مظفر فهي لاتعني كونه بطلا
مفتول الساعدين ، عبل الذراعين ، عريض ما بين المنكبين ، متكون من
عدد مناسب من الستمترات فحسب . . بل تعني اكثر ماتعني تحقيق عناوين
الفوز والانتصار والغلبة والظفر ، ثم بفضل الحزم والتدبير والتروي والتفكير
الاستيلاء على غنيمات العدو واحتلال مناطقه الخطرة ، وما تحتوي عليه
المعسكرات من قوة وعتاد وسلاح وذخائر .

وبالنظر الى هذه القيادة الرشيدة المتمثلة في ابي طالب أصر الكنانيون
عليه ان يقودهم الى معركتهم مع القيسيين ، وبعد أن اجابهم الى ذلك
لمسوا منه حسن الادارة للجيش وحسن القيادة للجند ، وكلما كان هو قائدهم
كان النصر حليفهم والفوز معهم . . وهكذا في كل خروجه معهم .

* * *

أما انه بطل بصورة زعيم فهو زعيم بكل معنى الكلمة ، وزعيم
بجدارة واستحقاق .

فالزعيم في عرف الحكومات والدول هو القائد لقطعة من الجيش

تحتوي على ثلاثة أفواج ، والفوج يتألف من ألف جندي .
والزعيم في عرف العرب هو رئيس القبيلة وقائدها ، والحاكم بينها
في خصوصياتها ولسانها المعبر عن آلامها وآمالها لدى السلطة الحاكمة ، أو لدى
القبائل الأخرى .

وعلى جميع النقادير كان ابو طالب زعيم قريش ، ورئيس مكة ،
واعظم قائد محنك خبرته الحوادث وجربته الوقائع .
وقد تقدم مانقلناه عن التاريخ وعن مروج الذهب بالخصوص قيادته
للكنانين في حروبهم مع القيسيين ، وكان جيش كنانة يتألف من عشرات
الآلاف من الجنود .

هذا بالإضافة الى ما كان يتمتع به الزعيم الهاشمي من لوازم الزعامة
ومقتضياتها : من كرم نفسي ، وتصاغر للناس ، وتعاهد لقضاء الحوائج
مهما كلفه الأمر من خسارة مادية أو تعب ومشقة بدنيين .

نعم قد تتوقف اموره المادية احياناً فيضطر الى الاستدانة من اخيه
العباس بن عبد المطلب ، وهذا قد يتفق حتى للحكومات الكبرى ، فانها
قد تستدين احياناً من حكومة اخرى في ظروف استثنائية واولات خاصة ،
فلا يضر في زعامة ابي طالب اذاً أن يحتاج الى الاستدانة من العباس اخيه .
ولا يصغى لما نقله البعض من المؤرخين ان ابا طالب كان فقيراً
لامال له ، وما ساد فقير قط الا ابو طالب ، والحال ان التاريخ هو الذي
كان ينقل ان ابا طالب كان كريماً جواداً ، وقد انسى كرمه وجوده كرم
كل كريم حتى كرم حاتم وجوده ، ومن يكون على هذه الشاكلة كيف
يكون فقيراً لامال له ؟ ! .

أقول : ولا ينهض دليلاً على تأزم حالة ابي طالب الاقتصادية وفقره
عملية الرسول معه ، حيث جاء اليه بعمه العباس ليأخذ منه بعض عائلته

تخفيفاً عليه وتقليلًا لمصارفه المتكثرة ، بل انما كان ذلك من النبي وعمه العباس لغاية اسمى وارفع واجل وامنع لاحظها رسول الله صلى الله عليه وآله من زاوية التخفيف عن ابي طالب المثقل بعبء العائلة الضخمة ، والأضياف الذين ليس لهم انقطاع ، والحجاج المتكثرين : بل كانت الغاية هي ان يظم علي بن ابي طالب اليه ويضيفه الى عائلته ليتولى تربيته وتثقيفه وتعليمه وتأديبه ا يظهر للعالم وهو اكمل انسان وافضل شخصية بعد شخصية النبي المباركة ، وفعلاً وبهذه الوساطة ظهر علي كذلك على مسرح الدنيا ، وهو اجل انسان بعد النبي صلى الله عليه وآله .

فحيازة النبي لعلي لما يعلمه من انه هو خيرة الله ورحمته من بعده أولاً وحفظاً لعمه ابي طالب فيه ثانياً . ولهذا وذاك كان الاختصاص منه صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام ، وإلا فأبو طالب كان كريماً يهب الألواف ويعطي عطاء من لا يخاف الفقر ، كما كان مأوى الضيوف والوفود والحجاج . وعليه كيف يمكن ان يكون فقيراً ومعدماً حتى يقال فيه انه « ماساد فقير قط الا ابو طالب » ؟

ومن يمعن النظر ويتصور قضية التخفيف بدقة يجد ان سحب الشخص الواحد او الشخصين عن ابي طالب لا يؤثر التخفيف ابداً ، اذاً لا بد وان تكون عملية النبي صلى الله عليه وآله ناظرة لما قدمناه من تلك الغاية الجليلة والمقصد الشريف النبيل .

• • •

قال المظفر : أما انه رضوان الله عليه بطل بصورة شجاع ، وقد عرف الشجاع بأنه هو الانسان الذي يزاول الحروب ويمارس الغزوات والوقائع ويخوض غمار المعارك ، فينازل الأبطال وبواجه الفرسان والشجعان ، فيأتي بفنون حربية ما يستطيع بها التغلب على العدو وقتل فرسانه وابطاله ، ثم كسب

المعركة والفتح المبين ، لذا لا يعطى وصف الشجاع وسمة الشجاعة لمن يتفق له دخول حرب واحدة ودخول معركة واحدة ، او لمن يدخل الحروب ولم يأت نفسه في لحواتها .

ومن هذه الزاوية ومن نوافذ هذه الواجهة ربما يتوصل الى ان الزعيم اباطالب لم يعرف عنه انه قد تكررت عنده الحروب ، وخاض غمار الغارات والغزوات إلا ما كان من أمر قيادة الكنانيين ، فهو وان ابدى فيها شجاعة وبطولة متناهيتين لكن الواقعة الواحدة لاتفيض على قائدها سمة الشجاع ووصف الشجاعة ، فإطلاقهما على ابي طالب اذاً جزاف ومن قبيل السالبة بانتفاء الموضوع .

فهذا صحيح من بعض الوجوه ، ولكن ان تدبرنا المعنى اللغوي والمتركر العرفي للشجاع نجد أن الملكة والقابلية وتوطين النفس على خوض المعارك وممارسة الثورات وتدبير امور الجيش وتسييره على الخط الذي يفسن له الفلاح والنجاح هي كل مفاد الشجاع ومعطبات الشجاعة ، وخوض معركة واحدة كاف في تحقيقها فيما اذا ظهرت ملكة الانسان وقابليته ، وعرفت بطولته وبسالته ، كما ذهب الى ذلك كارليل الانكليزي في مؤلفه (الأبطال) حيث قال : إن الشجاعة ينبوع الرحمة ، وينبوع الصدق والشرف ، كما هي مصدر الكرم والمروءة ، وما الى ذلك من محاسن وفضائل مجيدة . ومن وقف على ما كان عليه زعيم بني هاشم من صفات الخير والمجد المؤثل وسمات الكرم ، وجده هو الشجاع حقاً .

على ان أبا طالب رضوان الله عليه لا يقال له أنه ليس له الا موقف واحد في حرب الكنانيين مع القيسيين ، لأن الحرب بين القبيلتين دأوم مدة غير قليلة ، وكل يوم تثار فيه الحرب هي حرب جديدة ، اذاً هي حروب متجددة ومتعددة . وما دام ابو طالب هو القائد اذاً هو الشجاع بكل

معنى الكلمة .

وكيف لا يكون كذلك وقد نقل التاريخ عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في بعض المناسبات : رحم الله عمي ابا طالب ، لو ولد الناس كلهم لولد لهم شجعاناً .

وبطبيعة الحال لو لم يكن هو شجاعاً لما صح ان يولد الشجعان ، لأن فاقد الشيء لا يكون معطيه - راجع الجزء الثالث من شرح النهج لابن أبي الحديد في ترجمة ابي طالب .

* * *

أما انه بطل بصورة شاعر فالشاعر في عرف الأدباء هو الانسان الذي يقوى على صياغة مستوحيات خياله وأحاسيسه بقلب موزون واسلوب مقفى ، سيان في ذلك الشعر العاطفي والشعر الحماسي او غير ذلك . ولا يقدح او يضر بشاعرية الشاعر كونه متميزاً بطابع خاص واسلوب مخصوص ، مبتعداً بها عن الغزل المفضوح والحب غير المشروع والمدح والهجاء من غير استحقاق ، ولعل هذا اللون من الشعر هو أوقع في نفوس بعض الناس وألذ الى طبائعهم نعم قد لا يروق للمؤمنين والمتدينين . وعلى كل حال فصاحبه أديب وشاعر مما لا ريب فيه .

أما شعر ابي طالب فهو من النمط المستمر بطابع التحمس للدين ، ثم بيان محاسن الاسلام ومفاخر الدين الخنيف ، ثم الإشادة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وتغظيمها بالنفوس ، ثم الحث على اتباعها واقتفاء اثرها ومناصرتها على اعداء الله واعداء رسوله ، ثم التدليل على أنه ممن تابع الرسول وآمن بدعواه ووازره بكل امكاناته وطاقاته .

وقد وجد انه يكرر :

ياشاهد الله عليّ فاشهد
اني على دين النبي أحمد

أما لاميته المعروفة الشهيرة فهي إما تكمل المائة بيت أو تجاوز المائة ،
والتي هي من الشعر الرافي ، والتي هي من أجمل الشعر وأفضل القصيدة ،
التي قال فيها ابن كثير الشافعي الدمشقي : أما لامية أبي طالب فهي أجمل
واكمل وافحل من المعلقات السبع ، كما وانها أصدق مثال للشعر العربي .

* * *

أما انه بطل بصورة عالم ، ولا يكاد يخفى ما للعلم من انواع ومصاديق :
فقه ، اصول ، فلسفة ، طب ، فلك ، كلام ، تفسير ، البلاغة ، المنطق ،
المعاني والبيان ، لغة ، العاوم الطبيعية - الى غير ذلك من الأصناف .

ومن وقف على ترجمة عم النبي أبي طالب الترجمة التي تعرضت لها
كافة كتب التاريخ والسير عرف جيداً أنه رضوان الله عليه كان عالماً بجميع
انواع العلم ، كما دلل على ذلك بثوره وشعره ، لذا قد عُد من أعظم الحكماء ،
بل قالوا إنه استاذ الحكماء ومعلم الفلاسفة والأدباء ، فلترجع كتب التاريخ
ومنها مؤلفات ابن حجر العسقلاني تعرف مقدرته العامية وتتحقق منزلته
الأدبية والفلسفية .

* * *

أما انه رضي الله عنه بطل بصورة نجيب فانه قد انجب اللبوث
والاشبال ، وولد الأبطال والنبلاء : مثل علي وعقيل وجعفر ، الأشبال
الذين كانوا المثل الأعلى للبرالة والاستسداد والبطولة والنبل والسؤدد .

أما علي بصورة خاصة فهو الشخصية الالامعة التي قد ملأت الدنيا
من اقصاها الى اقصاها سمواً ومجداً وعزاً وعظمة عالماً وحليماً وكرماً وشجاعة
لقداماً وبرالة وفتوة وجهاداً ، لذا عبر عنه علماء الغرب انه سلطان الأبطال
وفيلسوف العرب .

* * *

أقول : ولعمري ان حديث المظفر هذا حديث قيم وتحليل شامل يتسم بمنتهى العظمة والجلالة ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بحث وتحليل هما كانا متميزان سمواً وملائمة مع حياة عم النبي العظيم ، الحياة الحافلة بكل المؤهلات والمكانة الخيرة ، فجزاه الله عن عم رسول الله خير جزاء المحسنين .

وتحدث السيد الموسوي في الحجة ص ٢٢٣ فقال : حدثني شيخنا عميد الرؤساء ابن أبي ايوب اللغوي ، قال اطلعني السيد الشريف عبد الحميد التقي الحسيني النسابة على نسخة من كتاب الكامل للمبرد كان فيها بعد ذكره لأبي طالب في بعض ابواب الكتاب : لقد أسلم ابو طالب وحسن اسلامه كما صدق الرسول في دعوى النبوة ، كما يظهر ذلك واضحاً جلياً من قوله الذي يخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم :

إذهب بني فإعليك غضاضة ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وفي ص ٣٥٧ من الحجة قال السيد : وكان عثمان بن مضعون الصحابي الجليل يقف أحياناً بباب الكعبة فيعظ الناس ، فيأمرهم بالمعروف والرضوخ للدين والتمسك بمبادئ محمد الذي جاء بها من ربه العظيم ، وينهاهم عن المنكر والبغي ويحثهم على نيل الأوثان ورفض الأصنام والابتعاد عن الشرور والآثام ، فوثب عليه رجال من المشركين فضربوه ضرباً مبرحاً وعذبوه عذاباً الياً ، ولم يكتفوا بكل ذلك دون ان قلعوا إحدى عينيه ، فبلغ الخبر أبا طالب ، فغضب للحادث المرير ثم اخذ يتطلب الفعلة حتى عرف الذي تصدى لقلع عين عثمان ، وكان شخصية مرموقة من قريش ، فأصر على أن يقتص منه وان يفعل به كما صنع بعثمان .

وقد شاع نأاً اصرار الزعيم الهاشمي على أن يقلع عين من قلع عين عثمان بن مضعون ، فضاق الخناق بقريش وتحققوا أن تصميم أبي طالب هذا

لا بد وأن يسفر عن الاقتصاد ، ولا بد أن يقطع عين صاحبهم ، فصاروا يهرعون الى ابي طالب زرافات ووحداً يطلبون اليه ويرجون منه ان يقبل منهم بالدية والفداء ، وابو طالب يصبر على تصميمه ورأيه وانه يقوم بما بدا له مهما كلفه الأمر ، وبعد محاولات ومخادعات فاشلة ارتد الوسطاء على أعقابهم خاسرين ، وقد يشسوا من كل المحاولات .

أما ابو طالب فصار الى ترصد الحرم وترقبه ، وأخيراً عثر عليه بين ملاء من قريش وقد احاطوه من جميع جهاته ، فلم يبرح عنه حتى فقا عينه كما فقا عين عثمان بن مضعون ، ولم يستطع أي واحد من الحاضرين ان يتكلم او يدافع او يرفع رأسه ، ثم انشأ ابو طالب مقطوعة شعرية تبين الحادث وترمز الى الانتصار واخذ الثار ، وقد تقدم ذكر الأبيات .

وتحدث الفضل بن شاذان في المناقب عن الكراچكي عن محمد بن علي ابن صخر عن عمر بن محمد بن يوسف عن محمد بن سليمان عن محمد بن صنوبر ابن صلصال انه قال : كنت اخرج مع ابي طالب للنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وحمايته من اليهود والمشركين ، فخرجت ذات يوم للغاية ، وكان خروجي قبل موعد خروج ابي طالب ، فجلست على الباب ريثما يخرج ، فبينما انا كذلك اذ خرج الي مضطرباً مرتبكاً ، وهو يقول : يا ابا الغضنفر هل رأيت الغلامين مجدأً وعلياً ؟ قلت : لا يا شيخ الأبطح لم أرهما منذ جلست . فقال : قم بنا نطلبهما فلست آمن عليهما من ان يغتالهما المشركون واليهود . فقمتم معه حتى خرجنا من بيوت مكة ، ثم صرنا الى جبل كان هناك ، فاذا نحن بمحمد وعلي يصليان بجانب من جوانب الجبل ، وقد رأيت ابا طالب وقد تهامل وجهه فرحاً حيث وجدهما يصليان ، فانتظرهما الى أن فرغا جاء بهما الى الدار .

ونقل القاضي النقدي في المواهب بسنده الى عمر بن حصين أنه قال :

كان والله اسلام جعفر بن ابي طالب بأمر أبيه وإرشاده ، حين أمره ان يوصل جناح رسول الله في الصلاة ، كما قال له بعد ان فرغوا من الصلاة ياجعفر ستقتل في سبيل الله وبأمر من محمد بن عبد الله وتقطع يدك فيعوضاك بجناحين بدل يديك المقطوعتين تطير بهما مع الملائكة في الجنة .

أقول : وليس كثيراً على عم رسول الله ان يقرأ مستقبل ولده فيخبره بما سيظالعه من ميتة في سبيل الله بأمر من رسول الله ، حين يأمر بجهاد الكفرة الطغاة ، فيقتل وتقطع يده ثم يعوض عنها بجناحين ... نعم ليس غريباً عليه هذا التنبؤ وهذه القراءة ، كما هو شأن المؤمنين المتقين ، وأخيراً وافق الخبر العيان وطابق التنبؤ الواقع ، بعث رسول الله ابن عمه جعفر الى مorte يتقود جيش المسلمين : فجاهد جهاد الأبطال الى ان قطعت يده ثم قتل عليه السلام ، فأبدله الله عن يديه جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة .

ونقل ابن شهر آشوب في مناقبه بطريقه الى مقاتل انه قال : لما رأت قريش الى النبي - وقد علا ذكره وظهر امره واستجاب كثير من الناس الى دعوته واصبحت تنسج يوماً فيوماً - اجتمعوا فيما بينهم وتشاوروا ، كما صمموا وتهيؤوا وتعاقدوا على أن يقتلوا رسول الله بعد موت ابي طالب ، حتى ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ، ثم شاعت الأقذار أن يعلم ابو طالب بما يبتوه وصمموا عليه ، فيجمع على الأثر كافة بني هاشم وبني المطلب ، فأعلمهم بنوايا القوم اتجاء ابن اخيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وآله ، وطلب اليهم ان يلازموه ولا يفارقوه في حله وترحاله ، وان يحيطوه بها كلفهم الأمر ، وان ادى ذلك الى التضحية بالروح والدم ، ثم قال : يا قوم ان ابني محمداً نبي صادق وامين ناطق ، وإن شأنه أعظم شأن ومكانه من ربه اعل مكان ، فأجيبوا دعوته واجمعوا على نصرته وحاموه من كيد عدوه ،

فانه الشرف الباقي لكم .

ونقل في الكافي بسنده الى ابن ابي عمير عن الحسين بن ابي حمزة عن صادق
آل البيت جعفر بن محمد عليه السلام انه قال : قد اجتمعت قريش وحلفاؤها
من العرب واليهود ذات يوم ، فتداولوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ،
ثم محض اجتماعهم ذلك عن التصميم على قتل النبي الأمين ، وبه يقضوا على
شريعته ودبنه ، إلا أنه قد وقف نصب أعينهم ابو لهب ، فخافوا تحركه
وهياجه وحذروا من ان تثور فيه روح النخوة القبلية وحمة النسب ، فيقلب
لهم ظهر الحن ويتنكر لأفعالهم هذه ومؤامرتهم القذرة ، فقالت ام جميل
بنت ابي سفيان وزوجة ابي لهب - وهي كانت من جملة من حضر تلك
الندوة المشؤومة ومن جملة المشتركين في وضع خططها وتصاميمها - نعم
تبرعت ان تكتمهم أمر ابي لهب ، واوعدت ان ستعمل جاهدة وتحاول
ما امكنتها المحاولة والخديعة على حبسه وحجزه في الدار وتهيئة الظروف
الحبذة لعدم خروجه ريثما تتم العملية والمؤامرة ، فشكروها ثم ودعوها وتفرقوا
على ان يجتمعوا في الوقت المحدد ليقوموا بما تعاقدوا وتعاهدوا عليه ، وعادت
ام جميل الى دارها وهي قلقة تفكر كيف تستطيع ان تغلب على ابي لهب
وتسيطر على أعصابه ، وهكذا ظلت تفكر وتفكر حتى قرب الفجر ، وأخيراً
دلها التفكير على ان تحمى الحمام ، وبالفعل قامت بذلك حتى اذا نهض
ابو لهب من نومه وقام ليرتدي ملابسه ليخرج على مستمر عادته قامت
بوجهه أم جميل فقالت : يا ابا لهب اني رأيتك محتاجاً الى الاغتسال وها انا
قد هيأت لك الحمام وغسأت ثيابك ، فاغسل والبس ثيابك النظيفة ثم اخرج
اذا أردت بعد ذلك ، فانطالت الحيلة عليه وتلّى الفكرة برغبة ورحابة ،
فبادر الى دخول الحمام وصارت ام جميل تدلكه وتغسل له وتماطله وقد
اطالت القضية فخافت ان يكشف السر ، فهيأت له للباس ثيابه ، ولما رآته يحاول

الخروج من السدار عرضت عليه الشراب وحسنه له ، وانه شراب عظيم قد اهدي اليهم ومن مدة لم يشربا ولم يشملا ، وكأنه هشن للموضوع فوافق وجلس ، فأخذت تسقيه وتشرب وتسقيه حتى ارتخت اعصابهما وصارا بعالم الخيال والنشوة ، وكادت مؤامرة جماعة الشرك ان تنجح وتفلح وتم لولا ان ينكشف التآمر الدنيء لعلم النبي الزعيم ابي طالب ، فتقوم قيامته وتثور ثائرته ، ويتأكد ان ابا لهب لم يكن مع القوم كما لم يكن من المتآمرين على حياة النبي في هذه المرة ، فيرسل ولده علياً الى دار عمه وقال له فيما قال : اسرع الى دار عمك ، فأطرق عليه الباب فان فتح لك وإلا اكسره وادخل وقل لعمك : يقول لك ابو طالب ان امرأ عمه عينه في القوم ليس بذليل . فذهب علي فوراً فطرق الباب فلم يفتح له ، فكسره ودخل فوجد عمه وزوجته وقد دوحهما الخمر وأنامهما السكر ، فلما بصر به ابو لهب استنكر دخوله وحالته ، فقال : ماوراءك يا علي ؟ فقال له : يقول لك ابو طالب : من كان عمه عينه في القوم ليس بذليل . فقال : صدقت وصدق ابوك . ثم نهض ليخرج ، فتعالت به زوجته وحاولت عدم خروجه ، فاشتد واحتد ولطمها على عينها ففقدأها وخرج مسرعاً حتى وقف على رؤوس القوم والغضب بادى على وجهه ، ثم انفجر قائلاً : ايها الجماعة الحمقاء تباً لكم ولأعمالكم ، اني وافقتكم وسابرتكم على اخي وابن اخي وما كنت اعتقد أن الحال يبلغ بكم الى ماقد وصل وتبلغ بكم الصلافة والواقحة الى هذا الحد ، تريدون قتل محمد ، فوالله لقد هممت أن اصبو لدين محمد ثم ترون صني بكم . فخاف القوم من أن يفعل ، فأخذوا يهدثون عليه ويخفون من حديثه ، وتنازلوا له واعطوه كلاماً أن يكفوا عن المحاولة ويتعدوا عن إيذاء ابي طالب ومحمد ، ولم يزالوا به حتى ارضوه وفشلت المحاولة وخسرت المؤامرة وباؤا بالخزي والعار ، وتفرقوا أذلاء صاغرين .

وتحدث السيد الموسوي في الحجة ص ١٧٤ فقال : حدثني السيد عبد الحميد بن التقي الحسيني قراءة عليه في سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، قال اخبرني الشريف النسابة أبو تمام هبة الله بن عبد الصمد العباسي الهاشمي قال اخبرني الشريف ابو عبد الله جعفر بن هاشم بن علي بن محمد بن الصوفي قال اخبرني جدي ابو الحسن علي بن محمد الصوفي العنوي العمري النسابة ، قال روى الشريف الفاضل ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن ابن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن جده يحيى بن الحسين الشريف العالم النسابة يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ذات يوم وبمناسبة ما لعقيل بن ابي طالب : يا عقيل اني احبك حين حباً لك وحباً لحب عمي ابي طالب لك .

أقول : الله انت ، والله درك باعم رسول الله وهيناً لك بمقامك الكريم وشأنك الرفيع عند رسول الله العظيم ، حيث قد أحبك واحب من تحبه انت كرامة لك . ومن الجلي الواضح ان رسول الله صلى الله عليه وآله ما احبك إلا لإخلاصك لله وتفانيك في سبيله ، ومن المستحيل أن يحب الا في الله ولا يبغض الا في الله ، ولو لم يكن ابو طالب يحب الله ويحبه الله لما أحبه رسول الله .

ولعله من أقوى الأدلة على مدى حبه لله عز وجل ومدى حبه لرسول الله صلى الله عليه وآله لاميته العظيمة ، وكنت أود بالخاص أن اقف على تمامها ، لأن الكتب التاريخية التي كانت يمتناولي غالباً ما كانت تقتطف منها البعض وتنصرف عن الباقي لطولها وكبرها ، حتى اذا قدر لي ان أعر عليها كاملة غير متقوصة في سيرة ابن هشام وديوان ابي طالب والمواهب ، فتفتحت لها مشاعري وأحاسيسي ، ووجدتني مغرماً بها وبتردادها ومعجباً بما تحتوي عليه من معاني غر واهداف جليلة ودعوة الى الله تعالى

ورسوله ، ووجدتها فوق وصف الواصفين وتعريف المعرفين ، ورأيتني مندفعاً الى تسجيلها كاملة وقامة في مؤلتي هذا ، ولكن قد يعترضني ما كان يعترض الآخرين من التوقف عن نقلها جملة وتفصيلاً للغرض الذي من اجله كان الاكتفاء ببعضها ، وهكذا بقيت متردداً أقدم مرة واحجم مرة اخرى ، وربما تصورت أن في ذكرها تامة خدمة للأدب العربي والشعر العربي ، كما هو خدمة لأبي طالب لما له على المسلمين عامة من الحق المبين والفضل الجليل الجسم ، ومع هذا كانه لم اكن اجزم بشيء .

وفي ذات يوم وفي ضحى يوم الخميس المصادف اربعة وعشرين من شهر جمادى الاولى لسنة ألف وثلاثمائة وسبعة وثمانين هجرية ساورتني قصة لامية ابي طالب ، فشغلت كل تفكيري إذ اخذتني سنة لم ألفتها ولم اكن قد اعتدت عليها في مثل ذلك الوقت بالذات ، فخيّل لي شخص سيدي ومولاي أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وهو يقول : ألم تكن تذكر في مؤلفك هذا غني اني كنت أأمر اصحابي ان يحفظوا ويحفظوا أبناءهم لامية ابي طالب . فقلت : نعم كان ذلك جعلت فداك . قال : لماذا إذا توقفت عن ذكر لامية ابي طالب مجموعة ، اذكرها كاملة فإنها تحتوي على علم جم ونصائح ومواعظ وحكم ومدح للنبي صلى الله عليه وآله ثم الأقرار بنبوته وتشجيعه على حركته . فانتبهت مرتبكاً واجما وكلمات الامام عليه السلام ملء مشاعري واحساسي ، ووجدت مؤلف القاضي النقدي المواهب مفتوحاً أمامي وعنوان صفحته الأولى « لامية ابي طالب » في حال اني لم اتصور ولم اكن اتفطن اني فتحته او استخرجت القصيدة قبل السنة والغفوة .

وكيف كان الأمر المهم اني وجدت من نفسي انها تحوم حول الموضوع وتحاول بصورة لاإرادية ذكر تمام القصيدة ، وشعرت بأن قلبي

أكثر مني مبادرة والتهاماً للقصيد الشذبة العطرة : وهامي نعرضها للقراء
 امثالاً لطلاب الامام وتنويراً للأفكار المحبة للرسول الأعظم صلى الله عليه
 وآله وسلم والمنصهرة ببوتقة الولاء لآله الميامين ، صاوات الله عليهم اجمعين :
 خليلي ما أذني لأول عاذل
 خليلي إن الرأي ليس بشركة
 ولما رأيت القوم لاود عندهم
 وقد صارحونا بالعداوة والأذى
 وقد حالقوا قوماً علينا اظنة
 صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة
 واحضرت عند البيت رهطي واخوتي
 قياماً معاً مستقبلين رتاجه
 وحيث بنيخ الأشعرون ركابهم
 موسمة الاعضاد او قصراتها
 ترى الودع فيها والرخام وزينة
 اعوذ برب البيت من كل طاعن
 ومن كاشح يسعى لنا بمعية
 وبالييت ركن البيت من بطن مكة
 وبالحجر المسود إذ يحسحونه
 وموطىء ابراهيم في الصخر وطأة
 واشواط بين المروتين الى الصفا
 ومن حج بيت الله من كل راكب
 وبالمشعر الأقصى اذا عمدوا له
 وتوقفهم بين الجبال عشية
 بصغواء في حق ولا عند باطل
 ولا نهته عند الأمور البلائل
 وقد طاعوا كل العرى والوسائل
 وقد طاعوا أمر العدو المزايل
 يعظون غيظاً خافنا بالأنامل
 وابيض ماض من تراث الأوائل
 وامسكت من اثوابه بالوصلات
 لدى حيث يقضي نسكه كل نافل
 بمفضي السيول من اصاب ونائل
 محبة ثين السديس وبازل
 بأعناقها معقودة كالعشا كل
 علينا بشر او ملح بباطل
 ومن ملحق بالدين مالم نحاول
 وبالله ان الله ليس بغافل
 اذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
 على قدميه حافياً غير ناعل
 وما فيها من معشر وجحافل
 ومن كل ذي نذر ومن كل نافل
 إلا الى مفضي الشراج القوابل
 يقيمون بالأيدي صدور الرواحل

وليلة جمع والمنازل من منى
وجمع اذا ما القربات اجزته
وبالجمرة الكبرى اذا صمدوا لها
وكندة اذ ترمي الجمار عشية
حليفان شدا عقد ما اختلفا به
فهل بعد هذا من معاذ لعائد
يطاع بنا الأعداء ظلما وانسا
كذبتم وبيت الله نترك مكة
كذبتم وبيت الله نبري مجداً
نقيم على نصر النبي مجد
وننصره حتى نصرع دونه
وينهض قوم في الحديد اليكم
وحتى يرى ذوالبغي يركب درعه
وانا لعمر الله ان جسد جدنا
بكفي فتى مثل الشهاب سميدع
من الحمي من فرعي لوي بن غالب
شهوراً واياماً وحولاً محرماً
وما ترك قوم لاباً لك سيداً
وابيض يستسي الغمام بوجهه
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
لعمرى لقد اجرى اسيد ورهطه
جزت رحم منا اسيداً وخالداً
وعثمان لم يشفق علينا وقنفذ

وما فوقها من حرمة ومنازل
سراعاً كما يفزعن من وقع وابل
يؤمن قذفاً رأسها بالجنادل
تجوز بها حجاج بكر بن وائل
وردا عايه عاطفات الدلائل
وهل من معيد يتقي الله عادل
تسد بنا ابواب ترك وكابسل
وبطن ترى من هاشم بالخافل
ولما نطاعن دونه ونناضل
نقاتل عنه بالقنا والقبائل
ونذهل عن ابنائنا والحلائل
نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
من الضغن فعل الاثكب المتحامل
لنلتبس اسيفنا بالامائل
اخي ثقة حامي الضعينة باسل
منيع الحمي عند الوغا غير تاكل
عابسا وتأتي حجة بعد قابسل
يحوط الحمي غير ذوب مواكل
ثمال اليتامى عصمة للأرامسل
فهم عنده في نعمة وفواضل
الى بغضنا جيش العدى والتحامل
جزاء مسيء لا يؤخر عاجل
ولكن اطاعا امر تلك القبائل

اطاعا بنا الغاوين في كل وجهة
كما قد لقينا من سبيع ونوفل
فان يلقيا او يمكن الله منهما
وذاك ابو عمرو ابى غير بغضنا
يناجي بنا في كل ممس ومصبح
ويقسمنا بالله ما ان يغشنا
وسائل بالوليد ماذا خبت لنا
وكنت امرأ ممن يعاش برأيه
وعتبه لاتسمع بنا قول كاشح
ولست اباليه على ذات نفسه
وقد خفت ان لم تزد جرهم وترتدع
ومر ابو سفيان عني معرضاً
يفر الى نجد وبرد مياهاه
ويوصلنا قول المناصح انه
امطعم لم اخذلك في يوم نخوة
ولا يوم خصم اذ اتوك اشدة
امطعم ان القوم ساموك خطة
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا
بميزان حق لا يخيس شعيرة
لقد سفهت احلام قوم تبذلوا
ونحن صميم في ذوابة هاشم
وكان لنا حوض السقاية فيهم
فا ادركوا ذحلا ولا سفكوا دماً

ولم يرقبا فينا مقالة قائل
وكل تولى معرضاً لم يحامل
نكل لها صاعاً بكيل المكايل
ليطعننا في كل شاء ونائل
فناج ابا عمرو بنا ثم خاتل
بل قد نراه جهرة غير حائل
بسعيك فينا معرضاً كالحاتل
ورحمته فينا ولست يحامل
حسود حقود مبغض ذى دغاو
فعش يابن عمي ناعماً غير ماحل
نلاقي وتلقى مثل احدى الزلازل
كما مر فيل من عظيم المناو
وبالرغم اني عنكم غير غافل
شفيق ويخفي عارمات الدواخل
ولا عند تلك العضلات الجلائل
اولي جدل مثل الخصوم المساجل
واني متى اوكل فلست بواكل
عقوبة شر عاجلا غير آجل
له شاهد من نفسه غير عادل
بني خلف ثاروا بنار الغياطل
وآل قصي في الخطوب الاوائل
ونحن الذرى من غالب والكواهل
وما خالفوا الا شرار القبائل

بني امة مجنونة هندكية
 وسهم ونخزوم تهادوا وألبوا
 يعضون من غيظ علينا اكفهم
 وحث بني سهم عاينا عديهم
 وشايط كانت في لوي بن غالب
 ورهط نفيل شر من وطأ الحصا
 فعبد مناف انتم خير قومكم
 فقد خفت ان لم يصلح الله امركم
 لعمرى لقد وهتم وعجزتم
 لبهن بني عبد مناف عقوقنا
 فان يك قوم سرهم ماصنعتمو
 فابلغ قريباً ان سينشر امرنا
 ولو طرقت ليلاً قصياً عظيمة
 ولو صدقوا ضرباً خلال بيوتهم
 فان تك كعب من لوي تجمعت
 وان تك كعب من كعوب كبيرة
 وكنا بخير قبل تسويد معشر
 فكل صديق وابن اخت تعده
 سوى ان رهطاً من كلاب بن مرة
 بني اسد لا تطرقن على القذى
 فنعم ابن اخت القوم غير مكذب
 اشم من الشم البهاليل ينمي
 لعمرى لقد كلفت جداً بأحد

بني جح عبيد قيس بن عاقل
 علينا العدى من كل جلف وخامل
 بلا ترة بعد الحمى والتواصل
 عدي وكعب فاحتبوا بالمخاض
 نفاهم الينا كل صقر حلال
 والألم حاف من معد وناعل
 فلا تشركوا في امركم كل واغل
 تكونوا كما كانت احاديث وائل
 وجنم بأمر مخطيء للمناضل
 وخذلاننا في الدجى والمعاقل
 سيحتلبوها لاقحاً غير باهل
 وبشر قصياً بعدنا بالتخاذل
 اذاً ماجأنا دونهم في المداخل
 لكننا أسى عند النساء المظال
 فلا بد يوماً مرة من ترايل
 فلا بد يوماً انها في مجاهل
 هم ذبحونا بالمسدى والمقاويل
 لعمرى وجدنا عيشة غير نائل
 براء الينا من معقة خاذل
 اذا لم يقل بالحق مقول قائل
 زهير حساماً مفرداً من حائل
 الى حسب في حومة الجبد فاضل
 واحبيته شأن المحب المواصل

فلا زال في الدنيا جبالاً لأهلها
فأيده رب العباد بنصره
فن مثله في الناس أو من مؤمل
حليم رشيد عادل غير طائش
فكننا اتبعناه على كل حالة
الم تعلموا ان ابننا لامكذب
رجال كرام غير ناهم
وقفنا لهم حتى تبدد جمعهم
شباب كرام غير ميل غوادر
بضرب ترى الفتيان عنه كأنهم
ولكننا نسل كرام لسادة
سيعلم أهل الضغن اي وأيهم
وأيهم مني ومنهم بسيفه
ومن ذا يمل الحرب مني ومنهم
فأصبح منا احمد في ارومة
كأنني به فوق الجياد يقودها
وجدت بنفسي دونه وحميته
ولا شك ان الله رافع قدره

وزيناً على رغم العدو المخاتل
واظهر أمراً حقه غير باطل
اذا قاسه الحكام عند التفاضل
يوالي إلهاً ليس عنه بغافل
من الدهر جلدأ غير قول التهازل
لدينا ولم نعبأ بقول الاباطل
الى العز آباء كرام الاصائل
ويخسر عنا كل باغ وجاهل
كبيض سيف بين ايدي الصياقل
ضواري اسود فوق لحم خرادل
بهم تعطي الأقوام عند التطاول
يفوز ويعاو في ليسان قلائل
يلاقي اذا ماحان وقت التنازل
ويحمد في الآفاق في قول قائل
تقصر عنها سورة المتطاول
الى معشر زاغوا الى كل باطل
ودافعت عنه بالطلي والكلاكل
ومعاليه في الدنيا ويوم التجادل

* * *

أقول : لعمرى انها قصيدة عصماء عطرة ، وفريدة فواحة نضرة ،
والوكة ناجحة مظفرة ، قد استهدفت أول ما استهدفت تحطيم ثورة الأوثان ،
وتسخيف عبادة الأبحار والاصنام ، ثم التعريض بقريش والعرب ، حيث
انهم حاربوا الله ورسوله ، وجانبوا كل شيء من شأنه أن يرجع الى الفضيلة

والخلق السامي النبيل ، ثم التعرّيج على مآلآء رسول الله صلى الله عليه وآله من مكارم ومفاخر وفضائل ومآثر من سالف الزمن وأقدم العصور ، ثم التحدث عن نبوة الرسول وبعثته وفضله ومحاسنه ، ثم مدحه صلى الله عليه وآله بما هو أهله ومستحقه ، ثم إعلان تصديقه للنبوة وإظهار تمسكه بكل ماجاء به النبي عن ربه عز وجل ، ثم إبداء الاستعداد والحضور لكل متطلبات النصره والمؤازرة من التفاني والتفادي وما الى ذلك ، ثم التفاؤل لدين رسول الله بالانتشار والانتصار مهما كانت العوائق والحواجز . . .

الى آخر ماتحتوي عليه من فنون العلم والأدب واللغة والفلسفة ، فهي جذيرة بأن يخصص لها مؤلف يتضمن شرحها وما حوته من بديع المقال وعظيم المفاد والمآل ، ولعلنا نتوفق الى ذلك فيما يأتي انشاء الله ، فنكون ممن تقرب الى الله بحفظ رسول الله في عمه وحاميه وكافله .

وقال القاضي النقدي في مواهبه ص ١١٤ : إن ابا طالب رضي الله عنه كان يتعاطى في نظمه للغز أيضاً ، فن ذلك قوله :

خذ الميمين من ميم	ولا تنقط على أمري
ومازجها يكن إسماً	لمن كان به فخري
به آمنت في سري	ولا تسألني عن جهري

رمز كرم وإشارة باهرة بفوه بها عم النبي الكريم ، حاول فيها فيما حاول ان يشير الى اسم رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم افاد عن انطباعاته عنه وانه رسول الله حقاً ونبيه صدقاً لامراء في ذلك ولا شبهة ، كما اظهر أنه صلى الله عليه وآله هو فخره وشرفه معتزاً بذلك ويرفع رأسه عالياً بواسطتها ، وذلك منتهى الإيمان وغاية الاخلاص .

وقال النقدي في نفس الصفحة : ومن ذلك أيضاً قوله :

ألا خذ وعد موسى مرتين وضع أصل الطبايع تحت ذين

وسكة خان شطرنج فخذها ثم ادرج بين ذين المدرجين
فذلك اسم من يهواه قلبي وقاب جميع من في الخافقين
ويحدثنا الموسوي في الحجة فيقول : أخبرني الشيخ محمد بن ادريس
بأستاده المتصل الى الحسن بن جمهور القمي عن ابيه انه قال : قال ابن
قتيبة بطريقه الى صالح بن كيسان عن عبد الله بن رومان عن يزيد بن الصعق
عن عمر بن خارجة عن عرفطة انه قال : خرجت الى بعض صقاع مكة
لشغل كان لي هناك ، اذ اقبلت بحال من اعالي نجد حاذت مكة وقربت
من الكعبة ، وإذا أنا بغلام قد ألقى بنفسه من أعلى جبل من الجبال ثم
توجه الى الكعبة وتعلق بأستارها ، ثم صار ينادي : يا رب هذه البنية أجزني
وخلصني مما انا فيه . فأقبل اليه رجل ممن كان في القافاة فأخذ يوسعه شتما
وضرباً ، ورام ان يحرقه من الكعبة والغلام متمسك لا يريد أن يحل يديه من
أستارها ، والناس وقوف لا يستطيع تخليص الغلام من الرجل .
وبينا نحن كذلك إذ أقبل على الكعبة شيخ جسيم وسيم عليه وقار
الحكماء وبهاء الملوك والعظماء ، فشهد ما شاهدته ، فأقبل على الرجل وقال :
مباالك وباله ؟ فقال : هذا غلامي وقد أبق مني ووجدته الآن واريد
ارجاعه معي الى وطني . ثم استنطق الغلام وقال : أصحيح مايقول هذا ؟
قال الغلام : لا يا عم لا علاقة لي بهذا الرجل ابداً ، غير أنه كانت له صداقة
مع أبي وبما أنه رجل فقير كان يعطف عليه ويساعده ، وربما قد ولاه
بعض أعماله ، ثم مات أبي وانا طفل لا اعرف كل شيء ، فها شعرت الا
وانا مستعبد لهذا النجدي ، وقد سمعت ان لله بيتاً يمنع من الظلم وينتقم من
الظالمين لذا قصدته واستجرت بأستاره ليخلصني من ظلمي واستعبدني .
فقال له الشيخ : نعم الآن يفرج الله عنك وتخلصك بنيته من خصمك ،
هيا معي وامش أمامي ، فحل الغلام يديه من استار الكعبة ومشى أمامه ،

فحانت مني التفاتة الى النجدي فرأيتة وقد اربد وجهه ونحير ولاذ بالسكوت والصمت ورجع الى قافلته بخفي حنين، واما الشيخ فغاب بالغلام ولم ادر الى اين، وقد اكبرت موقفه ومقامه ونصرتة للمظلوم وتخليصه من الظالم ، ثم رجعت الى مكاني والقضية قد أخذت مني مأخذها وانا اشعر برغبة ماحة حول التعرف على ذلك الشيخ لأكتسب منه الأدب والنخوة العربية ، فها وجدتهني الا وانا في مكة لتلك الغاية ، ولكنني لم اعرف اسم الرجل حتى اسأل عنه وأصل اليه ، فصرت اطوف في مكة فرأيت حالتها غير طبيعية تهيمن عليها الضوضاء وتسودها غوغاء غير اعتيادية ، والناس بين قائل استجبروا باللات والعزى ، وقائل يقول استجبروا بهبل ومناة الثالثة : وقائل يقول يا قوم لاتذهبن بكم المذاهب وفيكم بقية ابراهيم وسلالة اسماعيل فهو أهل لكل كرامة ومحل لكل فضيلة .

فسألت عن الأخير فقبل لي هو ورقة بن نوفل ، ولما سمع الناس قوله قالوا : لعلك عنيت بكلامك شيخ الأبطح ابي طالب ؟ قال ورقة : نعم ما عنيت الا هو .

ثم قام القوم كلهم بصحبته وقت انا معهم ، فسرنا الى ان وصلنا الى مضيف عامر ودار شامخة : فدخاوا ودخلت ، فاستقبلنا صاحب المضيف استقبالا طيباً : فتأملت فيه واذا هو صاحبي الذي قصدت من أجله مكة ، فجلس الناس بين يديه خاشعين مؤدبين ، أما انا فكل غابتي أن أجلس أمامه أتزود من النظر الى محياه الكريم ووجهه المبارك .

وبعد ان استقر بالجماعة الجلوس تكلم خطيبهم فقال : يا زعيم قريش انا قصدناك بمهمة وجئناك بحاجة توسط الى الله في قضائها والا هلكنا عن آخرنا نحن ومواسينا واطفالنا . قال : وما ذاك يا قوم ؟ قالوا : يا شيخ الابطح قد اقحط الوادي واجدبت الارض ومنعت السماء درها فاستسق لنا يابن عبد المطلب ، فان

لك شأنًا عند الله وجاهًا كبيراً . قال ابو طالب : رويدكم يا قوم دلوك الشمس وهبوب الريح .

فصار القوم الى الانتظار ، فما زاعت الشمس او كادت حتى خرج ابو طالب ومعه اغيلمة من آل عبد المطلب وبينهم غلام كأنه البدر الساطع والقمر المنير ليلة التمام والكمال ، فجاء ابو طالب فأسند ظهره الى حائط البيت الحرام وجعل الغلمان بين يديه ، ثم صار يدعو بدعوات لم نسمعها ، ثم لوح نحو السماء باصبعه السبابة ، فنظرت الى السماء وهي ضاحكة صاحبة ، وبمجرد ان فرغ أبو طالب من دعائه رأيت الغيم وقد سيطر على السماء فاسود وادهم ، ثم رعدت السماء وابتقت ، ثم انفجر السحاب كأفواه القرب بماء منهمر ، ففاضت الصحاري والوديان ، فهلل الناس وكبروا وفرحوا بما تفضل الله عليهم ببركة عم النبي ابي طالب من تحقق الطلبة وتلبية المهمة .

وتحدث السيد زيني دحلان مفتي الشوافع العام في عصره على هامش المختصر تأليف السيد الشريف محمد قطب الدين البرزنجي - والمختصر هذا كان الاساس والغاية من تأليفه الرد والجواب المعتضد بأقوى الادلة واسطع البراهين على مؤلف الشيخ علي القاري الهروي الرامي الى نسبة الكفر الى ابوي النبي الشريفين واسرته الكريمة ، فال مختصر كل غايته تحطيم مزاعم الهروي وتفنيد آرائه من الجزم بأن ابوي النبي وعمه ابا طالب بل واسرته المباركة كلهم كانوا مؤمنين بالله لا يشركون به طرفة عين أبداً ، وهم على دين وملة جدتهم الأعلى النبي ابراهيم عليه السلام ، وبالتالي هم من اهل الجنة المشمولين لكرامة الله ورحمته يوم القيامة .

قال السيد دحلان ذكر البرزنجي في خاتمة مؤلفه : لما اكملت من رسالتي مسودتها وكان ذلك في اوائل ذي القعدة الحرام من سنة ثمانين

بعد الالف هجرية بالمدينة المنورة على مشرفها آلاف التحية والسلام في منزلي المعروف بالزقاق المعروف بزقاق البدوي ، انقذ في ذهني ويدرلي ان ابعت بمسودتي الى بعض الخدمة للحرم النبوي الشريف لمن قدم له وقدم في طريق الله ، ومن له مجاهدات ومكاشفات واوراد ، واخيراً بعثتها اليه ورجوته ان يدخلها الحضرة الشريفة ويجعلها تحت استار كسوة القبر المعظم ، لأنه هو صلى الله عليه وسلم كل الغاية من الجمع والتأليف كخدمة خالصة لحضرته ليس الا ، ومن ثم تنزيه آبائه الكرام مما يضر بسمعته وسمعتهم عليهم السلام ، كما كانت الغاية من ارسال المسودة لتجري عليها تلك العملية لأتبين مقبوليتها ومدى ارضائها للرسول صلى الله عليه وسلم ، ومتى ما استشعرت منه الرضا واستظهرت القبول قدمت على تبييضها ثم تقديمها للطبع والنشر والا انطويت عليها واخفيت بها الى الابد ولم اشعر بها احداً ، ولما وصلت الى السادن قد حقق ما طلبته منه ، فتركها تحت استار القبر الشريف عدة ليالي ، ثم جاء بها الي وهو فرح مستبشر وهو يقول : خذ كتابك يا شيخ فاني اهنيك به ، لأنه قد وقع موقع الرضا والقبول من حضرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله ، كما انه قد أيد كل ما جاء فيه من اصول وفروع ، وعندئذ تشجعت وقويت على حركة النشر والاطهار .

• • •

وتحدث الشيخ الصدوق في اماليه ومعاني الاخبار بطريقه الى ابي ذر الغفاري رضوان الله عليه عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : خلقت انا وعلي بن ابي طالب من نور واحد ، فكنا نسبح الله ونحمده يمينه العرش من قبل ان يخلق الله آدم بخمسمائة الف عام ، ولما خلق الله آدم جعل الله ذلك النور في صلبه ، كما ركب نوح السفينة ونحن في صلبه ، وقذف الخليل ابراهيم في النار ونحن في صلبه ، ولم يزل الله عز وجل ينقلنا

من الاصلاب الطاهرة الى الارحام المطهرة حتى انتهى بنا الى عبد المطلب ،
فقسم ذلك النور الى قسمين وجعله نصفين ، فجعلني في صلب عبد الله بن
عبد المطلب وجعل علياً في صلب عمي ابي طالب بن عبد المطلب ، وجعل
الله سبحانه وتعالى في النبوة والبركة وفي علي الوصاية والفصاحة ، كما شق
لنا اسمين من اسمائه ، فذو العرش محمود وانا محمد ، وهو تعالى الأعلى
وهذا علي - وأشار بيده الكريمة الى علي بن ابي طالب .

اقول : الحديث اشهر من ان يذكر ، فقد سجلته كل كتب التاريخ
والحديث والسير ، فلم يختلف فيه اثنان ، فراجع تجسده نصاً في السيرتين
الحلبيه والهشامية والطبقات . وعليه اذا كان الله عز وجل قد استودع نوره
في صلب عبد الله وأبي طالب أفلا يكون هذا الاستبداع دليلاً واضحاً على
ايمانها رضوان الله عليهما ، والا لكان ذلك من المستحيلات الاولى ، لما
يلزمه من تلوث نور الله تعالى بدران الكفر وبخس الشرك ، وحينئذ
يستكشف من ذلك انها مؤمنان نقيان ، لذا كانا مستودعاً لنور الله عز وجل
وأوعية لحبيبه ووليه .

وتحدث القاضي في مواهبه ص ٥٣ بطريقه الى الصحابي العظيم جابر
ابن عبد الله الانصاري رضوان الله عليه انه قال : سألت رسول الله
صلى الله عليه وآله عن مولد علي بن ابي طالب عليه السلام ، اذ يتأوه
رسول الله وقال : آه آه لقد سألتني يا جابر عن خير مولد ولد بعدي
من ذرية ابراهيم الخليل ، اعلم يا جابر ان الله تبارك وتعالى قد خلقني وعاباً
من نور واحد من قبل ان يخلق آدم بخمسة الف عام ، فكنا نسبح الله
ونقدسه على يمة العرش ، ولما خلق آدم قذف بنا في صلبه ، فاستقررت
أنا في جنبه اليمين واستقر علي في جنبه اليسر ، ثم نقلنا من صلبه الى
الاصلاب الطاهرة والارحام المطهرة ، ولم نزل كذلك حتى اطلعني من

ظهر ابي عبد الله بن عبد المطلب ورحم أمي آمنة بنت وهب ، ثم اظهر الله علياً من صلب طاهر ورحم طاهر من صلب عمي ابي طالب ورحم فاطمة بنت اسد .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أخاذك يا جابر يطيب لك التحدث عن هذا المولود الكريم . قلت : اجل يا رسول الله فذاك ابي وامي ، المتحدث انت والحديث عن علي بن ابي طالب محبوب الله ومحبوبك .

فقال : اعلم يا جابر ان علياً من قبل ان تقع نطفته في بطن امه كان هناك راهب يقطن على مراحل من مكة في كهف من جبل يسمى جبل اللكام ، وكان هذا الراهب من المعمرين ، وقد وصل عمره الى مائة وتسعين سنة قضاه في عبادة الله عز وجل وما طلب من الله شيئاً الا واعطاه اياه ، فسأل الله سبحانه ذات يوم ان يرهبه ولياً من اوليائه ، فألهم الله ابا طالب في زيارته ، فقصده الى صومعته ، ولما ان بصر الراهب عمي ابا طالب ثار اليه وصار يقبل رأسه وجبهته ، ثم اجلسه مكانه وجلس هو متأدباً بين يديه وصار الى مساءلته ، وكان من جملة ما ألقاه عليه من المسائل : من اين انت يرحمك الله ؟

ابو طالب : من تهامة .

الراهب : ومن اي تهامة فهي طويلة عريضة ؟

ابو طالب : من مكة المكرمة .

الراهب : فمن اي اسرها وقبائلها انت ؟

ابو طالب : من عبد مناف .

الراهب : من اي بني عبد مناف ؟

ابو طالب : انا ابو طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن

عبد مناف .

الرسول الاعظم : فقام الراهب مجدداً الى عمي فأهوى عليه يقبل يديه
ورجليه وهو يقول : السلام عليك يا ولي الله ، الحمد لله الذي قد اراني
وليه قبل الموت .

الراهب : ابشر يا ابا طالب ان الله تبارك وتعالى قد أهمني بشارة
سارة لك .

ابو طالب : بشرفي ايها الراهب الصالح ، فثلك من يبشر بخبر .
الراهب : ألهمت انه سيخرج الله من صلبك ولداً ذكراً يكون ولياً
من اولياء الله ، ويكون وصياً للرسول المبعوث في هذا الزمان ، ويكون
وزيره وولي عهده ، فان ادركت زمن ولادته اقرأه عني السلام وقل له
المثرم يقرئك السلام ويشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً
عبده ورسوله يرسله بالهدى ودين الحق ويظهره على الدين كله ولو كره
الكافرون ، بمحمد تختم النبوة والبعثة وبك تتم الخلافة والوصاية .

يا جابر لما سمع عمي هذا من الراهب بكى من شدة الفرح والشوق
للوليد الجديد ، ثم قال للراهب : أتعرف اسمه وهل هو موجود عندهم في
كتيبكم ؟

الراهب : نعم اعرف اسمه ونعته ، وهو موجود عندنا وفي كتبنا
اسمه علي بن ابي طالب .

ابو طالب : فهل من دليل يذهب الشك عني ؟

الراهب : تمن علي واطلب مني ما بدى لك ، فوالله ما تسألني عن
شيء الا وحققته لك فوراً باذن الله تعالى ولطفه .

ابو طالب : اني جائع اشتهى من طعام الجنة .

الراهب : يحرك شفثيه ويدعو الله ، وما ان يستتم دعاؤه حتى حضر

بين يديه طبق فيه من فواكه الجنة وثمرها ، فقال : تقدم يا ابا طالب وكل من طعام الجنة فهو هنيئ مريء ، فتقدم وأكل من تلك الفاكهة وكانت مشكلة من عنب وتفاح ورماني ، حتى اذا شبع استأذن الراهب أن يحمل ما تبقى من الفاكهة : فأذن له ، ثم استأذن الراهب بالرجوع الى اهله فأذن له وقال : اذا ولد لك وليدك المبارك أعلمني فانصرف معافى انشاء الله . فعاد ابو طالب الى بيته ، فدفع الفاكهة الى زوجته فاطمة بنت اسد ، فتناولتها وأكلتها ، وبعد أيام وجدت نفسها حاملاً مثقاة ، فانعقدت ياجابر نطفة علي من طعام الجنة ، ولقد زلزلت الارض وارتجت الجبال يوم حمله وانعقاد نطفته ، الامر الذي افزع قريشاً وأقلقهم ، فهرعوا الى آلهتهم وفرعوا الى مقدساتهم يسألونها تهدئة الارض وارساء الجبال ، فما تزداد الارض والجبال الا اهتزازاً وارتعاداً ، كما تضعضعت الاوثان واضطربت الاصنام وسقط على الارض قسم منها من شدة الاهتزاز ، كل ذلك وهم لا يعرفون السبب والدوافع التي ادت الى هذا العالم الخيف المرتباك .

أما ابو طالب فقد جاء الى جبل ابي قبيس ، فصعد عليه غير هياب والا مكترث بما اصاب القوم من الذهول والفرع ، ولما استقر على الجبل نادى بالناس ، فاجتمعوا في سفح الجبل ، فأومأ اليهم بالهدوء وملازمة السكينة ، فصاروا يتطلعون الى ما سيقوله شيخ الابطح وما هي غايته من نداءه ، ثم ابتدأ عمي بالكلام فقال فيما قال : اعلموا أيها الناس ان الله تبارك وتعالى قد أحدث في هذه الالباء حادثة مهمة ، وخلق فيها خلقاً جديداً فان لم تقرروا لهذا المخلوق الكريم بالولاء والفضل وتشهدوا له عن ايمان وتصديق بذلك لم يهدأ الوضع الذي تحسونه وتستشعرونه ، بل لا يزداد الا تفاقمًا وشدة وتعقدًا .

وعندئذ قال الناس : ومن هو هذا المخلوق الجديد ، المخلوق الذي

أثرت ولادته بالعالم هذا الأثر العظيم ؟ قال : هو علي بن أبي طالب ، لقد أمر الله سبحانه وتعالى أن يولد فولدته فاطمة بنت أسد في الليلة المنصرمة : وحينئذ لم يسع القوم إلا أن ينطقوا بلسان واحد : أنا نؤمن بما تخبر ونقول بمقالتك ، فاسأل ربك أن يرفع عنا ما نحن فيه .

فبكى أبو طالب ورفع رأسه ويديه إلى السماء وسأل الله عز وجل أن يرفع عن الناس ما يرونه من الملح والفرع ، ثم دعا بهذا الدعاء فقال : « الهي ومولاي أقسم عليك بالحمدية المحمودة والعلوية العالية وبالفاطمية البيضاء إلا ما تلطفت على تهامة بالرحمة والرأفة » فاستجاب الله دعاء عمي أبي طالب ، فهدأ الأرض ومنع الاهتزاز وعادت حياة الناس إلى حالتها الطبيعية .

يا جابر فوالذي برأ النسمة وفاق الحبة لقد كانت العرب تكتب هذا الدعاء للتحرز به وهم لا يهتدون إلى معناه ومغزاه ، وكانوا يستعملونه في الشدائد ومشكل الأمور فيفرج الله عنهم وهم لا يعرفون مضمونه ومراميه : وفي صبيحة الليلة التي ولد فيها علي أشرقت السماء وتنور الأفق وخرج عمي أبو طالب يتخلل سكك مكة ويحوي أسواقها ونواديها هاتفاً ومردداً الله أكبر ، الله أكبر ، لقد تمت حجة الله على الخلق أجمعين . فجاءه الناس يهرعون وهم يقولون : وما تأويل ذلك يا زعيم مكة ؟ فقال : ابشروا يا قوم فهذه الليلة الماضية قد ولد فيها ولي من أولياء الله ، وظهر فيها نور من أنوار الله ، به يتختم الله الأوصياء كما يكمل بولايته خصال الخير كما ختم بمحمد الأنبياء من قبل ، فعلي بن أبي طالب أمام المتقين وناصر الدين ووصي رسول رب العالمين ، فهو أمام هدى ونجم علا ومصباح دجى ، كما هو مبيد الشرك والشبهات ، كما هو نفس اليقين وروح اندين .

يا جابر ولم يزل عمي كذلك النهار كله والليل كله حتى أصبح الصباح

قد اختفى اربعين صباحاً ولم يره احد .
قال جابر : قلت يا رسول الله بأي انت وامي الى اين ذهب عمك وما هي غايته من ذلك الاختفاء المدة التي ذكرتها ؟

قال صلى الله عليه وآله : قصد عمي الراهب ليدشره بولادة علي حيث قد اوعده بذلك ، وقد استوعب ذهابه وايابه تلك المدة ، ولما وصل ابو طالب الى الجبل الذي يقطن المثلث بعض كهوفه فوجده ملتفأ بعباءته وكان قد فارقت روحه الحياة ، فاستاء ابو طالب لذلك حيث لم يحصل على الغاية التي من اجلها تحمل وعناء السفر ووعورة الطريق ، وبينما هو كذلك اذ ادار بعينه في زوايا الكهف فوقع بصره على حيتين عظيمتين مختبئتين في الزاوية وكأنهما يحرسان جثمان الراهب من الضواري والوحوش ، وقد اهم ابو طالب ان يكلم الحيتين فقال السلام عليكما ايها المخلوق العظيم . فقالتا : وعليك السلام يا ولي الله وعم رسوله وانا وليه ، الذي يظهر من حالتك يا عم رسول الله ان غايتك الاجتماع بالمثلث ؟ قال : نعم ولكن من المؤسف لم اجد حياً . فقالت : يا عم رسول الله اسأل الله تعالى بحق محمد وآل محمد ان يحيي لك الراهب فتجتمع به وتساله عما تريد ثم يعود ان شاء العودة الى الموت .

فاتجه عمي الى الله واقسم عليه بي فأحيا الله الراهب ، فعانق عمي وصارا يتحدثان ملياً ، فقال عمي : اني قصدتك لأبشرك بمولد علي ابني . فقال : بشرك الله بخير يا ابا طالب ، اشهد علي اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وان علي بن ابي طالب ولي الله وحجته على الخلق بعد رسول الله ، ثم اعلمني هل كانت هناك علامات وأمارات ليلة ولادة علي ؟ قال ابو طالب : نعم قد اهتزت الارض ومادت الجبال وسقط بعض الاصنام من شدة الاهتزاز .

ثم طلب الراهب باجابر من عمي ان يطلعه على كيفية ولادة علي وابن كانت ولادته ، فصار ابو طالب يقص عليه قصة الولادة ويوقفه على مكانها فقال : اعلم ايها الراهب لما مضى من الليلة التي ولد فيها علي ثلثها اخذ فاطمة زوجتي ما يأخذ النساء من الطلق ، فاستشعرت ذلك منها ، فقالت : مابالك يا فاطمة ؟ قالت : اني اجد وهجاً وارتاباً كما في احشائي ، ثم خرجت الى البيت الحرام مستجيبة به ولائذة بحماه ، ولما وصلت الى البيت وكان مقفلاً فانشق لها الحائط ، فدخلت والنجم الحائط ، وكان هناك جماعة قد استعظموا الامر فعالجوا فتح الباب فاستعصى عليهم ، فتحققوا انه سر من الاسرار الالهية ، اما انا فرجعت الى البيت فبحثت بالمفاتيح وفتحت الباب ، فدخلت فوجدت فاطمة وهي في حالة طلق ، فصار في نفسي ان اخرج فأتي اليها بنساء من بني هاشم ليلين منها مائتي النساء من النساء ، فقلت لها : اني ذاهب لآتيك ببعض نساء بني هاشم . قالت : شأنك يا ابا طالب فنهضت للغاية ، ولما صرت قريباً من الباب اذ نوديت من بعض اركان البيت ان امسك يا ابا طالب ان ولي الله لآتمسه ايدي البشر حين ولادته ، فتحيرت ولم ادر ماذا اصنع ، وبينما انا كذلك اذ يدخلن البيت اربع نسوة عليهن هبة ووقار يابسن ملابس بيض ، روائحهن اطيب من المسك الاذفر فأقبلن يمشين على سكيئة وهدوء حتى حاذين فاطمة ، فقلن لها : السلام عليك يا ولية الله وام وليه . فقالت : وعليكن السلام من انتن ؟ قلن : ستعرفين من نحن بعد ولادتك ، فهلمي نهينك للولادة ، فجاسن بين يديها ولم يزلن كذلك حتى ولد علي ، وقد وقع على الارض ساجداً لله عز وجل فنظرته فوجدته كالشمس الطالعة وهو يقول : اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وانا وصي رسول الله ، بمحمد نتم النبوة وبني نتم الوصية . ثم اخذته واحدة من النسوة فوضعت في حجرها ، فلما نظرها قال :

السلام عليك يا اماء . قالت : وعليك يا ولدي افضل التحية والسلام . ثم قال لها : ماذا تعلمين عن ابي ؟ قالت : انه يتقلب بنعم الله وينعم برحمته ولطفه . فلما سمعت منه ذلك لم امتلك نفسي دون ان قلت : الست انا ابوك وفاطمة امك . قال : نعم ولكن انا يا ابتاه من صلب آدم وبطن حواء فسؤالي كان عن ابي الاول وحاضنتي التي تراها هي حواء ، فلما سمعت ذلك استحييت من النسوة فقصدت بعض زوايا البيت ، فالتفتت بعباءتي ونمت . ثم تناولته الثانية فقبلته وناغته ، فنظرها علياً وقال : السلام عليك يا اختاه فما خبر اخي ؟ قالت : وعليك السلام يا ولدي واخوك برحمة من الله وفضل ، اما انا فما وجدتي الا مندفعاً لسؤاله من حيث ادري ولا ادري ، فقلت : يا ولدي اي اخت هي واي أخ تسأل عنه ؟ فقال : اما هي فريم بنت عمران فسألته عن اخي واخيها موسى بن عمران . ثم تناولته الثالثة فجعلت في حجرها ، ثم اخرجت من حقيبتها ثوباً من حرير الجنة وسندسها ، فألبسته اياه ، وناولته الرابعة فشمته وصارت تلثمه وتقبله وقالت له : السلام عليك يا ولي الله . قال : وعليك السلام ايها المؤمنة الصالحة ، السلام عليك يا آسية . ثم ناولته لأمه وقالت : احتفظي به يا فاطمة بارك الله لك فيه .

فقلت للنسوة : لو ختناه لكان ذلك احسن له واخف عليه لأن العرب كانت تستعمله . فأجابني واحدة منهن فقالت : يا عم رسول الله بارك الله لك في ولدك وأقر عينيك به ، فانه ولد مختوناً وطاهراً مطهراً ، واعلم يا عم محمد أن ابنك لا يضره حر الحديد في الدنيا أبداً الا على يد رجل يبغيضه الله ورسوله والملائكة والمؤمنون .

قلت : وما اسم هذا الرجل ؟ قالت : اسمه عبد الرحمن بن ملجم المرادي من اهل الكوفة ، ويكون هذا الامر بعد وفاة نبي الله محمد بن عبد الله بثلاثين سنة .

وبينما نحن كذلك اذ يدخل علينا محمد ، فأخذه من ايدي النسوة فصار
يناغيه ويناجيه ويسر اليه ، ثم ناوله لأمه ثم غبن النسوة عن الابصار ،
فالتفت الي ولدي وقال : قم الآن والتحق بالمأثم واخبره بولادتي وقص
عليه قصتي كما رأيتها ، فاستصوبت رأيه وقد قصدتك لأجل بشارتك .
فسجد الراهب شكراً لله تعالى ثم هلك الله وكبره ثم قال لعمري : غطني
يا عم رسول الله بعباءتي ، فغطاه فانتقل الى جوار ربه ورحمته .

يقول ابو طالب : فاستوحشت لذلك كثيراً واذا أنا بالحيتين يقولان
لي اذهب يا عم رسول الله الى مكانك فاحفظ على ابن اخيك محمد وعلى
ولدي علي واحفظهما من كيد الاعداء واحرسهما من شرور الكافرين ولا سيما
اليهود المجرمين ، واننا نهنئك بولدي الكريم فانه ولي الله وحبيبه بعد رسول
الله كما هو وصيه ووزيره .

قال جابر : قلت يا رسول الله صلى الله عليك وعلى آل بيتك اصحيح
ما يقوله بعض الناس ان عمك وناصرك ابا طالب قد مات كافراً والعياذ بالله ؟
فقال صلى الله عليه وآله : يا جابر الله اعلم بما في النفوس ، كما هو
سبحانه وتعالى اعلم بالغيب ، ولكن يا جابر الشيء الذي اريد ان اقله لك
الآن اني لما عرج بي الى السماء ليلة الاسراء فانهي بي الى العرش فرأيت
على ساق العرش اربعة انوار ، فقلت : الهي ومولاي وسيدي ماهذه الانوار ؟
فقال عز وجل : يا محمد يا حبيبي هذا نور جدك عبد المطلب ، وذاك نور
عمك ابي طالب ، وهذا نور ابيك عبد الله ، وذاك نور املك آمنة بنت
وهب . فقلت : الهي وبماذا قد استحق هؤلاء منك هذه الكرامة ؟ قال
تعالى : لايمانهم بي واعتمادهم علي .

• • •

اقول : وقد روى الحديث كثير من المؤرخين والمحدثين منهم المجلسي

في البحار وابن شاذان في الفضائل وصاحب جامع الاخبار والديلمي في ارشاد القلوب ، ثم لا يستكثر على عم رسول الله مثل هذه الكرامات فيحي الله عز وجل بواسطة توسله بمحمد رسول الله الاموات او يكلمه مالا قابلية له على التكلم لاطاعته رضوان الله عليه الله وعبادته اياه ، ثم مجافات ومحاربة كل ماينافي التوحيد والشرك ، ثم تفانيه في سبيل رسول الله والتزامه . وقد ورد في الحديث القدسي : « عبيدي اطعني تكن مثلي ، انا اقول للشيء كن فيكون وانت تقول للشيء كن فيكون » .

قال القاضي النقدي في المواهب : قال ابو طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله ويعلم ولاءه والتزامه له صلوات الله وسلامه عليه :
 بسنى وجهك الذي فاق في الحسن على نور شمسنا والهلل
 انت والله يامناي وسؤلي الذي فاق نوره المتعالي
 انت خير الانام من هاشم الغر بكل العلا وكل المعالي
 وعلو الفخار والمجد أيضاً ولقد فقت اهل كل المعالي
 وقال السيد زيني دحلان في المطالب والحافظ ابو نعيم في حلية الاولياء :
 ان ابا طالب كان اذا اشتد عليه البلاء واصابته ضائقة ومحنة توسل الى الله تعالى بمحمد واسمع الناس بعض ما يعرف من فضائله وفواضله فيفرج الله عنه ويكشف ما به من ضرر مسه ، فما من محفل او ندوة يحضرها الا وينفجر كالبركان باثناً مكارم رسول الله ومحدثاً عن جميل خصاله ونبيل خلاله وصفاته ، وما ذلك منه الا ايماناً منه بنبوته وتصديقاً له في بعثته ورسالته ، فمن ذلك ما يرويه عن ابيه العظيم جد رسول الله الزعيم عبد المطلب انه رضي الله عنه رأى ذات ليلة كأن شجرة قد نبئت على ظهره وقد ضربت اغصانها على الدنيا وامتدت الى المشرق والمغرب ، وكأن الناس كل الناس قد سجدوا له لتلك الشجرة وكانوا لها خاضعين خاشعين ، ورأى بعضاً من قريش وقد

تعلق ببعض فروع الشجرة ورأى البعض الآخر يحاول قطعها واستئصالها ، وكلما قربوا منها يقوم في وجوههم شاب لم ير قط اجل ولا أنبل منه ، فيصدهم ويمنعهم بقوة وحماس عن الدنو اليها بسوء ، فذنوت انا وحاولت التعلق بغصن منها لم استطع ذلك ، فقلت في نفسي : الخير كل الخير هؤلاء الذين ساعدتهم الحظ والتوفيق على التعلق والتمسك ببعض فروعها ، ثم انتبه فزعاً مرعوباً فناداني وقص علي قضية رؤياه ، فاستأذنته ان اعرضها على الكاهنة والعرفاء فأثنين مغزاهما وما ترمز اليه ، فقال : شأنك اذا اردت ذلك . فقصت من ترجح لدي من العرفاء فنقلت له رؤيا ابي ، وما ان سمع ذلك مني حتى استولى جالساً وقال : قل لأبيك ان صدقت رؤياه وتحقق حلمه ليخرجن من صلبه رجل يمتلك شرق الدنيا وغربها وتدين له الناس وتخضع له الدنيا بأسرها ، أما انه ما استطاع ان ينال غصناً من اغصانها وما تمكن من التعلق بفروع من فروع الشجرة فانه لا يدرك الزمن الذي يكون فيه حفيده سلطاناً وماكراً على العالمين بل يفاجئه الاجل قبل ذلك ، وبعد ذلك جئت الى ابي فقصص عليه تأويل رؤياه ففرح اولاً ثم بدت على وجهه واسايره علامات الاستياء والتأثر ، فقلت : يا ابتاه رأيتك فرحت اولاً واستأنت اخيراً ؟

فقال : يا ابا طالب اما فرحي فلأن الوليد المرقب لم يكن كما ذكر الراهب هو ملك من ملوك الدنيا فحسب بل هو النبي الذي بشرت به الكتب السماوية من قبل ونقاه الخلف عن السلف من آبائك الاكرمين وبالملازمة يسود الدنيا من اقصاها الى اقصاها ، وهو امر بواقعه وحقيقته يستازم المسرة والفرح لأنه الشرف والمجد اللذان يتضاءل امامهما اي شرف ومجد ، اما جهة استيائي وتأثري اولاً لمحاولة القوم قطع الشجرة واجتثاثها ومحاربتها بكل الوسائل والحيل ، وثانياً من ناحية اني لم ادرك الزمن الذي يكون فيه ولد نبياً وسفيراً عن الله عز وجل .

وقال القاضي النقدي في المواهب بعد ان يذكر هذه القصة : وكان ابو طالب يكرر المرة تلو الأخرى ، مما لاشك فيه ان الشجرة نبتت على ظهر ابي عبد المطلب هي ابو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . وقال النقدي ايضاً : ان جماعة من المحدثين قد عدوا كون ابي طالب شقيقاً لعبد الله والرسول من النعم الالهية والتفضلات الملكوتية على ابي طالب لأنه لم يكن شقيقاً لعبد الله الا ابو طالب رضوان الله عليهم اجمعين ، كما انهم عدوا اختبار النبي الاكرم كفالة عمه ابي طالب واختصاصه به من دون اعمامه التسعة الآخرين هو ايضاً من كرامات الله عز وجل لأبي طالب عليه السلام .

وقال المجلسي في البحار ومن اظهر كرامات الله تعالى على ابي طالب ان جعله اميناً على محمد رسول الله وكفيلاً له .

ثم قال المجلسي : روى الواقدي لما دنت الوفاة من عبد المطلب جد رسول الله امر ولده ابا طالب ان يحمل من داره الى البيت الحرام فيجعله بفناء الكعبة وعند استارها المباركة ، فامثل ابو طالب ، فحمل السرير الى حيث اراد ابوه ، وكان السرير من الخيزران الاسود ، وقد انتقل الى عبد المطلب بطريق الوراثة من جده عبد مناف ، وكان مطعماً بالذهب والفضة والثلثين من الاحجار الكريمة ، ثم نقل ابو طالب اباه الى سريره فنام عليه والتف اولاده حوله كما احاطت به جموع بني هاشم ، وصار الناس من الزعماء والوجوه يتهافون على زيارته وعبادته ، وكل فرد منهم تظهر على ملامحه شعارات الحزن والالم ، أما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كان في ذلك الحين طفل صغير يروح ويحيي على جده فيصعد معه على السرير فيلتقاه جده بكل رحابة وسرور ، فيجاسه معه على السرير ، وجاء ذات مرة واراد صعود السرير على عادته فلم يهن الامر على ابي لهب ، فاجتذبه

واراد منعه ، فأخذه عبد المطلب بقوة واصعداه معه ، وما شعر أبو لهب
الا والطمعة على وجهه وعينه ، فأخرجته امام الناس وامام حشود الزائرين
والعائدين .

ثم قال عبد المطلب : والله يا ابا لهب ان تقربت من محمد او
تعرضت اليه او دنوت منه بسوء تعرف ما يصيبك مني كما تعرف مصيرك
الاسود وتعرض نفسك لأقصى العقوبات .

ثم التفت عبد المطلب الى ابي طالب وقال : يا ولدي اني مفارقم
عما قريب فأذهب الى جوار ربي وغفرانه ، وهذا محمد وديعتي بل وديعة
الله عندك ، يا ابا طالب بحرمة ابوتي عليك احفظ وصيتي وعليك بمحمد ،
اكفله انت بنفسك ولازم رعايته بشخصك ولا تدع ابا لهب وامثاله لمن
لازمة لهم وذمام يقرّبون منه بأذى او يتعرضونه بما يسيئه ويكدر عليه صفوه
وراحته ، ثم انشأ يقول للتأكيد عليه بالمحافظة على رسول الله صلى الله عليه وآله :

اوصيك يا عبد مناف بعدي	بواحد بعد ابيه فرد
فارقته وهو ضجيع المهـد	فكنت كالام له في الوجد
وبالحشى الصقته والكبد	حتى اذا خفت فراق الوغد
اوصيك ارجى اهلنا للرفد	بابن الذي غيبته في اللحد
بالكره مني ثم لا بالوعد	وخيرة الله تشا في العبد

قال الواقدي : ولما سمع ابو طالب التأكيد الثري والشعري على
محافظة النبي واحاطته قال : يا ابتاه طب نفساً وقر عيناً ، فاني والله سأقوم
بكل وصاياك وافدي محمداً بنفسي واهلي وولدي وبكل ما تناله بيدي مادمت
حيّاً ، فرفع عبد المطلب يديه نحو السماء وقال : اللهم رب الارباب ومالك
الارض والسماء بارك في ابي طالب ووفقه لكل خير .

ونقل ابن شهر اشوب بطريقه الى الاوزاعي انه قال : لما مرض عبد المطلب

مرض الموت اوصى برسول الله ابنة طالب كثيراً وكثيراً جداً ، فقام ذات يوم ابو لهب فقال : ابتاه اراك تكرر الوصية الى ابي طالب كما عهدت اليه امر محمد وكفالاته ، فلم لا توصي الي وتعهده بكفالة محمد لي فأنا احفظه واصونه .

وما ان سمع عبد المطلب منه ذلك حتى استوى جالساً وانتفض انتفاض الليث ، فنهز ابا لهب وانهال عليه بكلمات جارحة وقال فيما قال : انك لم تكن اهلاً لكفالة محمد ولا صالحاً لحمايته ولا كرامة لك بل نكتفي منك ان تكف عنه شرك ومكرك فسكت ولم يجر جواباً .

ثم قام العباس وقال : انا يا ابتاه اكفل محمداً واقوم بخدماته واكفيه كل شيء . فقال : لا ولن تصالح لرعاية محمد وتربيته ، لأنك كثير الغضب شديد الوطأة فلا آمنك ان تثور وتغضب على محمد فتكسر خاطره وتعكر عليه عيشه ، فعندئذ سكت العباس ولم يتفوه بشيء .

ثم قام ابو طالب فقال : انا له يا ابتاه جعلت فداك وفداه . فقال : نعم يا ولدي انت له بارك الله فيك وفيه ، قم يا محمداً واجلس في حجر عمك ، فامثل رسول الله فجلس في حجر عمه ابي طالب .

وذكر المحدث قطب الدين الراوندي في الخرائج بطريقه الى فاطمة بنت اسد زوج ابي طالب انها قالت : لما بدت امارات الموت على عبد المطلب اجتمع عليه اولاده ، فالتفت اليهم وقال : ايكم يكفل محمداً ويقوم بشؤونه ؟ فقال بعضهم : نحن ، وسكت آخرون . فقال عبد المطلب : من الافضل ان نتركه هو يختار لنفسه من يشاء من عمومته . وعندئذ توجه اليه بالكلام وقال : يا محمد انا قد جعلت لك حرية الاختيار وفوضنا لك امر الانضمام الى من تشاء من عمومك ، لأنني يا ولدي قد دنا مني اجلي وقربت مني منيتي والموت اراه يحوم من حولي فأجده كقاب قوسين أو

ادنى ، واود ان ارى بحياتي من يكفلك والشخص الذي تختاره لحمايتك
كي اطمئن واذهب الى جوار ربي مرتاح الضمير من ذابحتك .

وعلى هذا الاساس قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصار
يظيل النظر الى كل واحد من عمومته ، ثم الى عمه ابي طالب فجلس في
حجره ، فالتفت عبس المطلب الى ابي طالب وقال : يا بني اني على
ثقة من امانتك ودينك ، فكن لابن اخيك كما كنت انا له ، والله يحزبك
خير جزاء المحسنين . فقال ابو طالب : والله يا والدي هو عندي اعز من
نفسي وولدي ولا نعمتك عيناً انشاء الله .

ولما مات عبد المطلب وانتقل الى رحمة ربه الكريم تولى ابو طالب
خدمة رسول الله ، فأجاد الكفالة واحسن الخدمة ، وكان المقدم عنده على
نفسه واولاده . ثم التفت الي وقال لي : يا فاطمة هذا محمد ابن اخي هو
روحي وسمعي وبصري فأحرصني على ان لا يمسسه مكروه ، اكرمي مثواه
وقومي بمطالباته واعرفني قدره ، فانه نبي هذه الامة وكفى . فقات عند ذلك
نعم يا ابا طالب اني اعرف محمداً حقاً واعرف ماسيؤول اليه امره ، وهو والله
عندي اعز علي من نفسي عليها ، كما هو والله اعز علي من ولدي ، وسأقوم
بخدمته ما وجدت الى ذلك سبيلاً انشاء الله .

• • •

اقول : ومهما يكن من شيء فليس اختيار عبس المطلب ابا طالب
لكفالة رسول الله صلى الله عليه وآله واختيار النبي هو شخصياً للانضمام
الى عمه الزعيم ابي طالب . نعم ليس هذا الا لتجاوب الارواح وانجذاب
النفوس بعضها لبعض ، بالاضافة الى ايمان ابي طالب العميق بالله ورسوله ،
الامر الذي قد استشره كل من النبي وعمه ، كما استشعر انه ارف به
واسفق عليه من اي احد من اولاد عبد المطلب ، لأن ابا طالب هو شقيق

عبدالله والد رسول الله ، ولم يكن لها شقيق ثالث . ومن هنا وهناك كان من ابي طالب ما كان من الخدمة الصادقة ، والولاء الخالص ، والايان الواقعي العظيم .
وتحدث الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص ١٧ فقال :
ان ابا طالب يجتمع برسول الله من حيث الآباء والامهات الى آدم وحواء ،
ومما لا شك فيه ولا ريب يعتريه ان آباء النبي الاكارم واجداده البررة كلهم
اماجد اطائب ، ينحدرون من طاهر الى طاهر ومن زكية الى زكية ومن
مؤمن بالله الى مؤمنة كذلك ، واذا كان الامر كذلك فعم النبي هو واحد
من تلك الدوحة المؤمنة وفرع من فروع تلك الشجرة الطيبة . فلا غرابة اذا
ان يكون اول مؤمن بالله واول واثق ببعثة محمد رسول الله صلى الله عليه
وآله ، واول متفان في نصرته ومؤازرته .

ونقل القندوزي في نفس الصفحة ايضاً بسنده الى الكلبي انه قال :
احصيت لرسول الله خمسمائة ام ، فما وجدت فيهن من سفاح الجاهلية شيئاً .
ومما لا يعترضه الوهم والشك ان امهات ابي طالب هن امهات رسول الله
صلى الله عليه وآله .

اقول : ومن اصدق من رسول الله صلى الله عليه وآله قيلاً وحديثاً ،
وقد تقدم عنه صحيحاً انه قال « والله ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء قط
من لدن آدم وحواء وحتى عبد الله وامي آمنة بنت وهب » .
ونقل القندوزي في نفس الصفحة بسنده الى ابن عباس انه قال في
تفسير قوله تعالى « وتقلب في الساجدين » يعني عز وجل قد علم قلب رسول
الله في اصلاب الساجدين وارحام الساجدات حتى اخبره من صلب عبد الله
وبطن آمنة نبياً .

وفيهما ايضاً بطريقه الى عائشة انها كانت تقول : قال رسول الله في
تفسير قوله تعالى « لقد جاءكم رسول من انفسكم » انما اراد عز وجل من

انفسهم نسباً وصهرأً وحسباً ، فوالله ليس في آبائي ولا في امهاتي من لدن آدم وحواء وحتى آمنة وعبد الله سفاح قط ، بل كانوا يستحلون نساءهم بعقد كعقد الاسلام .

وفيها اعني في يتابع المودة في ص ١٣ قال القندوزي : وقد جاء في فضائل العباس بن عبد المطلب من انه رضي الله عنه قد دخل على رسول الله كتيباً حزيناً الامر الذي استلزم ان يسأل رسول الله عن الاسباب والدوافع التي ادت الى ذلك ؟

قال العباس : بأبي انت وامي صلى الله عليك وعلى آلك الطيبين مالنا وقريش اذا تلاقوا ما بينهم تلاقوا بوجوه ضاحكة مستبشرة ، واذا صادفونا لقونا بغير ذلك لقونا بوجوه مكفهرة كالحة ؟ فغضب رسول الله عند سماعه من عمه ذلك ، ثم قام الى الجامع وامر المتادي ان ينادي بالناس ، فحضر الناس فصعد النبي على المنبر فقال فيما قال : من آذى عمي فقد آذاني ، فانما عم الرجل صنو ابيه . ثم قال : فوالله الذي نفسي بيده لا يدخل الايمان قلب رجل منكم حتى يحب آل بيتي لله ورسوله .

اقول : وما لا يخالجه الشك والريب ان عم النبي العظيم ابا طالب ، اذا ما قرناه بالعباس وقسنا احدهما بالنسبة الى الآخر وجدنا ان خدمات ابي طالب ومواقفه المشرفة هي اكثر واوفر من خدمات العباس ، بل لا قياس ولا نسبة بالمرّة بين الموقفين والخدمتين ، فخدمة ابي طالب وجهوده ومسايعه المشكورة ونصرته ومؤازرته لا يعلمها ولا يقدرها الا الله عز وجل والارسل الله صلى الله عليه وآله وسلم . ثم اذا كانت ملاقة قريش للعباس على غير الوجه الذي يلاقون به بعضهم لبعض مما يغضب النبي ويؤلمه - وبالتالي يضطره الى جمع الناس وصعود المنبر وتفهمهم - بأن من آذى عمه فقد آذاه ، ثم قال : « انما عم الرجل صنو ابيه » .

فما حال من نسب الى عمه وخادمه وكافله والقائل بمقاتلته الممات على الكفر -
والعياذ بالله - ليست هذه النسبة لأبي طالب من اعظم الايذاء لرسول الله واكبر
الاساءة اليه صلى الله عليه وآله ، انلا يتدبرون هذا ام على قلوب اقفالها !! .
ذكر ابن ابي الحديد في شرحه على النهج بطريقه الى امير المؤمنين
علي بن ابي طالب عليه السلام من انه قال في بعض خطبه الحكيمه البليغة
يصف رسول الله وصفاً رائعاً وواقعياً يرادف وصف الله عز وجل
ومدحه لرسوله وحبيبه كما وصف آباءه واسرته الكريمة ، وانها اسرة مؤمنة
بالله معتمدة عليه في كل امورها ومشاكلها ، لا تعرف غيره كما لا تعبد سواه ..
ثم ذكرها بما هي فيه من المواهب الجليلة والصفات الفذة النبيلة والمجد المؤئل
التقديم ، فقال عليه السلام :

« فاستودعهم في خير مستودع ، واقرهم في خير مستقر ، تناسختهم
كرائم الاصلاب الى ارحارم المطهرات ، كلما مضى منهم خلف قام منهم
بدين الله خلف ، حتى افضت كرامة الله سبحانه الى محمد صلى الله عليه
وآله ، فأخرجه من افضل المعادن منبتاً ، واعز الارومات مغرساً ، من الشجرة
التي صدع منها انبياءه ، وانتخب منها امناءه ، عترته خير العتر ،
واسرته خير الاسر ، وشجرته خير الشجر ، نبتت في حرم ، وبسقت في
كرم ، لها فروع طوال وثمر لا ينال ، فهو إمام من اتقى ، وبصيرة من
اهتدى ، وسراج لمع ضوؤه وشهاب سطع نوره ، سيرته القصد ، وسنته
الرشد ، كلامه الفصل ، وحكمه العدل ، ارسله الله على حين فترة من الرسل
وهفوة من العمل ، وغباوة من الامم » .

وتحدث القندوزي في ينابيعه ص ١٣ وصاحب مجمع الفوائد فقالا :
جاء العباس بن عبد المطلب الى الرسول الاعظم ، فقال : يا بن اخي حضرتني
ايات رغبت ان القيها عليك اذا ممحت . فقال : هاتها باعم لا يفضض

الله فاك فأنشده :

من قباها طفت في الهواء وفي
ثم هبطت البلاد فلا بشر انت
وردت نار الخليل مكتماً
تنقل من طاهر الى رحم
حتى احتوى بيتك المهيمن من
وانت لما ولدت اشرفت الارض
فكنت في ذلك الضياء وفي
وقال ابن ابي الحديد والقندوزي في بنيائه ان لأمر المؤمنين علي بن
ابي طالب خطبة يصف بها كيفية خلق الكون وكيفية خاتمة رسول الله محمد
صلى الله عليه وآله ، ثم يتعرض لما لآباء النبي من المجد والشمع والايمان
العميق بالله عز وجل والدعوة له خاصة كما لا يشركون بعبادته احداً ،
فقال عليه السلام :

خلق الله الخلق في ظلمه ، ثم رش عليه نوراً من نوره تعالى ، فمن
اصابه من ذلك النور بشيء فقد اهتدى ، ومن اخطأه فقد ضل ضلالاً
مبيناً . وان الله عز وجل حين شاء تقدير الخائفة ، وذرة البسيطة ، وإبداع
المبدعات ، ضرب الخلق في صور كالبهاء قبل وجود الارض والسماء ، وهو
سبحانه في انفراد ماكوته ، وتوحد جبروته ، فأشاع نوراً من نوره فلمع
وقبساً من ضيائه فسطع ، ثم اجتمع ذلك النور في وسط تلك الصورة الخفية ،
فوافق نور نبينا محمد صلى الله عليه وآله ، فقال الله عندئذ : أي محمد
انت المختار المنتخب عندك ، يا محمد ثابت نوري وكنوز هدايتي ، ثم اخفى
الخالقة في غيبه وكنمها في مكنون عامه ، ثم وسط العالم وبسط الزمان وأثار
الزبد واهاج الريح فطغى عرشه على الماء ، ثم سطع الارض على الماء ، ثم
انشأ الملائكة من انوار ابتدعها وعوالم اخترعها ، ثم قرن بتوحيده تعالى

نبوة محمد صلى الله عليه وآله ، فهو ابو الارواح ويعسوبها ، كما كان آدم ابا الاجسام والاجساد ومنشأها ، ثم انتقل النور في جميع العوالم : عالم بعد عالم ، وطبق بعد طبق ، وقرن بعد قرن ، الى ان ظهر نور محمد صلى الله عليه وآله بالصورة والمعنى في آخر الزمان هذا ، وان لمحمد بالخفاء روحانية تستمد الفيض الاقدس ، ثم هو صلى الله عليه وآله يعد العوالم كلها بتلك الروحانية الخفية .

اقول : هنيئاً لك يا عم رسول الله وكافله ، حيث كان نورك ينتقل مع نور رسول الله ، فطاف العوالم كلها ثم صار يمدّها بالفيض والروحانية ، ثم شاءت لك ارادة الله سبحانه ان تكون صائناً لذلك النور محافظاً عليه ، ما ان استطعت الى ذلك سبيلاً .

وجاء في مستدرک الصحيحين ٤ / ٧٣ بطريقه الى عبد الله بن عمرانه قال : بينا نحن جلوس بفناء دار رسول الله صلى الله عليه وآله اذ مرت علينا امرأة ، فقال رجل من الجالسين : هذه بنت محمد . فقال ابو سفيان : ان مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التين ، فسمعت المرأة هذا الكلام فأسرعت في مشيها فدخلت على رسول الله فأخبرته بمقالة ابي سفيان فبينما نحن جلوس اذ خرج علينا رسول الله مغضباً يلوح الغضب على وجهه الكريم ، فأمر ان ينادى في الناس جامعة ، فاجتمع الناس في المسجد يهرعون ، فصعد النبي المنبر فقال فيما قال : ما بال اقوام تبلغني عنهم مقالة ، اعلموا ايها الناس ان الله تبارك وتعالى لما خلق السماوات والارض قد اختار العليا منها فأسكنها من شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختار منهم بني آدم ، واختار منهم العرب ، ثم اختار منهم مضرأ ، ثم اختار منهم قريشأ ، واختار منهم بني هاشم ، ثم اختارني من بني هاشم ، فأنا من بني هاشم من خيار الخيار ، فن احب العرب فبحبي أحبهم ومن ابغض العرب

فببغضى ابغضهم ، ثم نزل صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر فاعتذر الى
حضرتة المؤمنون .

° ° °

اقول : ومما لا يشوبه الشك ولا يعترضه الريب والوهم ان ابا طالب
عم رسول الله وناصره هو اجل سادات العرب واكبر شخصياتهم ، فمن
احبه احب النبي ، ومن ابغضه فقد ابغض النبي صلى الله عليه وآله ، على
اساس حديث ابن عمر هذا ، ومن ابغض النبي فهو كافر باجماع المسامحين ،
كما يستحيل على الله الحكيم ان يودع انواره واسراره في اصلاب وارحام
قد انطوت على الجحود بربوبيته او اشركت معه غيره في العبادة ، كما
يستحيل على رسول الله صلى الله عليه وآله ان يشيد ويفخر بشجرة كافرة
او يمجّد ويعظم اسرة مشركة .

وذكر السيد الموسوي في الحجة فقال : قال العباس بن علي بن الحسين
بن علي بن عبد الله بن العباس بن امير المؤمنين علي بن ابي طالب ابياتاً يفخر
بها على غيره من الاشراف ، باعتبار انه نتاج اسرة مخضت عن رسول الله
صلى الله عليه وآله :

انا ورسول الله يجمعنا	اب وام وجد غير موصوم
جاءت به وبنا من بين اسرته	غراء من نسل عمران بن مخزوم
حزنا بها من يسعى ليدركها	قراة من حواها غير مسهوم
رزقاً من الله اعطانا فضيلته	والناس ما بين مرزوق ومحروم
وقال ايضاً :	

ان علي بن ابي طالب	جدا رسول الله جداه
ابو علي وابو المصطفى	من طينة طيبها الله

وبالمناسبة اقول : قد عثرت على مقارنة ومفاخرة بين الهاشميين والامويين

ذكرها ابن ابي الحديد في شرح النهج فتبديء من ٣ / ٤٦٧ وتنتهي بـ ٤٩٩ ، فكان المنتصرون للامويين يأتون الى التفضيل من طريق عاتكة بنت يزيد بن ابي سفيان حيث هي مائة بنت ملك وحفيدة ملك ، وكما تكثر الملوكة في بيت هو افضل من غيره ، اما المنتصرون للهاشميين فقد حذوا حذوهم فان্তصروا على التفضيل من طريق فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم . لذا قالوا : ان كان الفخر والفضل بعاتكة لأنها ابنت الملوكة فانا نذكر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فانها بنت سيد الملوك وسيد البشر من الاولين والآخرين ، والتي قال فيها النبي فاطمة سيدة نساء العالمين . هذا ، مضافاً الى ان ام فاطمة خديجة الكبرى التي واسم رسول الله صلى الله عليه وآله في السراء والضراء ، وبذلت جميع ما تملكه من الثروة الطائلة في سبيله ومصالح الاسلام ، بالاضافة الى ان السيدة فاطمة هي ام السبطين الامامين الحسن والحسين وحلياة علي امير المؤمنين وسيد الخلق بعد الرسول الامين . . .

وناهيك من مرأة ابوها رسول الله ، بعلمها علي بن ابي طالب ، امها ام المؤمنين خديجة بنت خويلد ، اخوها الطيب والظاهر ابناء رسول الله ، ابن عمها الآخر جعفر الطيار ذو الجناحين ، عمها ابو طالب العظيم ، ابو طالب الزعيم الذي كان اشد الناس شكيمة واجودهم رأياً واشهمهم نفساً وامنعهم جانباً واحوطهم على الاسلام واكثرهم خدمة لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو سادن الكعبة ، بليغ اديب شاعر فصيح عالم جليل خطيب عظيم ، عم رسول الله وكافله ومربي ومؤازره . فهل يا ترى بالمستطاع لأي انسان ان يفاخر أباطالاب عم الزهراء ، او يفاخر انساناً ولدتهم هاشم عمرو العلي ، فبنو هاشم ابداً لا يبارون ، فهم فوق عظمة العطاء وسيادة السادة والزعماء ؟ !

اما الامويون فلا يعرف فيهم خير قط لا في جاهلية ولا في اسلام ، بل لعلمهم ومن غير مبالغة في القول ان اجرامهم ومناكيرهم في الدور الاسلامي اكبر واكثر مما كانوا عليه في الزمن الجاهلي ، فهم اجلاف واراذل قسدت ضريت عليهم الذلة جاهلية واسلاماً .

فهم الذين كانوا قد اقدموا على اول عمل منحط كبريه تقشعر من فضاعته ابدان العقلاء حتى في الجاهلية وحين لا دين ولا كتاب ولا شريعة ولا نبوة . نعم اقدموا على نكاح نساء الآباء . قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ٤٦٩ / ٣ قال ابو عثمان : قد صنع امية بن عبد شمس شيئاً لم يقدم عليه احد لامن الاولين ولا من الآخرين ، لقد زوج امرأته من ابنه عمرو في حياته ، فأولدها ابا معيط بن ابي عمرو بن امية وصارت سنة في عقبه .

اما ابو طالب - بل الاسرة الهاشمية ما عدى ابي لهب - فانهم كانوا مؤمنين بالله نابذين لكل ما عداه ، فقد حرموا على انفسهم كافة المنافيات للانسانية ، وحرموا عليهم جميع الملاذ غير المشروعة من الزنى والخمر والربى والقمار والكذب ، الى غير ذلك من المخازي والموبقات .

قال جعفر بن ابي طالب ذات يوم للرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم : بأبي انت وامى يا رسول الله انى ما كذبت كذبة قط لا في جاهلية ولا اسلام منذ علمت ان الكذب منقصة ورذيلة ، وما شربت الخمر قط منذ علمت انه يزيل العقل ويخمره ، وما زينت قط منذ علمت متى ما فعلت فعل بي . فاستر رسول الله بذلك ودعا له بالخير والبركة .

اقول : ذكر ابن ابي الحديد في شرح النهج ٤ / ٤٨ كتاباً من علي عليه السلام لمعاوية بن ابي سفيان يعرفه فيه بيته ومكانته كما يصف فيه محمد الهاشميين ومكارمهم ، وها نحن نذكره تنويراً للرأي العام واطهاراً للواقع

الذي ما ربما يخفى على البسطاء من الناس ، فيتخيلون ان هناك مجداً وسيادة وكرامة وزعامة لبي امية .

والى القارىء الكريم نص الكتاب الذي كانت مناسبتة كتاب من معاوية قد وصل الى الامام عليه السلام ، وهذا كتاب معاوية اولاً ، وقد ذكره ابن ابي الحديد ايضاً في نفس الصفحة والجزء :

« من عبد الله معاوية بن ابي سفيان الى علي بن ابي طالب :

اما بعد ، فان الله تعالى جده قد اصطفى محمداً عليه السلام لرسالته واختصه بوحيه وتأديته لشريعته ، فأنقذ به من العماية وهدى به من الغواية ، ثم قبضه الله اليه رشيداً حيداً قد بلغ الشرع ومحق الشرك واخذ نار الافك ، فأحسن الله جزاءه ، وضاعف عليه نعماء وآلاءه .

ثم ان الله سبحانه اختص محمداً بأصحاب ايدوه وآزروه ونصروه ، وكانوا كما قال الله تعالى فيهم « اشداء على الكفار رحماء بينهم » ، فكان افضلهم مرتبة واعلاهم عند الله درجة الخليفة الأول الذي جمع الكلمة ولم الدعوة وقتل اهل الردة ، ثم الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح ومصر الامصار واذل رقاب المشركين ، ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر الملة وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفة ، فلما استوثق الاسلام وضرب بجرانه عدوت عليه وبغيت الغوائل ونصبت له المكائد وضربت له بطن الامر وظهره ودست عليه واغريت به وقعدت حيث استنصرك عن نصره وسألك ان تدركه قبل ان يمزق ، فما ادركته فما يوم المسلمين منك بواحد ، لقد حسدت ابا بكر والتويت عايه ورمت افساد امره وقعدت في بيتك واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته ، ثم كرهت بيعة عمر وحسدته واستطاعت عليه مدته وسررت بقتله واظهرت الشامة بمصابه حتى انك حاولت قتل ولده لأنه قتل قاتل ابيه ، ثم لم تكن اشد منك لابن عمك عثمان ، فقد نشرت قبائحه وطويت محاسنه وطعنت في فقهه ودينه ثم في سيرته وعقله ، واغريت

به السفهاء من اصحابك وشيعتك حتى قتاوه بمحضر منك لا تدفع عنه باسان ولا يد ، وما من هؤلاء الا بغيت عليه وتلكأت في بيعته حتى حلت اليه قهراً بجرائم الاقتسار كما يساق الفحل المغشوش ، ثم نهضت تطلب الخلافة وقتلة عثمان من خلصائك والمحدثون بك ، وتلك من اماني النفوس وضلالات الاهواء ، فدع اللجاج والعبث جانباً وادفع الينا قتلة عثمان واعد الامر شورى بين المسلمين ليقفوا على من هو لله فيه رضى ، فلا بيعه لك في اعناقنا ولا طاعة لك علينا ولا عتبي لك عندنا ، وليس لك ولاصحابك عندي الا السيف ، فوالذي لا اله الا هو لأطلبن بدم عثمان وألاحق قتله ابن ماكانوا وحيث وجدوا فأقتلهم او اموت في هذا السبيل .

واما ما ترال تمن به من سابقتك وجهادك فاني وجدت الله يقول « يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم مؤمنين » ، ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها اشد الانفس امتناناً على الله بعملها ، واذا كان الامتنان على السائل يبطل اجر الصدقة فالامتنان على الله بأمر الجهاد يجعله كصفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صليداً لا يقدر على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين .

اقول : والله انه لكتاب صلف وقح ينم عن عداء معاوية لعلي عليه السلام وبغض لا يضاهيه اي بغض ، وكيف لا يكون كذلك وهو يعلم حقاً أن علي بن ابي طالب قد ضرب خراطيم آبائه بالسيف حتى قالوا « لا اله الا الله » وأن علياً هو الذي قتل أخاه وعمه وخاله ، وأن علياً وحده هو الذي قرضته السماء وفرضت ولايته على الخلق عامة ، وهو الذي خلق بذكره الحجد في الآفاق ونصبه رسول الله إماماً للمسلمين وعلماً للأمة ، وهو الذي جاءه ، ابو سفيان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وقال له : مد يدك يا علي ابايعك . فصادف منه الإباء والانكار وعدم الرضا من عملته ، لما يعلمه

عليه السلام من خيئه وانطوائه على النفاق ، وانه لا يبتغي من فذلكته تلك
إلا ان يتصيد في الماء العكر وياعب لعبه برأس علي عليه السلام ، ظناً منه
ان ستنطلي عليه أحاييله واباطيله ، ولكن امير المؤمنين المسدد بعناية الله
والناظر بنوره سبحانه عرف نواياه ، فجابهه بالرد والانكار ولم يقبل بما
عرضه كما لم يعن برأيه .

وعلى كل حال لنطلق العنان الى القلم ليصور لنا جواب أمير البلغاء
واستاذ الفصحاء وإمام الخلق اجمعين وامير المؤمنين علي بن ابي طالب ،
وليك قارئي الكريم النص الكامل :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين علي بن ابي طالب الى معاوية بن ابي سفيان .
اما بعد : فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمداً صلى الله
عليه وآله بدينه وتأيينه اياه لمن ايدته من اصحابه ، فلقد خبأ لنا الدهر منك
عجباً إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا ، فكنت في ذلك كناقل
التمر الى هجر اوداعي مسددة الى النضال ، وزعمب ان افضل الناس في الاسلام
فلان وفلان ، فذكرت أمراً إن تم اعتر لك كله وان نقص لم ياحقك ثلمه ،
وما انت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس ، وما للطلاق وابناء الطلقاء
والتمييز بين المهاجرين والانصار وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم ، هيهات
هيهات لقدحن قدح ليس منها وطلق يحكم فيها من عليه الحكم لها ، ألا
تربع ايها الانسان على ظالمك وتعرف قصور ذرعك وتتأخر حيث أخرك
القدر ، فما عليك غلبة المغلوب ولا ظفر الظافر ، فانك الذهاب في التيه رواج
عن القصد ، ألا ترى غير نخبر لك ولكن بنعمة الله احدث ان قوماً استشهدوا
في سبيل الله من المهاجرين والانصار ولكل فضل ، حتى اذا استشهد شهيدنا

قيل سيد الشهداء وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه ، ألا ترى ان قوماً قطعت ايديهم في سبيل الله حتى اذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين ، ولولا مانهى الله سبحانه عنه من تزكية المرء نفسه . للذكر ذاكر فضائل حجة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمنعها آذان السامعين ، فدع عنك من مالت به الرمية ، فإذا صنيع ربنا والناس بعد صنائع لنا ، لم يمنعنا قديم عزنا ولا عادي فضلنا وطولنا على قومك أن خلطناهم بأنفسنا فنكحنا وانكحنا فعل الأكناء ولستم هناك .

واني يكون ذلك كذلك ومنا النبي محمد ومنكم المكذب ، ومنا اسد الله واسد رسوله ومنكم اسد الاحلاف ، ومنا سيدا شباب اهل الجنة ومنكم صبية النار ، ومنا سيدة نساء العالمين ومنكم حمالة الخطب - الى كثير مما لنا وعليكم ، فاسلامنا ما قد سمع وجاهلينا لا تدفع وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا ، وهو قوله تعالى سبحانه « واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » وقوله تعالى « ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » فنحن اولى بالقرابة وتارة اولى بالطاعة .

لما احتج المهاجرون على الانصار يوم السقيفة برسول الله فلعجهم ، فان يكن الفاج به صلى الله عليه وآله فالحق لنا دونكم ، وان يكن بغيره فالانصار على دعواهم .

وزعمت اني لكل الخافاء حسدت وعلى كلهم بغيت ، فان يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر لك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها . وقلت اني كنت اقاد كما يقاد الجمل المغشوش حتى اباع فاعمر الله لقد اردت ان تدم فدمحت وان تفضح فافتضحت ، وما على المسلم من غضاضة في ان يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً في يقينه ،

وهذه حجتي الى غيرك فصلها ولكنني اطلقت لك منها ذكرها .
ثم ذكرت من امري وامر عثمان فلك ان تجاب لرحمك منه ، فأيتنا
الذي كان اعدى له واهدى لمقاتلته ، ام من بذل نصرته فاستقعد واستكفه
امن استنصره ففراضى عنه وبث له المنون حتى اتي قدره عليه ؟ كلا والله ،
لقد علم المعوقين منكم والقائلين لاختوانهم هلم الينا ولا يأتون الناس الا
قليلا .

وما كنت لأعتذر من اتي كنت انقم عليه اشياء واحداً ، فان كان
الذنب اليه ارشادي وهدايي اليه فرب ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظنة
المتنصع ، « وما اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه
توكلت واليه انيب » .

وذكرت انه ليس لي ولاصحابي عندك الا السيف ، فلقد اضحكت
بعد استعبار ، متى الفيت آل ابي طالب وبني عبد المطلب عن الاعداء
ناكسين ناكلين وبالسيف يخوفين ، فالبث قليلا يلحق الهيجاء حل فسيطلبك
من تطلب ويقرب منك من تستبعد ، وانا مرقل نحوك بمحفل من المهاجرين
والانصار والتابعين لهم باحسان ، شديد زمامهم ساطع قتالهم متسرلين
سرايل الموت احب اللقاء اليهم لقاء ربهم ، وقد صحبتهم ذرية بنزيرة ومسيوف
هاشمية قد عرفت مواقع نصالها من اخيك وخالك وجدك ، وماهي من الظالمين
ببيعد .

اقول : ونترك المقارنة والتمييز بين الطائفتين لذوق القارىء الكريم ثم
ليقطع وليحكم بما يريد .

واقول ايضاً كما قال جدنا امير المؤمنين عليه السلام : ان اريد الا
الاصلاح ما استطعت الى ذلك سبيلا وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه
انيب .

وبالجواب منه عليه السلام كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد ، ولكننا نذكر ما رواه ابن أبي الحديد بالصفحات نفسها من انتصار الخليفة المعتضد العباسي للهاشميين وتفضيلهم على من سواهم ، كما تفى مجال المقارنة والمقايسة والتمايز بكتاب عمه على جميع البلاد الاسلامية وأمر بقراءته على الناس في كل مكان ، بالرغم من معارضة العباسيين في ذلك ومما نعتهم اياه عن نشر الكتاب ، الا انه اصر واصر الا ان ينشر ويقرأ في النوادي الحكومية والشعبية والمجمعات العامة ايام الجمع والاعياد ، وهذا نص الكتاب :

اما بعد : فقد انتهى الى امير المؤمنين ما عليه العامة من شبهة دخلتهم في دينهم ، وفساد لحقهم في عقائدهم ، وعصية قد غلبت عليها اموأهم ، ونطقت لها ألسنتهم التابعة الى اموأهم المبتدعة قلدوا فيها قادة الضلال بلا روية ولا بصيرة ، كما خالفوا فيها السنة الواجبة الاتباع ، قال الله تعالى « ومن اظلم ممن تبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين » خروجاً منهم عن الطاعة ، ومسارعة الى الفتنة ، وايشاراً للفرقة ، وتشكيكاً في الامر ، وتشقيتاً للكلمة واظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة ، وبتر منه العصمة ، واخرجه من الملة ، واوجب عليه اللعنة ، كما صغر قدره وحقه ، واوهن امره ، واضعف ركنه من بني امية الشجرة الملعونة في القرآن الكريم . كل ذلك مخالفة صريحة لمن استنقذهم الله به من الهلكة ، وبواسطته اسبغ عليهم النعمة من اهل بيت البركة والرحمة ، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فأعظم امير المؤمنين الامر وما انتهى اليه الوضع ، فرأى ترك انكاره المنكر خروجاً عن الدين وفساداً لمن قلده الله امره من المسلمين واهمالاً لما اوجبه الله من تقويم المخالفين واصلاح المعاندين ، فأمر المؤمنين بخبركم معاشر المسلمين ان الله عز وجل لما بعث محمداً صلى الله عليه وآله بدينه

وامره ان يصدع بأمره بدأ بأهله وعشيرته ، فدعاهم الى ربه ، فأئذنهم وبشرهم ونصح لهم وارشدهم ، فكان من استجاب اليه وصدق قوله واتبع امره نفر يسير من بني ابيه ، يدفعون عنه من نابذه ، ويقهرون من تظاهر عليه وعانده ، ويتوثقون له ممن كاشفه وعاضده ، ويبايعون له من سمح له بنصرتهم ، ويتجسسون له اخبار اعدائه ، حتى اذا باغ المدى وحان وقت الاهتداء دخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله ، ثم الايمان به بثابت بصر واحسن هدى ورغبة ، فجعلهم الله اهل بيت الرحمة واهل بيت الدين ، اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهير ، فهم ورثة النبوة ومعادن الحكمة وموضع الخلافة ، لذا أوجب الله لهم الفضيلة والزم العباد لهم الطاعة ، فكان ممن كذبه وعانده وحاربه من عشيرته العدد الكثير والسواد الاعظم ، يتلقونه بالضرر والتثريب ويقصدونه بالاذى والتخويف وينالون من اتبعه بالتعذيب .

وكان اشدهم في ذلك عداوة ، واعظمهم مخالفة ، واوهم في كل حرب ومناصبه ، ورأسهم في كل اجلاب وفتنة ، لا ترفع على الاسلام راية الا كان صاحبها وقائدها ابوسفيان بن حرب صاحب احد والخنديق وغيرهما ، معه اشياعه من بني امية الملعونين في كتاب الله ثم على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله في مواضع عديدة ، لسابق علم الله فيهم وماضي حكمهم فيهم وفي كفرهم ونفاقهم ، ولم يزل ابوسفيان لعنه الله يحارب الله ورسوله ، مجاهداً يدافع عن الاوثان مكائداً حتى قهره السيف وعلا امر الله وهم له كارهون ، فتعوذ بالاسلام غير منظوى عليه واسر الكفر غير مقلع عنه ، فقبله رسول الله وقبل ولده على علم منه بحاله وحالهم ، ثم ازل الله تعالى كتاباً فيما انزله على رسوله يذكر فيه شأنهم وهو قوله « والشجرة الملعونة في القرآن » ولا خلاف بين احد من انه تعالى وتبارك اراد بالشجرة الملعونة بني امية ، ومما ورد مطابقاً للقرآن

من ألسنة النبوة المروية عن الثقات عن النبي صلى الله عليه وآله في أبي
سفيان فكثير وكثير جداً :

منها - انه صلى الله عليه وآله قد رأى يوماً أبا سفيان مقبلاً على حمار يقوده معاوية
وزيد يسوقه ، فقال النبي : لعن الله الراكب والقائد والسائق .

ومنها - ما نقلوا عن أبي سفيان من قوله يوم بيعة عثمان : تأقفوها
يا بني عبد شمس تأقف الكرة ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة
ولا نار .

وهذا هو الكفر الصراح بعينه ، الكفر الذي ياحقه اللعنة من الله كما
لحقت الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون .

ومنها - وقوفه على ثنية احد بعد ذهاب بصره وقوله لقائده ههنا
رمينا محمداً وقتلنا أصحابه .

ومنها - الكلمة التي قالها للعباس بن عبد المطاب يوم فتح مكة المكرمة
وقد عرضت عليه جنود الله : اقم اصبح ملك ابن اخيك عقيماً يا عباس .
ومنها - قوله يوم الفتح ايضاً حين سمع بلال الحبشي يؤذن على ظهر
الكعبة الى ان قال : اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله ،
تمنى الموت ولم يكن يسمع ما سمع من اذان بلال ، وقال : لقد سعد عتبة
بن ابي ربيعة حيث لم يشهد هذا المشهد ولم يسمع ما قد سمعت .

ومنها - الرؤيا التي رآها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان قد
رأى كأن نقرأ من بني أمية يزورون على منبره نزو القردة .

ومنها - طرد رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم بن العاص لمحاكاته
له في المشي ، فألحقه الله بدعوته آفة باقية مدى عمره .

هذا بالإضافة الى ما كان من امر مروان ابنه من افتتاحه اول فتنة في

الاسلام ، واحتقابه فيها كل دم حرام سفك او أريق بعدها .
ومنها - ما أنزله الله تعالى على نبيه ليلة القدر خير من ألف شهر .
قال المفسرون : ان الآية تعني أن ليلة القدر خير من ألف شهر ، اي خير
من ملك بني امية الذي كانت مدته ألف شهر .
ومنها - ان رسول الله دعا معاوية يوماً فدافع بأمره واعتل بطعامه
ثلاث مرات ، فعنها قال رسول الله : لا اشبع الله بطنه ، فبقي لا يشبع ابداً ،
كما كان يردد « ماشبعت شعباً ولكن اتركه اعياءً ومللاً » .
ومنها - أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : سيطلع من
هذا الفج رجل يزعم انه من امتي يحشر على غير ملتي . وعلى الأثر طلع
من المكان الذي اشار اليه النبي معاوية بن ابي سفيان .
ومنها - أن الرسول صلى الله عليه وآله قال : إن معاوية في تابوت
من نار في اسفل درك من جهنم يستغيث فيقال له : الآن وقد عصيت من
قبل وكنت من المفسدين .
ومنها - انه صلى الله عليه وآله قال : اذا رأيتم معاوية على منبري
فاقتلوه .

ومنها - اقترافه المحاربة لأفضل المسلمين في الاسلام مكاناً ، وأقدمهم
الى الدين سبقاً ، وأحسنهم فيه ذكراً واثراً ، ذاك امير المؤمنين علي بن
ابي طالب عليه السلام ، وقد نازعه حقه بباطله ، وجاهد أنصاره بفضلاله
واعوانه ، وحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولان من اطفاء نور الله وجحود
دينه ، وبأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .
ومنها - انه صلى الله عليه وآله قال لعمار بن ياسر : تقتلك الفئة
الباغية لأنك تدعوهم الى الجنة ودم يدعوك الى النار . ولا شك ولا ريب
في أن الفئة الباغية التي قتلت عمار هي فئة معاوية . . .

وكان معاوية مؤثراً للعاجلة ، كافراً بالآجلة ، خارجاً عن رتبة الاسلام مستحلاً للدم الحرام ، حتى سفك في فتنه وفي سبيل غوايته وضلالته مالا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابين عن دين الله والناصرين لحقه ، عداوة منه لله ، مجتهداً في ان يعصى الله فلا يطاع ، ويبطل احكامه فلا تقام ، ويخالف دينه فلا يدان به . . . يحاول ان تعلق كلمة الضلال ، وتطغى دعوة الباطل ، ولكن كلمة الله هي العليا ، ودينه هو المنصور ، وحكمه هو النافذ ، وأمره هو الغالب ، وكيد من عاداه وحاده هو المغلوب الداحض .

فاحتمل معاوية أوزار تلك الحروب وتوابعها ، وتطوق تلك الدماء البريئة وما سفك بعدها الى يوم القيامة . كما انه قد سنّ سنن الفساد ، فعليه اثمها واثم من عمل بها الى يوم الدين ، وقد اباح المحارم لمن ارتكبها ومنع الحقوق أهلها ، لأنه قد غرته الآمال واستدرجه الإمهال ، فكان مما اوجب الله به عليه اللعنة وسوء العذاب .

ثم قتله من قتل صبراً من أخيار الصحابة والتابعين ، واهل الفضل والدين ، مثل حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي الى كثير من هذا اللون ممن قتلهم ظلماً وعدواناً .

ثم ادعاه زياداً ونسبته اياه الى ابيه ابي سفيان ، والله سبحانه يقول « ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله » وقال رسول الله : ملعون ملعون من ادعي لغير ابيه وانتمى الى غير مواليه . كما قال : الولد للفراش وللعاهر الحجر .

فخالف معاوية في ذلك حكم الله ورسوله جهاراً ، فأحل بأعماله هذه من محارم الله ورسوله في ام حبيسة وغيرها من النساء من شعور ووجوه قد حرمها الله ، وأثبت بها من قربى ابعدها الله عز وجل - الى كثير مما

ادخله من الخلل في الدين ما لم ينل خلل مثله ، وغير وبدل في الاسلام ما لم ينل الاسلام تبديل وتغيير بشبهه .

فمن ذلك اثاره لخلافة الله ومقام رسول الله ابته السكير الخمير صاحب الديكة والقروود والقهود ، فأخذ له البيعة من خيار المسلمين بالقهر والسلطة والتوعد والاختافة ، وهو يعلم سفهه وطيشه ، ويعلم رهقه ونزقه ، ويشاهد كفره وعتوه وفجوره وطغيانه ومحاربه لله ورسوله بلا اختشاء ولا تسر ، ولما تكن الخلافة الى يزيد لعنه الله طلب متحفزاً يطلب بثأر المشركين من المسلمين ، فأوقع بأهل المدينة وقعة الحرة الواقعة التي لم تمر على البشرية مثلها ولا على المسلمين افضع وابشع منها ، فشنى عند نفسه غليله ، وظن انه انتقم لأشياخه من اولياء الله ، وبلغ الثأر لأعداء الله والرسول ، فقال مردداً غير هيب مظهراً كفره وعناده وشركه وإلحاده :

ليت اشياخي يبدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل

لأهاوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لاتشـل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

قول من لا يرجع الى دين ، ولا يؤمن بالله العظيم .

ثم ان اغلظ ما انتهك واعظم ما اجترم سفكه لسدم الحسين بن علي عليهما السلام ، مع علمه بموقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسماعه منه انه قال « الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا ، الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة » اجترأ منه على الله ورسوله ، وعداوة منه لها ، فإخاف في عمله ذلك من الله نقمة ، ولا راقبه في معصية .

هذا مضافاً الى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل سننه وأحكامه ، واتخاذ مال الله بينهم دولا ، ثم هدمهم لبيت الله ، واستحلالهم حرمه ، ونصبهم الخبائيق عليه ورميهم اياه بالنسار بألوان له

أحرافاً وتخريباً ، ولما قد حرم الله منه استباحة وانتهاء كآ ، ولما لجأ إليه قتلاً وتنكيلاً ، ولما آمنه الله فيه اخافة وتشريداً ، حتى اذا حقت عليهم كلمة العذاب واستحقوا من الله الانتقام بعد ان ملأوا الأرض بالجور والظلم وعموا عباد الله بالعداء والقهر والاذلال ، فحلت عليهم السخطة ونزلت بهم من الله السطوة وقطع الله دابر الذين ظلموا وكانوا يعتدون ، والحمد لله رب العالمين .

ايها الناس ان الله تعالى امر ليطاع ، فقال تعالى « ان الله لعن الكافرين واعدهم عذاباً سعيراً » وقال تعالى « اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » ، فالعنوا ايها المسلمون من لعنه الله ورسوله ، وفارقوا من لن تنالوا القربة من الله إلا بمفارقته .

اللهم العن ابا سفيان بن حرب ومعاوية بن ابي سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وولده وولد ولده الى يوم القيامة .

اللهم العن أئمة الكفر والضلال ، وقادة الشرك والفساد ، واعداء الدين ومعاندي الرسول ، ومعطي الأحكام ، وعرفي الكتاب ، ومنتهكي الدم الحرام . اللهم انا نبرأ إليك من موالاته أعدائك ، ومن الإغماض لأهل معصيتك ، كما قلت تباركت وتعاليت « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » .

ايها الناس اعرفوا الحق تعرفوا أهله ، وتأمّلوا سبيل الضلال تعرفوا سابلها ، ففقوا عند ما اوقفكم الله عليه ، وانفذوا ما امركم الله به .

* * *

أقول : وليس ابن ابي الحديد وحده الذي ذكر كتاب الخليفة المعتضد هذا بل ذكره كثير من المحدثين والمؤرخين ومنهم العلامة الطبري في تاريخه والمجلسي في بحاره والأميني في غديره ، ولعمري أنه كتاب ضخم وكتاب جليل وعظيم يصدر عن أعظم شخصية من خلفاء بني العباس ، فان المعتضد

قد قرأ بنفسه ووقف بذاته على قبائح الأمويين قديماً وحديثاً ، وعرف
تطاولهم على آل البيت والهاشميين في حال انهم - اعني الأمويين - بعيدين
كأبعد ما بين السماء والأرض عن كل فضيلة ، قريبين كل القرب الى كل رذيلة
بعيدين كل البعد عن القيم الانسانية :

أحياؤهم عار على أمواتهم والميتون مسبة للنفـار
فأين هم من الهاشميين ، وابن ابو سفيان من ابي طالب ، وابن معاوية
من علي عليه السلام ؟ ؟

قال ابن ابي الحديد من ابيات يصف بها ابا طالب وابنه علي بن
ابي طالب :

فلولا ابو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى وهذا يثرب خاض الحماما
واين يزيد الفهود والقرود من الحسن والحسين سيدي شباب أهل
الجنة ، واين آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً
من آل مروان طرداء رسول الله ؟ !

نقل ابن ابي الحديد ٢ / ٤٥٨ عن الزبير عن محمد بن الحسن عن محمد
ابن طلحة عن عثمان بن عبد الرحمان عن عبد الله بن عباس انه قال : والله
ماشدت قريش الرجال ولا اناخت الجمال بفناء احد إلا بفناء هاشم بن عبد
مناف وعبد المطلب بن هاشم وابي طالب بن عبد المطلب ، والله ان أول
من سقى الماء العذب وقام برفادة الحاج وأول من جعل باب الكعبة ذهاباً
من ماله الخاص شية الحمد عبد المطلب ، وكانت قريش تتجر ولكن
لا تتعدى تجارتهم الحجاز ليس إلا حتى رحل هاشم بن عبد مناف فنزل
ضيفاً على قيصر ملك الشام آنذاك ، فاحترمه وعظمه وكان كل يوم يؤلم له
الولائم وينحر الذبائح ويدعو الزعماء والوجهاء وارباب الدولة على شرف

هاشم وزعامته العربية ، فلما استأذن هاشم من الملك ليعود الى بلاده
فقدم له الهدايا والتحف وطلب اليه ان يفضي بمهامه وحوائجه . فقال هاشم :
لا حاجة لي تخصني بل الشيء الذي اريده الحرية لتجارة قريش وفسح المجال
أمامها لتتجه الى أي بلاد من بلدان العرب . فأجابه الى ذلك وعلى الأثر
صارت تجارة قريش تجوب اليمن ولبنان والخليج العربي والعراق لاتعارض
في شيء ببركة جد رسول الله الأعلى الزعيم العربي هاشم بن عبد مناف .
قال المسعودي في مروج الذهب : وكان هاشم يقوم في اليوم الأول
من شهر ذي الحجة من كل عام ، فيسند ظهره الى الكعبة من تلقاء الباب
فيخطب الناس ويقول فيما يقول :

« يا معشر قريش انتم سادة العرب ، وأحسنها وجوهاً ، وأعظمها
حلماً ، وأجلها نسباً وحسباً ، وانتم جيران بيت الله ، اكرمكم بولايته ونخصمكم
بجواره دون بني اسماعيل ، وحفظ منكم احسن ما حفظ من جاره ، فأكرموا
ضيوفه واحترموا زواره ، فإنهم يأتونكم من اماكن بعيدة ، فورب هذه
البنية لوكان لي مال يحتمل لكفيتكم كل شيء ، ألا واني مخرج من طيب
اموالي وحلاله مما لم يقطع من رحم ومما لم يؤخذ بظلم وغصب ولم يدخل
فيه حق ، فواضعه لخدمة الزوار والحجاج . ألا فن أراد منكم ان يفعل
كذلك فليفعل ، ولكني اسألكم بجرمة صاحب هذا البيت ان لاتخرجوا مما
هو في ايديكم لخدمة الحاج والزوار الا الحلال الزكي من الأموال » :

وكان الطيبون من قريش ترضخ لارشادات الزعيم العدناني ، وتتقبل
نصائحه بترحاب وسرور .

ثم قام من بعد وفاته بكل مايرجع الى خدمة البيت الحرام والقيام
بشؤون زواره ووفوده شية الحمد عبد المطلب ، فأجاد الخدمة واحسن
الرفادة .

ثم قام من بعده ولده ابو طالب ، فأضاف الى ذلك كلمة خدمة رسول الله وتربيته ونصره على اعدائه ، ثم تأييده في شريعته ودينه .
ونقل ابن ابي الحديد بطريقة الى الزبير بن بكار في كتابه النسب :
وقد قيل في عبد المطلب وابنه ابي طالب بعد وفاة الزعم هاشم العظيم هذه الايات :

كهولهم خير الكهول ونسلهم نسل الملوك لايبور ولا يجري
ملوك وأبناء الملوك وسادة تفاق عنهم بيضة الطائر الصقر
متى تلق منهم طامحاً في عنانه تجده على اجراء والده يجري
هو ملكوا البطحاء مجداً وسودداً وهم ردعوا عنها غواة بني بكر
وهم يغفرون الذنب ينقم مثله وهم تركوا رأي السفاهة والهجر
وها انا ذا أقول ولا أزل لهم شاكر أحتي أغيب في القبر
أقول : وايم الله كلما يتأمل الانسان ويمعن النظر بدقة وتدبر ويقرأ تاريخ اسرة النبي العظيمة ولحمته الكريمة وشجرته الطيبة يتضح له بجلاء شرف هذه الاسرة وكبير مقامها وتسامي مجدها وعزتها ، فيجدها ترفل في شمم وتمشي في كرم ، يتوارثه الخلف عن السلف ، فمن عبد مناف الى هاشم عمرو العلي الذي شمم الثريد لقومه واهل مكة مستتون عجاف يكاد أن يقضي عليهم الفقر وتهلكهم الحاجة ، الى عبد المطلب والى ابي طالب الى مجد رسول الله وعلي أمير المؤمنين وزير رسول الله ووصيه ، فكانوا كما قال القائل :

كلما غاب نجم بدى كوكب تأوي اليه كواكبه
فكاهم يهدفون هدفاً واحداً ، ويستقون من ينبوع واحد ، فوصية عم الرسول العظيم ابي طالب إذا ما قورنت بوصية هاشم وإذا ما قيسست بوصية عبد المطلب تجد الجميع تركز على توحيد الله ونفي الشركاء عنه ثم خدمة

بيت الله والاعتناء بوفوده وزواره .

يحدثنا السيد قطب الدين البرزنجي في المختصر والسيد زيني دحلان في أسنى المطالب والقاضي النقدي في المواهب : ان الزعيم الهاشمي ابا طالب كان من المتألمين الذين كان الله عز وجل يجري الخير والكرامة على ايديهم ، وقد استسقى ابو طالب للناس مراراً فاستجاب الله دعائه ولبي ندائه فأغاث الناس وامطرهم ببركة دعائه .

قال صاحب المناقب ومثله صاحب المواهب : وكان من جملة طلبات ابي طالب من الله تعالى طلبته منه تقديس اسمائه ان يلقنه اسماً لابنه علي حين ما ولد عليه السلام فقال :

يارب ياذا الغسق السدجي والقمر المبتلج المضي
بين لنا من حكمك المقضي ماذا ترى في اسم ذا الصبي
واذا هو بلوح اخضر يسقط عليه وفي حجره من واجهة السماء ، فاذا
باللوح مكتوب فيه :

خصصنا بالوليد الزكي والطاهر المنتجب المرضي
فاسمه من شامخ علي علي اشتق من العلي
فكان الرسول أشد الناس والأقرباء فرحاً بما تفضل به الله على عمه
ابي طالب وابن عمه علي ، ثم ابو طالب قد أمر ان يعلق اللوح في جوف
الكعبة ، ولم يزل كذلك الى ايام ملوكية هشام بن عبد الملك ، فأمر بانزاله
بعد أن فهم قصته وتعرف واقعته .

وقد تقدم مايؤيد هذا من ان النبي صلى الله عليه وآله قال في الحديث
المعروف بحديث النور الحديث المروي بطرق الخاصة والعامة والحديث طويل ،
والغاية هي قوله صلى الله عليه وآله : ولم يزل ذلك النور ينتقل من الأصلاب
الزكية الى الأرحام الزكية ، حتى اذا صار في صلب جدي عبد المطلب

قسمه الله إلى شطرين ، فأودع شطراً منه في صلب عبد الله أبي وأودع الشطر الثاني في صلب عمي أبي طالب ، فكنت أنا للنبوّة وكان عليّ للوصية والفروسيّة ، وقد اشتق الله لنا اسمين من اسمائه ، قاله تعالى الحمد وأنا محمد وهو تعالى الأعلى وهذا عليّ - وأشار صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام .

إذاً فالتسمية من الله سبحانه مقررة من عالم الذر وكائنة في اللوح المحفوظ ، إلا أن اظهار ذلك واعلانه كان بمناسبة مولد علي ورجاء ابيه ان يلهم اسماً لوليدته المبارك ، فكانت قصة اللوح الأخضر .

وتحدث الامام احمد بن حنبل في مسنده ١ / ٣٠٩ بطريقه الى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لما كانت ليلة المعراج ليلة عرج بي الى السماء وكنت من ربي قاب قوسين أو أدنى وكان عروحي بعد صلاة العشاء وطيف بي في السماوات كلها ، وأصبحت بمكة فضقت بذلك ذرعاً ، وصار في نفسي إن حدثت بالواقعة لأصدق ، فجلست مجلساً منعزلاً عن الناس مفكراً في أمري حائراً في قضيتي ، فبينما أنا كذلك اذ مر بي ابو جهل فانتهاز وحدتي وانعزالي فرصة ، فجاء فجاس من حولي فقال : وجدتك وحدك يا محمد كأن شيئاً نزل عليك من السماء تفكر فيه . فقلت : لا يا ابا جهل لم ينزل الوحي عليّ في هذه الساعة .

ابو جهل : إذا ماذا يلوح بخاطرك ويجول في فكرك .
رسول الله : عرج بي ليلة البارحة ، فطيف بي في السماوات وأصبحت بين ظهرانيكم .

ابو جهل : اي محمد اذا دعوت لك قومك أ كنت تحدثهم بما جرى لك في عروجك .

رسول الله : نعم أحدثهم بكل ما رأيته وشاهدته .

ابو جهل : يغيب قلباً ثم يعود بجماعة من شياطينه ويقول : حدث
بإمام محمد .

رسول الله : عرج بي الى السماء ، فشاهدت الملكوت الأعلى ،
فرأيت العظمة الآلهية وبديع الصنع حتى صرت من ربي كقاب قوسين أو أدنى .
ابو جهل : يضحك ملباً كما ضحك أصحابه عالياً ، ثم صاروا الى
إيذائه وإيلامه .

رسول الله : بلغ ذلك عمي ابا طالب فأسرع الى انقاذي من ايدي
الظلمة الطغاة ، فجزاه الله خير جزاء المحسنين .

وتحدث الحلبي في سيرته ٢ / ٣٣ وابن هشام في سيرته ١ / ٦٣٤
ان ابا جهل كان من اشد المشركين إيذاءً وعمداً لرسول الله ، كان يتبعه
ويترصد به الفرص ولم يمنعه أي مانع منه الا ابو طالب ، فهو بالمرصاد
له ولأمثاله من المجرمين ، كما هو الصاعقة المحرقة على رأس ابي جهل ومن
حذا حذوه من الكفرة الآثمين .

قال ابن قتيبة في الامامة والسياسة : ان قريشاً قد زعمت ابا جهل
وسودته من قبل ان يختط شاربه ، كل ذلك لعامهم بعدائه لأبي طالب
ومجد بن عبد الله ، فجعلته ذا رأي وقول يسمع اذا قال ويتبع اذا رأى ،
لاحباً منهم اليه ولا رغبة منهم في ابي جهل ، ولكن انما كان ذلك استدراراً
لعواطفهم وانتهازاً لعدائه المستأصل واستجلاباً لأسرته بني مخزوم .

ثم قال ابن حنبل : قيل ذات يوم لأبي جهل وكان القائل الأخنس
ابن شريق وقد مر في يوم من الأيام على النبي وهو يقرأ شيئاً من القرآن
فقال : رأيت اليوم عجباً يا ابا الحكم ، لقد سمعت مجدداً في هذه الساعة يثلو
شيئاً لاهو يشبه الشعر كما لم يكن يشبه كلام الآدميين ، الأمر الذي حيرني
وابهرني .

قال ابو جهل : وما تريد مني ان اقول فيه تبارينا نحن وبنو عبد
المطلب ، اطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا واعطوا فأعطينا وجادوا فجدنا
وسعوا الى قضاء حوائج الناس فسعيننا ، وكذنا ان نكون كفرنسي رهان ،
قالوا منا نبي هذه الامة يأتيه الوحي من السماء ، والأقرح لقلوبنا مساندة
عمه ابي طالب له ومؤازرته اياه على ألعوبته واسطورته ، فتى اذا ندركهم
ونلحقهم ، فواللات والعزى لا نؤمن بمحمد ولا نصدقه ولا نهدها حتى نقتله
ونلحق به عمه ولم يزل كذلك ، الا أنه لم يجرأ على قتل ابي طالب كما لم
يجرأ على رسول الله بواسطة ابي طالب ، ولكنه صار الى التكنيل بأنصار
النبي وتعذيبهم فيما اذا استضعف واحداً او استوحده ، فهو الذي قتل ياسر
وسمية والدي عمار ، وهو الذي اعان ابا سفيان على تدبير حركة بدر الكبرى ،
كما كان هو احدى ضحاياها ، فقتله الله اشر قتلة وأخزاه ولعذاب الآخرة
أشد وأعظم .

أقول : لقد تكلم الحلبي وابن هشام بالصواب ، ونطقا بالحق وصرحا
بالواقع ، حيث ذهبا الى ان عم النبي الكريم هو وحده كان يقف في طريق
المتمردين ويصد عن رسول الله عادية المعتدين امثال ابي جهل . فأبو طالب
وحده قد شمر لشل حركة الكفر ، كما اقدم على الحسد من نفوذ الشرك
وتحرشات الوثنية ، فهو بالمصاد لكل باغ أثيم وطاغ معتد لثيم من عرب
ويهود ومجرمين .

قال السيد الموسوي في الحجة والقاضي النقدي في المواهب : لولا
ملازمة ابي طالب للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومعاضدته اياه
لكان نسياً منسياً وكان من الهالكين ، والى ذلك اشار القرآن الكريم
« والذين آووا ونصروا » فالذي آوى النبي ونصره وآمن به وكفله هو
ابو طالب رضي الله عنه .

وقالا ايضاً : قال كثير من المفسرين ان قوله تعالى « فليصرن الله من ينصره » وارد في فضل ابي طالب ، لنصرته وكفالاته للنبي صلى الله عليه وآله .

وقال القاضي نور الله في مناقبه والنقدي في مواهبه ص ٦٦ : قد وقع بين ابي طالب وبين بعض من زعماء اليهود القنذرين مشادة وغلظة ، فعير اليهود ابا طالب بمحمد حين كان طفلاً وعند حليلة السعدية ، فقالوا فيما قالوا : بماذا تتناول علينا وابن اخيك محمد يستجدي الناس ويسألهم لحافاً . فعندها غضب ابو طالب وهشم أنف اليهودي بعصاه ، واولا ان يخاصوه منه لقضى عليه ، ثم قال : ايفعل محمد ذلك وهو ابن سيد العرب ؟ ! ثم ترك السفر وتوجه الى المكان الذي تسكنه حليلة ورسول الله فأخذه منها وجاء به الى داره .

أقول : اراد اليهودي الخرم بحديثه ذاك التنديد بأبي طالب ورسول الله معاً ، والا من المستحيل ان يصدر مثل ذاك العمل من شخصية اختارها الله واجتباها للرسالة والنبوة .

هذا أولاً ، وثانياً ان الله عز وجل قد اسبغ على حليلة وآل حليلة تعمه وبركاته ، وقد استشعروا ذلك وانه ببركته صلى الله عليه وآله ، الأمر الذي يلزمهم معه ان يقوموا بكل متطلباته وشؤونه .

وثالثاً ان ابا طالب في كل حين وآخر يرسل الى حليلة بكل ما تحتاج اليه من اموال وملايس الى غير ذلك من اللوازم البيتية ، فهل من الممكن اذاً ان تترك النبي يضطر الى مالقة اليهود الطغاة ؟ ؟

ومع هذا كله بادر ابو طالب الى محل حليلة رضي الله عنها اشتياقاً الى رسول الله اولاً ، وثانياً ان مدة رضاعه صلى الله عليه وآله قد انتهت فلا مبرر اذاً لبقائه عند حليلة ، والا فأبو طالب يعتقد كذب خبر اليهودي

وانه افتراء وزور ، وما القصد منه الا الإيذاء فقط .

وعلى أي حال وصل ابو طالب الى المنطقة التي فيها النبي ، فوجد أطفالا يلعبون في الطريق ورأى رسول الله متكأ على الحائط ينظر الى الأطفال ، وهو صلى الله عليه وآله في منتهى النظافة والاناقة والنزاقة والترف ، فوق عليه عمه يشمه ويقبله ، فأخرج اليه ملابساً فاخرة كان قد صحبها معه اليه ، فأصر النبي على ان لا يقبل ذلك وأصر ابو طالب بإلطفه ويكلمه بحنان وعطف ويقول له : يا بني أنا ابوك ، واخيراً تركه وأسرع في مشيه ورجع الى امه ومرضعته ، فنقل لها ما فعله معه الرجل الذي لم يعرف انه عمه ، فقالت له : يا بني لعله ابوك قد اشتاق اليك وجاء اليك ليراك . وبينما هما كذلك اذ دخل عليها ابو طالب ، فرحبت به وعظمته حليلة وفرشت له الفرش اللينة بمقامه الكريم ، ثم التفتت الى رسول الله : ألم اقل لك ان الرجل الذي تنقل عنه هو ابوك فهو ابوك حقاً ، قم الآن اليه واجلس في حجره . فقام صلى الله عليه وآله فجالس في حجر عمه وابو طالب صار يبكي من شدة الفرح به ، ثم بقي هناك ثلاثة ايام عاد بعدها بالنبي الى داره .

ألا قاتل الله اليهود الجبناء ، فقد حلوا مشعل العداء للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ورفعوا رايات الحرب والمقاومة ، كما نصبوا له الشباك وحاكوا عليه المؤامرات منذ طفولته ومنذ نعومة اظفاره ، بل من حين علمهم بولادته صلى الله عليه وآله ، فاما من حركة يقوم بها المشركون ضد رسول الله وضد دينه الحق إلا ولليهود ظاع فيها ويد طولى في تدبيرها ، لقد دسوا إليه سمّاً قاتلاً في أكثر من مرة ولكن عناية الله به هي التي ترعاه وتسلمه من مكابدهم ومناوئهم القدرة .

إذاً والحال هذه لا يستغرب منهم كما لا يستكثر عليهم كل عمل اجرامي وكل شر ذميم ، فهم والمشركون تجمعهم المصيبة الواحدة أن أظهر الله عليهم

رسوله محمداً ، فلا يدع من الكافرين على الأرض دياراً ، كما لا يترك لليهود عيناً ولا اثرأ .

فاذا العدو المشترك هو محمد وعمه ابو طالب من ورائه ، يسنده وبعضه لذا جهدوا كل الجهد وعملوا كل حيلة ووسيلة للقضاء على رسول الله وابي طالب ، والله يأبى إلا ان يتم نوره وان كره الكافرون .

ونقل السيد الموسوي في الحجة والقاضي في المواهب ص ٨٣ بطريقها الى الاصبغ بن نباتة وانه كان يتحدث عن علي أمير المؤمنين عليه السلام من انه كان يقول : والله لقد كان ابو طالب جاداً مجتهداً وساهراً مشمراً لصالح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد كفله كفالة لم يتحدث قط بمثلها ولم يحدث التاريخ ابداً عن نظير لها في دنيا التاريخ ، كما قد احبه حباً جماً ، بل قد ألقى الله عز وجل حب النبي وموالاته في روعه وقلبه ، فكان عنده اقدم من نفسه واهم من سمعه وبصره وأعز عليه من ولده واهله كما كان يكف عنه دسائس الكفر وأذى الشرك ، ويحرص كل الحرص على راحته ولإبعاد كل منغص ومكسر عنه ، فيرى ذات يوم رسول الله وهو ضيق الصدر مفكراً وعلى غير حالته الطبيعية ، فيستفهمه عن ذلك فيدافع صلى الله عليه وآله عن البيان وسرد الدوافع ، ولكنه يلحف عليه بالسؤال حتى اضطره الى كشف الحقيقة وشرح الأسباب التي ادت الى سلب راحته وارتيساحه ، فقال : يا عم مررت بجماعة من قريش وهم ينحرون جزوراً لأهلهم ومقدساتهم ، فلم أسلم عليهم وقد واصات سيري ولم اعتن بهم ، فكبر عليهم مقامي الأمر الذي اوجب ان يقول بعضهم لبعض : ما اوقع محمداً وما أصلفه يمر علينا ولم يعتن بنا كما لم يكلمنا فيتكبر علينا وهو يتيم ابي طالب ، وبالتالي تبعوني الى المكان الذي انزل فيه للصلاة فانهالوا عليّ ضرباً بالأحجار ورمياً بالحصى حتى انسدوا علي صلاتي وما سلمني

إلا ربي منهم .

فعندها ثار ابو طالب وكأنما نشط من عقال ، فتقلد سيفه وقال :
أين يكون هؤلاء يابن اخي ؟ فقال صلى الله عليه وآله : يا عم انهم كانوا
قريباً من الأبطح . فأخذ بيد النبي وخرج به الى المكان الذي وصفه ،
فوجد القوم منشغلين بدبائحهم ، ولما نظروا إلى ابي طالب ورسول الله
وابو طالب بحالة من الغضب والاستسداد وهو يقول : يابن اخي من الذي
تجراً عليك وتعرض لك بسوء ، فدلله النبي على أشخاص من الزعماء ،
فاستقدمهم ابو طالب اليه فتقدموا أذلاء صاغرين حتى صاروا بين يديه أهوى
عليهم ضرباً ولطماً على وجوههم وأنوفهم حتى ادماهم ، ولم يزل بهم حتى
رق عليهم رحمة الله محمد صلى الله عليه وآله ، فكف عمه عنهم والتمسه أن
يتركهم فالذي صنعه كاف في حقهم ، فكف عنهم وعفا عنهم .

ثم اخذ بعضد رسول الله وجاء به الى الدار موفور الكرامة مرفوع
الرأس . مستبشراً ، حيث قد اخذ له عمه بشارة من الأوباش المجرمين . وعلى
اثر هذه الحادثة نزل قوله تعالى « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي
آذانهم وقراً » .

وقال الموسوي والقاضي : وقد رويت هذه القصة بصورة اخرى
وعلى شكل آخر ، وحاصل ذلك : ان النبي صلى الله عليه وآله لما صنعوا
به ما صنعوا عاد الى البيت والدماء نسيل من بدنه المبارك وساقيه الكريمتين ،
فرأته الزهراء بتلك الحالة فتألمت لأليم الحادث وبكت للحالة ، ثم نهضت
فأماطت عن الرسول ثيابه الملطخة بالدم وغسلت ماعلى بدنه من جسامد
الدماء ، ثم خرجت مسرعة الى عمها ابي طالب والكتابة والحزن باديان عليها ،
فلما بصرها قام اعظماً واجلالاً لشأنها وقال : ما الذي حدث عندكم يا فاطمة ؟
فقالت : يا عم ما حسب ابي فيكم ؟ فتقرز ابو طالب من الكلمة وقال :

وما ذاك يابنية ؟ فنقلت له ماشاهدته من وضع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يافاطمة أما حسب ابنيك فينا فهو السيد المطاع والسيد الكريم العزيز ، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وسوف ترين حسب ابنيك فينا .

ثم خرج مبادراً الى القوم وفعل فعلته فيهم ، وقد وصل الخبر الى السيدة فاطمة وأن عمها قد أخذ بثأر أبيها من وجوه القوم وكبارهم ، فهدأت وفرحت وطابت نفسها واطمأنت ، وعلى اثر هذه الحادثة انشأ أبو طالب ابياتاً قرأها على القوم أشاد فيها بنبوته رسول الله واعلن عن حضوره لنشرها وبث معالمها مهما كلفه الأمر ، فكان من تلك الأبيات قوله :

ألا إن أحمد قد جاءنا بحق ولم يأتنا بالكذب

فقال اليهود المحرمون : إن محمداً هذا لم يكن النبي الذي قد نوهت عنه الكتب ووعدت به التوراة ، وإن محمداً هذا هو ساحر كذاب وشاعر كاهن ، والنبي الموعود لا يولد الآن بل هو يولد في آخر الزمان وفي المستقبل البعيد واسمه أحمد لا محمد ، إذاً لا يصح أن يعبر عنه بأحمد ، فاطلاق هذا الاسم عليه زور وبهتان تعمده أبو طالب بلا دليل يستند عليه ولا برهان يعضد مقالته .

• • •

أقول : لقد حاول اليهود من دعواهم تلك وابتغوا من وراء زعمهم الباطل تكذيب القرآن الكريم ، حيث يقول كما في سورة الصف حاكياً عن عيسى بن مريم حيث يبشر قومه والأجيال المتعاقبة من بعد زمنه بالنبي « ولإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » .

وما لاريب فيه ان أحد اسماء رسول الله التي سماه بها القرآن احمد كما سماه بمحمد ، ولعل اليهود أنفسهم يعرفون ذلك ايضاً ولكنهم بغالطون الواقع والحق ، وما يخذعون الا انفسهم وهم يشعرون ومن حيث لا يشعرون قاتلهم الله انى يؤفكون .

وإذا ما رجعنا الى تاريخهم الأسود القديم نجدهم وقد كافحوا كثيراً من رسل الله وانبيائه وقتلوههم وشردوهم وقعدوا لهم بكل مرصد ، واغروا منافقيهم على قتل المسيح عيسى بن مريم ، وقاوموا وناهضوا رسول الله محمداً بكل معنى المناهضة والمعارضة ، وهم أكثر عداء له صلى الله عليه وآله من المشركين ، لذا قد جعلتهم الآية الكريمة في الدرجة الأولى بغضاً وعداء وترصداً برسول الله .

وقد حاولوا قتله في واقعة خيبر وهو في نحيمه ، وبعد ان اكتشفوا موقعه رموه بالنبال والسهم ليلاً والمسلمون كانوا نائمين قد أضناه التعب واضر بهم الجهاد ، ولولا ان يحس بهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب لقتلوا النبي في نحيمه ، ولكنه عليه السلام قنسد استشعر بهم فنهض اليهم فتبع الجهة التي كان ينطلق منها النبل والسهم ، فعثر على بعضهم فقتلهم وفر الباقيون . على أنه عليه السلام تتبع المنهزمين وتبعهم ، ولكنه بالنظر لانشغاله بمن قاتلهم منهم فلاذ اولئك بالحصون والقلاع ، فنجوا من بأس ابن ابي طالب وسيفه البتار .

ولما رجع علي الى النبي حكى له القصة ورجح له والمسلمين أن يغيروا موضع النخيم ، فصادف رأيه الاستحسان والتأييد من الجميع ، واخيراً جعلوه في وسط المعسكر وأحاطوه من جميع جهاته بالنخيمات . وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقاسي الأمرين ويتجرع الغصص والاضطهاد المرير من اليهود العتاة ، ولا سيما بعد وفاة الزعيم ابي طالب ،

وكان من آخر الأنبياء أن توفي صلى الله عليه وآله مسموماً على يد يهودية
قدرة قدمت على عملها الحبرم بحث من جماعتها الأوباش الطغاة .

وليس ابن هشام والحلي هما فقط قد اختصا بالسؤال المتقدم الرامي
إلى أن الوضع ما كان يستقيم للرسول الأعظم ، كما أن المؤامرات الكافرة
ما كانت تنكشف وتتحطم لولا معاضدة أبي طالب ومواقفه ودفاعه ، فهو
الحامي الثاني له بعد الله عز وجل ، بل قال بمقاتلتهما خلق كثير وجمع كبير
من المؤرخين والمحدثين الذين لاتأخذهم في الحق لومة لائم ، مثل ابن أبي
الحديد وابن الجوزي والزمخشري وغيرهم .

ومن هنا تتجه مقالة القائلين بأن حب أبي طالب رضوان الله عليه
إيمان وبغضه كفر ونفاق ، المقالة التي تحدث عنها السيد البرزنجي في المختصر
وزيني دحلان في أسنى المطالب ، وما ذلك إلا أنه أحب الله ورسوله فأحبه
الله ورسوله ، فنصر الدين والنبي صلى الله عليه وآله لمحبه إياهما واعتقاده
بهما ، لذا استحق تقرير رسول الله بأن كان حبه إيمان وبغضه الكفر
والنفاق بعينه .

نقل البخاري في صحيحه في باب حب النبي صلى الله عليه وآله بطريقه
إلى أنس بن مالك عن رسول الله أنه قال : لا يؤمن أحدكم حتى أكون
أحب إليه من ولده وولده ولده ، كما لا يؤمن أحدكم حتى تكون أسرتي
وأهل بيتي أحب إليه من أسرته وأهل بيته .

أقول : وما لا يخالجه الشك ولا يخالطه الوهم أن زعيم الهاشميين
أبا طالب كان في وقته شيخ أسرة النبي وسيدهم المطاع فيهم ، كما كان
حاميه ومربيه وكافله والمقتني أثره في كل ادواره وأحواله ، فحق إذاً أن
يكون حبه علامة للإيمان وبغضه علامة على الكفر والنفاق .

وفي صحيح البخاري في نفس الباب والصفحة وعن الراوي نفسه نقلاً عن

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : ثلاث خصال من كن فيه وجد حلاوة الإيمان :

أولاً - ان يكون الله عز وجل ورسوله أحب الى الانسان من سواهما .
ثانياً - ان يحب الانسان في الله والله تعالى .

ثالثاً - ان يبغض الانسان ويبغض في الله والله سبحانه .

أقول : قد تكرر هذا الحديث في كتب التاريخ والحديث ، ومرجعه ومؤاده هو لزوم كون الانسان اذا أحب ان يحب من أحب الله ورسوله وأحبه الله ورسوله ويتعد عن ابغض الله ورسوله وابغضه الله ورسوله ، ولما كان عم النبي الكريم ابو طالب قد نصر الله فسحق الأوثان واطساح بالأصنام كما اعلى كلمة الله وجاهد في سبيلها ودحر عباد الوثنية وسخف اطاعة الأصنام ، ثم انكفأ الى ملازمة رسول الله ومساندته وكف الأذى عنه ، واعلن مراراً عن تمسكه بنبوته وشريعته وحاول تركيزهما ونشرهما ، كما توفى الى ذلك . وكل هذا دليل قطعي على انه رضي الله عنه أحب الله وأحب رسول الله في الله والله ، ولازمه ان يكون الله عز وجل قد أحب ابا طالب ، لذا قد أمر النبي ان يظهر للناس ان حب ابي طالب ايمان وبغضه كفر ونفاق .

وما حب رسول الله صلى الله عليه وآله لعمة ابي طالب إلا من تلك الناحية لاغير . وعلى فرض نسبة المئات على الكفر اليه يقتضي ان لا يكون محبوباً لله ، بل يقتضي ان يكون بعيداً عن الله كأبعد ما بين السماء والأرض ، وعليه يستحيل على رسول الله ان يحب المبغوض الى الله أو يحب عدو الله تعالى ، فن حب النبي المحقق لعمة يستكشف حب الله له ، وهو الحق والحق أحق ان يتبع .

ويحدثنا الحافظ ابو نعيم في حلية الأولياء ٤ / ٤٢ بسنده الى عبد المنعم

ابن ادريس عن ابيه عن جده وهب انه قال : كان في بني اسرائيل رجل
قد عصى الله مائتي سنة ثم مات ، فأخذ الناس برجاء فرموه على المزبلة في
البلد اهانة له واحتقاراً لأعماله الاجرامية ، فعند ذلك امر الله نبي ذلك الزمن
- وهو موسى بن عمران - أن يخرج الى ذلك الانسان فينقله عن المزبلة ويغسله
ويكفنه ويصلي عليه ويشيعه ثم يدفنه .

فقال موسى : يارب ان بني اسرائيل يشهدون انه عصاك قرابة
المائتين سنة واعرض عنك وعن عبادتك ، وتأمرني الآن ان أقوم له بذلك
التكريم وتلك الحفاوة .

فقال تعالى : نعم انه كان كما يقولون ، إلا انه كانت فيه خصلة
لأجلها امرتك ان تفعل به ما بينته لك .
قال موسى : يارب وما الخصلة ؟ .

قال : هي انه كان كلما نشر التوراة ووقع نظره على اسم مجد المكتوب
فيها يقبله بلهفة ويضعه على رأسه ثم يمره على عينيه ويصلي عليه وآله ،
فشكرت له ذلك وغفرت له ذنوبه كرامة لاسم مجد .

وتحدث مسلم في مسنده في كتاب الايمان في باب وجوب محبة النبي
صلى الله عليه وآله ، بسنده الى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم انه قال : لا يؤمن العبد حتى اكون انا واهلي أحب اليه
من نفسه وأهله وماله وولده ومن الناس اجمعين .

* * *

أقول : اذا كان عصيان الله مائتي سنة يغفره الله كرامة لمن يتبرك
باسم مجد ويقبله - كما هو منطوق حديث البخاري آنف الذكر - كيف
ياترى يكون الحال وبالنسبة الى من افنى عمره الطويل في حب مجد ، ومن
واساه في السراء والضراء ، وكان مجد عنده ريحانته من الدنيا ، فيطمع على

جبيته القبلات بلا حساب ، واخيراً همه من علومه واسمات في سبيل الحفاظ عليه ، ذلك هو ابو طالب ، ابو طالب الذي لم يعص الله طرفة عين ولم يشرك بعبادته احداً ، فاذا يستحق اذاً من تكريم الله وتوقيره يوم القيامة . نعم والله يستحق كل كرامة ، يستحق مجاورة رسول الله صلى الله عليه وآله في الفردوس الأعلى ، وهناك يفرح المؤمنون .

وذكر السيد زيني دحلان في أسنى المطالب فقال : لقد تواترت الاخبار أن ابا طالب كان يحب النبي حباً جماً ، وكان يحوطه ويؤازره ويعينه على تبليغ رسالته ، كما كان يصدقه فيما يقوله ، ويمتدحه بشعره وشره بمناء يدل على ذلك ، كما امر ولديه علياً وجعفرأ بالدين والزيوم خدمته واتباعه في كل اموره .

وقال القاضي في المواهب ص ٧٠ : ان ابا طالب رضي الله عنه كان شديد الحب الى رسول الله ، بحيث لا يحلو له إلا التحدث بذكره العطر ، كما لا يحلو له إلا التحدث بفضائله ومفاخره صلى الله عليه وآله ، وقد عرف عنه انه كان يروي عنه مناقبه وكراماته ، فكان من ذلك انه كان يقول : خرجت مع ابن اخي محمد الى خارج مكة حيث طلب الي ذلك لغاية التروح والتنزه ، اذ مر بنا راهب وما ان وقع نظره على ابن اخي حتى توقف عن المشي فجأة وخافته رجلاه ، فاستطاع ان ينقلها ابدأ من مكانها . ثم اخذ يحد النظر من محمد ويمعنه في وصفه وجسمه ، ثم انطلق قائلاً : أأنت ايها الغلام انت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ؟ .

قال محمد : نعم انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

الراهب : عندي مسائل ارجب ان اوجهها لك لتجيني عليها ، فأقسم عليك باللات والعزى إلا ما أجبت .

النبي : ان كنت تقسم علي بهذا القسم النحس فلا تسألني عن شيء

واذهب عني ، فوالله ما ابغض عليّ منه .
ابو طالب : ايها الراهب ان كان كلا ولا بد مسائلة مجد أقسم عليه
بالله فانه يجيبك .

الراهب : لاني اقسم عليك بالله يا مجد إلا ما اجبتني .
النبي : اما الآن فامأل عما بدا لك .
الراهب يسأل والنبي يجيب وهو يقول : صدقت يا مجد .
الى ان قال : بقسي في نفسي شيء واحد أريد ان اقف عليه
واتأكسد منه .

النبي : وما ذلك ايها الراهب ؟
الراهب : اريد ان تكشف لي عما بين كنتفيك ؟
النبي : قد رفع له ثوبه حتى ظهر ما بين كنتفيه صلى الله عليه وآله .
الراهب : يرى خاتم النبوة المنطبع بين كنتفيه ، فيهوي عليه لثماً
وتقبيلاً وتبركا .

ابو طالب يقول : لقد حاذرت على ابن اخي من الراهب ، فأخذت
الحيطة وصرت اتحرى حركات الراهب وسكناته .

الراهب يستشعر ذلك من ابي طالب ، فيقول له : لانخف مني على
ابن اخيك ، فإني ارقبه واعلم انه النبي الذي وعد الله به هذه الأمة ، وان
له يا ابا طالب شأنًا عظيمًا .

ابو طالب : وانا اعرف ذلك ايضاً وارقبه منذ زمن .
الراهب : احتفظ بابن اخيك من كل الناس ولا سيما من اليهود ،
فانهم ان استظهروا ، منه ما قد استظهرته أنا لا يولون عنه حتى يلحقوا به
الأذى او يغتالوه .

ابو طالب : نعم ايها الراهب الأمر كما تظن وتتكهن ، وأنا يقظ

حذر تمام الحذر واليقظة .

قال السيد زيني دحلان في أسنى المطالب : لما عرف اليهود المحرمون صفات النبوة - وقد توفرت في محمد بن عبد الله - قامت قيساتهم وجن جنونهم ودعوا بالويل والثبور ، واخيراً صمموا على قتله والاستراحة منه ، لولا ان يحميه الله بعمه ابي طالب .

وقال الطبري في تاريخه والبلاذري وابن شهر آشوب في المناقب والنقدي في المواهب : ان الله عز وجل قد حمى نبيه محمداً من كيد العدو ودس المحرمين اليهود ومحاولاتهم بعمه ابي طالب ، فهو أول من بذل الجهد لدين محمد وشريعته ، وهو أول من كانت له المساعي المشكورة في الاسلام ، ولما نزل قوله تعالى يخاطب نبيه « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين » صدع رسول الله بالدين الخفيف وامثل امر ربه ، فنادى في قومه بالاسلام فبشر وانذر وصار الى بث رسالته ، فالتف حوله جمع من الناس حتى اذا نزل قوله تعالى « إنكم وما تعبدون من دون الله » اجمع القوم على تكذيبه وعقدوا المؤامرات عليه ، ورموه بالسحر والشعوذة ، وقالوا يريد محمد أن يجعل الآلهة الهماً واحداً إن هذا لشيء عجاب . وكان في مقدمة هؤلاء اليهود القذرون وفي مقدمة قريش عتبة وشيبة والوليد وابو جهل الخزومي وامثالهم .

ولما انفاز ابو طالب الى جانب رسول الله وصار الى مساندته ومعاذته ودفع الأذى عنه تفرحت جفون المشركين وقلوبهم ، وتحققوا خسران المعركة .

ونقل الطبري والبلاذري وابن شهر آشوب والقاضي في المواهب بطريقهم الى السدي كما قال ابن بابويه القمي في مؤلفه النبوة بطريقه الى الامام علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام أنه قال : اجتمعت قريش

بمعونة اليهود ، فجاؤا الى ابي طالب - والنبي كان حاضراً عنده - ولما استقر المجلس بالقوم قال بعض زعمائهم : يا ابا طالب نسألك النصف من محمد .

قال ابو طالب : وما تعنون بالنصف يا قوم ؟
قالوا : نريد منك ان تمنع مجداً عنا فيكف عنا ونكف عنه ، فلا يكلمنا ولا نكلمه ولا يقاتلنا ولا نقاتله ، وبذلك تتدفع جميع المحاذير والعواقب السيئة .
ولما غضض ابو طالب الحديث وفهم ما يريدون وقرأ الغاية التي من أجلها قصدوه ، رغب ان يكون جوابهم على لسان رسول الله ، فقال :
أتسمع مايقول هؤلاء يا بن اخي .

فقال صلى الله عليه وآله : نعم قد سمعت ، ولكنهم غير صادقين في دعواهم النصف ، ولو كانوا صادقين لأنصفوني من أنفسهم واجابوا دعوتي وقبلوا نصيحتي ، فاني لأدلمهم إلا على خير ولا أهديهم إلا سبيل الرشاد ، فان الله عز وجل قد امرني ان ادعو الى توحيده وان اصدع بدينه دين الحق والهدى دين الخنيفة ملة ابينا ابراهيم الخليل ، فن اجابني منهم على دعوتي كان له عند الله سبحانه الرضوان والخلود في الجنان ، ومن عصاني منهم اقاتله حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين .
فقال ابو طالب للقوم : هذا جوابكم .

قالوا : اذأ قل له فاليكف . عن شتم آلهتنا وسبها ولا يتعرض لها بسوء ، اذ يقرأ عليهم النبي « قل اغفیر الله تأمروني أعبد ايها الجاهلون » .
فسكتوا ملياً واطرقوا برؤوسهم الى الأرض هنيئاً ، ثم رفعوا رؤوسهم وقالوا : يا ابا طالب قل لابن اخيك ليخبرنا عن مؤمن منابه وعن لم يؤمن فإن وجدناه صادقاً آمنا به .

وعلى اثر مقاتلتهم هذه نزل على رسول الله قوله تعالى « وما كان

الله ليذر المؤمنين » .

قالوا : والسلات والعزى لنشتمنك واهلك ، فنزل قوله سبحانه
« وانطلق الملائ » .

ثم قالوا : يا ابا طالب قل لابن اخيك أن يعبد ما يعبده نحن مدة
ونعبد ما يعبده مدة ، فنزل قوله تعالى « قل يا ايها الكافرون « لا أعبد ما تعبدون »
الى قوله « لكم دينكم ولي دين » .

قالوا : قل له يا ابا طالب أرسله ربه إلينا خاصة ام الى الناس كافة .
فقال صلى الله عليه وآله : يا عم اني بعثت للناس كافة ، بعثت الى الأسود
والأبيض ولمن في رؤوس الجبال ولمن في لجج البحار ، ولأستولين عما
قريب على الروم والفرس . يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً .

فلما سمعوا منه ذلك قال قائلهم : لو سمع الروم والفرس هذا من محمد
لاختطفونا من أرضنا ولأزالونا عن مواضعنا ، ثم لقلعوا الكعبة حجراً حجراً ،
فنزل على اثر هذه المقالة قوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب
الفيل » .

ثم تكلم مطعم بن عدي - وهو احد شخصيات القوم - فقال :
يا ابا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على ان يتخلصوا منك ويتبعدوا
عما تكرهه ، فما اراك ان تقبل منهم شيئاً .

قال ابو طالب : والله يا مطعم ما انصفتي قومي ولا انصفتني انت ،
ولكنك قد اجتمعت مع القوم على خذلاني ومظاهرتهم علي ، فاصنع
ما انت صانع .

ثم انفض القوم واصرروا وصمموا على مقاومة ابي طالب ورسول الله ،
وصاروا الى تعذيب من في طوائفهم من أفراد المسلمين .

ولما تحسس ابو طالب منهم ذلك جمع كافة آل المطلب وبني هاشم ،

فأخبرهم بتسدير الشرك والكفر واليهود ، وأمرهم ان لا ينفصاوا عن محمد أبداً ، وان يلازموه في كل أحواله ويحافظوه من اعدائه ، وان يقتصوا من كل احد يحاول التقرب اليه بأذى مهما كان من العظمة والسيادة . فأجاب الجميع الى ذلك وانصرفوا ممتثلين .

وقال السيد زيني دحلان في أسنى المطالب : انظر واعتبر أيها الواقف على احوال ابي طالب وخدماته للنبي ، وكيف قد وطن نفسه على شداأزره والدفاع عنه بنفسه وولده واسرته .

كما أريد منك قارئ الكريم ان تتصور بدقة وتفكير عميق وتمعن النظر في وصية عم الرسول العظيم ابي طالب ، وتقف دارساً لمعطياتها وجليل معناها ومغزاها ، تجدها مفعمة بالدين الواقعي والولاء الصادق لله ورسوله ثم الاسماتة في سبيلها ، كما اجدك لاتخرج منها الا وأنت مكبر في ابي طالب روح الايمان والاعتراف بالنبوة ، ثم الجهاد الخالد والمسامي المشكورة المتواصلة حتى آخر لحظة من لحظاته وآخر ساعة من ساعات الدنيا .

يحدثنا ابن بابويه في أماليه بطريقه الى محمد بن سنان عن عمرو بن ثابت انه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على عمه ابي طالب وهو مريض مسجى ، فبكى رسول الله لحالته وقال : يا عم جزاك الله خيراً ، فقد كفلت يتيماً وربيت صغيراً وآزرت كبيراً ، والله لا يضيع عنده اجر المحسنين .

وحدث المجلسي في البحار والشيخ المفيد في الارشاد والقاضي في المواهب ص ١٣٨ بطرقهم الى النبي صلى الله عليه وآله انه قال عند مجيء امير المؤمنين علي بن ابي طالب يخبره عن وفاة ابيه : بكى رسول الله بكاءً عالياً وتألماً تألماً عظيماً ، وقال : لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، لانا لله وانا اليه راجعون ، لمض يا علي فتول امر تجهيزه وتشيعه رحمه الله ،

ثم اعلنني بعد أن يتم ذلك .

فقام علي بأمر النبي ، حتى اذا ما أشرف على النهاية ارسل الى النبي من يعلمه الحال ، فحضر التشييع والحزن والأسى باديان على وجهه الكريم وهو يردد قوله « وصلت رحماً يا عم ، جزاك الله خيراً يا عم » وأراد ان ينزل عمه بيده الى حفرة ولكن علياً ابي إلا أن يقوم هو بدلاً عنه محافظة على النبي .

وبعد ان تمت مراسيم الدفن قام رسول الله على القبر الشريف مؤثباً عمه العظيم ، فكان مما قاله : والله يا عم لأشفعن فيك شفاعة يعجب منها الثقلان .

وروى ابو الحسن البكري في كتابه مولد علي والقاضي في المواهب ص ١٣٥ قالاً : قال ابو مخنف : لما حضرت ابا طالب الوفاة دعى اولاده وعشيرته من بني هاشم وبني عبد مناف ، فأمرهم بالمحافظة على النبي واتباعه فيما يقول ثم الحمامة والدفاع عنه بكل غال ونفيس ، ثم استدعى رسول الله وعلياً فضمهما الى صدره واخذ يشتمهما ويقبلهما ويبكي لفراقهما ، وهو يقول : يعز علي والله فراقكما ولكن امر الله لا بد منه ، كما لا بد من ملاقة الله عز وجل وملاقة امره بالقبول والرضا ، وانا لله وانا اليه راجعون .

ثم التفت الى ولديه عقيل وجعفر فأوصاهما بصورة خاصة باين عمها النبي ، ثم ادار عينيه في اهل بيته عامة وقال : استودعكم الله ، الله خليفتي عايكم وكفى به خليفة . ثم غمض عينيه واسبل يديه ورجليه وصار الى روح الله ويرجانه ، والنبي يقول : رفقا ياملئكة ربي بعمي .

ثم صار النبي وعلي يغسلانه ، فكان النبي هو يغساه وعلي يصب الماء ، فكان تغسيله بالسدر والكافور الذي جاء بها جبرئيل من الجنة كهدية للنبي صلى الله عليه وآله ، وبعد الانتهاء أدرجاه بأكفانه ، ثم شيع بأفضل تشييع

وكانت مكة ضجة واحدة ، فما ترى إلا باكيةً وباكية ، النساء قد شققن الجيوب ونشرن الشعور ، وهن بهتاف مستمر : وداعاً وداعاً لك يا عم رسول الله الحبيب ، حتى أوصالوه الى مقره الأخير فأنزلوه في حضنهم ثم اهلوا عليه التراب .

فجلس رسول الله على القبر واخذ يردد : وا أبتاه وا عماه وا ابا طالباة وا حزنه عليك يا عم ، آه آه لفراقك يا عم ، كيف اسلو عنك أم كيف انسالك يا من رببني صغيراً واجبتني كثيراً ونصرتني ووازرتني كبيراً وحافظت علي وحيثني من عدوي ، وكنت عندك بمنزلة العين من الخدقة والروح من الجسد ، رحمك الله يا عم وجزيت غني خيراً ، والله لأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان .

ثم اقبل الناس يهرعون الى رسول الله يسألونه ويخففون عليه المصاب ، وهو آخذ في البكاء والنحيب ، وهو يقول : ما أسرع ما فقدناك يا عم ، إنا لله وانا اليه راجعون . ثم التف حوله بنو هاشم فأقاموه من القبر وجاؤا به الى البيت .

ونقل ابو الفداء في تاريخه بطريقة عن ابن عباس وابي بكر بن ابي قحافة انها وقفا على قبر ابي طالب وابناه بما يستحق من التعظيم والتكريم ، وكان من جملة حديثهما : إنا نشهد يا عم رسول الله أنك جاهدت في سبيل الله ونصرت رسول الله ، ومضيت مؤمناً بالله مصداقاً لرسول الله ، فعمشت سعيداً ومت حميداً مجيداً ، فرضي الله عنك وأرضاك وأعطاك من جنانه ورضوانه ماتقرب به عينك . ثم قال ابو الفداء : مات ابو طالب في السنة العاشرة من البعثة .

ونقل في اسنى المطالب بسنده الى النبي صلى الله عليه وآله انه كان يقول : ما نالت مني قريش من الأذى حتى مات عمي ابو طالب .

ونقل القاضي في المواهب بطرق متعددة كلها تستند الى النبي صلى الله عليه وآله من انه كان يقول بعد موت عمه ابي طالب : لقد نالت مني قريش من الاضطهاد والأذى ما لم تكن تطمع به ابداً في حياة عمي ابي طالب .

وتحدث الامام ابو الحسن البكري في مؤلفه الأنوار في مولد النبي محمد ص ١٣٧ بسنده الى عمر الشيباني وجماعة من أصحاب الحديث وجملة من أرباب السير انه من جملة نعم الله على ابي طالب أن جعله ملاذاً لرسوله ، وحصناً منيعاً يقف دون كل من يحاول السوء والشر به ، كما انه قد وقف نفسه ونذرها للمحاماة والدفاع عنه من حين ولادته صلى الله عليه وسلم وحتى آخر لحظة من لحظاته ، نزولاً منه عند وصايا ابيه عبد المطلب المتكررة بمحمد أولاً ، وعاملاً منه بما سيؤول اليه امر محمد من البعثة والتنبؤ ثانياً ، وما موقعه هذا الموقف الكريم الذي عبر فيه عن شعوره نحو النبي وأحاسيسه بفضائله ومفاخره المرتقبة .

واليك ايها القارئ الكريم هذا الموضوع ، ومنه تعرف مالأبي طالب من المفاداة والتضحية في سبيل الله ومجد رسول الله فاعلم :

لقد احتضن العالم الجاهلي عالين كبيرين وكاهنين عظيمين كانا قد فاقا اهل ذلك الزمن ذكاءً وفطنة واضطلاعاً بأخبار الماضين وآثار الأمم السالفة : اما العالم الأول فهو ربيعة بن مازن المعروف بسطيح ، واما الثاني فهو وشق بن واهاة بن زيد اليامي .

اما سطيح فقد خلقه الله قطعة لحم لاعظم فيها ولا عصب فيطوى وينشر كما يطوى الثوب ، لا ينام من الليل الا شطره ، يقلب طرفه في السماء ويقصر نظره في النجوم والكواكب ، فيستفيد من سيرها وحركاتها علماً جماً وعليه صار يقصد من كافة ارجاء العالم يسألونه عما يهمهم وعن الأسرار

التي يخونهم التعرف عليها وفهم حقائقها وغالباً ما يصاب في أخباره ومعلوماته
فبينما هو يفكر في الكواكب اذ لمعت في الأفق لمعة وبرقت في السماء بركة ،
فلاحت له شمائل مكة ونظر الى نور ينزل من عنان السماء فيغمرها ثم منه
قد استضاء العالم ، ثم رأى بعض الكواكب تتساقط وبعضها الآخر يضرب
بعضه ببعض فيخرج بعد ذلك دخان عظيم ، الأمر الذي ادى الى ارتبائه
واضطرابه وتشتت آرائه وتفكيره . ثم قال : كواكب تظهر بالنهار ، وبرق
يلمع بالأنوار ، إن دل هذا على شيء فإنما يدل على عجائب وأخبار .
وظل يومه يفكر فيما عاينه وقرأه ، حتى انقضى النهار فأمر غلامه ان
يصعدوه على قمة جبل عال كان بالقرب منه ، فحملوه اليه ثم صار يقاب
طرفه في السماء فشهد أشياء ثم قال : انزلوني انزلوني فقد حار لبي وطار
عقلي مما رأيت ، وظني لقد قرب خروج الهاشمي ، واذا ماخرج فعلى
الوطن السلام .

ثم كتب الى زميله وشق بن واهلة بالأمر وأطاعه على ما رأى وانه قلق
للحادث وقد لازمه السهاد وشرد عنه الرقاد .

فأجابه ابن واهلة : ان النور الذي ذكرته ورأيت والأحداث التي
نوهت عنها هي رموز وأسرار لا استطع حلها والكشف عن غوامضها ،
فأملي اعفائي عن البت فيها ، فراجع بها غيري .

وبعد هذا كتب الى الزرقاء - زرقاء اليمامة - يعرفها القصة ويحكي لها
مشاهداته ومعانياته ، ثم طوى الكتاب وأعطاه لرجل من قومه اسمه صبيح ،
وأمره ان يجد السبر حتى يوصل الكتاب ، وكانت الزرقاء بعيدة النظر تنظر
من مسيرة ثلاثة أيام ، وكانت جالسة في مقصورتها فنظرت فعرفت رسول
سطيح ورأت كتابه وقد وضعه في طيات اليمامة ، فتشامت من الوضع
وبقيت ترقب وصول الرسول والكتاب ، حتى اذا وصل فطرق عليها الباب

فقامت الى فتحه فدفع اليها الكتاب ، فلما قرأته وعرفت سمافيه قالت : خير قبيح أتى به صبيح ، من كاهن اليمن سطيح ، عن أنوار ساطعة وضياء لامع ، ذلك ورب الكعبة من دلائل مغرب الأوطان وميتم الأطفال ومحطم الأوثان والأصنام من بني عبد مناف محمد بن عبد الله بلا خلاف .

ثم كتبت الجواب : من الزرقاء الى سيد الكهان وشيخ بني غسان المعروف بسطيح صاحب القول الفصيح والعلم الرجيج ، اما بعد : فقد وردني كتابك وقدم علي رسولك ، وذكرت لي اشياء قد رأيتها فهي ان دلت على شيء فإنما تدل على علامات وآيات ظهور الهاشمي ، فأيقض نفسك واحذر من الغفلة والتقصير ، وبادر الى المسير الى مكة فإنني مزمنة اليها لأعرف اهلها على الحقيقة ، فلعلنا نتعاون على الحيلة للقضاء على هذا المولود الذي ينذر تولده بالأخطار العظام ، فنخمد ناره ونوره قبل اشراقها .

ثم ختمت الكتاب ودفعته الى الرسول وامرته بأن يبادر في ايصاله الى سطيح ، ولما وصل بالكتاب اليه فضضه وقرأه ، ثم صار يبكي بكاء عظيماً وأنشأ :

لاصبر لاصبر اضحى بعد منزلة تدع الجلادة كالمستضعف الوهن
ان كان حقاً خروج الهاشمي دنا فارحل بنفسك لاثأسف على اليمن
ثم اجعل القفر اوطاناً تسير بها وارحل عن الامل ثم الدار والوطن
فالعيش في مهمه من غير ماجزع اهني من العيش في ذل وفي حزن
ثم اخذ في اهبة السفر الى مكة ، وقال لقومه : اني سائر الى نار تأججت ، فاذا أدركت اخادها رجعت وان كانت الأخرى فالسلام عليكم ، واني لاحق بالشام لا اخرج منها حتى اموت .

وبعد ان وصل الى مكة واستقرت به الدار تسامعت به قريش ، فجاءوا اليه زرافات ووحداناً يرحبون به ويسلمون عليه ، وظن ان رسول الله معهم

وافه قد ولد ، ولكنه صلى الله عليه وآله بعد لم يولد بل هو حمل في بطن امه ، وكان من جملة من زاره من شخصيات قریش ابو جهل بن هشام وابو البحتري وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والعاص بن وائل ، فقالوا :
ياسطيح ما الذي اقدمك علينا ، افهل من حاجة فتقضى ؟

فقال سطيح : بورك فيكم مالي اليكم من حاجة . قالوا : اتمضي معنا الى منازلنا . قال : لا بل انزل على من اليهم قصدت وبفنائهم أنخت ، وقد علمتم فضلي ولكني جئتكم أخبركم بما كان او يكون بالهام الهمة ، فأين المقدمين بالعهد ومن لهم السابقة بالجد والحمد ، أعني أفضل قریش من بني عبد المطلب ، جئت ابشرهم بالبشير النذير والسراج المنير وقد قرب ظهوره . ثم نادى برفيع صوته : ابن عبد المطلب وسلالة الأشبال من هاشم ؟ فعظم الأمر على ابي جهل وجماعته ، وقد اربدوا واسودت وجوههم واخذهم مثل الإفكل . ثم تفرقوا عنه منذهلين لحول الخبر فزعين من الحادث فاتصل الخبر الى بني هاشم ، فجمع ابو طالب اخوته واسرته فخطب فيهم وقال : إعلموا ان هذا القادم عليكم هو كاهن اليمن وسيدها ، وكان قد قدم على أبيكم من قبل عبد المطلب فأخبره بالوليد الذي يخرج من ظهره ، مبارك في عمره يملك الأقطار ويدعو الى عبادة الواحد القهار ، وها هو قد قدم اليها فهيا بنا ننطلق اليه لندعوه الى منازلنا ولنأخذ الأمر على حقيقته منه ، فإن كان صادقاً فقد استوجب الاحسان وان كان كاذباً حصل على الذل والهوان ، والذي اراه أن نخفي عايه نسبنا وحسبنا الى ان يتم لنا ما نريده ونحاوله .

فقالوا جميعاً : سر بنا إن شئت ياشيخ الأبطح فلأنا ممثلون لانعصي لك أمراً ابداً .

فساروا حتى دخلوا على سطيح وكان جالساً في ظل الكعبة والناس

من حوله ، ولما نظره ابو طالب نزع سيفه ورمعه وأعطاهما لغلام سطيح وقال : انها هدية مني لك ، ثم قصد ابو طالب سطيح فقال : حبيت بالكرامة وخلدت النعم الى يوم القيامة ، فإننا قد أنيناك زائرين وبواجب حقك معترفين .

فقال له : جللت بالسلام واتحفت بالإنعام ، فمن أي العرب انت وجماعتك ؟ .

فأراد ابو طالب أن يقف على مقدار علم سطيح قال : نحن من بني حبيص الكرام أهل المفاخر العظام .

فقال له سطيح : أدن مني أيها الشيخ ، وضع يدك على وجهي ، فان لي اليك حاجة .

فدنا منه ابو طالب ووضع يده على وجهه ، وعنده اخذ سطيح يتكلم :
وحق عالم الأسرار ، المحتجب عن الأبصار ، غافر الخطيئة ، وكاشف البلية ،
انك صاحب الذمم المرضية ، والأخلاق العلية ، المعطي لغلامي الهدية ،
قناة خطية وصفحة هندية ، وانكم لأشرف البرية ، وان لك ولأخيك اشرف
الذرية ، بلقي معاديك الرزية ، وانكم ومن معكم من سلالة هاشم الأخيار ،
ولأنك من غير شك عم النبي المختار ، المنعوت في الكتب والأخبار ، فلا
تكنتموا علي نسبكم فإني عارف به .

فتعجب ابو طالب من حديثه وقراءته وقال : صدقت ياسطيح في
المقال وأحسنست الخصال ، ولإننا نريد منك ان تخبرنا بما يكون في زماننا
وما يجري . عاينا .

فقال : والدائم الأبد ، ورافع السماء بلا عمد ، الواحد الأحد ، الفرد
الصمد ، ليعيشن من هذا - وأشار الى عبد الله بن عبد المطلب - نبي هذه
الامة عما قريب ، يهدي الى الرشاد ، ويهدم كل صنم ، ويهلك عباد الأوثان ،

يعينه على ذلك ابن عم له ، له صولات عظام ، وضربات جسام ، ابوه
بلا شك ابو طالب ، وهو أنت ابها الشيخ .
فقال ابو طالب : ياسطيح نحب أن تصف لنا هذا النبي وتبين لنا
فضله .

فقال : نعم اسمعوا مني كلاماً فصيحاً ، سيظهر منكم عن قليل رجل
نبيل ، رسول الملك الجليل ، وإن لسان سطيح عن وصفه لكليل ، هو رجل
لابلطويل الشاهق ، ولا بالقصير اللاصق ، حسن القامة ، مدور الهامة ،
بين كفيه علامة ، على رأسه غمامة ، تقوم له الدعامة ، الى يوم القيامة ،
ذاك والله سيد بني تهامة ، يزهر وجهه في الدجى ، اذا ابتسم أحسن من
نشا ، واكرم من مشى ، حار الكلام ، طلق اللسان ، قوي الجنان ، زاهد
عابد راكم ساجد ، لامتكبر ولا متجبر ، إن نطق أصاب ، وإن سئل أجاب ،
طاهر الميلاد ، بريء من الفساد ، رحيم بالعباد ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ،
وبالنور محفوف ، وعلى أصحابه عطوف ، اسمه في التوراة والانجيل معروف ،
يحير الملهوف ، وبالكرامة موصوف ، اسمه في السماء احمد ، وفي الأرض
محمد ، وفي الجنة ابو القاسم .

ثم سكت سطيح فقال ابو طالب : نرغب اذا لم يكن في ذلك صعوبة
عليك ان تبين لنا صفة الانسان الذي يعاونه ويقوم معه ويؤازره على
اداء مهمته .

قال سطيح : هو غلام همام ، وليث ضرغام ، وقائد مقدم ، وقشعم
جزام ، كثير الانتقام ، يستي اعداءه كؤوس الحمام ، عظيم الجولة ، شديد
الصولة ، كثير الذكر في الملاحم ، يكون لمحمد وزيراً ، ويدعى بعد موته
اميراً ، اسمه في التوراة إلبا ، وفي الانجيل طابريا ، وفي الزبور سيداً برياً ،
وفي كتاب المصطفى عليا .

ثم أمسك عن الكلام وسكت ملياً والناس تنظر اليه وتنتظر أن يكون مستمراً في الحديث ، ثم انفجر وكأنما نشط من عقال او انتبه عن غفوة وسبات عميق وقال : يا ابا طالب ضع يدك على وجهي مرة اخرى .

فقام ووضع يده على وجهه ، فتنفس سطوح الصعداء ، وأن أنيناً متزايداً ، وقال : يا شيخ الأبطح ، خذ بيد اخيك عبد الله ، فقد ظهر مجدك ، وابشرا بعلو منزلتكما في هذه الدنيا ، ورفيع مقامكما في الآخرة ، فالغصنان من شجرتكما ، فحمد لأخيك وعلي لك .

فبهت ابو طالب من حديثه ، وشاع الخبر في ارجاء مكة ، فامتلاً الأبطح بالناس يعاومهم الوجوم ويسودهم التفكير في الموضوع ، ولم يسع ابا جهل إلا ان يقول : يا معاشر العرب ويا جحافل قريش ماهذه الحادثة التي نزلت بنا من بني هاشم ، فليس الصبر من شيمنا ، ولا الإمهال من عادتنا ، وقد سمعتم نبأ سطوح يخبر غير رجيح ، ويوعده بضيق الفسيح ، وظهور غلامين يخرجان من عبد الله وابي طالب تكون على يديهما نهايتنا وقتل ابطالنا ونهب أموالنا وسبي نسائنا ، ثم تردي احوال آلهتنا ومقدساتنا للولدين نار تحرق وصاعقة تطبق .

ثم قهقهه في ضحكة عالية استخفافاً وهزاً ، وبينما هم كذلك اذ أقبل عليهم عم النبي الزعيم ابو طالب ، فوقف بين الجماهير فعرف كل شيء ، فنادى بالناس فقال : يا معشر قريش اصرفوا عن قلوبكم الزيت والطيش ، ولا تتذكروا لما سمعتم ووعيتم من حديث سطوح ، فهو محقق وواقع لا محالة انشاء الله . ثم اعلموا أنا اولى بخدمة الكعبة ، ونحن اولى بدفع الأذى عن حرم الله ، وعلى ايدينا نبعث زمزم ، فوالله الذي لا اله سواه ماسطوح بكاذب ، وإنه في كلامه لصائب ، وما نطق بكلمة قط إلا وظهر برهانها . أوليس هو المخبر لكم ان سيطلع الى أرضكم هذه رايات الجيش ،

وتلوح لكم سيوف العساكر ، وأخيراً ماضت الا قلائل من الأيام حتى رأيتم بأمر أعينكم جيوش ابرهة الحبشي ، الجيوش الجرارة ؟ ؟
أوليس هو الذي أخبركم عن توجه سيف بن ذي يزن ، وبالتالي وفي اليوم نفسه تحققتم صدق خبره وتبينتم صحة حديثه ؟ !
والآن يا قوم يخبركم عن قرب مولد النبي الموعود ، وانه من أحفاد عبد المطلب ، فلماذا لاتصدقوه ، فوالله يا قوم انه لصديق أمين ، وحكيم موفق ، وعن قريب سيظهر الله نبيه ورسوله على رغم الحاسدين والملاحدين كما ستخمد نار المنافقين والمعادنين .

ثم أمر ابو طالب بأن يحمل بنو هاشم سطيح الى منزل ابي طالب ، ولما أوصلوه رفع مقامه وعظم مجاسه واكرم مثواه ، وخلع عليه الخلع الثمينة واهدى اليه الهدايا العظيمة ، ثم صار الى توفير أسباب الراحة والهدوء له .
وباتت مكة على اشد مايكون من الوجل والاضطراب ، فكانت تموج بأهلها حقداً للبيت الهاشمي وحنفاً على سطيح حيث بشر الهاشميين بمولد النبي العظيم . ولما برق الصباح وبزغت الشمس كان اول من وصل الأبطح ابو جهل ، ثم صار يرسل رسله الى الزعماء والشيوخ والوجهاء ، حتى اذا اكتض المكان بالناس قام ابو جهل بينهم خطيباً والتذمر والانفعال بادبان على ملاعجه ، فقال فيما قال : يا آل غالب ، يا ذوي العلى والمراتب ، أترضون لأنفسكم ان ترموا بالمناكب ، كما ذكره ابو طالب ، ان هذا من العجائب ، فواللات والعزى لننقل جلاميد الحصى الى البحر الأقصى أهون مما ذكره سطيح من ان سيظهر عليكم رجل من بني عبد مناف ، يرميكم بالبوار والتنكيل ، ويوعدكم بالذل الطويل ، فتباً لكم ان كانت أنفسكم بما ذكره راضية ، والى ما اخبر به وحدث عنه داعية . وعليه ان رضيت بهذه النهاية السيئة والمصير المظلم فن الساعة عايكم مني السلام ما بدت الأيام ، فها أنا راحل عنكم

وخارج عن أرضكم ، فجاورة الوحوش أحب إلي من المقام بهذه الدار التي سيحل بها الهوان والاذلال والصغار .

ثم تركهم ومضى الى منزله لينتهي للسفر ، ولكنه أحدث ضوضاء وبلبلة في البلد ، كما أحدثت حركته هذه ضجة وتغيراً في الوضع الجاهلي الكافر ، الأمر الذي لزمهم على اثره التجمع والتصميم على الاجتماع بأبي جهل ومنعه عما اعتزمه وصمم عليه ، واخيراً مضوا اليه وقالوا له : يا ابا الحكم ماهذا الأمر الذي حاولته والحال الذي عزمت عليه ، فأنت السيد فينا والمقدم علينا ، فأمرنا بأمرك وانهننا بنهيك تجدننا عند ذلك ولا نعيد عما تريد قيد شعرة .

قال : اذأ الرأي أن تقوموا معي الى نادي ابي طالب ، فترجونه ان لا يعطي مجالاً لهذا الكاهن الذي قد آواه واكرمه فعظمه وانعم عليه ، فأما ان يسلمه اليكم او يخرجوه عن ارضنا : والا كان السيف أقضى والموت امضى .

وقبل ان يصلوا الى ابي طالب باغى الخبر ارسل فوراً على كافة بني هاشم وأمرهم بحمل السلاح الكافي ، ولما جاؤه قصد بهم الى الأبطح ، وعند وصولهم شخصت الى ابي طالب الأبصار ومدت الأعناق وكنت الأفواه وخرس كل لسان فصيح ، فجلس كل قائم واستوى كل نائم هيئة من ابي طالب وفزعاً من شأنه وسطوته وخوفاً من بأسه وثورته ، ثم نخطى القبائل وتجاوز المخافل حتى توسط المجتمع ، ثم رفع صوته وقال : يا سكان الأبطح والصفاء وزمزم ومنى وابي قبيس ، انكم التائب لبني عبد المطلب اهل المكرمات والمراتب ، حتى أحل به الويل والثبور والحزن الطويل ، أما انا لا أعرفه ولو كنت اعرفه لنال مني مصيره الأسود ، ولكني انكره واجحد كائناً من كان ، وإني احذركم اجمعين من يوم عبوس ، تطير فيه

الأيدي والرؤوس ، ويكون على أيدينا هلاك النفوس ، وإني قائل لكم :
وحق إله الحرم وبارئ النسم اني لأعلم عما قليل سيظهر الموت في التوراة
والإنجيل ، والموصوف بالكرم والتفضيل ، والذي ليس له في عصرنا أي
مثيل ، والذي قد تواترت به الأخبار ، وانه يبعث في هذه الأعصار ، وانه
رسول الملك الجبار ، المتوج بالأنوار ، المؤيد بالسكينة والوقار .

ثم قصد ابو طالب الى الكعبة ، فتبعه الناس إلا ابو جهل ، فانه قد
بقي في مكانه وحده يتخبط بالشنار ويتعثر بالمذلة والعار ، ولما دنى ابو طالب
من الكعبة اخسذ يقول : اللهم رب هذه الكعبة العلية ، والسماء المبنية ،
والأرض المدحية ، والجبال المرسية ، إن كان قد سبق في علمك وغامض
مشيتك ان تربدنا شرفاً الى شرفنا وعزاً مضاعفاً الى عزنا بالنبي المشفع
والنور المستودع الذي بشر به تبع فأظهر لنا ياربنا بيانه وبرهانه ، وعجل
لنا يالهلنا بزوغه وتبيانه ، واصرف عنا بني الحاسدين والحاقدين يا ارحم
الراحمين .

ثم جالس وأحدق به الناس من كل جهة وجانب ، ولم يستطع أي
واحد أن ينطق ولا بكلمة واحدة .

واخيراً وبعد صمت طويل قد ابتدر الى الكلام منه بن الحجاج -
وكان ذا قوة وجسارة - فقال : يا ابا طالب قد ظهرت عزتك وانارت
طلعتك وابتهج شكرك وذكرك بالكرم السني والشرف العلي ، وقد علمت
رؤساء القبائل وأهل النهى والمحافل أنكم أهل الشرف العظيم والفضل الجسيم
من حاضر وقاصي ، وانت يا ابا طالب السيد المطاع الطاهر الحبيب ، فلا
ينبغي لمثلك أن يسمع الى ما ينطق به الكهان والمشعوذين ، وأنت تعلم انهم
اوعية الشيطان يأتون بالكذب والبهتان ، فلعلك تصير سطيح البنا لتنتين
مدى صدقه ، فإن النبوة التي قد عرف عنها وذكرها في اكثر من مرة لها

دلائل وآثار لاتخفى على العقلاء كما لاتزوي عن النبلاء .

ولما فرغ منه من حديثه أمر ابو طالب أن يحضروا سطيحاً بفناء الكعبة ، فأحضروه وبمجرد أن وقع بصره على الناس عرف مايدور فيما بينهم اذ ينفجر قائلاً رافعاً صوته : يامعاشر قريش لقد اكثرتم الاختلاف ، ودبى في قلوبكم الارتجاج ، ومددتم ألسنتكم الى بني عبد مناف ، تكذبونهم فيما به صدقوا ، وكذبتموهم بما نطقوا ، وارسلتم الى تسألوني عن الحال الظاهر وأمر النبي الطاهر ، صاحب البرهان وقاصم الأوثان ومذلل الكهان ، وأيم الله مافرحنا بظهوره لأن الكهانة عند مولده تزول ، وأثر الدلائل عند مولده الى افول ، واذا كان ذلك كذلك فلا خير في حياة سطيح ، فالمت خير له من الحياة ، ولكن الحق لايد أن يسمو وان يظهر ، ومولد النبي حق وانه سيكون عما قريب ، وان كنتم في شك وريب مما اقول فأثوني بنسائكم وامهاتكم وبناتكم لترون مني العجب العجائب ، لترون مني مايبهركم وترون شيئاً لايدخله الكذب ولا يدنو منه التردد والريب ، وواقفكم بالفعل على المقصود ، وأعرفكم بالساعة نفسها على ام المولود الحاملة به المولود الذي يدعو الى المعبود الواحد الأحد .

فانتدب اليه رجال من قريش فقالوا : إدعيت ياسطيح انك تعلم الغيب وتخبر عن المجهول .

فقال : لا ، لأقول اني اعلم الغيب ولكني اسيطر على قسم من الجن فهو يسترق السمع ويتجسس الأحداث فيأثني فيخبرني بما عاين وتحسس ، فالنبي لايد من أن يظهر وهو من بني عبد مناف .

واخيراً تداول الناس وتراجعوا فيما بينهم ، وبالتالي ترجح لديهم أن يأتيه بالأمهات والبنات والنساء ، وانفضوا على هذا الرأي .

أما ابو طالب فقد منع ام رسول الله عن الخروج ، كما منع زوجته

فاطمة بنت اسد عن الخروج ايضاً .

وعلى الموعد حضرت النساء والرجال بصورة عامة ، ولما اجتمعوا وهم في ترقب وانتظار وتلهف واستطلاع ، فرمق سطيح النساء بطرفه وأخذ ينظرهن يميناً وشمالاً ، ثم قال : اعزلوا الرجال عن النساء ، فانتحى الرجال ناحية وبعُدوا عن النساء ، فأطال سطيح النظر اليهن ، ولما اعياهن التعب والوقوف قلن له : ياسطوح أخرس اسانك وخاب ظنك .

قال : والله ماخرس لساني ولا كلَّ بياني وما خاب ظني . ثم رفع رأسه الى السماء بعد أن قرب اليه ابا طالب وبعض اشخاص من قريش وقال : وحق الحرمين لقد تركتم من نسائكم اثنتين ، احدهما الحامل بهذا المولود الداعي الى خير محبوب مجد ، والثانية ستحمل بعد حين من الزمن ولداً أميناً قوياً مكيناً بدعي امير المؤمنين وسيد الوصيين ووارث علم النبيين . فبهت الناس وأطرقوا برؤوسهم فكأتما على رؤوسهم الطير ، فكانوا حيارى سكارى قد خالطهم الهلع والجزع واصابهم الخوف من كل مكان . أما ابو طالب فقد انطلق بعد حديث سطوح هذا ، فجاء بزوجه وزوجة عبد الله أخيه ، فجلسن مع النساء ، وما أن وقع بصر سطوح عليهما حتى صاح قائلاً : يا ذوي الشرف الرفيع والمفاخر الرضية ، يا آمنة يا بنت وهب انت والله الحاملة بسيد الأنبياء والمرسلين ، ألسنت حامله فعلاً ؟ قالت : نعم اني حامل لثلاثة اشهر .

فالتفت سطوح الى الناس وقال : الآن شهد قلبي وثبت لبي وأصدقني صاحبي ، يامعشر قريش اعلموا ان آمنة بنت وهب هذه هي سيدة نساء العرب والعجم ، وهي الحامل بأفضل الأمم المدمر لكل وثن وصنم . يامعشر قريش قد دنى ظهور مجد الأمين رسول رب العالمين ، وكأني أرى من يخالفه قتيلاً وعلى الأرض جديلاً ، وكأني ارى عزكم يحول وشرفكم يزول

إن انتم لم تاتزموا جانب مجد وتقتفوا أثره ، فطوبى لمن آمن به وصدقه ، وطوبى ثم طوبى لمن تبعه ونصره ، فمن تبعه على الحق الذي يجيء به من ربه فقد استمسك بالركن الوثيق ونجى من كل حرج وضيق .

ثم قال سطيح : وانت يا بنت اسد يا فاطمة اعلمي وليعلم كل من حضر أنت ام السيد الامام الذي يكسر الأصنام ويبيد الأوثان ويحطم الجاهلية بلا استثناء ، وهو الامام المين الذي لا يعترض عقله الخلل والطيش ، مخرب الأطلال ومينم الأطفال ، سيفه على رقاب الكفرة والمشركين غير مردود ، قاتل الشجعان ومردى الأبطال والأقران ، الفارس الكمي والضيغم الجري المسمى بعلي ابن عم النبي . ثم قال : آه آه .

ولما سمعت قريش منه ذلك تحفزوا عليه ووثبوا ليقتلوه ، فانتدب اليه ابو طالب وبنو هاشم فنعوه وحاموه ودفعوا عنه كيد المعتدين .

هذا ، وابو جهل يصرخ : افسحوا لنا المجال يا بني هاشم لنصل الى هذا الكاهن المحرم ، فنسقي سيوفنا ونشفي غليلنا وصدورنا من دمه ، والا لنحل بكم الدمار ونوردكم البوار .

فقال له ابو طالب : ويحك يا أخس العرب وأرذلها ، ما اراك إلا انك تحب الفرقة بين العشيرة الواحدة ، وتريد ان تلقي البغضاء في الأسرة الواحدة ، ومثلك لا يتكلم بما تكلمت ، فأنت أخس اللثام .

ثم همّ به لولا ان يخلصه من يده بعض زعماء قريش بعد أن اصابته ذبالة السيف فشجت رأسه وسال الدم على وجهه ، وصار يهتف بجباة المشركة الكافرة : يا معشر قريش يا اهل المحافل ويا رؤساء القبائل والقبضائل اترضون لأنفسكم تحمل العار وتتقبلون الخزي والدمار ، فدوّنكم سطيح وآمنة بنت وهب وفاطمة بنت اسد فاقتلوهم واريحونا منهم .

ثم جردت السيوف وشرعت الرماح من قريش وبني هاشم ، ففسار

الغبار وطار الشرار وارتمت الأرض بطولها والعرض .

قالت آمنة : وحين رأيت الموقف وشاهدت لمعان السيوف وبريق أسنة الرماح والملاأ يريد قتلي ذهلت واسقطت في يدي ، وبقيت لالوي على شيء ، وبينما انا كذلك إذ اضطرب الجنين الذي في بطني واخترق سمعي صوت يماثل الأنين ، واذا بالقوم وقد صاح بهم صائح وهتف بهم هاتف وصرخ بهم من السماء صارخ ، ذهبت الصرخة بالعقول والألباب وصار الناس يضرب بعضهم بعضاً من حيث لا يشعرون ، واخذوا يتساقطون على الأرض بلا حراك كأنهم اموات .

قالت آمنة : ورفعت بصري نحو السماء فرأيت ابواب السماء وقد فتحت ، واذا أنا بشيخ قد نزل من السماء وبيده حربة من نار وهو يقول : ايها الطغاة لاسبيل لكم اليوم على رسول الملك الجليل وانا اخوه جبرئيل ، اخذوا جميعاً عن خاتم النبيين .

قالت آمنة : فعند ذلك سكن قلبي ورجع الي لبي واطمأنتت على نفسي وجنيتي ، وتحققت دلائل النبوة من ولدي والكرامة التي أراني الله تعالى لها .

ثم اخذ ابو طالب بيد أخيه عبد الله وجاء بنا الى المنزل ، وتركنا القوم صرعى تحسبهم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . كل هذه الكرامات والفضائل والقوم مازالوا مصرين على عنادهم ، فهم في طغيانهم يعمهون .

وبعد ايام مما شعروه ووعوه جاء بعضهم الى ابي طالب يقدمهم منه ابن الحجاج ، وبعد ان استقر بهم المجلس قال : ياشيخ الأبطح يا ابا طالب يا من لم تزل عالياً في المراتب ولمن عاداك غالب ، نريد منك ان تصرف عن بلادنا هذا الكاهن الكاذب ، فان جميع ماوقع بيننا من بغض وعداء

واصطدام وشحناء هو من اثر كهاته وشعوذته ، ونحن ياشيخ الابطح غير متحققين صدقه ، ولو كنا قد تحققناه لكنت انا اول من يعاضده وبسندته على احاديثه تلك ، ثم انشأ :

ابا طالب انا اليك عصابة لئرجوك فارحم من اتى لك راجيا
ونحن فجيران لكم ومعاضد على كل من اضحى وامسى معاديا
ابا طالب اتخفت بالرشد والهنا ووقيت صرف الدهر لازلت باقيا
فان كان رب العرش أرسل منكم رسولا اليينا وهو للحق داعيا
فنحن لنرجو أحدا في زماننا نجاهد عنه بالسيوف المواضيا
ابا طالب اصرف سطيحا فإنه اتى منه آت بالأذى والدواهيا
فدع عنك حرب الأهل والطف تكرما ولا تتركن الدم في الأرض جاريا
فلما سمع ابو طالب الأبيات فكأزه رق للحالة واخذته الرأفة على الأطفال والنساء من إثارة الحرب والمقاومة المسلحة ، اجابهم الى تسفير سطيح والترحيل له بمغادرة مكة .

ثم قال : يامنبه إن جميع ماقله سطيح ليس فيه شك أبداً ، وستجدون نتيجة جميع حديثه وتكهنه عما قريب . ثم امر بعض بني هاشم أن يحملوا اليه سطيحا ، فأحضروه بين يديه ، فقال له ابو طالب : أتدري لأي شيء احضرناك ؟ قال : نعم تسألوني الخروج من مكاتكم والارتجاع عن بلادكم فانا على ما اردتم عازم وبالخروج جازم ، يا ابا طالب اذا ظهر فيكم البشير النذير فاقراؤه مني السلام الكثير وقولوا له إن سطيحا أخبرنا بخبرك فكذبناه وطردناه . يامعاشر قريش سيأتيتكم بشر آخر اكثر مني دقة وصحة واوفر مني حديثاً ومعرفة ، فهو إما قد دخل بلادكم هذه او يدخل عما قريب . ثم قال : يا ابا طالب ياعم رسول الله هيء راحتي فأني قد عزمت السفر .

فقام ابو طالب له بهدايا ضخمة وأموال فخمة. وسيره مع نفر من غلمانه معززاً مكرماً ، ولكن قريشاً لم ترحب تماماً كما لم تهدأ لسفر سطيح باعتبار أنه شوشهم بتوجه من هو اكثر منه كهانة ومعرفة الى بلادهم ، الأمر الذي من اجله لعبوا لعبتهم من طلب تفسير سطيح ، فظلوا قلقين مرتبكين ، الآلام تحز في نفوسهم والأوهام تأخذ منهم مأخذاً عظيماً . فبينما هم على هذا الحال ونحوه فاجتمعوا ذات يوم في النادي اذ يرون راكباً من بعيد ترقل به ناقته ، فتناولت اليه الأعناق ومدت اليه الأبصار ، فحققوا النظر وإذا بالراكب على الناقة امرأة ، فصاروا ينتظرون مجيئها حتى اذا قربت اسرع الى ملاقاتها ابو قحافة عمر بن عامر ، وهو اول مبادر اليها فعرفها ، ثم رجع الى جماعته ينادي بالويل والثبور ، وهو يقول : يا اهل الأبطح لا مقام لكم به ، لقد انتكم ائدامية الدهماء والطامة العظمى ، هذه المرأة القادمة هي الزرقاء كاهنة البامة .

وما شعروا إلا وهي في وسطهم وكأنها عرفت كل شيء عندهم ، واذا بهاتفت عالياً : يا معاشر قريش حيتم بالعيش والإبكار ، وعمرت بكم الديار ، فإني قد فارقت اهلي ووطني وقصدت بلدكم هذا لأحوال قد أتت واشياء قد دنت ، واني مخبرة لكم عما يخرج عن دياركم من العجب العجيب ، فإن أذنتم لي بالنزول نزلت وان احببتم الرجوع رجعت من حيث اتيت ، ثم انشأت :

اني لأعلم ما يأتي من العجب بأرضكم هذه يا معاشر العرب
لقد دنا وقت مولود لأمته محمد المصطفى المنعوت في الكتب
فعن قليل سيأتي وقت مولده يرمي معانده بالذل والحرب
يدعو إلى دين غير اللات مجتهداً ولا يقول بأصنام ولا نصب
وقد اتيت لأخبركم ببينة لما رأيت من الأنوار والشهب

عما قليل ترى الأنوار زاهرة ببطن مكة ترمي الجمع بالشهب
فان اردتم والا رحى راجعة وتندمون اذا ماجاء بالعطب
وأخر بذباب السيف يعصده قرن يدانيه بالاحسان والنسب
ولما سمعوا منها ذلك امروها بالنزول والجلوس معهم لغاية الوقوف
على ماعندها من غوامض واسرار ومعارف وتكهنات، وهل هي تنحو منحى
سطيح او تختلف عنه ؟

فزلت وجلست في وسطهم ، وبعد ان استقرت تقدم اليها عتبة بن
ربيعه قائلا : أهل راعك احد ياسيدة اليامة ، وهل لك حاجة فتتضي او
ملمة فتتضي ؟

فقالت : ما انا بفقيرة الحال ولا انا قليلة المال ، ولكني جئتكم لأبشركم
واحذرکم ، وليست البشارة تعود لي بل هي علي وعليكم ، اذ فيها هلاكي
وهلاككم .

فقال عتبة : اراك توعدين نفسك وايانا بالدمار .

قالت : يا ابا الوليد وساطح البلاد ومن هو عالم بالمرصاد ، ليخرجن
من هذا الوادي نبي يدعو الى الرشاد وينهى عن الفساد ، نوره يتجدد واسمه
مجد ، وكأني به عن قريب سيولد ، ويساعده على ذلك مساعده ويقارنه في
الحسب ويدانيه في النسب ، يبيد الأقران ويدمر الشجعان ، أسد ضرغام
وسيف حسام ، جسور في الغمرات هزبر في الغارات ، له ساعد قوي وقلب
جريء اسمه علي .

ثم قالت : آه آه يوم القساة ، واعظيم مصيبتاه ، ولو أني ادركنت
لكانت لي معه قصة عجيبة ومصيبة عظيمة ، ولو أردت النجاة لاسرعت
الى الاجابة وتركت ما انا عليه من المكيدة ، ولكني أرى خوض البحار
ونقل الأحجار والتلوح على النار وقطع الأشجار اهون علي من الذل والصغار

فلا انا مشترية بعزي ذلاً ولا بعلمي جهلاً ، ثم انشدت :
 ذرى القبائل والسادات وبحكم اني اقول مقالاً كالجلاميد
 لو كنت من هاشم او عبد مطاب او عبد شمس ذوي الفخر الصناديد
 او من لوي سراة الناس كلهم اهل الساحة والتفضيل والجود
 او من بني نوفل او من بني اسد او من بني زهرة الغر الأماجيد
 لكنت اول من يحظى بصاحبكم اذا جرى ماؤه في يابس العود
 لكننا اجلي قد جان موعده لما دنى مولد ياخير مولود
 ثم قالت : وخالق الشمس والقمر ، ومن تصير اليه كافة البشر ، لقد
 صدقكم سطيح الخبر .

فلما سمعوا كلامها حارت عقولهم ، وتجددت عليهم المصائب والأحزان .
 ثم ان الزرقاء ادارت ببصرها نحو الحشد الكبير ، فنظرت ابا طالب
 فأطالت النظر اليه ، وكان معه اخوه عبد الله بن عبد المطلب ، وكانت
 تعرف عبد الله من قبل ، لأنه قد سافر مع ابيه عبد المطلب الى اليمامة
 وبقياً هناك اياماً ، وكانت السفرة من قبل ان يتزوج عبد الله بأمنة بنت
 وهب ، وكانا قد نزلا في قصر مجاور الى قصرها .

فلما نظرت الى عبد الله والأنوار تسطع من غرته والمهابة والوقار يعلوانه
 أحبته واكبرت مقامه ، وعرفت ان النبي الموعود والذي يبعث في مثل تلك
 الظروف فهو من صلبه ، فهو عبد الله وابن عبد المطلب ، فخرج عبد المطلب
 ذات يوم من القصر فانتهازت خروجه فرصة لأنه ترك عبد الله وحده ،
 فأسرعت الى القصر وبيدها كيساً مملوئاً من الورق ، فدخلت عليه وقالت :
 حيث بالسلامة واتخفت بالنعمة والكرامة ، فن اي العرب انت فما رأيت
 اجل منك وجهاً ؟ .

فقال : انا عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف سيد الأشراف

ومطعم الأضياف ، انا من قوم هم سادات الحرم ، ومن لهم السابقة
والقدم .

قالت : صدقت لأنك أنبل وأفضل واكمل مما ذكرت ، وهل لك
من فرحتين عاجلتين ؟

قال : وما هما . قالت : أبذل لك مائة من الأبل وناقة محملة تمرآ
وسمناً وهذا الكيس مملوء ورق ونقود .

قال : على اي شيء ؟ قالت : ان اضطجع معك فأونسك .

فلما سمع منها هذا الكلام وفهم منها ماتريد منه غضب وتألم وظهر
منه الاستياء وقال لها بازعاج : اليك عني فما أشتر غرتك وما اقبح طلعتك
أما علمت اننا قوم لانرتكب المعاصي ولا نقرب من الفجور والآثام ، اذهبي
عني ياويلك وإلا قت اليك بهذا السيف .

وكلما حاول ان تخرج عنه فيتخلص من شرورها لم يستطع ، فلما هي
إلا جادة في رأيها ، واخذت تضاعف له المال وتطمعه في الثروة الطائلة ،
واخيراً قام اليها بالسيف ، فلما عرفت صدقه وأنه يقتلها إن هي لم تخرج
من القصر لاذت بالهزيمة وتمنعت بالفرار وعادت الى قصرها خائبة خاسرة ،
واخذ عبد الله مكانه وهو على حالته من الحسدة والغضب ، وجعل سيفه
على فخذه . وبينما هو كذلك اذ دخل عليه ابوه ، فوجدته على تلك الحالة
المؤلة ، وبمجرد ان وقع نظره على ابيه بكى وانشأ :

أنرتكب الحرام بغير حل ونحن ذوي المفاخر في الأنام

انركن للحرام ونحن قوم جوارحنا تصان عن الحرام

معاذ الله انا من اناس اماجيد جحاجة كرام

فقال له : ما الذي دهاك وما جرى عليك من بعدي ؟ فنقل له

القصة ووصف له المرأة التي راودته عن نفسه ، فعرفها عبد المطلب وقال :

يا بني هذه هي الزرقاء كاهنة اليامة ، فقد نظرت النور الذي يسطع في جبينك
وظلعتك البهية ، فعلمت انه الشرف الأكيد والعز الذي لا يبدد ، فأرادت
ان تسلبه منك ، فالحمد لله الذي عصمك منها .

ثم باهر الى الرحيل فرجع الى الوطن بولده ، فزوجه من آمنة بنت
وهب .

فلما رآته مع اخيه ابي طالب عرفته وتذكرت قصتها معه ، كما علمت
انه قد تزوج بآمنة ، فقالت له : ألسنت بصاحبي في اليامة ؟ فقال لها
عبد الله : نعم لاهلا ولا سهلا بك يا قبيحة .

فقالت : ما فعل بالنور الذي كان يسطع من وجهك ؟
فقال : ان ابي زوجني من آمنة بنت وهب فانقل النور من جيني
الى جبينها .

قالت : صدقت ولا شك فيما ذكرت .
ثم صرخت هاتفة في الجمع : يا اهل العز والمراتب والمفاخر إن الوقت
لمتقارب وإن الأمر لواقع ماله من راد ولا دافع ، فتفرقوا فلقد دنا المساء
وأتوني غداً لتسمعوا مني الأخبار وتقفوا على الحقيقة والآثار .

وحيثئذ تفرقوا عنها وذهب كل على شاكلته ، حتى اذا ذهب من
الليل شطره التحقت بسطيح على مراحل من مكة ، وبعد ان اجتمعت به
قالت : يا سطيح ما الذي تراه من الرأي ؟

قال : ارى العجب العجيب ، وان الوقت قريب ، وأخبرها بما جرى
له من اوله الى آخره .

قالت : وما انت صانع ؟ قال : إني قد كبر سني وخمد ذكري ،
ولولا مخافة العار لعجلت على نفسي بالقضاء والدمار ، وأمرت من يجرعني
كؤوس الردى والوبرار ، وقد عزمتم بازرقاء الهجرة الى الشام حتى يأتييني

الحمام ، فان المولود الجديد منصور ومن عاداه لاهانة مقهور .
قالت : ياسطبح ابن اصحابك واعوانك لم لا يساعذك على خنق هذا
الأمر مادام في المهد ومن قبل أن تلد آمنة فتقتلوها ، واذا ماقتلتوها قتلتم
الجنين الذي في بطنها .

فقال : ويلك ومن الذي يقدر على قتلها ويقوى على اغتيالها والحافظ
لها الله سبحانه ، ثم ابو طالب يرعاها ويحميها ، وهو العليم بحال جنينها
وما سيؤول اليه امره من العظمة والسؤدد ، فدعيني واذهبي عني فاني مشرف
على الموت فاني ارقبه فهو مني قريب .

ولما أيست من معاونته كرت راجعة الى محلها من مكة ، ولما أصبح
الصباح اجتمع الناس وكلهم تطلع الى أخبارها وأحاديثها ، ثم اقبلت فأخذت
مجلسها من الندوة ثم سألت عن ابي طالب والهاشمين . فقيل لها : ههنا
كلهم حضور . فعينت مكانهم ، فقامت تمشي حتى وقفت على رؤوسهم
فقالت :

أنعم الله لكم الصباح ، وأشرقت بكم البطاح ، وأنارت بكم المحافل ،
وعلوتم القبائل ، ويزداد شرفكم علواً ورقياً ، اذا ظهر فيكم المنعوت في
التوراة الموصوف بالانجيل ، فالويل لمن عاداه وطوف لمن تبعه . واعلموا
يا بني هاشم ما قصدت بلادكم هذه إلا لأن ابشركم بالبشارة التي هي اعظم
البشائر واجملها .

فقال لها ابو طالب : جزيت خيراً بازرقاء ، وقد وجب حقك علينا
فهل لك من حاجة فتقضى وملمة فتمضى ؟

قالت : حاجتي إليك يا شيخ الأبطح ان تجمع بيني وبين آمنة بنت
وهب زوجة اخيك عبد الله لأتحقق ما جئتمكم به من البشارة السارة .

فقال ابو طالب : ما اسهل ما طلبت حباً لك وكرامة ، قومي معنا

الى المنزل فأنت في ضيافتنا محترمة موقرة ، ثم تجتمعين هناك بأمنة .
ولما دخلوا الدار خصص للزرقاء مكاناً مختصاً ، وامر ابو طالب
الجواري بخدمتها وتهئية أسباب الراحة لها وان يدخلوا عليها آمنة . ثم
عرضوا عليها الطعام فأبت ان تأكل معتلة بأنها راغبة بالاجتماع بأمنة ، ومتى
ما اجتمعت وعرفت منها ما تريد عند ذلك تناول الطعام والشراب .
ولما اجتمعت بأمنة تحققت ان الجنين الذي هو في بطنها هو النبي
الذي سيبعث فتخرج عند مولده العجائب فتساقط الأصنام وتتحطم الأوثان
وتخمد النيران ، فأخسأها الحقد والحسد والتعصب للجاهلية ، فرأت ان
لاقرار لها في الدار ولا راحة لها مادامت ترى آمنة وهي حامل بمحمد ،
ثم اصرت على الخروج من دار ابي طالب ، وبالتالي فقد خرجت الى محلها
وهي مفكرة خبيرة كثيرة حزناة : وبقيت أياماً وهي تفكر في تدبير الحيلة
للقضاء على آمنة كي تسريح منها ومن جنينها ، وأخيراً قد تعرفت على
ماشطة آمنة - وهي امرأة من الخزرج تعرف بتكنا - فأخذت تردد عليها
وتبدي لها الوداد والاخلاص ، ثم حسنت لها الانتقال الى المكان الذي هي
فيه ، فوافقت تكنا على ذلك فبقيت عندها مدة لم تر منها شيئاً ضائراً ،
فاستيقضت تكنا ذات ليلة فرأت حول الزرقاء شخصاً وهو يخاطبها بهذه
الآبيات :

كاهنة جاءت من البامة	أزعجها ذو همة همامة
لما رأت نوراً على تهامة	وهو لاطهار النبي علامة
مجد الموصوف بالكرامة	ستدرك الزرقاء به الندامة
لهني على سيدة اليامة	إذا أناها صاحب الغامة

وإذا بها تقول له : لقد كنت لي محباً وأنت صاحب الوفاء ، فما الذي
حبسك طوال هذه المدة وأنا في هموم متواترات وزفرات وحسرات متتاليات ؟

فقال لها : وبحك يا زرقاء لقد نزل بنا أمر عظيم ، أجل وأعظم مما نزل بك ، ولقد كنا نصعد إلى السماوات نسترق السمع إلى أن بعث عيسى ابن مريم طردنا من أربع ، فكنا طيلة هذه المدة نسترق السمع من ثلاث سموات إلى هذه الأيام طردنا حتى من الثلاثة ، ونسمع مناديا ينادى في السماوات العلاء : إن الله يريد أن يظهر عبده وحبيبه محمداً ، فخرجت علينا الملائكة وحرمت علينا الصعود وجئنا إليك كي نخذك .

فلما سمعت حديث الجنّي هذا قالت : إليك عني فاني لا بد أن اجهد جهدي واعمل حيلتي فأهلك المولود وأمه ، فتولى عنها بعد أن أنشدها :
 لاني نصحتك بالنصيحة جاهداً فخذني لنفسك واقبلي من ناصح
 لا تطلبي أمراً عليك وباله فلقد اتيتك باليقين الواضح
 هيهات أن تصلي إلى ما تطلبي من دون ذلك كل خطب فاضح
 فالله يحفظ عبده ورسوله من كل ساحرة وأمر فادح
 عودي إلى ارض اليمامة واحذري من شر يوم سوف يأتي كادح
 ثم إن الجنّي قد اختفى عنها وتركها على ما بها من الحيرة والذهول .

تقول الماشطة تكنا : ولما أصبحنا وجدت الزرقاء مهمومة مغمومة يسود عليها الوجوم ويخيم عليها الإرتباك ، فجلست إليها وجلست بين يديها وقلت : ياسيدتي مالي أراك مفكرة مضطربة مهمومة مغمومة ، فان كانت لك مهمة اذكريها لي لعلّي استطيع تذليلها لك ومعاونتك على تسهيلها .

فقالت : يا اختاه ان كل ما عتراني واصابني هو من جراء مولود يتولد عن قريب ، يكسر الهام ، ويحطم الأوثان والأصنام ، يذل الكهان ، ويخرب الديار ، ولعلك تعلمي ان التلوح على النار أيسر من المذلة والصغار . آه لو وجدت من يساعدني على قتل آمنة لبذلت له المني واجزلت عليه الغنائم ثم عمدت إلى بدرة من الأموال فصبتها امامي .

تقول تكننا : لما رأيت المال سال له لعابي . واغراني الشيطان كما لعب بعقلي وهيمن على اعصابي ، ثم قلت لها : إنك يازرقاء تحاولين أمراً خطيراً ومعنى عظيماً صعب المثل ، وكأنك تعزمين ان يكون على يدي ، فاعلمي يازرقاء اني ماشطة بني هاشم وآل ابي طالب ، ومن المستحيل ان يدخل عليهن غيري ابداً ، ولا آمن العواقب الوخيمة ان ظهر مني شيء . بشعر بالاساءة .

فقالت الزرقاء : أنا ادبر لك الكيفية التي يمكنك التوصل بها الى قتل آمنة ، وذلك اذا دعيتك آمنة للتمشيط اعلميني فأعطيك خنجرأ صغيراً يمكنك اخفاؤه بصورة سهلة ، فاذا دخلت في التمشيط اغرزي الخنجر في عنقها فإنه فوراً يقضي عليها لأنه مسموم ، ثم حاولي التظاهر بأنك لا تعلمين بأي شيء من الحادث ، وان شملتك التهمة واستحقت عليك الذمة فاني ادفنها عنك مهما كانت ومهما بلغت ، حتى ولو كانت عشر ديات تترتب عليك ، هذا غير الجعالة والهدية التي اضمهرها لك إن أنت أتممت العملية وقت بالطلب . فصمتت الماشطة على القيام بالمهمة ، وبقيت تتحين الفرصة ، فانفق ان ارسلت عليها آمنة فأسرعت الى الزرقاء وأخبرتها بذلك فأعطتها الخنجر ثم توجهت الى دار ابي طالب ، ولما دخلت على آمنة رجبت بها وعاتبها على انقطاعها مدة غير مألوفة ، فأخذت تحجج بحجج معذرة ، ثم دنت الى آمنة على عاداتها لتسرح شعرها وتمشطه .

تقول تكننا : كلما أحاول ان اغرز الخنجر في رقبتها اشعر بقابض يقبض على يدي يمنعها عن الحركة ويشلها عن الاستطاعة ، وحاولت وحاولت فرأيت انها فاشاة ، فارتبكت فجأة ووقعت لوجهي من شدة الارتباك ، وفشل المحاولات ، فسقط الخنجر من يدي ، الأمر الذي استغفر آمنة واهالها وادى بها الى ان تصيح وتهنف بنساء بني هاشم ، فلدن على الأثر من

حولها وصرن يخفن عايتها القصة. ويمنيها السلامة ، الى ان اطمأنت وهدأت
حدث الله على نجاتها من الموت المحتم لو لا ان يسامها الله عز وجل .
فقالت النساء لتكن : مادعاك الى ان تقومي بما اردت القيام به ؟
قالت : الطمع والاغراء بالأموال ، والزرقاء هي التي سولت لي ذلك
ومهدت لي الطريق ووعدتني بالأموال المسيلة للعب ، فلا تفوتكم الزرقاء
فدونكم هي فاقتلوها من قبل ان تعلم بفشل مؤامرتها فتهزم وتسلم منكم .
وسقطت تكن على الأرض فحركوها فاذا بها ميتة . فتعالت الضجيج
في بيت ابي طالب فوصل إلى ناديه فسمع فبادر الى الحرم فرأى الماشطة
ميتة ، فسأل عن السبب فأخبر به ، فصاح ابو طالب بغلامه دونكم الزرقاء
اقتلوها اقتلوها قتلها الله ، عجلوا عايتها ، ولكنها استشفيت الخير فخرج بها
شياطينها من مكة وأسرعوا الى اخفائها عن بني هاشم ، فتبعها الهاشميون
فلم يبقوا لها على أثر .

الى ان قال ابو الحسن بن عبد الله البكري :
ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان ما كان من أحداث
ووقائع يوم ولادته كانت الزرقاء في حفدة من جواربها ووصائفها ، واذا
بها تصرح صرخة عظيمة وغشي عليها ، فلما افادت انشأت تقول :
أما الحال فقد مضى لسبيله ومضت كهانة معشر الكهان
جاء البشير فكيف لي بهلاكه هيهات جاء الأمر بالاعلان
ثم دخل عبد المطلب على آمنة يهثها بوليدها المبارك ، ثم قال : الحمد
لله الذي صدقنا وعده واخرج لنا وليده ، اذا لا ابالي بالموت بعد اليوم ،
فاحتفظي يا آمنة بولدك فانه قررة عينك ، وسيكون له شأن عظيم ومكان
كبير .

ولما مضى على المولد الكريم سبعة أيام أوم عبد المطلب في اليوم السابع

وليمة عظيمة ، ذبح فيها الذبائح ونحر فيها الابل ودعى اليها الناس من كل مكان ، وفضل من الطعام شيء كثير قدموه للوحوش والطيور .

اقول : ان لم يكن هناك موقف مشرف لأبي طالب الا هذا الموقف المستنبط من حديث الشيخ هذا لكان وافيا ومدللاً على مدى اخلاصه للنبي من قبل أن يولد ، ومدى تحسه بنبوته كذلك ، لذا لم تزوده كثرة التكهن علماً بما سيؤول اليه امره ، بل كان وكأنه يرتقبه ويأمله ويعرف عنه كل شيء وقد جهد كل الجهد على ان يدفع عنه الشرور والاذى والدواهي العظام ، وهو حمل في بطن امه ، وحرص كل الحرص على ان يفديه ويحميه من عدوه بعد ولادته ، واخيراً صدق وآمن به ووازره بعد تنبؤه وبعثته .
واليك قاريء الكريم مخصصاً للقضية الثانية ، القضية التي ذكرها البكري والتي يتجلى بها موقف عم النبي العظيم ابي طالب اتجاه رسول الله ، ومحاولة اظهاره بالمظهر اللائق المناسب لقداسة الرسالة ، والملائم لكرامة النبوة والجلالة من حين طفولته ونعومة اظفاره :

قال القاضي النقيدي في مواهبه : إن موقف عم النبي العظيم ابي طالب لا يسد مسد أي موقف آخر ، لذا قد تمنى صلى الله عليه وآله الموت والخلاص من الدنيا بعد وفاة عمه الكريم ، فقد التجأ الى التخفي عن قريش والمجرمين من اليهود لأنهم أمنوا العقوبة وانتهزوا الفرصة ، وخلا لهم الجو فاستعملوا معه جميع أنواع الأذى والايلام ، وجهدوا كل الجهد واعمالوا الحيل ودبروا المؤامرات على قتله ، إلا ان الله يمنهم عنه ويحميه من القتل .

فقد ظفروا به مرة وحده فاحتوشوه ، فشج رأسه ابو جهل بحجر حتى سالت الدماء على وجهه الكريم ، وضربه آخرون على ساقيه فأدموما حتى اضعفوه عن المشي ، واذا بجبرئيل يأخذ بعضده فيصعده على جبل كان

قريباً من المكان الذي كان فيه ، فخلصه من الطغاة ولكنهم لازموا سفح
الجلل برجاء أنه ينزل فيأخذوا منه حيفهم ويتموا فيه مأربهم ، ولكن الله
عز وجل أعجزهم عن صعود الجبل ، كما ألقى عليهم النعاس والتعب ،
فقررروا الرجوع الى منازلهم والتحنن بمصادفة اخرى . أما رسول الله صلى
الله عليه وآله حين رأى نفسه على قمة الجبل ألقى بنفسه على سطحها والدعاء
تسلي من بدنه الشريف .

وقصد رجل علياً وكان وقد وقف على صنع القوم مع النبي الأمر
الذي اضطره الى صعود الجبل وما يدري أهو حي ام ميت ، فأهال الحديد
علياً وكبر عليه ، فبادر الى بيت ام المؤمنين خديجة ليستعين بها على الفحص
عن رسول الله فطرق الباب عليها فقالت : من الطارق ؟ قال : أنا علي
ابن ابي طالب . قالت : هل لك علم بالنبي يا علي ، فاحب ان يفاجئها
بما عنده فقال لها : لا ولكن أرغب أن نخرج معاً للفحص عنه .

فخرجت معه وصارا يفحصان حتى اذا وصلا الى الوادي القريب من
الجلل ، قال علي : يا ام المؤمنين استبطني الوادي وانا استظهره . قالت :
نعم .

أما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد فاق من غشيته ، فرأى جبرئيل
عنده وهو يبكي لحالته ، ولما وقع نظره عليه بكى هو الآخر وقال : أما
ترى يا جبرئيل ما صنع بي قومي ، فقد كذبوني وطردوني وتألّبوا علي وصيروني
الى ما ترى ، فأخذ بيده جبرئيل فأقامه واستخرج من تحت جناحه درنوفاً
من الجنة منسوجاً من الحرير مطرزاً بالذهب والأحجار الكريمة ، ففرشه
وقال : اجلس يا محمد . فجلس صلى الله عليه وآله فصار جبرئيل الى
ملاطفته وتسليته ، ثم قال : يا محمد أتريد ان تنظر الى كرامة الله تعالى
عليك وكرامتك عليه ، قال : نعم يا حبيبي ، فأراه بقدرة الله عظمته في

الدنيا وما سيحصل عليه عما قريب من الاستيلاء على الدنيا وما فيها من ملوك وعظاء ، كما اراه مقامه الكريم ومزلته الرفيعة في الدار الآخرة . فهدأ صلى الله عليه وآله مقدراً ما .

ثم ارسل الله وفوداً من الملائكة لتكون طوع ارادته ورهن اشارته ، يأتمرون بأمره وينتهون بواهيه ، فتقدم اليه الملك الذي عهد الله اليه امر الشمس فقال : يا رسول الله انا مأمور ان اطيعك ، فان امرت ان اسلط اشعة الشمس على الحجرين فوراً فأحرقهم فعلت .

وتقدم الملك الموكل بالأرض فقال : أنا يا رسول الله طوع ارادتك ، فان امرت ان اطبق الأرض على الكفرة فعلت .

وتقدم الملك الموكل بالماء فقال : أتأمرني يا رسول الله ان اغرقهم اجمعين وليس لأحد عندي هواة . ثم صار الملائكة يتقدمون واحداً بعد واحد يعرضون انفسهم وخدماتهم وحضورهم واستعدادهم لكل الأوامر والمتطلبات ، حتى اذا انتهوا امرهم رسول الله بالهدوء ، ثم قال : يا ملائكة ربي وكريم مخلوقاته أنتم امرتم باطاعتي وامثال اوامري ؟ قالوا : نعم يا رسول الله صلى الله عليك وعلى آلك ، قد أمرنا الله عز وجل بذلك .

فعند ذلك رفع النبي يديه الى السماء وقال : اللهم يا ارحم الراحمين تعاليت وتباركت ، انك يا الهي تعلم اني لم اخلق عذاباً ونقمة ، ولم ابعث إلا رحمة للعالمين وخيراً للمخلق اجمعين ، يا ملائكة ربي ألحقوا بصفوفكم واماكنكم التي رتبكم الله فيها ، فلا حاجة لي فيكم ، دعوني وقومي فانهم لا يعلمون . فعند ذلك تفرقت الملائكة وعرجوا الى السماء نحو اماكنهم وصفوفهم .

ولم يبق عند النبي الا جبرئيل عليه السلام ، اذ يلتفت فيزي خديجة تجوب الوادي باكية حزينة تهتف وتقول في هتافها : بأبي وامي أنت يا رسول

الله ، أميت انت يا رسول الله ، فدتك نفسي يا رسول الله .
فبكى جبرئيل لحالتها وقال : استأذنك يا رسول الله بالعروج ، فهذه
خديجة مدهوشة ذاهلة ، فادعها اليك لتراك والا تموت من شدة الوجسل
عليك .

فخرج جبرئيل ونادى رسول الله خديجة ، فسمعت صوته وجاءت على
اثره ، فعرفت انه من فوق الجبل ، فصعدت الجبل فوجدت النبي بتلك
الحالة المؤلة المشجبة ، وهو يحاول ان لا يقع على الأرض شيء من دمه المقدس .
فسألته خديجة عن محاولته تلك وعن السبب الداعي اليه ؟ قال لها صلى الله عليه
 وآله : يا خديجة اني اخشى ان وقع من دمي شيء على الأرض بغضب الله على من
في الأرض فيخسفها بهم فيهاكون عن آخرهم .

ثم قالت خديجة : يا رسول الله اسأل الله ان يهدي الى مكانك علي
ابن ابي طالب فانه يكاد يشرف على الموت من اجلك وقد خرجنا سوية
لغاية الفحص عنك .

فسأل ربه ذلك ، ولم يمض من الوقت الا قليل حتى انتهى الفحص
بعلي الى قمة الجبل ، فرجد رسول الله وبخدمته ام المؤمنين خديجة ، فبكى
بكاء شديداً حين وقع بصره على النبي ورآه بما هو فيه من الجراح وسيل
الدماء ، وبقوا ثلاثتهم الى ان مضى من الليل شطره ، وقد نامت العيون
وهدأت الأصوات ، انزل علي وام السيدة الزهراء خديجة النبي ، وجاءوا
به الى الدار ، وكان المشركون قد وضعوا كميناً في جنح الظلام يراقب زول
رسول الله من الجبل ويعلمهم بنزوله ليقضوا فيه تفثهم وليوقوا نذورهم
وليطوفوا بالآلهة احراراً آمنين .

فخرجوا حين اخبرهم الجاسوس ، فما ادركوه في الطريق وتبينوا انه
صلى الله عليه وآله قد دخل البيت ، فحفزهم حقدهم الدفين وثأرهم للاصنام

ان يرموا بيت رسول الله بالأحجار ، فتكثر الرمي على البيت النبوي وصار علي وخديجة يقيان رسول الله بجسميهما عن الأحجار ، الى ان اخذهما الألم والدلم ورأيا ان لا انقطاع لهذا العمل الاجرامي الخطير ، ترجع لخديجة ان تستر وتخرج اليهم ، فخرجت فعلا وخاطبتهم قائلة : تبا لكم اينها الجماعة وترحاً ، أما انكم قد فعلتم معنا فعل الأجلاف الجفاسة فأسأتم الى انفسكم والى العرب بصورة عامة ، ما لكم كيف تحكمون ، الله اكبر اترى الحرة في بيتها ، فوالله ان لم تفرقوا عن دائري الآن اوجه الى اسرتي وقومي من يخبرهم بفعلكم التي تترفع عنها حتى الوحوش وضواري البر .

فلما سمع القوم من خديجة ذلك خافوا من التهديد ، كما خافوا من وصول خبرهم الى اسرة خديجة فيكبسوهم في مكانهم ويفنوهم عن آخرهم وعندها تحل بهم فتنة كبرى لا قبل لهم بها ولا ينفعهم اذ يندمون .

وبالتالي اعطوا سيقانهم للريح فانهزموا ولاذوا بالفرار ، ثم رجعت خديجة الى رسول الله ، فنقلت له قصتها وحديثها مع المجرمين . ثم بكى رسول الله بكاءً شديداً ، وصار يخاطب عمه ابا طالب وهو في قبره فقال : رحمك الله يا عم ، لو كنت حياً لما بلغ الشرك مني هذا المبلغ ، يا عم لو كنت موجوداً لما نجاسر الكفر على بيتي ورموني بالأحجار ، يا عم لقد كنت في حياتك منبع الجانب مهيباً مصاناً ، ولكني بعد فقدك صرت مهدور الكرامة تتحاوشني الذئاب من كل مكان ، فلمستعان بك يا الله ، ولا حول الا بك يا غياث المستغيثين ، وانا لله وانا اليه راجعون .

ونقل صاحب لإعلام الورى وصاحب دلائل النبوة والفاضي في مواهبه ص ١٤٣ بطريقهم الى الزهري انه قال : اتقد تجهم الوضع على رسول الله واكفهر وكشر الكفر عن انيابه بعد موت حامي النبي وكافله عمه ابي طالب ، كما حاكوا عليه المؤامرات واكثروا عليه الابداء ، الأمر الذي قد اضطره

صلى الله عليه وآله الى ان يعرض نفسه المباركة على الأسر والقبائل العربية ، مستجيراً بالرؤساء والزعماء على أمل ان يحميه منهم أحد عن صولة الشرك وجولة الكفر وعبث اليهود الفجرة ، ولكنه صلى الله عليه وآله لم يجد الا الصمود ولم يحصل الا على الإعراض والامعان في الاساءة ، واخيراً يرجع منزعجاً مألوماً أسفاً على فقد عمه ابي طالب .

وترجع عنده ذات يوم ان يقصد ثلاثة من الزعماء وكانوا اخوة ، وهم باليل بن عمرو وحبيب بن عمرو ومسعود بن عمرو ، فظن صلى الله عليه وآله بهم خيراً ورجا فيهم أن يحموه من مكائد اعدائه ، ولكنه لما حل بين ظهرانيهم لاقى منهم من السخرية والاستهزاء والايذاء ما هو أشد واكبر من اذى الكفرة واليهود ، فقال له كبيرهم : أنا اسرق استار الكعبة ان كان الله قد بعثك . وقال الآخر : اعجز الله ان يرسل غيرك وانت يتيم ابي طالب . وقال الثالث : ان كنت نبياً كما تزعم لأنت اعظم شرفاً من ان اكلمك ، وان كنت كاذباً فأنت أشر من اكلمك واقل من ان احديثك . وما كفاهم كل ذلك بل اوعزوا الى صبيانهم واطفالهم ان يرموه بالحجارة ان قام من مجلسهم ونادى بهم ، فلما ينس منهم قام صلى الله عليه وآله ليرجع الى منزله ، اصطف له الاطفال وصاروا الى رميه بالأحجار حتى بعد عنهم وخلصه الله تعالى من شرهم .

وبينما هو في الطريق شعر أنه متعب يحتاج الى الاستراحة والجلوس قليلاً ، واستظل بظل بستان كان يشي بقربه ، فجلس مفكراً مهموماً يتصور مقام عمه ابي طالب وانه كل ما يلاقى وما اصابه من ضر جره عليه فقسه لأبي طالب ، ذلك العم الحنون الذي كان وحده هو الشوكة في عيون العدو ، كما هو وحده كان السد المنيع الذي يحول بينه وبين ايذاء الطغاة المتمردين واليهود الأشرار ، ثم يسترجع ويسلم امره الى الله الواحد القهار .

فالتفت صلى الله عليه وآله الى ناحية من نواحي البستان فرأى عتبة وشيبة ابني ربيعة وعبدآ لها وقد استظلوا بظل البستان ، فتعوز بالله منها ومن الشيطان الرجيم ، وتبين انها يحاولان ايداءه والدنو منه بسوء ، فاستجار بالله منها ورجاه الخلاص والنجاة من ايذائها . واخبراً قد استدعى عتبة وشيبة عبدهما عداس وانتدباه لايداء رسول الله والتشويش عليه ، فتقدم العبد وجلس بين يدي النبي وهو ينوي ان يقوم بما أمره مواليه ، فكلمه رسول الله واحسن له في الحديث ، ثم سأله من اين انت ومن اي بلد تكون ؟ قال : انا عداس ادين بالمسيحية وبلدي نينوى .

فقال النبي : اكرم بها من بلدة ، فانها مدينة العبد الصالح يونس ابن متى .

فقال عداس : يا محمد ومن اين علمت ذلك ؟

قال النبي : ربي أعلمني به ، يونس كان نبي ذلك الزمن ، وقد بلغ رسالة ربه كما يريد ، وقد لاقى في سبيل ذلك من قومه من الحن والشدائد والمصائب والصاعب كما لاقيت انا من قومي حين امرني ربي باظهار النبوة والافصاح عن البعثة .

قال عداس : أو أنت نبي يا محمد ؟

قال : نعم يا عداس ، انا نبي هذه الامة .

ولم يزل صلى الله عليه وآله يحدث عداساً بأخبار الماضين واحوال الأمم السالفة حتى اذعن عداس وايقن ، فينقلب فجأة الى احترام رسول الله والتأدب امامه ، ثم اهوى على قدميه بقبلهما وهو يقول : اشهد ان لا إله الا الله وانك رسول الله حقاً ، يارسول الله المعذرة الى الله واليك فاعفو عني وسامحني يارسول الله صلوات الله عليك .

فلما شاهد عتبة وشيبة من عبدهما الانصياع الى النبي واحترامه والانعطاف

على قدميه يقبلهما كبر عليهما الأمر وثقل عليهما الوضع ونلما على ما فرط
منها من ارساله الى مجد ، وقد قال عتبة لشيبة : اظن انه اسحره محمد ،
فادعه فليات البنا مسرعاً ، فدعاه فأقبل حتى جلس من حولها ، فقالا له :
ما الذي دعاك لأن تسجد لمحمد وتخضع له وتهوي على قدميه تقبلهما ، وكأنك
تريد أن تقطع منها قطعة .

قال عداس : ليس في الحق مغضبة ، إني تحققت من محمد أنه نبي
هذه الامة ، الأمر الذي ادى الى غضبها وانتفاضتها وزجرهما لعداس
وقولها له بل كذبت وكذب محمد ، فانه قد استولى عليك بسحره وشعوذته
فاياك ان تقرب اليه بعد ، فانه يفتنك عن دينك وطريقتك المثلث الطريقة
التي كان عليها اباؤك واجدادك من اقدم العصور وسالف الدهور . ثم اخذا
بيده ورجعا الى منازلها .

لقد شاءت ارادة الله التي لا تمهر لحبيبه محمد صلى الله عليه وآله
أن ينجو من شر المحرمين الخطيرين عتبة وشيبة بإسغالهما بقصة الخادم عداس
ولهامهما الاعتماد به عن النبي حذراً من ان يصبوا لدين محمد وينخدع بأقواله
السحرية وحديثه الجذاب ، فبدا لرسول الله ان يرجع الى منزله لفراغ الطريق
وبطئه على اهله ، فتوكل على الله وقام وواصل السير الى البيت ، ولما دخل
وجد خديجة ومن حولها علي بن ابي طالب وهما على احر من الجمر انتظاراً
له ووحشة واستبطاء للموعد المعتاد لحضوره ، فعرفا من ملامحه الاستياء
والتأثر ، فقالا له : بأبائنا وامهاتنا يا رسول الله الى متى تبقى في هذه الشدة
والضيق ، فاسأل الله تعالى لك الفرج والخروج من هذه البلدة الظالم اهلهما .
وكانه صلى الله عليه وآله قد استحسن الطلب واستملحه ، فرفع يديه
الى السماء طالباً من الله القدير ان ينقذه من هذا البلاء ويخرجه من ذلك العناء
اذ يوحى الله تعالى اليه : ان اخرج يامحمد من مكة فما لك بها من ناصر

بعد عملك إني طالب ، وعندها قد اعتزم الهجرة ووطن نفسه على مغادرة مكة .

فقاوض علياً عليه السلام بما صمم عليه واضمره ، وأمره ان ينام على فراشه ، وخرج في جوف الليل يحد السير حتى بعد عن مكة ، فصار يعرض نفسه المباركة على القبائل المنتصاة طوال الطريق ، لعله يعثر على من يسأله ويعضده ويحميه ، لم يلق الا ما يكرهه ويسوؤه حتى وصل المدينة المنورة ، فلما استشعر أهلها بمقدمه الكريم خرجوا إليه عن بكرة أبيهم فرحين مستبشرين يهللون ويكبرون ويرحبون به صلى الله عليه وآله اجل الترحيب واجله ، وبايعوه على أن يقدوه بأنفسهم ، ويفدوا عائلته وذريته بعوائلهم وذرائعهم : وكان اول منزل نزل هو منزل ابي ايوب الأنصاري رضوان الله عليه ، وبعد أن استقر كتب لعلي امير المؤمنين ان يقدم عليه بالعائلة النبوية فأقبل علي بالعائلة جهاراً وعلانية . وبالرغم من المحاولات العظيمة المانعة والتي وقفت مستأسدة دون حماها ، وبالتالي اوصلها علي الى المدينة آمنة مطمئنة ، وكان النبي صلى الله عليه وآله قد بنى له بيتاً مجاوراً للمسجد ، كما قد بنى بيتاً لعلي في جواره .

وهناك اطمأن رسول الله وهدأ باله وصالححت احواله وانتشرت كراماته وفضائله ، كما قد علت كلمته ورُفرت على المؤمنين والمسلمين رايته وتوسعت حر كته ودعوته ، وصار الأنصار والأعوان يتهافتون عليه زرافات ووحدانا ، وأهل المدينة برمتهم يصاحبونه ويماسونه ويفدونهم بالآباء والأمهات ، ولكنه صلى الله عليه وآله كما رأى ذلك يتأوه ، فيذكر عمه وحاميه ويتصور ما لاقاه في سبيله وما لاقاه هو من العذاب والتنكيل بعد موته ، يبكي ويتألم ثم يسترجع ويدعو له بالرحمة والغفران .

قال المحقق الحنيزي في مؤلفه مؤمن قريش ص ١١٩ :

أخرج ابن عساكر بطريقه عن جلهمة بن عرفطة في حديث يطول - الى ان يقول - : كان والله ابو طالب يتحلى بالصفات الفضلى .

ثم قال الخنيزي : ما لنا وللتعليق ، فلندع المجال للساني صاحبي السيرة الهشامية والحامية هما يحدثن مباشرة عن لسان جلهمة وبلا واسطة ، فقالا : قال جلهمة كان والله ابو طالب يتحلى بفضلى الصفات ويتميز بخير السمات ، تحيط بهالة من الإكبار والتقدير ، وتفرده عن كل من حوله من عطاء الرجال ووجهاء الجاهلية ، فهو نبعة الخير ، والكهف الحصين الذي بقي من الطواريء ، فاليه يلجأ الضعيف المضام ، ومن كفيه الندبان ينتهل العدم فتعود له الحياة المخضرة ، وبه يتوسلون حين ينقطع من السماء قطرها المذار ، وهو الوصول للرحم ، الكشف للكرب ، البر الرحيم ، الجواد بما يملك من غير منة ، والسبح بما يستطيع من دون طلب .

كان قوي الارادة ، كما هو منطبق يتدفق بلاغة ، كما هو حديدي ثبت الجئان جميل الطلعة مهيب الجانب موفور الاحترام والتعظيم ، وان له بالتشريع لدراية ومعرفة شاملة وعلماً عميقاً ، فحرم على نفسه شرب الخمر ومفارقة الموبقات وكل ما حوله من اضرار الجاهلية وارجاس الشرك وآثام الوسط المنحط ، فترفع بروحانيته الى افق واسع رفيع المستوى مديد الرفعة نقي الجواء على صفاء وطهارة . وكان هو اول من سن القسامة في دم عمرو ابن علقمة ، فأقرتها السنة النبوية فيما بعد . . .

والى ان قال الخنيزي : راجع السيرة لابن هشام ١ / ٧٩ و ١٣٤ /

و ٢ / ١٩٦ من السيرة الحلبية من صحيح البخاري .

وتحدث القاضي في مواهبه فقال : كان ابو طالب رضوان الله عليه كأبيه شيبة الحمد يفرش له فراش بجانب الكعبة ، ولم تكن هذه الميزة الخصوصية الا لها ، فلا تتعداها الى غيرها أبداً ، وقد يجيء رسول الله

صلى الله عليه وآله فيجلس الى جنب عمه ، فيمتعض ابو لهب وينكمش من جلوسه ، ولا سيما اذا لم يكن ابو طالب حاضراً ، وبأتي رسول الله فيجلس في مجلس عمه ويتكىء على وسادته ، وفي يوم من الأيام جاء رسول الله صلى الله عليه وآله واراد الجلوس مع عمه على فراشه صده ابو لهب وحاول منعه عن ذلك ، فغضب ابو طالب واستقدم ابا لهب اليه ، فأخذه من انفه ولطمه على وجهه وقال له : إياك أن تعرض لمحمد بعد هذا وإياك أن تقترب اليه بما يسوؤه ويؤذيه ، فمحمد حر في جميع التصرفات حر في جميع ما يفعل وينرك ، فان محمداً يستشعر ان له مقاماً كريماً وشأناً عظيماً ومستقبلاً وضاءً ، والله يا ابا لهب لان تعرضت الى محمد بأقل شيء عرضت نفسك إلى الالهانة والتوبيخ ، وسخط الله عز وجل وعقوبته . فأدار ابو لهب بوجهه ورجع الى ورائه ولم يستطع ان يتفوه ولا بكلمة واحدة .

وقال الجاحظ في رسالته التي ذكرها ابن ابي الحديد في الجزء الثالث من شرح النهج ، الرسالة التي تفصح عن العداء لآل البيت النبوي الكريم ، آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وتصرح بالبغض لأمر المؤمنين علي بن ابي طالب بصورة خاصة . نعم ذكرها ابن ابي الحديد كاملاً غير منقوصة ، كما ذكر الجواب عليها ، الجواب الذي تحفز اليه ابو جعفر الاسكافي .

وكيف كان الأمر تعرض الجاحظ من حيث بدري أولاً يدري الى ذكر ابي طالب بكل خير ، وكان من حديثه : أولست تعلم أن قريشاً خاصة وأهل مكة عامة لم يقدرُوا على اذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كان ابو طالب حياً .

أقول : ان مقالة الجاحظ هذه في تقييم موقف عم الرسول العظيم من النبي الكريم ، وانه لو لا موقفه وانحيازه اليه لما استطاع البقيا على حياته

والاستمرار في اداء رسالته ، فيه احتى رسول الله من ثورة الشرك والكفر
وغليان مشاعر اليهود القدرين ، وبه تمكن الاسلام من الانتشار والظهور
والتوسع والشروع .

وعلى اي حال ان قوله الجاحظ هي حق وصدق ، والحق لا بد من
ان ينتصر ، والحق لا بد وأن يعلو ، ولا يمكن أن يعلو عليه اي شيء ،
كما لا يمكن ان يسر بالراح ويحجب بالبراقع والأستار ، لذا ربما يظهره
الله حتى على ألسنة اعدائه وجاحديه ، كما ظهر على لسان الجاحظ فقال
ما قال في رسالته المشنومة ، الرسالة التي أعلنت بالحقد والحسد لعلي بن ابي
طالب والخط من قدره وميزته ، والتي حاولت تفضيل مبيت الخليفة ابي
بكر مع النبي في الغار على مبيت علي على فراش النبي ليلة الهجرة ، المبيت
الذي باهى الله عز وجل به ملائكة السماء ، المبيت الذي إن دل على شيء
فإنما يدل على افضل انواع المفاداة واجمل مصاديق التضحية والمواساة . وعلى
اي حال قال الجاحظ في بعض ما قاله كما مر عليك والفضل ما شهدت به
الأعداء .

ثم قال الخنيزي : قال الانطاكي في ترجمة ابي طالب وبعد اعطائه ما
يستحقه من الاكبار والتقدير والاعظام والتوقير - قال : وقد اختلف المؤرخون
في اسلام ابي طالب وبقائه على الشرك ، ولكل فريق أدلة يركن اليها يستشهد
بها على دعواه ، وليس لمثلي ان يبت في مثل هذا الأمر الخطير ، وانما
الاستدلال من واقع الحال يرجح قول الذين يذهبون الى ايمانه واسلامه ،
لان الانسان مهما تعالى في صلة رحمه وفي حبه لابنه او ابن اخيه او نسيبه
لا يسهه ان يغض الطرف عن ذلك الحبيب اذا رآه يتعدى على دينه او يحاول
ان يدك حصونه ويوهي اركانه ويقيم في موضعه ديناً آخر ان لم يكن هو
معه في الاعتقاد ، ولما نعلم من تمسك الناس بأديانهم ومبالغتهم بتقدريتها

وتفضيلهم طحا على اي اعتبار آخر ، حتى ان المؤمن ليقتل ابنه واباه اذا
رآه يحقر دينه ويسخر بمعبوده .

واذا صدق هذا على عامة الناس فبالأولى ان يصدق على مثل ابي
طالب الذي كانت له المكانة العليا في قريش ، فهو ملزم من جهة نفسه
وجهة مركزه عن الدين الذي يدين به هو وقومه ، كي لا تسقط مكانته من
عيونهم ، وكى لا يعرض نفسه فيخسر آلهته .

وعلى هذا فابو طالب لا بد وأن يكون قد آمن بالله ، كما وانه لا بد
وان يكون قد آمن برسالة ابن اخيه عليه الصلاة والسلام في قلبه ، ولكنه
لم يجهر بها لاعتبارات تفضيها الحكمة وتدعو إليها السياسة ، فانه لو جهر
بايمانه في بدء الدعوة وفجر البعثة لانقلب عليه قريش بجملتها ، واسقطته
من حلق مجده ، وعشت بحرمته ، وحينئذ يعجز عن رد الاذى عن ابن اخيه
وهو لا يزال ضعيفاً ، وهذا الذي جعله يكتم ايمانه .

أما ظاهر اعماله وقصائده وخطبه فهي تظهر بأجلى بيان اذ رأيناه
يدافع عن المصطفى بنفوذه وجاهه ويمدحه بشعره وخطبه حتى آخر لحظة
من حياته على ما رأيت من وصيته ، وعلى هذا فيكون ابو طالب من خيرة
الصحابة والأنصار بغير جدال ، وحذا لو وفق الله الاسلام في عصر الناس
هذا الى من يحمون ذماره ويعاون كلمته ، كما فعل ابو طالب ووالد سيدنا
امير المؤمنين علي يعسوب الدين اسد الله الغالب ابو طالب الذي ربي هذين
السيدتين النيرين فأضاءا في سماء الدنيا والدين .

ثم قال الخنيزي بعد انتهائه من حديث الانطاكي : ولا نرى حاجة
للتعليق على هذه القولة الواضحة الحججة الناصعة البرهان .

اقول : أما انا فأجدني بحاجة ملحة الى التعايق على مقالة المؤرخ
الانطاكي ، فهي وان جاءت حاكية عن الحقيقة وكاشفة عن الواقع ، كما وهي

قد كانت على درجة مثلى من المثانة والرصانة والاعتماد على الاسس المستقيمة ، مدعماً بحكم العقل معتصداً بالوقائع والأحداث القطعية ، مبنية على معرفته وتفهمه لواقع عم الرسول ودراسته غير المشوبة لجهوده وجهاده في الله وحايته لرسوله العظيم صلى الله عليه وآله ، الأمر الذي أدى به لأن يحكم عليه بأنه من خيار الصحابة وعظام الأنصار ، إلا ان الذي يحدوني الى التعليق امران يغيل لي انها لما مكانتها في سماء التعليق ودنيا البحث والتنقيب :

اولها تأييد نسبة القولين المتنافيين المتعارضين منطوقاً ومفهوماً الى الرسول العظيم ، وذلك من المستحيلات الأولية ، اذاً لا بد وان يكون احد القولين صادراً عنه صلى الله عليه وآله والآخر ملفق عليه ، والنافي لايمان ابي طالب يكذبه عمل النبي صلى الله عليه وآله مع عمه حياً وميتاً ، ففي حياته كان موضع اسراره وتقديره ، وفي مماته كان موضع رحمة واستغفاره وكل من الأمرين يعطي ويفيد بأنه رضي الله عنه كان مؤمناً مسلماً قد استكمل الايمان والاسلام ، اذ يستحيل على النبي الحكيم أن يثنى على المشركين او يحترم الكافرين ، ولا سيما مع علمه صلى الله عليه وآله بالنصوص القرآنية الناهية المانعة عن ذلك ، حتى ولو كانوا آباءً للمسلمين وأقرباء للمؤمنين .

هذا بالاضافة الى الروايات الدالة بوضوح على ايمانه وتدينه ، كثير منها يستند الى آل البيت ، وهم الذين زههم القرآن الكريم فاذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، ويستند القسم الآخر الى اجلاء الصحابة وعظام الاسلام ، مثل ابن عباس والخليفة ابي بكر ونظرائهما .

وبمقتضى هذا إن ياتزم الانطاكى هذا الجانب فيؤيد ايمان ابي طالب من هذه الناحية ، ثم يضم ما قد استفاده واستنبطه من الآثار وظواهر الحال الى ذلك .

وأما ثانياً - فالقواعد العامة والوثائق المعتمدة عند العقلاء تستلزم

الرجوع في مقام تعارض الخبرين وتنافيها الى الرجحان ، من حيث قوة المتن او قوة السند ، او من حيث موافقة الكتاب والسنة وعدمه ، وإلا فان فقدنا كل ذلك سقطنا معاً عن الاعتبار والمقبولية . وما دام بالنسبة الى ما نحن فيه باب التعادل والتراجع مفتوحاً على مصراعيه فلا بد اذاً من تحكيمه وإعماله ، ثم النظر الى ما يقتضيه ويستلزمه من تقديم وتأخير .

ومما لا شك فيه ان الأحاديث الإيجابية الدالة على إيمان أبي طالب تتحلى بنوع جليل من الوثوق ، وتتجمل بنوع كبير من الاطمئنان من حيث المتن والسند ، وإليك قارئ الكرم بعضاً مما ذكر محققاً عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : رحم الله عمي أبا طالب لو ولد الناس كلهم لولد لهم شجعاناً ، ما نالت مني قریش حتى مات عمي أبو طالب . فان هذا والكثير من أمثاله يدل بحسب لفظه وحقيقته انه صادر عن مثل رسول الله العظيم ، وهكذا الحال بالنسبة الى ما صدر عن آل بيته البررة . وأما من حيث سلسلة السند فمصدرها آل بيت النبوة ومهبط الملائكة ، اول السند علي امير المؤمنين ، ومنه اخذ اولاده الطاهرون ، ومنهم اخذ علماء امتهم .

ومما لا يعترضه الريب والشك ان علياً واولاده الأطايب هم سادات الثقات وزعماء الرواة ، وليس لقاتل فيهم اي مهز ولا ملمز . وكيف وقد شهد الله العلي القدير بقرآنه المجيد بطهارتهم ونزاهتهم ، وعليه من المستحيل عليهم اذاً أن ينجزوا الى خلاف الواقع وينساقوا الى غير الحق ، فلا بد والحالة هذه من ان تكون مدعياتهم ورواياتهم اكثر وثوقاً مما يخالفها او مما يستند الى غيرهم ، لأن الغير مهما كان من القداسة والنزاهة لم يحصل على مثل ما قد حصلوا عليه واختصوا به من توثيق الله العظيم ونزاهة الجميل . هذا اذا ما اضيفنا الى ذلك عظماء الصحابة مثل العباس بن عبد المطلب

وعبدالمقدس بن عباس والخليفة ابي بكر، وما الى ذلك من الأقران والأمثال . . .
ولعل الانطاكي نفسه لا يعزب عنه الأمر ، كما لا يكاد يخفى عليه
الحال ، لذا أشار اليه من طرف خفي بقوله : وليس لمثلي ان يبت في هذا
الأمر الخطير في حال انه كان يستازمه ان يبت فيه ويحكم بما تقتضيه طريقة
العلماء العقلاء وما تفرضه القواعد العلمية من ترجيح ما هو اقوى سنداً واثق
طريقاً وواسطة .

هذا مضافاً الى ما لا بد من ان يكون قد وقف عليه الانطاكي وتحققه
من الكثرة في جانب الأخبار الإيجابية ، فهي اذا ما قيست نسبتها الى غيرها
من السلبية لتضائلت الثانية الى حد بعيد ، ومتى ما تم له ذلك لزمه أن يؤيد
جبهة الإيجاب من هذه الناحية ، ثم يعزز ذلك بظواهر الحال وقرائن المقال ،
لكان ذلك اقبل وافضل .

ولكننا بعد التأمل الدقيق والنظر العميق في مقالة الشيخ الانطاكي وجدناه
وهو يحوم حول النتيجة التي حققناها والثمرة التي رمنا من طريقها الوصول
الى اثبات ايمان عم النبي الزعيم ابي طالب تأخر عن الابانة الواضحة ،
لما كان يخالفه من ان التقديم والتأخير والتأييد والترجيح من شئون المسلمين
أنفسهم واختصاصاتهم ، وبما انه مسيحي المبدأ فيعتبر نفسه متطفلاً على
الموضوع ، لذا قد انتحى ناحية المصير الى الآثار وظواهر الحال والمقال ،
فهي بعيدة عن كل اراد وقبل وقال : ولكننا ومع هذا كله نجد أن الحق
لا بد وأن يكون رائد كل انسان يتمتع بمكانة علمية ونمو عقلي وتفكير
سديد ، بغض النظر عن الاديان والمعتقدات ، فالحق أحق ان يتبع ، ولا
سيا اذا كان واضحاً وضوح الشمس ، بيناً بيان الكوكب الدري في الظلام
الحالك .

وأما ما ذهب اليه من تأييد مقالة القائلين بإيمان ابي طالب الخفي حسب

مقتضيات السياسة ومتطلبات الحكمة والفراسة فهو لا يلتم كما لا يمكن ان
يجتمع مع ما قد استظهره واستنتجه من ما جريان الأحوال وقرائن المقال
الشعري او الخطابي ، ومقتضى ذلك التصميم على الاعلان بالتدين والايان .
ولا اراني بحاجة الى التوسع في الموضوع لانه قد مر البحث فيه والكلام
عليه ، ولكن شيئاً واحداً وجدني راغباً الى بيانه ، وهو بيان شعري لم
يكن يذكر فيما سبق قد قاله بمناسبة استسقاء أبيه عبد المطالب حين استنجد به
الناس واستغاثوا به ، ففرح ابو طالب واستبشر حين استجاب الله دعاء
والده الكريم فأمطر الناس واغاثهم ، وبالمناسبة أنشأ الأبيات هذه :

ابونا شفيح الناس حين سقوا به	من الغيث رجاس العشير بكور
ونحن سنين المحل قام شفيعنا	بمكة يدعو والمياه تغور
فلم تبرح الأقدام حتى رأوا بها	سحابات مزن صوبهن درور
وقيس اتتنا بعد لأي وشدة	وقد عضها دهر اكب عشور
فا برحوا حتى سقى الله ارضهم	بشبية غيشاً فالنبات نصير

أقول : افهل يستفاد من منظومات الأبيات محتوياتها معاني الشرك ، وهو
يستشف من ظواهرها وألفاظها عين الكفر واثر الالتئام الى الأصنام ، ام هل
يعرف منها التكتم في الايمان ؟ !

ما اظنك انك قارئ الكريم إلا ان تقول معي : لا ، لا يستفاد من
هذه الأبيات إلا الوثوق بالله والركون اليه ، مصرحاً بهما لا يعرف التخفي
والتستر ابداً .

وقال الخنيزي : قال عبد العزيز المعروف بسيد الأهل في ترجمة ابي طالب :
وليس من المحمود للناس في سبيل رجل رعى النبوة وحماها اكثر من اربعين
عاماً ان تقتضب أخباره كما اقتضيت ، وان تذر وتبعثر كما انثرت وتبعثرت ،
وان يقل رواياتها ويضطربوا كما قلوا واضطربوا ، ثم ينسى فضله كله ويقف

التاريخ أمامه في ساعة الموت موقفاً واهناً عجيباً . يتحدث عن الرجل الذي
حمى النبوة نافع عنها بقوة وتضحية وإيمان وكأنا يتحدث بلسان خلق من الهوى
عن رجل دخيل أو عن وافر غريب

أنفذ أبو طالب حياته كلها في نصرة النبي وألزم اهله واتباعه وانفق
جهده وحيه وماله ، وخاصم اعداءه وضربهم وقهرهم ، وأعد من نفسه عزمة
صادقة تخف الى المستغيث في طريق المموم ، وكان وجسود أبي طالب
لنصرة النبي ضرورة من ضرورات الخاتمة وسنداً لا بد منه لظهور البعثة
وانتشار الدعوة كما يقول ابن خلدون في كتابه أبو طالب شيخ بني هاشم
في ٦ / ٥٥ وتلك مشيئة الله ، فليس ينصر رجل يدعو الى اي مبدأ ودين
ما لم يستند الى ما يشد أزره وينصره من العصية المهمة ، كما ينتصر بالاتباع
والاعوان ، وأبو طالب لم يفقه ان يعرض الواجب الذي انيط به ، ولم
يثقله العبء الذي ألقى عليه ، فنصر النبي وخاصم الناس جميعاً فيه ، ولم
تأخذه العزة بالاثم كما اخذت غيره من الكبراء الذين أضلوا الناس السبيل
وقد كان أبو طالب غير مدافع عن سيادة قريش جمعاء الى ان يقول ابن
خلدون كما بكى رسول الله لنعي عمه ، ومن الذي يبكي رقة ورحمة ووفاء
اذا لم يبك محمد وقد أحسن ربه تأديبه ، بكى عما كفله ورباه ونصره وتقصى
عذره في التحمل ، وكان له أباً رحيماً حين فقد الأب ، وكان له عضداً
حين احتاج الى النصير ، وكان له حزباً حين احتاج الى حق قوي يقهر
الباطل ويمحق الطغيان راجع مؤمن قريش طبعه ٢ / ٢٧٧ .

ويحدثنا مسلم في صحيحه ١ / ٤٨ بطريقه الى الشريد انه قال : ردت
رسول الله ذات يوم اذ بلغت الي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : هل
تحفظ يا شريد من شعراية بن الصلت شيئاً ؟ فأنشده فقال : استمر ،
فبقيت انشده حتى كملت عليه قراءة مائة بيت . فقال صلى الله عليه وآله

وسلم : انه كاد يسلم في شعره هذا .

وتحدث صاحب السيرة النبوية ١ / ٩٦ ان زيد بن عمر بن نفيل خرج مهاجراً الى الشام يطلب الخبثية دين ابراهيم الخليل عليه السلام ، ولكنه لم يقدر له أن ينجح في مهمته ولم يكتب ان يفلح في سفرته ، ففاجأه الأجل في اثناء الطريق ، فصاح الحديث عن ام الحديث عن ام المؤمنين عائشة انها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مناسبة جرى فيها ذكر زيد بن عمر وقال : دخلت الجنة فوجدت لزيد درجتين في الجنة . وفي السيرة ايضاً ١ / ٧٣ ان سعيد بن زيد وعمر بن الخطاب ابن عم سعيد قالوا : قال للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : يا رسول الله استغفر لزيد بن عمرو وترحم عليه . قال : نعم سأستغفر له وترحم عليه ، وانه يبعث يوم القيامة امة وحده .

وقال في السيرة ايضاً ص ٧٣ و ٧٦ قال رسول الله في مجلس ذكر قس بن ساعدة فيه : رحم الله قساً يحشر يوم القيامة امة وحده . الى كثير من هذا اللون مما نسب اليه صلى الله عليه وآله وسلم . اقول بناءً على مقتضيات هذه الأحاديث وتمشياً على ضوء معطيات هذه الأخبار فالجنة هي المأوى لأبي طالب بصورة اولى وأحق ، لأنه رضي الله عنه ادرك الاسلام واستنار بأنواره ، كما حماه وجاهد دونه .

وأما الشريد وزيد بن عمرو وقس بن ساعدة فانهم ماتوا في الزمن الجاهلي ، وما ادركوا الفرض الذي شع فيه نور الاسلام ورفرفت فيه أعلام الدين ، وقد حكم عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم من أهل الجنة ومن البديهي ان الجنة محرمة على غير المؤمنين وغير المتدينين . ثم اذا كان الشريد انما حكم عليه النبي بأنه من أهل الجنة المستلزم لأن يكون من أهل الايمان كل ذلك لمناسبة هجرته لطلب الدين الحنيفي

دين ابراهيم ولم يوفق له فوات قبل ان يصل الى شيء مما يبتغيه فاستحق بالهجرة وبها فقط . كان من اهل الجنة والايمان بالملازمة ، فا الظن بانسان كان على ملة ابراهيم ودينه الخفيف طوال حياته ومدة عمره ثم ادرك الزمن الاسلامي ، فالتحاز الى نبي الاسلام ولازمه ودافع عنه دفاع المستميت ، ثم صدق النبي في كل أقواله واحاديثه ودلل على تمسكه بآلاف من المستمسكات والوثائق من شعر ونثر ، كما كان ذلك من ابي طالب رضوان الله عليه ، فلماذا إذاً ذلك التشكيك في ايمانه ؟ ! ولماذا إذاً ذلك التردد في تدينه ؟ ! مضافاً الى استغفار الرسول له وترحمه عليه وذكره بخير طوال حياته .

ويحدثنا المؤرخ جورج جرداق في مؤلفه الامام صوت العدالة الانسانية ١ / ١٥٤ عن بعض ما لعلم النبي العظيم ابي طالب من المقامات الخالدة والمواقف الحميدة والخدمات الجليلة وما اختص به من مؤازرة الرسول والمحاماة عن الاسلام الى ان يقول : وقد كفّل ابو طالب مجدداً ، فصار يحيا في جو الحنان والدعة وحسن التربية الذي خلفه الأب الراحل للابن المقيم ، وما ذلك منه الا استيناساً بما يعرفه من أمره وما يدركه من نفسه المنطبعة على حب محمد والثقافي في سبيله ، وان كان ذلك لا يفقده اكثر ابنائه ، إلا ان الذي يحمله ابو طالب ناشيء عن تفهم وتعقل لحقيقة محمد وتصور لواقعه المرتقب ، لذا كان اسناد الكفالة اليه خاصة دون غيره من الأبناء الكرام .

والى ان يقول : وشخصية ابي طالب شخصية جميلة ، تطالعنا بحكمة الشيخ المحرب الذي يضع كل ما أوتي من طيبة وامانة وتجربة موضع العمل والتنفيذ ، حتى لكان الله عز وجل لما اختار رسوله من بني عبد المطلب اختار لتبشيره هذا العم الكريم ، وكان قوة الوجود الشاملة هيأت لأبي طالب ان يعلم من أمر ابن اخيه ما لا يعلمه غيره . فاذا ما في ابي طالب يشف

في نفس محمد ، فاذا هي جزء من ذاته يتكون وينمو تحت نظيرة العم
الحب ، وكان ابو طالب اول من قال الشعر في الاسلام يفيض بالحب
لمحمد ويدعو لنصرته ،

والى ان يقول : ولم ينس ابو طالب دقيقة واحدة في حياته ، وانما
هو عبقرية الخلق التي تميز بها بصورة عذوبة واخوه عبد الله وابوهما عبد
المطلب الذي شعر رسول الله بفقده انه فقد أعظم ركن يستند اليه ويدفع
عنه اذى قريش ، وما كان الشعور والاحساس الا تدليلاً ، الا على تجاذب
اسباب الخير بين محمد وعمه رب البيت الذي نشأ فيه وسما فيه خلقه .
واذا كان من اسباب هذا الشعور بخسارة ابي طالب ان محمداً فقد
به نصيراً يفديه بدمه ويدفع عنه الأذى ، وملجأ ضد قريش والمستبدن من
الغلاة ، حتى انه قال « ما نالني من قومي سوء حتى مات عمي ابو طالب »
فما تعليل هذا الحزن العميق الذي غزى قلب محمد بموت عمه ، وما عللة
هذه الكتابة ، وما كان محمد الا صبوراً حازماً واثقاً بنصر رسالته مهما كثر
العدد وقل الصديق ، ومهما كان من شأن الأختيار والاشرار ؟

اجل ما عللة هذه الكتابة ان لم تكن الكارثة التي حلت بمحمد هي
كارثة الانسان بأعز من يعطف عليه ويحميه ، وما تكون هذه الدموع الغزارة
ان لم تكن شاهداً على ان النبي كرجل أحس بأنه فقد من ذاته من حاضره
وماضيه .

والى ان يقول جورج : وتستمر صلة المودة والإخاء بين محمد وعلي
ويستمر بينهما تعاطي الخير على انجاح الرسالة ، هذا التعاطي الذي يتناسك
في اعماقه ويتحد منذ أن عرف محمداً ، ومنذ ان اجتمع الثلاثة في بيت
واحد قام على مزايا الشهامة ، وما كانت خصائص البيت الطالبي إلا حافزاً
لأبي طالب وابنه على فهم عبقرية محمد ، فهماً يتمثل لدى الأول شعوراً

وتفصحية. ولدى الثاني فكراً جباراً وشعوراً عميقاً شاملاً أشبه بصنع المعجزات
 وذكر ابن الصبان الشافعي في مؤلفه المطبوع على هامش نور الأبصار
 للشبلنجي ص ٩ : لقد كان عبد المطلب قد كفل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بعد انتهاء مدة رضاعه ، ولقد أجاد الكفالة واحسن التربية ،
 وقدمه على اولاده واجبائه ، وعندما حضرته الوفاة اوصى به وعهد بأمره
 الى عمه ابي طالب لفخامته ومكانته في النفوس ، ولكونه شقيق عبد الله
 والد رسول الله ، وكان ابو طالب يفتخر بشرف كفالته وتربيته ، وكان
 يرى منه الخير والبركة. كشيع عائلته فيما اذا أكل معهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم . الى ان يقول ابن الصبان : وقد زوج ابو طالب النبي
 من خديجة بنت خويلد على صداق يتكون من اثني عشر اوقية من الذهب
 الأحمر ، قام به وجده من دون سائر اخوته .

وقال الشبلنجي في نور الأبصار ص ٤٠ بمناسبة تعرضه الى تعداد
 زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم الزوجات اللاتي دخل بهن فقال :
 اولهن خديجة بنت خويلد ، وكان تزويجه بها بنظرية عمه ابي طالب وترجيحه ،
 وكان صداقها اثني عشر اوقية ونصف الأوقية من الذهب ، قام به وجده
 من خالص امواله .

وقال ايضاً : لقد توفي عبد المطلب عن اثني عشر ولداً ، وكان عبد
 الله والد رسول الله هو الأخير ، كما كان ابو طالب هو كبيرهم ، لذا قد
 جعله وصياً له وعهد اليه امر الكعبة وامر النبوة والوصاية بالمحافظة على رسول
 الله واحاطته ، وكل اولاد عبد المطلب أدركوا الاسلام ولكن ابا لهب بقى
 مصراً على نكران النبوة ورفض البعثة والرسالة ومقاومة رسول الله حتى
 مات .

ويحدث اليه في تاريخه ١٠ / ٢٦ بعد ان يصل الى ترجمة عم الرسول العظيم ابي طالب ويذكر مقداراً من خدماته وتضحياته في سبيل الدين والإسلام ومساندته لرسول الله ومؤازرته له على اداء رسالته ثم ايمانه به وامر ولده واسرته باتباعه واقتفاء اثره ، ثم قال : توفي ابي طالب عن عمر يناهز التسعين عاماً ، قضاهما بخدمة بيت الله الحرام وسدانة الكعبة وخدمة رسول الله ، ولما اخبره علي بن ابي طالب بوفاة عمه بكى كثيراً وتوجع عليه قلبه واشتد لفقده حزنه ، ثم نهض صلى الله عليه وآله وسلم مسرعاً ، فجاء الى دار عمه فوجده مسجياً ، فمسح جبينه بيده الشريفة ثم قال : رحمتك الله يا عم ، فقد ربيت صغيراً وكفلت كبيراً ، فجزاك الله عني خيراً . وبعد ان رفعت الجنازة مشى خلفها رسول الله وهو يردد : وصلتك رحم يا عم ، وجزيت خيراً يا عم . ، اعلموا ايها الناس ان الله سبحانه وعدي في اربعة ان لا تمسهم النار : ابي عبد الله ، وامي آمنة بنت وهب ، وعمي ابي طالب ، واخي كان لي في الجاهلية .

إلى ان يقول اليعقوبي : وقد اجترأت قريش وعملائها على رسول الله صلى الله عليه وآله بعد موت عمه ابي طالب ، كما طمعوا فيه وهموا أن يقتلوه المرة تلو الاخرى ، لذا قد اضطر الى ان يعرض نفسه على القبائل العربية ، فلم ير منهم الا ما يؤذيه ويسوءه ، وقد تأمرت عليه وكانت هي خاتمة المطاف ان تقتله في فراشه ليلاً لتسريح منه ومن دينه ، ولكن الله عز وجل انقذ نبيه منها وامره بالهجرة من مكة بعد أن بنى علي بن ابي طالب في مكانه وفي فراشه ، وهكذا تم خلاص رسول الله وتحقق نجاته من مكائد الكفر ودسائس اليهود المجرمة : فخرج صلى الله عليه وآله من مكة مرغماً مكرهاً ، وقد خاطبها عند الخروج بقوله : يعز علي والله فراقك يا مكة ، يعز علي ان اغادرك وما عن قلأ كان فراقي لك .

ثم تصور عمه ابا طالب وقال : ما اسرع ما فقدتلك يا عم : ولو لا
فقدني اياك ما بلغ الحال بي الى ما هو الآن ، لا مستعان الا بالله ولا ملجأ
الا اليه ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ونقل البيهقي ٢ / ١١ بطريقه الى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم انه قال ذات يوم لعمه ابي طالب : يا عم اني ارى في منامي رجلاً
يأتيني ومعه رجلان آخران فيقولان عني هذا صاحبنا هو هو والله فاذا بلغ
فشأنك به ، والرجل الساكت لا يتكلم . فسكت ابو طالب ملياً واطرق
هنيهة ثم رفع رأسه الى النبي وقال : يا بن اخي هذه الروح الطيبة ، وانت
يا محمد نبي هذه الامة ثم التفت الى ابنه علي وقال : يا بني اكرم فعلاً هذا
الامر على ابن عمك كي لا تفتك به قريش ، واعلم يا بني اني على تحقق من
ذلك من جدك عبد المطلب ، فانه قال لي يوماً : يا ابا طالب ان ابن اخيك
محمد هو النبي المبعوث في هذا الزمان .

وحدث ابن عبد ربه الاندلسي في العقد الفريد ٣ / ٥٩ في باب
ترجمة النبي صلى الله عليه وآله فقال : هو محمد بن عبد الله ، ولم يكن
لعبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كفله جده عبد المطلب
بعد أن ولد ، وكان قد مات عبد الله ومحمد حمل في بطن امه ، ثم كفله
بعد عبد المطلب ولده ابو طالب ، وهو شقيق عبد الله والد رسول الله ،
ومن ذلك كان اشفق عليه من جميع اعمامه واكثرهم خدمة له ، فلقد حياه
ودفع عنه المكاره وامتدحه بالشعر وصدقه فيما يقول وعاضده على دعواه .
وذكر ابو الفرج الاصفهاني في الاغانى بسنده الى النبي صلى الله عليه
وآله انه قال : اذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وامي وعمي ابي طالب
واخ كان لي في الجاهلية .

ونقل ابن ابي الحديد ٣ / ٣١١ بطريقه الى الرسول الاعظم صلى الله

عليه وآله وسلم انه قال : هبط علي جبرئيل فأخبرني عن ربي . انه يقول : يا محمد اني مشفعك في بطن حلك آمنة بنت وهب ، وصاب ازلك عبد الله بن عبد المطلب ، وبيت آواك جدك عبد المطلب ، وحجر كفلك عبدك ابي طالب ، وثدي ارضعك حليلة السعدية ، واخ كان في الجاهلية .

وقال ابن ابي الحديد في نفس الصفحة والجزء قلت لأستاذي النقيب ابي جعفر الاسكافي : اهل صح عندك هذا الحديث ؟ قال : نعم اخرجته الصحاح والمسانيد . قلت : أفهل كان للنبي اخ في الجاهلية ، وهل هو من ابيه او من امه ؟ قال : لا ولكنه اخاً في المودة والصحة . قلت : أتعرف له اسماً ؟ قال : است ادري .

وحدث الشيخ المجلسي في البحار ٩ / ٢٩ فقال : قد اجعت الشيعة على اسلام عم النبي العظيم ابي طالب رضوان الله عليه ، وانه آمن بالنبي وصدقه في دعوته ووازره على اداء دينه وشريعته ، واما قصة الايمان بالله في الزمن الجاهلي فهي لا تخص ابا طالب وحده ، بل هي تسري الى كافة آباء النبي واسرته الكريمة ، فانها ما سجدت لضم قط وما عبدت لوثن ابداً ، بل كانوا من الأزل على عبادة الله وملة ابراهيم ، ولا نقالي فيما اذا قلنا ان على ذلك اكثر المؤرخين ، وقد ألفوا في ذلك مؤلفات خاصة مستدلين بأوثق المصادر ومعتمدين على أهم المستندات .

وقال ابن كثير في جامع الأصول : ولم يسلم على يدي النبي من اعمامه الا ثلاثة نفر ابو طالب والعباس والحزمة بن عبد المطلب ،

ونقل المجلسي في بحاره عن تاريخ الطبري انه قال : وشعر ابي طالب يدل على ايمانه وتدينه ، وهو اكثر من ان يذكر .

وقال يحيى بن بطريق في المستدرک في ترجمة ابي طالب وبعد كلام طويل قال : وقد أبد أبو طالب النبي في بعثته ورسالته ، كما صدقه في جميع

أقواله وحديثه .

وقال ابن اسحاق في المغازي بعد ان ذكر كثيراً من شعر ابي طالب ونثره الاسلاميين : ان هناك مواقف لأبي طالب تدل بوضوح على ايمانه ودينه ، مضافاً الى شعره وخطبه ، فمن تلك المواقف تبين السرور والفرح على ملائحته عند كل بشارة تصله او يسمعها من الرهبان والأخبار والعرفاء والكهان عن مولد محمد ونبوته ، وقد انشأ على اثر نصيحة الراهب بحيرا بعد إخباره بتنبؤ رسول الله لأبي طالب فقال :

ان ابن آمنه النبي محمداً	عندي بمثل منازل الأولاد
فأمرته بالسير نحو عمومة	بيض الرجوه مصالت الانجاد
ساروا لابعد طية معلومة	لاقوا على شرك من الرصاد
خبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً	عنه ورد مكاييد الحساد

وذكر الحجة الطبرسي في كتابه ذرايع البيان ص ١٠٨ : وروى صاحب المناقب ١ / ٤٢٥ : وصاحب روضة الواعظين قالوا جميعاً بطريقهم الى فاطمة بنت اسد أنها قد حدثت زوجها ابا طالب بما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله حين ولادته من البراهين والآيات وسماع حنيف اجنحة الملائكة الى رؤيا قصور كسرى وقيصر ، فقال لها ابو طالب : ولا من عجب يا فاطمة ، ان محمداً نبي هذه الامة ، فانتظري سبباً ستلدين وزيره ووصيه ، فحسبوا ثلاثين سنة فولدت فاطمة علياً .

وتحدث الطبرسي اخذاً عن كتاب مولد علي للبيكري عن ابن بابويه القمي أنه قال : رقد ابو طالب ذات يوم عند الحجر الأسعد ، فرأى فيما يرى النائم كأن باباً قد افتتح عليه من السماء فنزل منه نور فغمره ، فانتبه فزعاً مزعوباً للحادث ، فقصد كاهن الجحفة فقص عليه ما رآه ، فأنشأه الراهب عند سماعه ذلك منه :

ابشر أبا طالب عن قليل
بالقريش اسمعوا تأويل
بالولد الخلا حل النبيل
هذان نوران على سبيل

كثل موسى وأخيه السؤل

قال ابو طالب : وما تأويل ذلك ايها الراهب ؟ فقال : يولد لك مولود يا ابا طالب عظيم أمره جليل خطره ، يكون الحمد كما كنت له .
ففرح ابو طالب للخبر وابتهج ايما ابتهاج ، وتوجه الى الكعبة متوسلاً الى الله عز وجل ان يحقق الخبر وينجز الأمر ، ثم صار يطوف بالبيت الحرام وهو يردد :

اطوف لله حول البيت ادعوك بالرغبة بحبي الميت
بأن تريني السبط قبل الموت اغر نور يا عظيم الصوت
منصلاً يقتل اهل الجبت وكل من دان بيوم السبت

وهكذا ظل يطوف ويقرأ الى ان شعر بالتعب والاعياء ، فعاد الى الحجر فالتف بعباءته ونام ، فأغنى فرأى في منامه وكأنه قد لبس اكليلاً من ياقوت ودر ، وسمع كأن قائلاً يقول : قرت عينك يا ابا طالب ، وظفرت يدك ، وحسنت رؤياك ، فأعطيت الولد ، مالك البلد ، عظيم المجد ، على رغم من حسد فانتبه هذه المرة فرحاً مستبشراً شاكراً لله تعالى على نعمائه وتحقيق مبتغاه ومراده ، فعاود الطواف وهو يردد :

ادعوك رب البيت والطواف والولد المحبوب بالعفاف
تعيني بالذنن اللطاف دعاء عبد بالذنوب واف
ياسيد السادات والأشراف

ولما ان صدقت رؤياه وتحقق حلمه وظهرت الى الوجود غايته وولد له سيد الأولين والآخرين بعد النبي الأمين صلى الله عليه وآله ذاك هو علي بن ابي طالب امام المتقين وأمير المؤمنين ، فبادر ابو طالب فلازم

الطواف حامداً لله وشاكراً فضله وانعامه ، وهو ينشيء :

قد صدقت رؤياي بالتعبير	ولست بالمرتاب في الأمور
ادعوك رب البيت والنذور	دعاء عبد مخلص فقير
فاعطني يا خالقي سروري	بالولد الحلال حل الذكور
يكون للمبعوث كالوزير	يا لها يا لها من نـور
فيطحن الأرض على الكرور	طحن الرخى للحب بالتدوير
ان قريشاً تبيت بالتكبير	منهوكة بالويل والثبور
فألهما من حائط مجير	من سيفة المنتقم المير
وصفوة الناموس في السفير	حسامه الخاطف للكفور

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣ / ٣١٥ : ان شعر ابي طالب قد أصبح متواتراً حتى ولو كانت آحاده غير متواترة. الا ان مجموعه كان متواتراً ، يدل بواسطته على امر مشترك واحد ، هو تأييد رسول الله وتصديقه ، نظير قتلات علي بن ابي طالب ، فانها وان نقلت آحاداً ولكن المجموع من حيث المجموع يفيدنا العلم بثبوت شجاعته عليه السلام ، وكذلك القول فيما يروي من سخاء حاتم الخ .

* * *

اقول لا مجال الى تردد ابن ابي الحديد هذا وتشكيكه ابداً وبأي حال من الأحوال ، بل ان شعر ابي طالب آحاده متواترة كتواتر مجموعه ، اذ لا نغني بالتواتر وكما هو معروف لدى اهل العلم والفقهاء من اخبار جماعة من المحدثين بغير متحد لفظاً او مضموناً يمنع منه عادة التواطؤ على الافتراء والاختلاق والكذب والافتعال ، وهو متحقق ذاتاً وروحاً بالنسبة الى ما ذكره المؤرخون من شعر ابي طالب رضوان الله عليه ، وهكذا الحال بالنسبة الى ضربات امير المؤمنين علي ، فان آحادهما اشهر من ان

تذكر واجل من ان توصف ، وقد سجلها المخالف والمؤلف ، اللهم إلا ان يكون للمتواتر عند ابن أبي الحديد معنى خاصاً ومصطلحاً متميزاً لا نعرفه ولا نتميزه .

ونقل الطبري في الذرايع ص ١٠٤ بطريقه الى مقاتل انه قال : لما رأت قريش النبي وقد علا امره وانتشر صيته وظهرت دعوته ، تداولوا امرهم فيما بينهم وقالوا : لا نرى محمداً الا ازداد تكبراً وتجبراً ومعنوية ، وما هو الا ساحر كذاب ، فلنعتقد النية من الآن على قتله اذا مات ايسر طالب ، في حال ان ابا طالب كان مريضاً وعلموا ببنو امارات الموت عليه . فهم ابو طالب بما نووه وبيتوه للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، اذ يجلس وكأنما قد نشط من عقال ، ثم ارسل على جميع بني هاشم ، فحضروا كافة فعرفهم على مؤامرة الشرك والكفر وأوقفهم على جليلة تصميمهم من قتل محمد رسول الله ، الأمر الذي يحذوهم الى التضاد والتكاتف ومساندة محمد وصيائه من عبث العابثين ودسائس المحرمين اليهود : يا قومي واسرني بالاولادي واحبتي ان ابن اخي محمداً نبي هذه الامة ورسول هذا الزمن ، وانه نبي صادق وامين ناطق ، وان له شأنًا عظيمًا . وان مكانه من الله اعلا مكان ، فأجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته وقاوموا عدوه وسبروا وراء حوزته ، فانه الشرف لكم ما بقي الدهر .

ونقل الطبري في الذرايع ص ٩٠ نقلاً عن السيرة الهاشمية ١ / ١١٣ عن ابن اسحاق انه قال : كان ابو طالب لا يفارق النبي ابدأ في حلسه وترحاله ، حتى انه حله معه في سفرة تجارية الى الشام ، فحطت القافلة انقالها في اثناء الطريق ، فالتحق ابو طالب برسول الله ناحية ففرش له واجلسه ، واذا ابراهب يستطرق ، فرأى غمامة تفضل للنبي عن حرارة الشمس ،

فاستغفره الحادث فصار يتأمل في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله مدة
ثم اقبل اليه مسرعاً فجثى بين يديه خاضعاً خاشعاً ، ثم اهوى على يديه
ورجليه يقبأها وقال أأنت أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ؟

قال النبي : نعم انا محمد بن عبد الله .

قال : يا محمد عندي عدة اسئلة اود ان تجيبني عليها .

قال : نعم سل عما بدى لك .

فصار يسأل والنبي يجيب وهو يقول : صدقت يا محمد هكذا كان في

التوراة ، لكن بقي عندي شيء واحد ارجب ان تطلعني عليه .

قال : وما ذاك ايها الراهب ؟

قال : ان تكشف لي عما بين كنفيك ، فسكت النبي وتأمل ، فقال

الراهب : يا ابا طالب ان ابن اخيك حاذر مني قم انت تول ماطلبت .

فقام ابو طالب فرفع الثوب عن كتفي رسول الله ، واذا بنخاتم النبوة

مطبوع بين كتفيه ، فأهوى عليه يقبله ويتبرك به وهو يقول : يا ابا طالب

قدم الحفاظ على حياة محمد على كل عزيز عندك وغال عليك ، اني ارى

لك ان ترجع عن سفرتك بابن اخيك هذا الى وطنه ، فاني احذر عليه

واحاف عليه من اليهود ، فانهم ان وقفوا منه على ما وقفنا انا عليه منه

لا يستدبرونه حتى يقتلوه . فسمع ابو طالب نصيحته وعاف ثروته وتجارته

وكر راجعاً الى مكة .

قال ابن هشام : وكان خاتم النبوة المنطبع بين كتفي النبي مثل اثر

الحجامة .

وقال ابو سعيد الواعظ في مؤلفه شرف المصطفى والقاضي في المواهب :

لما دنت الوفاة من عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وآله ادنى

اليه ولده الأكبر ابا طالب ، وكان يعتمد في مهامه وقضاياه ، فقال له

يابني يوشك عما قريب ان افارق هذه الدنيا واكون في جوار ربي وزوجته ،
وفي نفسي شيء يهمني ويعنيني كثيراً من المحافظة على محمد وصحبه والخير من
على سلامته وراحته .

فقال ابو طالب : يا ابتاه جعلت فداك ومن كل مكروه وقاك ، الله
يعلم ويشهد لم يكن عندي شيء في هذا الوجود اعز علي او اهم عندي
من محمد ، فهو روعي التي بين جنبي ونور عيني ، فترجئاً يا ابتاه وطب
نفساً ، فاني سأقوم بكل ما يسرك من خدمتي الى محمد ومجاظفتي عليه
ومفاداتي اياه بدمي وحياتي وكل عزيز علي .

وحدث صاحب البحار وجاء في المناقب كما حدث ابن وكيع في تفسيره
عن سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم عن ابيه عن ابي ذر الغفاري
انه قال : كان ابو طالب مجموعة معارف واضمات من الفضائل والمآثر ،
له احاطة واسعة بشئى اللغات ، ولا سيما اللغة الحبشية ، والله الذي لا اله
إلا هو مامات ابو طالب الا مسلماً مؤمناً ، وقد استظهر الحبشيون منه
اسلامه وایمانه بلغتهم .

وقال صاحب الكافي بطريقه الى اسماعيل بن زياد عن الامام الصادق
عليه السلام ان ابا طالب لشدة تمسكه بالدين وحرصه عليه ورغبة منه بالابانة
عنه بكل صورة ووسيلة تحتها المناسبات وتفرضها الظروف الخاصة ، قد
دلل على ذلك أمام جماعة لهم إلمام بعلم العقود ومعطياتها ، فوجدوا قد عقد
بيده ثلاث وستين عقداً ، فقالوا : انه قال اشهد ان لا اله الا الله محمد
رسول الله ، فعقد الخنصر والبصر وعقد الابهام على الوسطى يكون ثلاثة
وستين عقداً يرمز بالشهادة لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم
بالرسالة .

ومما يؤيد ذلك ما رواه شعبة عن قتادة كما نقله القاضي في المواهب

والطبيسي في الذرايع في حديث طويل نقتطف منه ما يخص الموضوع قالوا جميعاً : قال الحسن البصري : لما حضرت ابا طالب الوفاة ادنى اليه رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يشمه ويأثمه وهو يبكي ويقول : سوف اخرج من الدنيا الى رحمة ربي ولا غم يلم بي الا غمك ولا هم يهمني الا همك . فقال له رسول الله : يا عم لا تكن في ضيق من اجلي ، الله يا عم ارحم الراحمين ، فجزاك الله عني يا عم خير جزاء المحسنين ، لقد كفلت وأديت وناصرت وحاميت ، وفي نفسي شيء اريد ان تجلده به العهد وليكون ذلك سنة باقية وليكون آخر نطق تخرج به من عالم الدنيا ، هو ان تشهد الا إله الا الله وان محمداً رسول الله .

قال العباس بن عبد المطلب للنبي : يا بن اخي لقد قال عمك الكلمتين اللتين امرته بهما . ثم عقد ابو طالب بيده ثلاثة وستين عقدة ، فقال علي عليه السلام حين رأى عماية العقود تلك وكأنه قد فهم مراد ابيه : الله اكبر ، فوالذي بعثك بالحق يا رسول الله نبياً لقد شفعتك الله في عمك ، ثم التفت الى ابيه وقال : شاء الله لك يا ابتاه ان تسودنا في الجنة كما سددنا في الدنيا .

ونقل النقدي في المواعظ والطبيسي في الذرايع عن جملة من المفسرين انهم قالوا : نزل على اثر وفاة ابي طالب على رسول الله قول الله تعالى : « يا عبادي الذين آمنوا إن ارضي واسعة فإياي فاعبدون » فاستفاد رسول الله منها انها ترجيح له بالهجرة عن مكة ، لغاية ان يتخلص من اذى الشرك ومؤامرات اليهود الكافرة ، وبالتالي صمم صلى الله عليه وآله على مغادرة مكة وواصل السير الى المدينة .

وذكر صاحب اكمال الدين والعال بسنده الى محمد بن احمد الداوردي عن ابيه انه قال : كنت قد حضرت مجلساً عند ابي القاسم الحسين بن روح

اذ سأله رجل فقال : ياسيدي ما معنى قول العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله عليه وآله في مناسبة جرى فيها ذكر ابي طالب : يا بن اخي كنت انا واخي ابو طالب في مجلس يحتوي على جماعة يزعمون انهم على اطلاع بعلم العقود وحساب الجمل ، اذ يعقد ابو طالب بيده ثلاثة وستين عقداً ، فقال الحاضرون ان معنى ذلك إله أحد جواد . فقال الحسين : نعم الأمر كذلك وانا شارح كيف ان عمل عم الرسول يشير الى ذلك بالتفصيل : فالألف واحد ، واللام ثلاثون ، والهاء خمسة ، والألف واحد ، والحاء ثمانية ، والذال اربعة ، والجيم ثلاثة ، والواو ستة ، والألف واحد ، والذال اربعة ، فذلك ثلاث وستون .

اقول : ان هذه الفكرة من عم الرسول العظيم إن دلت على شيء فهي انما تدل على انه رضي الله عنه كان يتفنن باظهار ما يدل على ايمانه وتدبيره ، ويتكيف حسب الظروف والمناسبات ، وهذه القضية لم تكن متصورة على ذكر صاحب اكمال الدين فقط ، بل ذكرها جملة من المحدثين والمؤرخين ، مثل ابن الجوزي في التذكرة وابن ابي الحديد في شرح النهج والجلسي في البحار والصدوق والسيد علي خان في درجاته والسيد ابن فخار الموسوي في الحجة والقاضي في المواهب .

* * *

ورأينا ان نصير الى ما قبل في حق ابي طالب وفضله من الشعر الراقي والنظم الكريم ، وقد اخبرنا من ذلك ما يلي بعد هذا البيان القصير . فنقول : لقد مجد الكثير من عباقرة الشعر والأدباء العباقرة شخصية عم الرسول الهاشمي ابي طالب ، وعددوا قسماً من فضائله وجملة من محامده ومحاسنه ، واخباره مما يمتنع به من مزايبا وتوضيحات في سبيل اعلاء كلمة الله والحفاظ على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله .

نعم نظموا الشيء الكثير - جمعه يتوقف على تحضير مجلد كبير ، ولكن
تمشياً مع سيرتنا في مؤلفنا هذا من الاختصار نقتطف بعض ما قبل قديماً
وحديثاً ، ولعلنا نوفق الى مجموع ما نذت به شفنا الشعراء الأماجد ، فنخصص
له مؤلفاً منفرداً انشاء الله .

واول مقطوعة تطالعنا فهفت لها نفوسنا ومشاعرنا هي مقطوعة لسيدنا
ومولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، قالها راثياً اباہ العظيم
بعد وفاته :

أرقت لنوح آخر الليل غردا	يذكرني شجواً عظيماً مجددا
ابا طالب مأوى المساكين والندی	وذو الحلم لا خلقاً ولم يك قعددا
أخا الملك خلی ثامة سيسدها	بنو هاشم او يستباح يهمدا
فأمنت قريش بفرحون بموته	ولست اری حياً يكون مغلدا
ارادت اموراً زبنتها حلومهم	سنورد لهم يوماً من الغي موردا
يرومون تكذيب النبي وقتله	وان يفترى قدماً عليه ويحدا
كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم	صدور العوالي والصفیح المهندا
ويبدو منظر ذو كربة	اذا ما تسربلنا الحديد المهندا
فاما تبيدونا ولما نبیدكم	ولما تروا سلم العشرة ارشدا
ولا فان الحی دون محمد	بنو هاشم خير البرية محتدا

وله ايضاً الأبيات التالية يشرك فيها بالثناء بين ابيه الزعيم وزوجة
رسول الله ام المؤمنين خديجة بنت خويلد : من حيث انها قد انتقلا الى
رحمة الله ورضوانه في عام واحد :

أعني جودا بارك الله فيكما	على هالكين ما نرى لها مثلا
على سيد البطحاء وابن رئيسها	وخيرة النسوان أول من صلى
فبينها اوصي الى الحق والهدى	فت أفاقي فيهما الهم والشكلى
هما نصرا في الله دين محمد	على من بغى في الدين رام به إلا

وقال السيد زيني رحلان في اسنى الطالب : وقد قيل في فضل عم
الرسول اني طالب هذه الأبيات ، والله در قائلها ، واكثر الظن انه هو
قائلها :

قفا بمطلع سعد عسزنا وبه	واملياً شرح شوقي في مغانيه
واستقبلا مطلع الانوار في افق	الحجون واحترسا ان تبهرا فيه
معنى به وابل الرضوان منهمر	ونائرات الهدى دلت مناديه
قفا فذا بلبل الافراح من طرب	يروى بديع المعاني في اماليه
واستمليا الأحاديث العجائب عن	بحر هناك بديع في معانيه
حامي الذمار بحير الجار من كرم	منه السجبا فلم يفلح مباريسه
عم النبي الذي لم يثنه حسد	عن نصره فتعالى في مرضيه
هو الذي لم يزل حصنا لحضرته	مرفقاً لرسول الله بحميه
فكل خير ترجاه النبي له	وهو الذي قط ما خابت مساعيه
قد خصك الله بالمختار تكلؤه	وتعز به فخراً وتطريسه
عنيت الحب في طه ففزت به	ومن نيل حب طه فهو يكفيه
كاشمت آيات صدق يستضاء بها	فتملأ القلب ايماناً وتحييه
من الذي فاز في الماضين اجمعهم	بمثل ما فزت من طه وباريسه
كفلت خير الورى في بتمه شغفاً	وصرت بالروح والابنا تقديه
عضدته حين عادته عشيرته	وكنت صائته من بغى شائيه
نصرت من لم يشم الكون رائحة	الوجود لو لم يقدر كونه فيسه
إن فمت في تأييد شرعته	هو الذي لم يكن ابدأ شيء يساويه
ان الذي قد احببت طلعتيه	حبيب وكل شيء في اياديه
لله درك من قناص فرصته	حين شممت بروق امان من نواحيه
بهنيك فوزك ان قدمت منك يداً	الى وفي صفى عظيم في نواحيه

من يسد أحسن معروف لأحسن مخلوق

ينسل فوق ما تبغي إمانيه

فيا سعيد المساعي في متاجره قد صبت ربك استهمي غواديه

مستمطراً منك وزن الخير معترفاً بان غرس المني يعنى بصافيه

وحدث اهل السير والتراجم - منهم الحلبي وابن هشام في سيرتيهما -

ان جماعة من الأعراب المجاورين الى مكة المكرمة قد منسوا بقحط شديد

وازمة اقتصادية حادة ، وذلك على اثر انحباس المطر عنهم ، فأوقف سير

حركتهم المعاشية ، فقصدوا رسول الله ليستسقي لهم حتى ينكشف ما بهم من

ضرر مسهم وكانوا قد صوروا حاجتهم تلك بأبيات كان مطلعها :

اتيناك والعذراء تدمى بالبائها وقد شغلت ام الصبي عن الطفل

فاستصرح رسول الله صلى الله عليه وآله يسأل الله عز وجل لهم

الفرج والغوث ، وما ان استتم دعاءه حتى امر الله السماء أن تلقي عزاليها ،

فنزل المطر كأفواه القرب ، فاستبشر الناس وفرحوا فرحاً عظيماً ، فتبسم

رسول الله عند ذلك وقال : رحم الله عمي ابا طالب ، لو كان حياً لقرت

عينه . فقام الشاعر عند سماعه هذه الكلمة من النبي في حق عمه العظيم ابي

طالب ، فانشأ بين يديه وقد شرك في المدح بينه صلى الله عليه وآله وبين

عمه ابي طالب فقال :

سقيننا بوجه النبي المطر

واشخص منه اليه البصر

واسرع حتى رأينا المطر

وابيض تسطح منه الغرر

وهذا العيان لذاك الخير

ومن يكفر الله بلقي الغير

لك الحمد والحمد من شكر

دعا الله خالقه دعوة

فلم يك الا كالقاء الرداء

فكان كما قاله عمه ابو طالب

به الله يسقي صوب الغمام

فن يشكر الله بلقي المزيد

هذا والنبي صلى الله عليه وآله صاغ فرح بما يقوله ، وبعد ان فرغ
قرضه رسول الله فقال له : يا كناني ان بك شاعراً يحسن الشعر فقد احسنت
واجدت .

اقول : وقد علق السيد البرزنجي الشافعي في مختصره على قولة النبي
صلى الله عليه وآله وسلم « رحم الله عمي ابا طالب لو كان حياً لقمرت
عينه » فقال : وتلك شهادة خير من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله
وسلم في حق عمه الزعيم ابي طالب ، كما انها بيان عن واقع ابي طالب من
انه كان يفرح بتكثر كرامات رسول الله وفضائله وبما يفتح الله على يديه
من الخيرات والبركات ، وذلك من أفضل علامات الايمان .
وقال عبد الحميد بن ابي الحديد يمتدح ابا طالب وابنه علياً عليهما
السلام :

ولولا ابو طالب وابنه	لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى	وهذا يثرب خاض الحاما
تكفل عبد مناف بأمر	واودى فكان يملئ ختما
فقل في ثبير مضى بعدما	قضى ما قضاه وابقى شاما
قله ذا فاتحاً للهدى	ولله ذا المعالي ختما
وما ضر محمد ابي طالب	جهول لغني او بصير تعاما
كما لا يضر آبات الصباح	من ظن ضوء النهار الظلاما

وذكر السيد علي خان في درجاته الرفيعة : ابناً للسيد الشريف عبد الله
ابن حمزة الحسيني رئيس الطائفة الزيدية يمتدح بها جده الأعلى ابا طالب ،
نقتطف منها هذين البيتين لأنها بيتا القصيد :

حياه ابونا ابو طالب	واسلم والناس بعد لم تسلم
وقيل كان يكرم ايمانه	وأما الولاء فلا يكرمكم

وذكر السيد زيني دحلان هذه الأبيات للشعراني :

إن القلوب لتبكي حين تسمع ما	أبدى أبو طالب في حق من عظماء
فان يكن نسب الاصحاب ان له	ناراً قلله كل الكون يفعل ما
اما اذا اختلفوا فالرأي أن تردوا	مورداً يرتضيه عقل من سلما
تتابعاً ، لثبتي الايمان من زمر	في معظم الدين تابعناهم فكما
هم عدول ثقات في مطالبهم	فلا تقل انهم لم يبلغوا عظماء
لا تزدرهم اتدري من هم فهم	هم عرى الدين قد اضحوا الزرعاء
هما السيوطي والسبكي مع نفر	كعدة النقا حفاظ اهل حصا
واهل كشف وشعرانيهم وكذا	القرطبي والسحيمي الجميع كما

اقول : الذي يستشف من ذوق قائل الأبيات انه اشعري الطريقة والمبدأ ، فانه اظهر في البيت الأول تأله وتوجهه كلما اطلع او قرأ عن مواقف ابي طالب وخدماته واسمائه في سبيل الله ، وازاء المحاماة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن الطبيعي لا بد وان يكون لبكائه وتأثره دافع وسبب ، وما ذاك الا استجابة مظلومية ابي طالب وسكوت بعض المحدثين والمؤرخين عن واجب حقوقه : وتقصيد البعض الآخر الى الخط من قسره والتبيل من سمعته وكرامته ، في حال انه يجب ان لا يذكر الا بخبر وان لا يشار اليه الا بكفالة الرسول ونصرته لدينه وتأييده لشرعته ، وذلك لما يفرضه الواجب الانساني والأدبي ، والواقع الذي سجله التاريخ لعم الرسول العظيم .

اما الشطر الأول من البيت الثاني فيفيد الاستنكار وعدم الرضا بما نسبته بعض المؤرخين من رواة ومحدثين من نسب تنافي ومقام عم النبي العظيم وقداسته .

وأما الشطر الثاني فانه تظهر عقيدته الاشعرية المهادفة الى ان نسبة المائة

على غير الايمان الى ابي طالب . وان قال بها بعض الأهاظم من علماء
وثقة - الا ان الحكم لله وحده يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، لا يعارض
في حكمه ولا ينازع في أمره ، يدخل الجنة من يشاء ويدخل النار من يشاء ،
وعليه فمن الممكن اذاً ان يصدر الأمر منه تعالى بادخال ابي طالب الى
الجنة ، واذا كان كذلك يبطل استدلال الجماعة القائلين بأنه في ضحضاح
من نار ، لأنه متى ما قام الاحتمال بطل الاستدلال .

ثم اظهر معتقده وأبان عن تأييده للجماعة الذين ذهبوا الى ايمان ابي
طالب ، لأنهم ممن لا يناقش في ورعهم وتقاهم ، ولا يجتهد في وثاقتهم
ورواياتهم ، اذا قولهم الحق والصدق ، والحق احق ان يتبع .

وللسيد علي خان صاحب الدرجات الرفيعة هذه الأبيات :

ابو طالب عم النبي محمد	به قام أزر الدين واشتد كاهله
ويكفيه فخراً في المفاخر كلها	مؤازره دون الانام وكافله
لئن جهلت قوم عظيم مقامه	فاضر ضوء الشمس من هو جاهله
أقر بدين الله جهراً وشرعه	فقال عدو الحق ما هو قائله
وماذا عليه وهو في الدين هضبة	اذا عصفت من ذي العناد أباطله
وكيف يحل الدم ساحة ماجد	اواخره محمود واوائله
عليه سلام الله ماذر شارق	وما تليت أخباره وفضائله

وللحجة الشيخ محمد الحسين الاصنهاني قدس سره هذه الارجوزة :

نور الهدى في حق عم المصطفى	في غابة الظهور في عين الخفا
في سره حقيقة الايمان	سر تعالى شأنه عن شان
ايمانه يمثّل الواجب في	مقام غيب الذات والكنز الخفي
آياته عند أولي الأبصار	اجلى من الشمس ضحى النهار
وهو كفيل خاتم النبوة	وعنه قد حامي بكل قوة

ناصره الوحيد في زمانه
 عميد أهله زعيم أسرته
 حجابيه العزيز عن أعدائه
 فاجل شرفاً وجاهلاً
 قام بنصرة النبي السامي
 جاهد عنه اعظم الجهاد
 حماه عن قريش الكفرة
 اكرم به من ناصر وحامي
 كفاه فخراً شرف الكفاله
 لسانه البليغ في ثنائه
 له من المنظوم والمنثور
 ينبي عن ايمانه بقلبه
 وأشرقت ام القرى بنوره
 وكيف لا وهو ابو الأنوار
 مبدأ كل نير وشارق
 بل هو بيضاء كل مجد
 له السمو كبراً عن كابر
 ازكى فروع دوحه الجليل
 بل شرف الأشراف من عدنان
 له السمو ما يسمو على
 ووالد الوصي والطيار
 بنوره اضاءت البطحاء
 كيف ومن غرته تجلى
 وكيف لا وهو كفيل المصطفى

وركنه الشديد في أوانه
 وكهفه الحصين عند شدته
 وحرزه الحرز في ضرائه
 من حرز ياسين وكهف طه
 حتى استوت قواعد الاسلام
 حتى علا امر النبي الهادي
 بصولة ذلت لها الجبابره
 وكافل ليد الانعام
 لصاحب الدعوة والرساله
 أمضى من السيف على أعدائه
 ما جعل العالم زاهي النور
 وأنه على هدى من ربه
 وكل نور هو من نور طوره
 ومطلع الشمس والاقمار
 وكيف وهو مشرق كل شارق
 ملك عرش ابا عن جد
 فهو تراثه عن الأكابر
 فياله من شرف اصيل
 ملاذها من نوب الزمان
 ذرى الضراح والسموات العلى
 وهو لعمرى منتهى الفخار
 بل وبه اضاءت السماء
 لأهله نور العلي الأعلى
 ابو الميامين الهداة الخلفاء

ساد الورى بمكة المكرمه	فحاز بالسودد كل مكرمه
بل هو فخر البلد الحرام	بل شرف المشاعر العظام
وقبله الآمال والأمانى	بل مستجار كعبة الايمان
وفي حى سؤده وهيتته	تم لداعي الحق امر دعوته
ما تمت الدعوة للمختار	لولاه فهو اصل دين الباري
كيف وظل الله في الانام	في ظله دعى الى الاسلام
وانتشر الاسلام في حماه	مكرمه ما نالها سواه
رايته علت بعالي هته	كفاه هذا في علو هته
مفاخر يعلو بها الفخار	مآثر تحلو بها الآثار
ذاك ابو طالب المنعوت	من قصرت عن شأنه النعوت
يجل من اي مديح قدره	لكنه يجاو القابو ذكره

والشيخ محمد الحسين قائل هذه الارجوزة العظيمة التي تتناسب ومقام
عم النبي الكريم هو من اعظم العناء والعناء الأعظم ، له في كل فن يد
طولى وإلام لا يضاهى ، لقد برع في الفقه والأصول والفلسفة ، واوشك
ان ترجع اليه الزعامة الدينية والتقليد العام في النجف الأشرف وغيرها من
البلدان الاسلامية ، لو لا ان تفاجئته المنية فتحول دونه ودون الزعامة العامة
وللسيد الحجة العلم السيد ميرزا عبد الهادي الحسيني الشيرازي هذه
الآيات :

ولي مدحة في مدحة النذب	والدائمة اعدال الكتاب اولي الامر
هو العلم الهادي ازين بمدح شعوري	ويزهو في مآثره شعري
ابو طالب حامي الحقيقة سيد	تران به البطحاء في البر والبحر
ابو طالب والحيل والليل واللوا	له شهدت في ملتقى الحرب بالنصر
ابو الأوصياء الفرع محمد	تضوع به الأحساب عن طيب النجر

لقد عرفت منه الخطوب محنكاً
 كما عرفت منه الخطوب أحنكاً
 فلنا واخذ الدنيا وثان له الحيا
 وأنا يحيط الوصف غر خصاله
 حمى المصطفى في بأس ندب مدجج
 فلولاً نداء لم تنجح لطفه دعابة
 وآمن بالله المهيم والسورى
 وجابه اسراب الضلال مصدقاً
 كفى مفخراً شيخ الأباطح انه
 وصلى عليه الله ما هبت الصبا

تدرع يوم البأس بالبأس والحجر
 روين سداه الغمر ملتطم البحر
 وقل في سناه ثالث الشمس والبدر
 وقد عجزت عن سردها صاغة الشعر
 نذل له الأبطال في موقف الكر
 ولا كان للاسلام مستوسق الأمر
 لهم وثبات من يعوق ومن نسر
 نبي الهدى اذ جاء يصدع بالأمر
 ابو حيدر المتدوب في شدة الضر
 برياتنا شيخ الأباطح في الدهر

والسيد الشيرازي قدس سره علم من اعلام الدين وبطل من ابطال
 العلم ، نبغ في شتى أنواع العلوم ، واشتهر بالتقى والصلاح والعدل ، وشاع
 ذكره في الآفاق الاسلامية ، فقلده المسامون في امور دينهم ، الى ان انتقل
 الى رحمة ربه في سنة الف وثلثمائة واثنين وثمانين هجرية ، ودفن في مقبرة
 آل الشيرازي في جنب الصحن العلوي الشريف ، يزار قبره الآن من قبل
 رجال العلم واهل الدين ، طيب الله ثراه وحشره في زمرة اجداده الطاهرين .
 وللعلامة الكبير الشيخ محمد تقى صادق العاملي قدس سره هذه الأبيات :

بسیف علي قد اشيدت صروحه
 ابو طالب اصل المعالي ورمزها
 توحد في جمع الفضائل والنهى
 وتنحط عنه رفعة هامة السهى
 حمى الخائف اللاجي ومربع أمته
 تخلق في جمع المكارم نفسه
 كما بأبيه قام قدماً بنـاؤه
 ومبدأ عنوان الهدى وانتهـاؤه
 وضم جميع المكرمات رداؤه
 ويلج في عرف الخزای ثناؤه
 وكعبة قصد المرتجي اللاجي وغناؤه
 ويسمو به لليرين رداؤه

اصاخ الى الدين الحنيف ملياً
 وباع لإعزاز الشريعة نفسه
 وللعلامة الكبير الشيخ محمد علي الأردبادي طاب ثراه هذه الايات:
 بشيخ الاباطحين فشا الصلاح
 براه الله للتوحيد عضباً
 وعم المصطفى لسواه اضحى
 نضا للدين منه صفيح عزم
 واشرع للهدى بأساً مربعاً
 وأصحر في الحقيقة في قربض
 صريخة هاشم في الخطب لكن
 اخو الشرف الصراح اقام امراً
 فلا غاب يدنس له ولكن
 ومنه الغيب إما عم جذب
 مناقب أعيت البلغاء مدحاً
 وصفو القول ان ابا علي
 ولكن لابنه نصبوا عداءً
 ونالوا من ابيه وما المعالي
 وضوء البدر ابلج لا يوارى
 وهبني قلت إن الصبح ليل
 فدع بمناهة التضييل قوماً
 فذا شيخ الاباطح في هداه
 ابو الصيد الأكارم من لوي
 لهم كأبيهم إن جال سهم
 لدعوته لما اتاه نداءه
 فجعل قدراً يبعه وشراؤه
 وفي انواره زهت البطاح
 يلين به من الشرك الجماح
 حمى الاسلام نهباً يستباح
 عنت لمضائه البيض الصفاح
 تحطم دونه السر الصفاح
 عليه الحق بطفح والصلاح
 تزم لتبله الابل الصلاح
 جداه لملك الشرف الصراح
 غرائر ما برحن به سجاج
 وفيه الغوث ان عن الصباح
 وتنفذ دونها الكلم القفصاح
 له الدين الأصيل ولا براح
 وما عن حيدر فضل بزاح
 لكل محاول قصداً تبساح
 وإن يك حوله كثر النباح
 فهل يخفى لذي عينين الصباح
 بمرتبك الهوى لهم التباح
 تصافقه الأمانة والنجاح
 ججاجج إمامة وضاح
 لأهل الفضل فائزه قفصاح

ومن لكناهور الهند هذه الأبيات ، فهي للعالم السيد علي نقى الكنهوي :

زهدت أم القرى بأبي الوصي	غداة غداً يذب عن النبي
وقام بتصرة الاسلام فرداً	يراعم كل محتال غسوي
وأبصر رشده من دين طسه	فجاهد فيه في السر الخفي
وأمن بالإله الحق صدقاً	بقلب مسوحد بر تقى
بنى للسودد العربي صرحاً	محاطاً بالقضار الهاشمي
تلقى الرشيد عن آباء صدق	نوازته صفيّاً عن صفى
كان الامهات لهم ايين الا	يلدن سوى نبي اووصي
فكان على الهدى كآبيه قدماً	ولم يبرح على النهج السوي
وكان به رواء الشرع بدءاً	وتم بنجلاه الزاكي علي

وللعلامة الكبير الشيخ عبد الحسين صادق العاملي هذه الأبيات مقتطفة

من قصيدة طويلة :

لولاه ماشد أزر المسلمين ولا	عين الخنيفة سالت في مجاريها
آوى وحاماً وساوى قيد طاقته	عن خير حاضرها طراً وباديها
ما كان ذاك الحفاظ المرأطة	ارحام وضرب عروق فاز عاليها
بل للاله كما فاهت روايعه	العصماء في كل شطر من قوافيها
ضاحت بما رحبت ام القرى	برسول الله من بعده واسود ضاحيها
فانصاع يدعو له بالخير مبتهلاً	يدعو الى الحق لا ينفك داعيها
لولم تكن نفس عم المصطفى طهرت	ما فاه فوه بما فيه ينجيها
عام به قضى عمه فيه وزوجته	قضاء بالحزن يبكيه ويبكيها
أعظم بمبكي المصطفى سنة	أيامها البيض ادجى من لياليها
من صلبه انبت الأتوار قاطبة	فالمرتضى بدوها والنحر ناليها

والمقاضي الشيخ محمد السماوي هذه الأبيات :

غدا كسرة في يدي لاعب	فؤادي بالغادة الكعاب
فن طالع لي ومن غالب	كأنني يدائرة من هوى
بمقطع النظر الصائب	بليت بمن ضربت خدرها
فمن مشرفي الى راغب	بحيث الصفاح وحيث الرماح
كأن اباه ابو طالب	لها منعة في ذرى قومها
شيخ الاباطع من غالب	فخار الأبي وعم النبي
الى ذروة منه او غارب	وأمنع لا يرتقي اجل
يعود يتحية الناصب	اذا الرافع الطرف يرنو له
كما جرد الغمد عن قاضب	تهلل طلعه للعيون
بأربعة كالسنا الشاقب	أقام عماد العلي سامكاً
ومثل عقيل الى طالب	يمثل علي الى جعفر
من قالص الذيل الى ساحب	اولئك لازمعات الرجال
على راجل ثم او راكب	ومن ذا كعبد مناف يطول
بمكة ممتنع الجانب	حمى الدين في سيفه فانبرى
لأمر جلي على الطالب	وآمن بالله في جهره
وآخر مبد له كاذب	وصدق احمد في وحيه
ومنتجع الوافد والراغب	لنعم ملاذ الهدى والتقى
إذ الدين منفرد الصاحب	ومعتصم للدين في مكة
مدى العمر من وثبة الواثب	ومانع حوزة اهل الهدى
ينادي على المنهج اللاحب	فلولاه ما طفق المصطفى

ولفضيلة السيد محمد جواد فضل الله اللبناني هذه الأبيات :

وغاض الندى وتوارى النغم	عصافي البيان وجف القلم
على أفاقه همسات السقم	وأحسست ان الشعور الطليق

وغارت عيون الخيال الرقيق
وقيثارة الوحي من وقعها
وصباحة الشعر همس الخطوب
أما تبهى النغمات الحسان
هي الحادثات اذا ماتت
الى ان يقول :

ابا طالب ياسليل الأباة
تساقطت عرشاً بأفق الحياة
مدى الدهر ذكر الكفى الخافقين
حياتك سفر به قد لمسنا الثبات
أبنت لنا فيه سر الحياة
وكيف تذب بهذى النفوس
ابا طالب هل يوفى القريض
محمد هذا اليتيم الذي
تكفاته وهو غصن طري
حنوت عليه وباريته
فكنت له خير ام رؤوم
وارشفته من كؤوس الحياة
والمسته فيك عطف الأبوة
وان الأمومة تحنو عليه
الى ان تعدى لدور الشباب
ونارت بأفكاره قبسة
وأبصر ان حياة الهدى

وكانت الى الشعر خير الأرم
توارى الغناء بطي العدم
على افتتها لاح منه السأم
غل السكون بها وادلهم
تخيم فوق الشعور الظلم

وشيوخ الاباطح وأصل الكرم
فكنت به خالداً في الامم
ترق فتبعث منها الهمم
تفيض منه علينا الحكم
وكيف به عن الحق تجلى الغمم
عن الحق حتى تذوق الحمم
خصيلاً بها بلغت القمم
بنهضته هدأ عرش الأمم
وغذيته بابان الشمم
حنو الامومة بل أهم
تباريه عند انسداد الظلم
كؤوساً تبارك فيه الهمم
ديناً تفيض منه عليه النعم
وترشفه قبلات النهم
وودع دور الصبا وانصرم
من القدس تكشف عنها الظلم
على معزل من حياة الضم

وان الحقيقة قد ابهمت
تفرد في غاره وانزوى
ففاجأه الوجي باسم الإله
وبلغ رسالتك العالمين
فناصرته واتبعت الهدى
ابا طالب كنت في جبين الحياة
عن الحق ناضلت حتى قضيت
وكنت خير حصن حصين
أذقت الذي به يستغنون
وقلت لأحمد سر في الحياة
ولا تترهب من ضواري الخطوب
أبا طالب قد طواك الردى
وغامت دنا المجد آفاقها
وكنت بها كالسراج المنير
ترجع فيها بلحن الإباء
فخلدت رمزاً لدنيا الكفاح
ابا طالب من بأفق الجهاد
ثبات وعزم به استوقدا
وروح يرف عليه الآباء
وقلب به تفيض العاطفات
رحلت وانت بأفق الحياة
ابا طالب أذ داهمتك المنون
نعتك البطاح ومن في البطاح

وان الضلال تغطي الأمم
عن الناس يعبد رب العزم
ان اقرأ عن اللوح ثم القلم
فأنت رسول الاله العلم
وانقذته من عظيم النعم
طبعت لروحك ذكراً اشم
وللعدل كافحت حتى احتكم
بسه يحتمي عند ما يقتحم
شناناً وهدماً مرير السقم
تبشر بدينك دين الامم
ففيك غدا جهرأ يرض الصنم
فلف بأفق الجهاد العلم
فحلت محل الضياء الظلم
بضيء عليها وبدراً اتم
نشيداً يرق عليه النغم
وخلدت للمجد طوداً اشم
يرف لواء فيمحو الأمم
فكان مثال العلى والشم
وتحقق في جانبيها الشيم
وتبعث من فوهيته الهمم
نسيم البطولة اذ يستشم
فلف لواء الندى والكرم
مناراً به تتوارى الظلم

بقربك - نال العلى والشعم
يجف البيان بسه والقلم

وللقاضي الشيخ جعفر نقدي هذه القصيدة :

وحيا خدودك فيه ري الصادي

ونكس عرش الهدى بعدما

فخطبك خطب ولا كخطوب

برق ابتسامك قد أضاء الوادي

والى ان يقول :

مهما تراكمت الخطوب فلإنها

عبد المناف الطهر عم مجد

غيث المكارم ليث كل كريمة

شيخ الأباطح من بصارم عزمه

دانت لديه المكرمات رقابها

جد الائمة شيخ امة أحمد

سيف له المجد الأثيل حمائل

داعي الورى للرشد في عصره

وله قریش كم رأت من معجز

كرضاعه خير البرية احمد

وبشارة الاسد الهصور بنجله

وكلامه بالوحي قبل صدوره

وبيوم مولد احمد إخباره

وله على الاسلام من من غدت

كفل النبي المصطفى خير الورى

وباه طفلا واقفاه يانعا

ولأجله عادى قریشا بعدما

ورآهم متعاضدين ليقتلوا

تجلى منى بأبي الوصي انادي

الظاهر الآباء والأجداد

غوث المنادي بدر أفق النادي

باغ الانام لخطمة الارشاد

واليه ألقى الدهر فضل قيام

ربع الاماني مربع الوفا

وله الفخار غدا حلي نجاد

لا يعرف الناس به نهج رشاد

عرفوه فيه واحد الآحاد

وقبول دعوته لسقي الوادي

وشفاؤه بدعا النبي الهادي

وله انفجار الأرض لذهو صادي

عن حيدر الكرار بالميلاد

للمسلمين قلائد الأجياد

ورعى الحقوق له بصدق وداد

وحاه كهلا من اذى الاضداد

سلكوا سبيل الغي والافساد

خير البرية سيد الاجساد

فسطا بعزم ناله من معشر
وانصاع بقدي احمداً في نفسه
واقام ينصره الى ان اصبحت
قد كان يعلم انه المختار من
أفديه من فادٍ لواء للهدى
ولقد روى عن انبياء جدوده
وعلى به على كل الورى
ان ابن آمنه النبي محمد
راعت فيه قرابة موصولة
ياوالد الكرار والبطيار والأ
كم معجز ابصرته من احمد
من لصق احجار وخرق صحيفة
لا فخر إلا فخرك السامي الذي
ان المكارم لو رأت اجسادها
شكر الاله فعالك الغراني
لله همتك التي خضعت لها
لله هيتك التي رجفت لها
لله كفك كم بها من معدم
وللخطيب الشيخ جعفر الهلالي هذه الايات :

شم الأنوف مصالت الانجاد
ولجاء والاموال والاولاد
ترهو شريعته بكل بنسلا
رب العلى وعيد كل عماد
يحمي لأفصح ناطق بالضاد
فيه حديثاً واضح الاسبان
لما قال فيه بمطرب الانشاد
عندي يقوق منازل الأولاد
وحفظت فيه منازل الاجداد
طهار ابناء النبي الهادي
باهلت فيه معاشر الحساد
وزول امطار ونطق جهاد
فقتت به ابصار اهل عناد
عين رأتك الروح للأجساد
فرحت بها املاك سبع شداد
من خوف باسك شامخ الاطواد
اعداء مجدك عصبة الاحاد
احييت في الاصدار والابراد

فيك ان تزدمني علا وافتخارا
يبعث العزم في النفوس الغيارى
عسونا وصارماً بتسار
لك لما حاز في الوجود انتصارا

ياابا طالب وحسب القوافي
ذكرك المحاو حافل بالتفاني
فلقد كنت للنبي على الكفار
وبك الدين تم نشرأ ولو لا

ويسيف ابنك الوصي ابي
انما في الوجود رمز التفاني
ايه شيخ البطحاء يابن الذين
قد قرأنا الايمان منك اعتقادا
وقرأنا فيك البطولة درسا
كنت فرداً تصد عادة الشرك
لم تطأ طيء هاما وسرت مجتدا
ولقد تقطع الليل سهرا نأ
ذاك في الله لا في صلة الرحم
كم صغت الايمان نفحة شعر
ايه عم النبي والدهر لا زال
ضيعت تارك الجهود رجال
حسداً لابنك الوصي وبغضاً
واذا ما اثنوا للذكر ابن صخر
كيف وهو الذي على الكفر
ذاك من قد سر بأحد وبالأحزاب
شن حرباً على النبي عسوانا
ومذ المصطفى دعاه الى الا
بل حذار من الحسام وما اقر حقاً
ابا طالب وماذا عساني أن
غير ان الفؤاد قد ماج و
انا في حبك المتيم لا اخشى

اليسطين من بعدك ازدهى واستنار
في سبيل الحق الصراح جهارا
اتخذوا المجد في الحياة شعارا
مذ ازحنا عن النفوس الستارا
مذ سبرنا التاريخ والاخبارا
وسيفاً يحطم الكفسارا
تبث العزم في السنين انتصارا
لتحيي المؤبد المختصارا
كذب المدعي عليك وجارا
لذوي الشرك ترسل الانذارا
يرينا العجائب يبدو جهارا
واشاعت برميك الاخبارا
لم يقيموا إلا على علاك اعتبارا
ألبسوه رد الهدى اكبارا
ضلالا يستحطب الأوزارا
اذ قاد جحفا جوارا
ليبيد الاسلام والانصارا
سلام في الفتح لم يحبه اختيارا
بل لم يزل كفسارا
اوتي من حقت المعشارا
جداً فغدا يبعث الولا اشعارا
ملالا ولا اخاف العثارا

وللسيد طالب بن السيد عباس الطباطبائي هذه الايات :
 تألق اقدمك الملهب فوجد في افقنا كوكب
 فتحت لنا صفحة في الحياة منورة للهدى تكتب
 وخلدت في عالم الخالدين سراجا بدنيا الهدى يلهب
 عشقت البطولة والمكرمات فرحت على لحنها تطرب
 وهزت اناشيدك الخافقين فرددها المشرق والمغرب
 ألت الذي ادهش العالمين واذهلهم مجدك المغرب
 وفجرته منبعاً للجلال سيبقى مدى الدهر لا ينضب
 جلالك وهو الجلال الرفيع رياض بها حيدر يخضب
 ومجدك وهو سماء الفخار به المرتضى كوكب ملهب
 وروحك نبع يفيض الكمال عليه يرويه إذ يسكب
 علي بنى الخجد والمكرمات وأنت لتلك السجايا اب
 بمجرك شب اليتيم وكنت له والداً بجذب
 نشرت عليه ضلال الحنان ليسلو بها قلبه المتعب
 وكنت اذا آلمته الحياة وراحت به نارها تنشب
 تذب رقة وانعطافاً عليه ويغمره حبك الملهب
 ونسكب في قلبه العاطفات فيزكو ومن ريعها يعشب
 ابا طالب انت اشراقه تكنفها للعلى موكب
 يشع بأفقه كوكبان بمجديهما ينجلي الغيب
 محمد وهو بدنيا الاباء لحون الكرامة إذ تطرب
 وحيدر وهو الابي المصور اذا ما التضى موقف مرعب
 سأصمت إماماتي الكلال عسى الصمت عن خاطري يعرب
 وانخسع ان رأيت الجلال بدنياك كالشمس لا يحجب
 واسمو بأفقهك افق الخلود فروحي باسلاكه تجذب

واصفوا لأنعامك الملهيات
وأهتف في نشوة واندهال
وللشيخ عبد الكريم طاهر الساعدي هذه الأبيات :

تغنى بك العالم الأرفع
ودوى صدك بأفق الخلود
وخلد ذكراك عمر السنين
تساميت رغم الحسود الذي
فتك القضيلة اسرارها
ورح الفضال على العالمين
وذكراك هبت كلطف الربيع
ورقت تحدها العاطفات
اشيخ الاباطح ماذا يقول
فقدسك اخرس بنت القريض
فعاد الشعور به ذاهلاً
فبا طالماً في سماء الخلود
وانت كنت للمصطفى
وحصناً يضم النبي اليتيم
وبنداً يرف على المسلمين
فكم وقفة دون خير الورى
نصرت النبي مذ قاومته
وقفت وأقسمت في ربيعها
ابا طالب سر بأفق الخلود
فتانيمك الفذ يوحى لنا

قلبي من وقعها يخاب
تساما بناء بها الكوكب
بأفق البطولة إذ تطلع
نشيداً وأفكارنا مسع
فكانت على هامها ترفع
يروم لقدسك ما يقرع
يفيض ومنهاها يترع
تعيدك نجماً بها يلمع
تعطر من نشرها الأربع
جلالا تسامى به الجمع
اديب وماذا يصف المصقع
وكانت لغبرك لا تخضع
وقدساً لغبرك لا يهلع
أهل وإيمانه المطلع
حمياً يراع به الأروع
وسيفاً بكف الهدى يلمع
وكهفاً منيعاً لهم يجمع
جنان الكمي بها يقلع
رجال قريش بما يفرع
لتنصره رغم من زعزعوا
فأنت على صرحها تسطع
خلودك في سفره يطبع

انصار لطلعتها المجمع
 عقود على جيدها ترصع
 ولحن الخلود له مقطع
 له الشهب في برجها تخشع
 تألق من قدسها الموضع
 وأقحل من بعدك المربع
 متى يقبر البطل المقرع
 ونور النبوة لا يقشع
 وليس لها في العلى مطلع
 بكف علي لهم مودع
 اتتك شكايكنا تفعج
 شقاء تشيب له الرضع
 وفي سيفه للهناء يصرع
 وطوراً يطالب ما يشع
 رمته الخصوم بما يقرع
 لغيري ازاهير تقطع
 سواي بسلسلة يشرع
 ليكشف عن صبحنا البرقع

عقود حياتك مذ لألأت
 وودت نجوم السما أنها
 فدوى صدك بأوتاره
 سمواً سمواً أبا المرتضى
 لئن انت وسدت في بقعة
 وذاب لرزتك قلب النبي
 وبانت قریش تعد النجوم
 لتخمد بعدك نور النبي
 فقبحاً لها من عقول هفت
 ألم يعلموا أن سيف الرسول
 أبا المكرمات الغر عذراً
 فان حياة الى جنبها
 ودهراً يحور بأحكامه
 وشعباً يثن بالأمه
 فان راح ما يطلب من حقه
 فإذا الحياة على روضة
 وماذا البقاء على منهل
 حنانيك مدد الينا بدأ

* * *

وللشيخ صاحب المواهب هذه القصيدة :

بالله يا قاصد الأطلال في العلم
 سلمت سلم على سلمى بذى سلم
 وحي حياً حوى منها هلال دجى
 يشق نور سناه بردة الظلم
 وقل لقد بقي المشتاق بعدكم
 رهن البرايا قرين الوجد والسقم

قد غادر الحب جماً منه لو خطرت
أجتموا دمه الحرام فهل
الله يا أهل ودي بعد بعدكم
كيف الوصول الى سلمى وقد نصبت

دعوتها اسود من عثرتها
لم يكفهم ما جنت اسيا فمقتلتها
يا عاذلي اكفيا عني ملامكا
هوأي في ذلك الوجه الملبح حكاً
الهدية من خير عم لابن اخ
حمى النبي عن الأعداء مجتهداً
وقام يدفع عنه كل قازلة
وكان اول من لباه حين دعا
أضحت لدين رسول الله دعوته
وكان شيخ بني البطحا وسيدهم
رعى وصايا النبيين الأولى سلفوا
كم مدحة مدح المختار نبي عن
من ذا يماثله في مجده وله
كفاه فخراً قد اختار الإله له
ائمة الدين أقار الهداية انوار
ياماجداً أصبح المجد الأثيل به
ويا اخا كرم عمت فواضله
لله منعك إذ أصبحت متصراً

به الرياح شكاً من شدة الألم
راعيتموه وانتم جيرة الحرم
براني الشوق بري السيف للقم
تخشاهم الاسد في الغابات والأجم
حتى اعدوا مواضيههم لسفك دمي
فان سمعي عن العذل في صميم
هوأي طالب في سيد الامم
عم البرية في فضل وفي كرم
في نصره بعد ما رياه في اليتيم
بقديه في نفسه من كل مصظم
الى اهدائه فأسمى خير معتم
والناس من سفه تدعو الى الصم
فصار للمصطفى الهادي من الخدم
مضافاً الى الايصال للرحم
سر له في صميم القلب مكتم
فضل به صار مدوحاً بكل قم
نسلا هم خير خلق الله كلهم
البسيطة منجى كل منعدم
يختال فخراً بشعر منه مبتم
كل البرية من عرب ومن عجم
للمصطفى احمد في كل مزدهم

حفظته حين تحته عشرته
 حميته من اذى حساده وله
 وبعت دنياً باخرى لانقاذ لها
 بيع ربحت به اضعاف ما قرعت
 يهنئك سبارذك في الانام غداً
 يهنئك مالك في الآفاق من شرف
 يهنئك ان بنيك الغر قد نصبوا
 كفاك فخراً بان الدين قامته
 كم جمع للعدى اسيفه نثرت
 ذاك الهام الذي في سيفه كشف
 وان في جعفر الطيار من نصر المختار
 ومعجزات لك لا تخفى على احد
 ابا الوصي استمع اشعار ذي وله
 قد غادرته الرزايا رهن اسهمها
 نفسي فداك خاضعي على كبد
 فان وصلت فمدحي غير منقطع
 صلى عليك اله العرش ما كتبت
 وله ايضاً هذه الابيات :

أما هو قلبي فراسخ
 ولهب احشائي جوى
 ومحاجري نهمي الدموع
 يامنزلا صحب الهوى
 ألقبت فرعنك أسودا

وفي معاليه لم ترتب ولم تهتم
 قد كنت خير اب فذ وخير همي
 قطاب ربحك في بيع وفي سلم
 عليه أعدائك الاسنان من ندم
 يسير لا في متون الايتق الرسم
 للناس اظهر من نار على علم
 ائمة للورى من باريء النسم
 بغير انجلك لم ينهض على قدم
 حمماً فعادوا بشمل غير منتظم
 الكروب عن احمد في كل مصطلم
 فحرك لا يخفى على الاسم
 الا البصير الذي منه الفؤاد عمي
 اليك من جور هذا الدهر منهزم
 فجاء يرجو شفاء منك حين رمي
 حرى فجسمي لا يقوى على السثم
 وان قطعت فؤادى غير منصرم
 علوم ولدك في الالواح بالقلم

فلتدن او تبعد فراسخ
 ما كان طول العمر الا بائخ
 فناضخ في اثر فاضخ
 اترك للهجران فاسخ
 فلقيت اسود منه سلاخ

ولربما انطوت الأفاعي
 وبلى الحفيظة كم تنافخ
 ضاعت مصادرها و
 فكأنها تبغي لعبد مناف
 شيخ الاباطح من قریش
 وسحابها الفياض بالجدو
 من هاشم في ذروة
 فتراه فيهم قاعداً
 أسد أبر على اسود
 منع النبي بمنعة
 وحسى الهدى في مكة
 فلو اعتدت اعداؤه
 ابا علي والعلی لك
 تستدفع الباوی به
 ونوافخ كلفها
 حماتها طيب الثنا
 فسرت الى ابن مفيض مكة
 وجدى بها الوجد المبر
 فتسوخت وستجندی

في مضامين الشارخ
 عن حشاي وكم تنافخ
 حالت عن موارد براخ
 مثلاً فيها المشايخ
 والأخاشيب الرواسخ
 وذو الايدي الرواسخ
 لم تعلمها الطير الفواتخ
 للأمر في الجلى وفاسخ
 الغرب في الشيم الشوامخ
 قعساء وعزم منه راسخ
 وأقام ما قد كان سائخ
 لم يبق منهم للنار نافخ
 في رفيع المجد باذخ
 ويغاث ملهوف وصارخ
 دلج السرى فغدت نوافخ
 ولطائم المدح الضوامخ
 اعيناً تجري نواضخ
 ح والمودات الرواسخ
 خير المنائح والمنائخ

وللفضل عالم هجر وبطلها المالحن الشيخ باقر أبي خسين هذا
 التقريض الكريم :

قلوب آمنت بالواقع ، واطمأنت بالحادی ، واوكلت امرها الى الدليل
 الذى اراد لها الخير كما اراد لها ان تسير في شواطئ السلامة بسفين العزة

والكرامة تحت قيادة الربان: القدير ، بعد ان ملئت تلکم الامواج الزاخرة .
وسميت ذلك الزيد الذي لا ينفع ، وعرفت عن هذا الرجح الذي لا ينجلي
الا عن غبار يحيي العين ويرين القلب .

نفوس آمنت بالمصير الذي بشر به الزمن ، واسفر عنه الدليل ، فتهلل
له الاقاق فراح ينشره على الأودية ، وفرحت به البطاح فراحت ترفه الى
السهول في ثنايا البواديان ، وحنّت له الصحراء فطفقت ترسل النواة لتحقق
منها نخيلا يثمر الرطب الجني وينتج الثم اللاسق ، بعد ان ملئت السير وراء
ذلك الطريق الشائك والجادة المتعبة .

بصائر نظرت بمنظار الفكر والمجهر الذهني الى واقع الأشياء وحقائق
الغيب ، فأدركت بها ما حجب من أسرار ، وما حوت الحقب بين طياتها
من اشاعات وأنوار ، وما سينشره الكون من معارف وجليسل الآثار ،
فقرأت عن كتب تلکم الأسرار ، واطلعت على كل ما هنالك من وقائع
وأحداث ، فوقفت على كل ما كان مرتقباً من كنوز ، واستشعرت من النوافذ
كل ما كان من حكم ومآثر ، كما تحققت ما سيندك به من معازل الجهل ،
وما يتحطم على صخرته من حصون الشرك وقلاع الوثنية الكافرة .

قلوب آمنت بالخير من اجل الخير ، فتعشقت كبداً يجب تحمله والسير
على ما يوحيه من نظم وما يحتمه من قوانين ، ترسم الطريق السهل لبني
الانسان لتسير المجموعة البشرية على تلك النظم العادلة والدروس القيمة ،
لتحظى بالأمان وضفاف السلامة وانتحاء سبيل الخير وطرق السعادة لتكون
المجموعة الانسانية مجمعا للمجد والعزة ، وموثلا للمنة والشرف .

نفوس آمنت أن لهذا الكون المترامي الأطراف المائي بالعجائب
والغرائب رباً غير هذه الارباب ، وخالقاً عظيماً غير هذه الهياكل الجوفاء
كما قد قرأت ان لعالم الارض مصيراً غير المصير السائد آنذاك ، وان للانسان

شأن غير الشأن الذي هو فيه برزخ ، فمن الخير إذاً ان يطلع ذلك الرب
 القدير في اوامره وزواجره ، ومن الهدى ايضاً أن تصبو الى ما يريد لها من
 المستقبل الكريم والفجر الصادق المقبل ، وان تستعد لاستعراض دنيا الحق
 والصدق ، فتبتعد عن كل رواسب الجاهلية ومخلفات الوثنية الأثيمة ، وعن
 كل ما هنالك من ظلم وجور وطفیان وابطال
 بصائر استوحت من واقع عقولها السليمة وفطرتها المستقيمة ، فوجدت
 انها الأمانة على تلکم الاسرار الخفية والأنوار الالهية البهية ، كما استشعرت
 انها ستكون مستودعاً لما تضره السماء وما تمخض عنه الأرض من المحتويات
 والمنطويات ومكتون العلم ومخزون المعارف ، اذاً المستوية عليها وحدها ،
 فيجب ان تستعد تماماً الى تلقي كل ما هو خير وكل ما هو مرتقب من بوادر
 الرشاد والفلاح ، حتى اذا ظهر أمر الله وبدر الى العيان مجد رسول الله
 صلى الله عليه وآله بادرت بلكم النفوس المظننة وأسرعت الى اقتفاء اثر
 القائد الكريم ، فألقت اليه الزمام وسلمت لحضرته القيادة وآمنت به إيماناً
 منقطع النظير ، ما رضيت بعد ذلك الا ان تكون مناصرة مؤازرة على اداء
 المهمة التي هي كل الغاية من البعثة والغرض كل الغرض من النبوة والرسالة ،
 ليتمكن القائد من تسيير القافلة وتحريك العجلة الى شواطئ الاسلام النضرة ،
 مخترقة تلك الأمواج الصاخبة والزوايع المخرجة ، فاذا هي تصرخ متحدية
 كل العثرات والمخاوير

ولقد علمت بأن دين مجد من خير أديان البرية ديناً
 ودعوتني وعلمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم امينا
 والله لن يصلوا اليك بمعهم حتى اوسد في التراب دفينا
 نعم هذه هي البصائر الطيبة ، والنفوس الكريمة الخيرة ، التي قد آمنت
 بالواقع ، واسلمت امرها الى القائد البصير

انها سلسلة شعبة الحمد ومختص هاشم عمرو العلي ، الأسرة العربية العريقة التي ما عرفت غير مائة جددا ابراهيم الخليل ملة وديناً في الزمن الذي قد راجت فيه عبادة الأوثان وطغت فيه الميقاتيات للأصنام ، فها هو ابو طالب سيد الآل والأسرة وعميدها الوحيد عثماني وزاء محمد وينسب خلقه بكل حزم وثبات ، ويهتف بكل نشاط وقوة مؤيداً دين ابن اخيه ومادحاً له بما انه نبي مبعوث .

ألا أن خير الناس أماً ووالداً
نبي إلهي والكرام بأصله
إذا عدّ سادات البرية أحمد
واخلاقه وهو الرسول المؤيد
نعم وإيم الله لأنها الغرسة التي
غرسها لوي، فعلمها كيف تقول للدهر
قف، وللتاريخ سجل، وللكرامة والمجد أخذاً . كما عرفها كيف يجب أن
تحارب الدهر في رذيلته، وتقاومه في طغيانه وجبروتيه، صياغة للأمانة
وحفاظاً على الأسرار، وقياماً مع الدليل الذي كانوا يرقبونه ويحسبون له
ألف حساب وحساب .

فها هو ابو طالب يبعث في آل عبد المطلب روح النخوة والحلم ،
ويشير في بني هاشم وشائج الرحم ، واواصر التقرب من دين السماء ، وملازمة
محمد رسول الله ، ونبذ كل ما هنالك من سفاسف وخرافات تتعارض ودينه
القيم ورسائله الوثيقة ، فها هو يكرر عليهم : يا قوم ان ابن اخي محمداً هو
الأمين في قریش والصديق في العرب ، اطيعوا محمداً واتبعوه وتفلحوا
وتفلحوا إذا أبدا .

ثم يخص ولده علياً بالخطاب : يا علي أكرم مجداً فإنه لا يدلك الا على خير ، ولا يهديك الا سبيل الرشاد .

فرحمك الله يا عم رسول الله واعطاك من جنانه ورضوانه ما تقر به عينك ، وسلام الله عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حيا .

وتحدثت مجلة العربي بعدها الحادي عشر الصادر في شهر شوال المكرم من سنة ١٣٨٧ هجرية الموافق يناير كانون الثاني سنة ١٩٦٧ ميلادية عن موضوع اسلام عم النبي الزعيم ابي طالب على لسان احد كتابها الاشواص الاستاذ حسن الامين بيروت ، وها هو المقال بصورة حرفياً وكما نقلته المجلة آفة الذكر : لا ادري لم هذا الاصرار على تكفير ابي طالب كافل النبي وحاميه والمتفاني في سبيله ، واذا كان لبعض الماضين غاية في الاساءة الى علي بن ابي طالب وبنيه البررة فروجوا لهذه الفكرة فلا احسب اليوم انه يوجه من ينبغي الاساءة الى علي واستغلال هذا الامر ، فاننا نعجب من هذا الاصرار في هذه العصور ، ان الآية التي استشهد بها السيد محمود حواس في العدد مائة وثمانية من مجلة العربي في تعليقه على ما كتبناه لم تنزل في هذا الموضوع ، والذين كان من مصالحتهم الطعن في علي بشئ وسائل الطعن من الذين اخترعوا لزولها هذا السبب ، كما انهم هم انفسهم الذين ارادوا حمل بعض رواة الحديث على الادعاء بأن آية « واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث » انما نزلت في علي بن ابي طالب ، وبذلوا لذلك الأموال الطائلة .

ونحن لا نجهل ان القرآن الكريم وأن الحديث الشريف قد استغلا اسوأ استغلال لتأييد الاغراض السياسية والمنازع الدنيوية ، وان ذلك جرى في عهد الرسول لما جعله يخطب على المنبر : « لقد كثرت علي الكذابة » ، واذا كانت الكذابة قد كثرت عليه في حياته فكيف يكون الأمر بعد وفاته ، وبعد تحول الاحوال واستفحال المطامع
 إن ابا طالب الذي تحمل ما تحمل في تأييد الدعوة الاسلامية لا يمكن ان يكون غير مسلم ابداً ، ولو لم يتحمل الا الحصار في الشعب الذي فرضت قريش عليه ثلاث سنين فلا في فيه ما لاقى مما لا يمكن ان يصبر عليه الا

المؤمنون الصابرون ، ولقد استثنى هذا الحصار ابا لهب اخا ابي طالب لأنه لم يسلم ، وقد كان يكفي ابا طالب بقاءه على الشرك لينجو من فضاحة الحصار وأهواله ، ولا اعتقد ان ابا طالب يستحق ان يجازى على ما قدم للإسلام والمسلمين ان يشهر به بالباطل .

وقال السيد دحلان في اسنى الطالب في صفحة ٥٩ : اخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه ان رسول الله قال : من آذى شعرة مني فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى .

وروى الطبراني والامام احمد والترمذي عن المغيرة بن شعبة عن رسول الله انه قال : لا تؤذوا الأحياء بسب الاموات ،

ولا شك ان النطق بقيق القول في حق ابي طالب والتشديد به في المجالس الخاصة او العامة وسفهاء الناس يؤذي اولاد علي رضي الله عنه الموجودين الآن ، بل يؤذي امواتهم في قبورهم ، ويؤذي النبي كذلك ، وقد قال الله تعالى : « والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » وقال تعالى : « ان الذين يؤذون رسول الله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً » .

وهذا هو الذي كان يلحظه القائل بكفر مبغض ابي طالب ، لأنه ايداء للنبي وابدأؤه صلى الله عليه وسلم نفاق وكفر يقتل فاعله ان لم يتب ، وعند المالكية يقتل وان تاب .

وقال دحلان في نفس الصفحة : ان قول الله تعالى : « قل لا اسئلكم عليه اجراً إلا المودة في القربى » يشمل عمه ابا طالب .

وقال ايضا في صفحة ١٧ في حديث طويل : ان ابا طالب اطاعه الله على كثير مما خص الله نبيه من الآيات والمعجزات وخوارق العادات من مبتدأ أمره وهو صغير الى انتهاء ، وباطلاعه على تلك الآيات والمعجزات

صار قلبه مشحوناً ممتلئاً وبالإيمان والتصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم إيماناً قطعياً لا شك فيه ولا شبهة ، أم كيف وهو القائل :

يا شاهد الله علي فاشهد اني على دين النبي احمد

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣ / ٣١٥ والسيد ابن فخر الموسوي في الحجة وابن شهر آشوب المازندراني في كتابه متشابه القرآن في ضمن تفسير قول الله تعالى : « ولينصرن الله من ينصره » ، فقد أقسم الله تعالى وأكد قسمه بلام التوكيد ان ينصر من نصر النبي صلى الله عليه وآله ، ولم يكن له ناصر سوى أبي طالب ، والله تعالى انما ينصر المؤمنين .

ابو طالب والمؤلفون :

لقد كثر التأليف في ابي طالب رضي الله عنه وكثر الى حد كبير ،
وها نحن نذكر قسماً من ذلك خدمة للتأليف والتصنيف ، ورعاية لحقوق
المؤلفين الأماثل ، واظهاراً لما أثر عم الرسول الكريم الزعيم ابي طالب العظيم ،
وبياناً لما عليه هر من جليل المكانة وعلو المقام وكبير المنزلة في جميع
نواحيه وكافة جهاته .

ولإليك قارئي الكريم بعض ما نسئ لنا ذكره من التأليف :

١ - « منى الطالب في ايمان ابي طالب » لأبي سعيد محمد بن احمد بن
الحسين الخزاعي النيسابوري .

٢ - « ايمان أبي طالب » لأحمد بن القاسم ، ذكره النجاشي والحسين
ابن عبد الله .

٣ - « البيان من خيرة الرحمان » لأبي الحسن علي بن بلال بن معاوية
المهلبلي الأزدي .

٤ - « ايمان ابي طالب » لأبي علي الكوفي احمد بن محمد بن عمار .

٥ - « ايمان ابي طالب » لأبي الحسين احمد بن محمد بن طسرخان
الكندي الجرجاني .

٦ - « ايمان ابي طالب » للشيخ ابي عبد الله المقيد محمد بن محمد بن
النعمان البكري البغدادي المتوفى سنة اربعمائة وثلاثة عشر هجرية .

٧ - « ايمان ابي طالب » لأبي محمد سهل بن احمد بن عبد الله بن احمد
ابن سهل الديباجي .

- ٨ - « حية الطالب في إيمان أبي طالب » للسيد الحسين الطباطبائي
اليزدي الشهير بالواعظ المتوفى سنة الف وثلثمائة وسبعة هجرية .
- ٩ - « إيمان أبي طالب » للسيد أبي الفضائل أحمد بن طاووس الحسين
المتوفى سنة ستائة وسبعة وسبعون هجرية .
- ١٠ - « مقصد الطالب في إيمان آباء النبي وعمه أبي طالب » للميرزا
محمد حسين الكركاني مطبوع في بمبي في سنة ١٣١١ هـ .
- ١١ - « بغية الطالب في اسلام أبي طالب » للسيد القاضي محمد عباس
الستري الهندي المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ .
- ١٢ - « القول الواجب في إيمان أبي طالب » للشيخ محمد علي بن الميرزا
جعفر الملقب بالفصيح نزل مكة المكرمة .
- ١٣ - « إيمان أبي طالب » لأبي نعم علي بن حمزة البصري التميمي
اللقوي المتوفى سنة ثلثمائة وخمسة وسبعين هجرية ، ذكره الحافظ ابن حجر
العسقلاني ونقل بعضاً من فصوله في أصابته في ترجمة أبي طالب .
- ١٤ - « أسنى الطالب في نجات أبي طالب » للسيد مفتي الشافعية بمكة
السيد أحمد بن السيد زيني ابن أحمد بن دحلان الشافعي المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ .
- ١٥ - « شيخ الأبطح أو أبو طالب » للسيد محمد علي آل شريف
الدين الموسوي العاملي والذي قد طبع في بغداد العراق سنة ١٣٤٩ هـ .
- ١٦ - « الشهاب الثاقب لرجم مكفر أبي طالب » للشيخ ميرزا نجم
الدين العسكري .
- ١٧ - « مواهب الواهب في فضائل أبي طالب » للقاضي الشيخ جعفر
نقدي طبع في النجف الأشرف في سنة ١٣٤١ هـ طبع مكرراً .
- ١٨ - « الحجّة على الذاهب الى تكفير أبي طالب » للسيد شمس
الدين بن معد الموسوي طبع مراراً .

١٩ - « أبو طالب مؤمن قريش » للإستاذ عبد الله الحنيزي ، طبع عدة

مرات وترجم الى لغات اجنبية .

٢٠ - « واقع ابي طالب المؤمن » للسيد عبد الكريم آل السيد علي

خان ، بعد لم يطبع لحد الآن وهؤلاء الاعلام من اجلة العلماء والعباقرة من
المفكرين والمؤلفين .

٢١ - مؤلف السيد محمد علي آل السيد علي خان ، وهو هذا المؤلف

الذي بين يدي القاريء الكريم والذي اسميته (ابو طالب وبنوه) .

. . .

اما الفصول التي عقدت لعم الرسول العظيم في طبقات الكتب فهي
كثيرة وكثيرة جداً ، ولعلها تتجاوز حد الاحصاء وتفوق حدود الاستقصاء ،
وما هذا الاهتمام من هؤلاء الاعاظم الا تكريماً لعم النبي وكافله ، وتقديراً
لخدماته ومواقفه ، واعتراًفاً بحميلة ووفير حقوقه على المسلمين كافة ، وحفظاً
لرسول الله صلى الله عليه وآله في مربيه ومؤازره وناصره ومؤيده .

فسلام الله عليه ما ذر شارق ، وسلام الله عليه مادامت السماوات
والارض وما بقي الليل والنهار ، ورحمة الله وبركاته .

مصادر الكتاب

شرح النهج	لأبن أبي الحذنب
صحيح البخاري	
مسند مسلم	
الاصابة	لأبن حجر العسقلاني
تذكرة الخواص	لسبط ابن الجوزي
نور الابصار	للشبلنجي
الدرجات الرفيعة	للسيد علي خان
الحنجة على الذاهب	للسيد ابن فخار الموسوي
العقد الفريد	لابن عبد ربه الاندلسي
تاريخ اليعقوبي	
مواهب المواهب	للقاضي النقدي
ابو طالب مؤمن قریش	للخنيزي
اسنى المطالب	للسيد زيني دحلان الشافعي
سفينة البحار	للقمي
البحار	للمجاسي
الغدير	للاميني
ذرايع البيان	للطبيسي
بطل العلقمي	للشيخ عبد الواحد المظفر

مروج الذهب	للمسعودي
دائرة المعارف	لليستاني
مجمع البيان	للطبرسي
ذخائر العقبى	للطبري
الكفى والالقاب	للقمي
الكشاف	للزحشري
الدر المنثور	للسيوطي
اسعاف الراغبين المطبوع على هامش نور الابصار للشيخ محمد الصبان الحنفي .	للسيوطي
ينابيع المودة	للشيخ سليمان القندوزي الحنفي

فهرست الموضوعات

٧	مقدمة المؤلف
٩	المؤمن الاول
١٧	ابو طالب يتمتع بكل صفات الخير
٢٠	ابو طالب يكفل النبي ويؤازره
٢٧	ابو طالب وتجارة النبي
٣٠	ابو طالب يزوج النبي
٣٢	ابو طالب وبدء الدعوة الاسلامية
٤٢	ابو طالب والشعب
٤٨	ابو طالب يفك الحصار
٦٠	ابو طالب يدعو الحمزة الى الاسلام
٦٩	ابو طالب يستسقي للناس
٧٩	ابو طالب يدعو ملك الحبشة الى الاسلام
٨٤	ابو طالب يطالب من النبي المعجزة
٨٨	ابو طالب ينشئ وصيته
١٠٩	ابو طالب والدليل على ايمانه
١٢٢	ابو طالب في نظر النبي وعلي
١٣١	ابو طالب في نظر آل البيت عليهم السلام
١٣٩	ابو طالب في نظر الامام الكاظم

١٤١	ابو طالب في نظر الامام الرضا
١٤٤	ابو طالب في نظر ابن عباس
١٤٩	ابو طالب في نظر المأمون
١٥٢	ابو طالب في نظر ابي لهب
١٥٤	ابو طالب واجماع آل البيت على ايمانه
١٥٦	ابو طالب في نظر ائمة الزيدية
١٦١	ابو طالب في نظر علماء المغرب العربي
١٦٤	ابو طالب في نظر العامة
١٦٦	ابو طالب في نظر الشيعة الامامية
١٧١	ابو طالب في نظر ابن حجر
١٨٧	ابو طالب في نظر الاسكافي
١٩١	ابو طالب في نظر ابن ابي الحديد
٢٢٨	ابو طالب في بطون الكتب
٤١٢	ابو طالب والمؤلفون
٤١٥	مصادر الكتاب
٤١٧	فهرست الموضوعات

أَبُو طَالِبٍ
وَبَنُوهُ

السيد محمد علي آل سيد علي خان

أبو طالب وَبَنُوهُ

تقديم

الحجتين السيد نصر الله المستنيط
والشيخ باقر شريف القرشي

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم تقديم

(١)

لم تشاهد الإنسانية في جميع فترات تأريخها دعوة خلاقة تفيض بالخير والعطاء كدعوة الرسول الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - التي كانت من أهم الأحداث العالمية، فقد غيرت مجرى التاريخ، واستهدفت تحرير الإنسان، وإعلان حقوقه، ورفع مستواه فكرياً وسياسياً واقتصادياً، وإقامة مجتمع متكامل تسوده الرفاهية والرخاء، وتعمه الالفة والمحبة، يجمعهم الإسلام وتضمهم راية التوحيد. وكان هذا هو السمُّ البارز للمسلمين في الصدر الأول من حياتهم، فقد كانوا اخوان بررة، يتعاونون في السراء والضراء، قد صقلتهم أخلاق الرسول الأعظم، وهذبهم آدابه، ونزعت ما في صدورهم من غلي، فلم تعد أية ثغرة في صفوفهم، وإنما كانوا جميعاً يداً على من سواهم.

(٢)

واحتضن الضعفاء والمحرومون والبؤساء المبادئ العليا والقيم الأصيلة التي أعلنها نبي الإسلام، فأمنوا بها إيماناً مطلقاً لأنها ضمنت لهم العزة والكرامة مساوت بينهم وبين عظماء قريش، وسادات العرب، وفي

طليلة من آمن بها من الضعفاء حليف مخزوم عمار بن ياسر وأمه سمية، وأبوه ياسر، وقد تعرضوا لصنوف مرهقة من العذاب والتكيل صلبا عليهم الوحوش من سادات الجاهلية كأبي جهل وأبي سفيان، وغيرهما من الحاقدين على الإصلاح الاجتماعي.

(٣)

وكان من الطبيعي أن تتحد القوى الجاهلية الرعناء لمناهضة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ومناجزته، فقد سفّه أحلامهم، وسخر من آلهتهم، وأفسد عليهم إبنائهم وعبيدهم ودمر اقتصادهم القائم على النهب والربا والاستغلال وقام بتغيير شامل لجميع مناهج حياتهم. وقد ورمّت أنوف زعماء القبائل القرشية وانتفخت أوداجهم، وملئت نفوسهم غيظاً وحقدًا على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فهبوا متضامنين لإخماد ذلك النور، واطفاء تلك الشعلة الرواحية التي اضاءت الطريق، وأرشدت الحائر، وهدت إلى الطريق المستقيم. ولولا عناية الخالق الحكيم بدعوة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - لأجهزت عليها تلك القوى الشر وأسكنتها في مهدها.

وكان لا بد للرسول الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - من قوة ضاربة تحميه، وتصون مبادئه وقيمه، وترد عنه كيد المعتدين الذين يتربصون به الدوائر، ويكيدون له في غلس الليل، وفي وضح النهار.

وكانت تلك القوة التي منحها الله تعالى لنبيه الكريم عمّه المعظم سيد العرب وشيخ البطحاء أبو طالب، فقد تفانى هذا العملاق العظيم في نشر كلمة الإسلام ورفع راية التوحيد، وقد وقف إلى جانبه سداً منيعاً يحميه من ذئاب الجاهلية ويدفع عنه غائلتهم، وقد آمن إيماناً مطلقاً برسالة الإسلام المشرقة، وهو القائل:

ولقد علمتُ بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً

ولما مُني النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - بفقدِهِ، وفقد السيدة أم المؤمنين خديجة سُمى ذلك العام (عام الحزن)، وهاجر من مكة إلى يثرب لأنه لم تكن عنده قوة تحميه ولم يكن يأوي إلى ركن شديد... رحم الله أبا طالب فهو حامي الإسلام، وقائد مسيرته التضالية فما أعظم عائدته على الإسلام والمسلمين.

(٥)

ومما يدعو للسخرية والاستهزاء ما يرويه بعض المؤرخين الذين يسرون في الخط الأموي، وما ينقله عنهم بعض المغفلين من الكتاب الذين يؤمنون بكل ما هو مدون في الكتب إن صدقاً، وإن كذباً من دون فحص ولا تمحيص، من أن أبا طالب مات ميتة جاهلية، ومعنى ذلك أنه مات على الجاهلية الرعناء التي جعلت الأصنام أرباباً لها من دون الله تعالى.

فأين جهاد أبي طالب، وتحمله للشدائد والأخطار في سبيل الإسلام، ثم وأين حمايته للرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ودفاعه عنه، كل هذا ذهب سدى.

(٦)

وتصدى بعض العلماء قديماً وحديثاً للدفاع عن أبي طالب، وإثبات إيمانه وإسلامه وزيف القائلين بخلاف ذلك، وممن ألف وأجاد وأبدع في ذلك صديقنا السيد الشريف الحجة السيد محمد علي آل السيد علي خان - رحمه الله - فقد بحث بحثاً موضوعياً وشاملاً عن شخصية أبي طالب، ودوره المشرق في حماية النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - من بدء الدعوة الإسلامية، وفرض الحصار عليه مع النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - وسائر المسلمين في الشعب، وقيامه بفك الحصار، ودعوته ملك الحبشة إلى اعتناق الإسلام، كما عرض إلى الأدلة الحاسمة التي لا مجال

للسك فيها على إيمانه العميق بالإسلام، وتفانيه بالولاء للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وفيما أحسب أن هذا الكتاب في طليعة الكتب التي ألفت في هذا الموضوع فأجزل الله له المزيد من الأجر في دفاعه عن جده أبي طالب وجعله من ذخائر حسناته التي يرفعها إلى الله تعالى.

(٧)

وأتحفني السيد المفضل علاء الدين نجل حجة الإسلام المغفور له السيد محمد علي آل السيد علي خان الجزء الثاني من كتاب «أبو طالب وبنوه» المخطوط وهو من تأليفه، وجعله من متمات بحث أبيه، وقد تصفحته فرأيتة مجهوداً رائعاً حافلاً بصفحات مشرقة من تراجم السادة العظام من أبناء أبي طالب وهم السادة: طالب وجعفر، وعقيل، وقد أجهد السيد المؤلف نفسه في تتبع جمهرة كبيرة من المصادر التي عرضت لتراجم هؤلاء السادة الذين ساهموا مساهمة إيجابية في خدمة الإسلام، ومن المؤكد أن هذا الكتاب الكريم قد سد فراغاً في المكتبة الإسلامية، وسيجد فيه القراء المتعة في بحوثه الشيقة، شكر الله مساعي المؤلف السيد علاء الدين وبلغه أمانيه، ووقفه لكل مسعى نبيل.

(٨)

وقبل أن أقفل هذا التقديم الموجز أرى من الحق علي أن أشيد بالأسرة الكريمة التي تفرع منها السيد المؤلف نصر الله مثواه، إنها من أجل الأسر العلوية فقد وهبها الله من صفاء النفس وطهارة الضمير مثل ما وهبه لأبائها العظام.

لقد تميزت هذه الأسرة الكريمة بأصولها وفروعها بسمو الأخلاق ومحاسن الصفات، وهذا هو السميت البارز الذي عرفت به من بين الأسر العريقة في المجد... سلمت هذه الأسرة رائدة خير إلى الناس.

باقر شريف القرشي

النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

لبنى أبي طالب من المجد القديم ما لا يُسَانى ويُسَاجَل، والحسب السَنَى ما لا يَسَامى ويطاول فهم مقادير القوم وصدرة الناس بل «أشرف الخلق»^(١) أحلم الناس صغاراً وأعلمهم كباراً وأمتهم برسول الله رحماً، لما يزل آخرها متصلاً بأولها في الدنيا والآخرة.

وعلى الرغم مما خُصّوا به من الفضل وأوثروا به من الشرف فإنّ أيّاً من أبناء أبي طالب الأربعة لم ينل سهمته من أقلام المؤرخين وأهل السيرة وبخاصّة طالب وعقيل وجعفر فوجدت البعض يضربُ عنهم صفحاً ويطوي كشحاً ويقحّم الآخر أقلامه في سيرهم في غير طائل أو يسدّد بحديث غير متجاوب وربما صدرَ عن رأي غير شيء.

فمجملاً ما وصل إلينا عنهم لم يعدّ كونه صوراً متجزّئة الأجزاء يتعسر جمعها وضمّتها إلى بعضها حتى بدت شخصياتهم في نظر الكثير غير واضحة المعالم ولئن وضح بعض من ملامحها فإنما هو يسير ومتباعد...

ولقد أزمعتُ الأمر — أخذاً بميسوره تاركاً معسوره — فأفرغت الوسع وأعملت الفكر مجتهداً في التقصي والتتبع فوجدتني وبعد لا أعثر على كثير مما تجزّع من تلك الصور فوصلت بينها بالقرائن الحالية والمقالية التي

(١) الجاحظ/ رسائل الجاحظ ج ١ - ٢/ ص ٢٠٩.

أملتها طبيعة الكتابة بروح موضوعية بعيدة عن تنازع العواطف، متجردة عن دنيء الغايات نشداناً للحقيقة التاريخية التي ران عليها صدى السنين وغبار الأزل وصولاً إلى خدمة تراثنا العربي والإسلامي والإشارة بأعلامه الخافقة. وقد كسرتُ الكتابة على أربعة فصول.

● الفصل الأول ويتناول: بني أبي طالب (في دائرة الضوء) — أول الأبناء (طالب بن أبي طالب) — بين اللّثيا واللّثي (في بدر).

● الفصل الثاني: عقيل بن أبي طالب — بين عقيل وعليّ — وجهاً لوجه (مع معاوية) — بني عقيل (العقيليون).

● الفصل الثالث: جعفر بن أبي طالب — في الحبشة (بخير دار مع خير جار) — في مؤته (أما ظهور وأما شهادة) — بني جعفر (الجعفريون).

● الفصل الرابع: مبحث ميسّر في أصول الدين وفروعه — كلام في صفات الله (تعالى) — كلام في أفعال العباد. والهدف من هذا الفصل التعريف بأصل من أصول المسلمين الاعتقاديّة وهو (الإمامة) وصولاً إلى إمامة عليّ (ع) وإن استغناه من الكلّ واحتياج الكلّ إليه دليل على أنه إمام الكلّ وقد خصّصتُ الجزء الثالث لذلك إن شاء الله.

ومن جماع هذه الفصول يكون الجزء الثاني من كتاب «أبو طالب وبنوه» وقد خرج إلى النور بعد أن صدر الجزء الأول منه عام تسعة وستين وتسعمائة وألف على عهد المغفور له الوالد ولقد اخترتمه المنية ولما تتكّمل اجزاء الكتاب كما كان أزمع في حينه فوجدت أن من برّ البنوة بالأبوة القيام على استكمال الكتاب سائلاً العليّ القدير السداد والسدد مستوزعاً شكر نعمته، اللهم فثبت، وإنلّ والحمد لله وحده.

علاء السيد محمد علي خان

النجف الأشرف

الفصل الأول

بنو أبي طالب (في دائرة الضوء)

يطبق المؤرخون على أنَّ أبا طالب أعقبَ من الأبناء الذكور أربعة: طالباً فعقيلاً فجعفرأ فعلياً وفي ذلك يقول الشاعر:

أقام عماد العلامكأ بأربعة كالسنا الثاقب
بمثل (علي) إلى (جعفر) ومثل (عقيل) إلى (طالب)
ولئك لازمات النرجا لـ علي راجل ثم أو راكب

كما يشير غيرُ واحدٍ منهم إلى أن بين كلِّ واحد من الأخوة وبين أخيه عشر سنين وازاء ذلك لم يخفِ الجاحظ تعجبه فيقول: «إن أربعة أخوة كان بين كل واحد منهم وبين أخيه في الميلاد عشر سنين سواءً وهذا عجب»^(١) وخالف الششتريني عن هذا الرأي فقال: إن عقيلاً ولد مع أخيه علي (ع) توأماً وأوردَ في سياق حديثه عن عقيل قوله: زوحمْتُ حتى في الرحم^(٢).

وجميع أبناء أبي طالب لأب وأم هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية وهي أول هاشمية تزوجت هاشمياً وولدت له وأول هاشمية ولدت خليفة ثم بعدها فاطمة الزهراء^(٣).

(١) رسائل الجاحظ/ راجع ٣-٤/ ص ١٢٢.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول/ ص ٢٢٥.

(٣) انظر: المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٢ وابن حجر/ الإصابة/ الجزء السابع من ثمانية اجزاء/ ص ١٦٠، ١٦٤ والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ج ١/ ص ٥ وما بعدها وابن حزم/ جمهورة انساب العرب/ ص ١٤.

ولقد خصَّ آل أبي طالب بغرائب وعجائب وفضائل لم توجد في أحد سواهم^(١) منها: «أنه لم يوجد قط في أطفالهم طفلٌ يحبر، بل يزحف زحفاً لثلاً ينكشف منه عن شيءٍ يسوءه، ليكون أوفر لبهائه. وأدلَّ على ما خصَّوا به»^(٢) ومنها: «تهياً في آل أبي طالب من الإذكار ما لم نعرفه في قديم الدهر وحديثه، ولا فيما قرب من البلدان ولا فيما بُعد»^(٣) وإنك لتنحدرُ مع أعقاب الذرية في الطالبين مائة سنة وأربعمئة سنة فيخيلُ إليك أن هذا الزمن الطويل لم يبعد قط بين الفرع وأصله في الخصال والعادات كأنما هو بعد أيام معدودات لا بعد المئات وراء المئات من السنين ولا تلبث أن تهتف عجباً «إن هذه الصفات علوية لا شك فيها، طبع صريح، ولسان فصيح، ومثانة في الأسر يستوي فيها الخلق والمخلوق. ونخوة، لا تبالي ما يفوتها من النفع إذا هي استقامت على سنة المروءة والاباء...»^(٤).

(١) الجاحظ/ رسائل الجاحظ/ مج ٣ - ٤ / ص ١٢٢.

(٢) نفس المصدر/ ص ١٢٤.

(٣) نفس المصدر/ ص ١٢٣.

(٤) العقاد/ أبو الشهداء/ ص ٤٦.

أول الأبناء، طالب بن أبي طالب

أول مولود يولد بين هاشميين، وكريم بين طرفين، جمعَ المجد من أطرافه والشرف من حذافيره، حتى تمت أوصاله واستوفى خلاله، قال الجاحظ: «أول هاشمي هاشمي الأبوين كان في الدنيا ولد لأبي طالب»^(١).

وكان طالب بن أبي طالب شاعراً^(٢) وقد ذكر له ابن هشام عن ابن اسحاق شعراً في وقعة الفيل منه قوله:

ألم تعلموا ما كان في حربٍ داحسٍ وجيش أبي يكسوم^(٣) إذ ملثوا الشعبا
فلولا دفاع الله لا شيءَ غيره لأصبحتموا لا تمنعون لكم سرباً^(٤)

وقد أورد بعض من تعرض لذكره شعراً غير ذينك البيتين، سأعرض له في غير هذا المقام إن شاء الله ومع إننا لا نمتلك الكثير عن الرجل في أوليات حياته لندرة المصادر التي تناولته وتحاشي الكثير من المؤرخين والمعنيين بالسير الخوض في سيرته بخلاف بقية اخوته، الا اننا لو عدنا بالذاكرة إلى ما سماه العرب بعام المحل لاتضح بعض ملامح تلك

(١) رسائل الجاحظ/ مج ٣ - ٤ / ص ١٢٢.

(٢) الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ١ / ص ٤٣٩ والأصفهاني/ الأغاني/ ج ٢ / ص ١٨٧.

(٣) كنية ابرهة الحبشي.

(٤) السيرة النبوية/ ج ١ / ص ٢٦٣.

الحياة. لقد تعرقت قريشاً بعامة وأباً طالب بخاصة المجاعة في ذلك العام الممحل المجذب وكان أبو طالب كثير العيال فيستشعرُ الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ضائقة عمّه فلم يرَ منتدحاً عن اسداء يد العون نحوه فينبري مشيراً على عمّه العباس - وكان موسراً - بأن يخفف عنه عن ثقل عياله وحمل بعض أثقاله وما أجدره - صلى الله عليه وآله وسلم - بالخير وهو «لاحقٌ بالرغد والأولى بحمل الكل في ساعة الجهد»^(١) فيستجيب أبو طالب متحفظاً فيقول: اتركنا لي عقيلًا واصنعنا ماشتماً»^(٢) وقيل «عقيلًا وطالباً»^(٣) فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - علياً وأخذ العباس جعفرًا^(٤) ثم ذكر أنه كان أحد المحصورين في شعب أبي طالب^(٥).

وكان طالب ذا أثره عند أبيه وحظوة ولو لم يك كذلك ما كان ليعهد إليه بوصيته - وهي آخر ما نلت به شفتا أبي طالب - في أن يشدد طالب يديه بغرز محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وينخع له بالطاعة ويستمر في نصرته ولو كلفه ذلك حياته وكان مما أوصى به يومئذ^(٦):

ابني طالب إن شيخك ناصحٌ	فيما يقول مسدّدك راتقُ
فاضر بسيفك من أراد مساته	ابدا وانك للمنيّة ذائقُ
هذا رجائي فيك بعد منيتي	وأنا عليك بكل رشد واثق
فاعضد قواه يا بني وكن له	اني بجذك لا محالة لاحق
أهأأ اردد حسرة لفراقه	اذ لم اجده وهو عالٍ باسق
اترى أراءه واللواء أمامه	وعلي ابني للواء معانق

(١) الموسوي/ فخار بن معد/ الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب/ ص ٣٤.

(٢) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٢٦٣.

(٣) نفس المصدر/ ص ٢٦٣.

(٤) نفس المصدر/ ص ٢٦٣.

(٥) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ٦٥.

(٦) الموسوي/ فخار بن معد/ الحجة على طالب الذاهب إلى تكفير أبي طالب/ ص ٩٨، وعلي خان/ محمد علي/ أبي طالب وبنوه/ ج ١/ ص ٩٩.

وقد ذكر هذه الآيات الإمام الحافظ ابن شهر آشوب^(١) بزيادة بيت
سابع وهو:

اتراه يشفع لي ويرحمُ عبرتي هيهات اني لا محالة زاهق^(٢)

لقد كان محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - من أبي طالب مهجته
ونوط قلبه وكان بعمه ممتعاً وعزيزاً وحماء به لا يُقرب وكان أبو طالب به
لهجاً ما افتأ يذكره:

بني أخي ونوط القلب مني وأبيض ماؤه غدق كثير^(٣)

ولم تكن تلك الحياطة من أبي طالب حياطة رحم فحسب وإنما هي
حياطة «المقر بنبوته والمعترف برسالته»^(٤) وهو إذ يستوصي به خيراً فإنما
يقصدُ إلى نصرة القيم الحقّة والمبادئ السامية والمثل العليا التي جاء بها
محمدٌ العظيم وليس أدلّ على ذلك من قوله: «والله لا يسلك أحد سبيله إلا
رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد ولو كان لنفسي مدّة، وفي أجلي
تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي»^(٥).

إن أبا طالب حين عهد إلى ابنه بما عهد لا بد وأنه كان يضع في اعتباره
أمرين:

الأول: أهلية الموصى لامضاء بنود تلك الوصية وإلا لكان مثله كمثل

-
- (١) مناقب آل أبي طالب/ ج ١/ ص ٥٦ وما بعدها.
(٢) البيت يمثل غاية التواضع منه فقد ذكر الإمام الطبرسي في الاحتجاج/ ج ١/
ص ٣٤١ بسنده عن علي (ع) قوله: «والذي بعث محمداً بالحق نبيا لو شفع أبي
في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم...».
(٣) الزمخشري/ أساس البلاغة/ ص ٧، ١٠.
(٤) الحنفي/ ينابيع المودة/ ص ١٥١ في إيراد رسالة الجاحظ التي يقول فيها:
«حامي النبي ومعينه ومحبه أشد حياً وكفيله ومربيته والمقر بنبوته والمعترف
برسالته والمنشد في مناقبه آياتاً كثيرة وشيخ قریش أبو طالب».
(٥) الأميني/ الغدير/ ج ٧/ ص ٣٦٦ والبيلاوي/ تاريخ الهجرة النبوية وبدء الإسلام/
ص ٦٣.

من يضع الشيء في غير موضعه والأمر في غير نصابه وذلك ما لا يجوز بحال على أبي طالب الرجل الذي حلب الدهر اشطره .

الثاني: لو لم يكن على بيّنة من إيمان ابنه فكيف ترى يطلب إليه نصرة من يخالفه في العقيدة بل مفارقه ففاند الشيء لا يعطيه كما يقال . أما طالب من جانبهِ فإنه لم يضيق بذلك ذرعاً ولم يتبرم بل وجد في ثقة أبيه المطلقة هذه ما يحفزه لتجسيدها . استمع إلى صدق أحاسيسه ونبل مشاعره وهو يمتدح النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - معترفاً بفضلته مشيداً برسالته مقراً بما جاء به من الحق فيقول^(١):

إذا قيل من خير هذا الورى قبلاً واکرمهم أسره
أناق لعبد مناف أب وفضله هاشم العزه
لقد حلّ مجد بني هاشم مكان النعائم والنشره
وخير بني هاشم أحمد رسول الاله على فتره

وقد ذكر جدنا^(٢) - قدس سره - البيتين الأخيرين من الأبيات المتقدمة هكذا:

وقد حلّ مجد بني هاشم مكان النعائم والزهوه
ومحض بني هاشم أحمد رسول المليك على فتره

وقال: «إن تلك الأبيات هي مما استدل بها أرباب السير على إسلامه»^(٣).

(١) انظر: ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤ / ص ٧٨ والتقدي/ محمد

جعفر/ مواهب الوهاب في فضائل أبي طالب/ ص ١١٤ .

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٣ .

(٣) نفس المصدر/ ص ٦٣ .

بين اللتيا والتي (في بدر)

تبرز لنا حين نستعيد إلى الذاكرة أحداث السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة معركة بدر الكبرى كواحدة من أهم تلك الأحداث وهي: المعركة التي قتل فيها صناديد قريش وأشرفها وأسر من أسر من زعمائهم^(١) ولقد ألجأت قريش عدداً من بني هاشم على الخروج معها إلى خطوط المواجهة الساخنة في بدر مكرهين وأن رسول الله قال لأصحابه يومئذ: «إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله»^(٢).

وذكر أيضاً أنه — صلى الله عليه وآله وسلم — دعا يومها أن ينجي الله المستضعفين من المؤمنين^(٣).

وكان في القوم يومئذ: طالب بن أبي طالب فقد جاهدته قريش على الخروج معها وأجالت سهمه مع سهامها كارها غير باغ ولا عاد. وقد عالن طالب قريشاً موقفه من هذه الحرب كما أنه لم يتحفظ في اظهار ميله الوجداني نحو المعسكر الإسلامي وقيادة الرسول الأعظم — صلى الله عليه وآله وسلم —

(١) المسعودي/مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٤٠٣.

(٢) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٤/ ص ١٩٨، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٨٩، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ١٨٣، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٥٠.

(٣) انظر ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ١٨٣.

وآله وسلم - وما تبع ذلك من مراجعة ومجاجة بينه وبين القوم وهذا ما أشار إليه غير واحد من المؤرخين فيقول: «وكان بين طالب بن أبي طالب وبين بعض قريش محاورة»^(١) يقال حاورته: راجعته الكلام^(٢) والمحاورة: مراجعة الكلام في المخاطبة^(٣).

ولم يكن الموقف المبدي لبني هاشم عامة وطالب بن أبي طالب على وجه الخصوص من هذه الحرب الظالمة بخاف على قريش وهذا ما يتضح جلياً من خلال مخاطبتهم لبني هاشم بالقول: «والله لقد عرفنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا أن هواكم لمع محمد»^(٤).

فماذا يعني أن يكون هوئ بني هاشم مع محمد؟
أوليس يعني بالضرورة إقراراً بمصادقية النبوة ومشروعية الرسالة وإيقاناً بأن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على بينة من ربه وبصيرة من أمره ولعلك تلمس معي أن حديث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»^(٥) لا يعدون هذا المعنى.

ولقد كان طالب يعلم أن قريشاً ستجر على أنفسها الشر وإن هذه الحرب التي افتعلتها ستحملها على مركب وعر وان الدائرة ستكون فيها عليها وتكون نهايتها إلى قتل وأسر وتنكيل، وما الأبيات التي أثرت عنه

(١) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٤/ ص ١٨٧، وابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٢٧١، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٨٥، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٩.

(٢) الشرتوني/ سعيد/ أقرب الموارد/ ج ١/ ص ٢٤٣.

(٣) الزمخشري/ أساس البلاغة/ ص ٢٠٥.

(٤) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٢٧١، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٩.

(٥) محمد بن عبد الوهاب/ كتاب التوحيد/ ص ١٦٥ - ١٦٦ مطبعة الزمان/ بغداد ١٩٨٩.

يومئذ إن هي إلا نذر الهزيمة المتوقعة للمشركين وارهاسات بالفشل الذريع الذي سيلاقونه ففي ساعة العسرة تلك يشخص بصره إلى الله لائذاً، ملتجئاً، عائداً، فيرتجزز^(١).

يا رب اما اخرجوا بطالب في مقنب^(٢) من تلکم المقانب
فاجعلهم المغلوب غير الغالب والرجل المسلوب غير السالب
والذي في الأغاني والطبري^(٣):

يا رب أما يغزون طالب في مقنب من هذه المقانب
فليكن المسلوب غير السالب وليكن المغلوب غير الغالب
والذي في السيرة النبوية^(٤):

لاهمّ أما يغزون طالب في عصبه مخالف محارب
في مقنب من هذه المقانب فليكن المسلوب غير السالب
وليكن المغلوب غير الغالب

وعلى أية حال فإن هذه الأبيات تنحو منحىً واحداً في الدلالة على المعنى المقصود برغم اختلاف رواياتها.

ولقد تطير القرشيون بأبيات طالب تلك وتوجسوا الشر واستشعروا الإحباط فقالوا: «إن هذا ليغلبنا فردوه»^(٥).

بعد الانتصار الساحق الذي تحقق للمسلمين في هذه الحرب بقيادة

(١) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٣٢.

(٢) المقنب بالكسر: ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل.

(٣) الأصفهاني/ ج ٤/ ص ١٨٧، محمد بن جرير/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٩.

(٤) ابن هشام/ ج ١/ ص ١٧١.

(٥) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٣.

وتوجيه الرسول الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - والهزيمة المرة التي مني بها المشركون وما وقع فيهم من القتل والأسر «أمر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بالقتلى أن يطرحوا في القليب»^(١) وأنه - صلى الله عليه وآله وسلم - جمع الأسارى فكانوا أربعة وأربعين أسيراً ومن القتلى مثل ذلك^(٢). ولم يكن طالب بن أبي طالب بين القتلى أو الأسرى حينئذ. لكنني وجدت له شعراً في مدح النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وبكاء أصحاب القليب من قريش ولست أدري ما إذا كان طالب قد قال بعد معاشة ميدانية لأحداث تلك المعركة وما أسفرت عنه من النتائج أم بعد منصرفه منها قال طالب^(٣):

ألا ان عيني أنفدت دمعها سكباً نبكي على كعبٍ وما أن ترى كعباً
ألا ان كعباً في الحروب تخاذلوا وارداهمُ ذا الذَّهرُ واجترحوا ذنباً^(٤)
وعامر تبكي للمسلمات غدوة فياليت شعري هل أرى لهما قرباً
هما أخوأي لن يعدا ليغيه تُعدّ ولن يُستام جارهما غصبا
فيا أخوينا عبد شمس ونوفلا فِدأً لكما لا تبعثوا بيننا حرباً^(٥)

(١) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٤/ ص ١٩٨ - ٢٠١.

(٢) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٣) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٣/ ص ٢٨.

(٤) في ابن الأثيري/ ج ١/ ص ٣٧٠، روي البيت هكذا:

ألا ان كعباً في الحروب تخاذلوا فاردتهم الأيام واجترحوا دنياً

(٥) البيت أحد شواهد ابن هشام الأنصاري في قطر الندى وبل الصدى/ ص ٣٠٠ إلى أنه

يورده على النحو التالي:

أيا أخوينا عبد شمس ونوفلا أعيد كما بالله أن تحدثنا حرباً

ولا تصبحوا من بعدٍ وُدٍّ والفية
فما أن جنينا في قريش عزيمة
أخا ثقة في النائب مُرَزَّأ
يطيف به العافون يغشون بابه
فوالله لا تنفك نفسي حزينه
تملأ حتى تصدقوا الخرج الضربا
أحاديث فيها كلكم يشتكي النكبا
سوى أن حمينا خير من وطء التريا
كريمًا ثناه لا بخيلاً ولا زربا
يؤمنون بحرراً لا نزورا ولا صربا

ولعل القارئ يستغرب إن لم يكن يستنكر توجع الرجل وتفجعه على ما حلّ بالقوم من فناء في بدر والجانب الإنساني له انعكاسه النفسي في مثل هذه المواقف يستوي في ذلك طالب بن أبي طالب وغيره من عامة الناس ولنا من الشواهد على مصداقية ما ذهبنا إليه: ردُّ رسول - صلى الله عليه وآله وسلم - على مسلمة بن سلامة بن رقص الأنصاري حين قال لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : إن لقينا العجائز صلعا كالبدن المعلقة فنحرناها... وقول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - له: يا بن أخي اولئك الملا من قريش^(١). أو قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - : «هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها»^(٢) وما وقفة علي (ع) على طلحة يوم الحمل وقوله: «أعزز عليّ أبا محمد أن أراك مُعَفَّراً تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية»^(٣) ببعيدة عن ذاكرة الوعاه.

إن المتتبع لسيرة طالب بن أبي طالب يرى اضطراباً كثيراً فيما يروى حول مصيره بعد معركة بدر ضمن الروايات ما يؤكد رجوعه إلى مكة مع

وقال: «هذا الشاهد عن كلام طالب بن أبي طالب أخي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابن عم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من كلمة يمدح بها النبي صلوات الله وسلامه عليه ويبيكي فيها على من قتل بيد من قريش».

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٩١.

(٢) المبرد/ الكامل/ ج ١/ ص ٢٤٢/ الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٧.

(٣) نفس المصدر/ ج ١/ ص ١٤٦.

مَنْ رَجَعَ^(١) ومنها ما يشير إلى أنه لم يرجع إلى أهله أو فقد ولم يعرف له خبر^(٢) ثلاثة نقول باختطاف الجن اياه^(٣) ورابعة نقول بانتحاره غرقاً^(٤) ولعل الأولى اقربها إلى العقل وأوفقها إلى المنطق وأميلها إلى طبائع الأشياء لأن ما سواها لا يملك مقومات الحجية ازاء ما يمكن أن يوجه إليها من نقود طعون فهي إلى مرجمات الطعون أقرب «إن الظن لا يغني من الحق شيئاً»^(٥).

وكما اضطربت تلك الروايات في مصيره تضطرب هي الأخرى في إسلامه ولدئى تتبعى لسيرة الرجل فيما تيسر بين يدي من المصادر وجدت أن الكثير منها ينسب طالباً إلى الكفر وإن منشأ تلك النسبة هو الجهل بإسلامه ولنا على ذلك ملاحظتان:

الأولى: ان عدم العلم بإسلام امرئ لا يمكن أن يقوم دليلاً على القطع بكفره.
الثانية: إن عدم علم امرئ لا يكون بحالٍ مانعاً عِلْمَ غيره... فتأمل.

فمن كل ما تقدم مع ملاحظة قرائن الحال والمقال التي سأعرضُ لها باقتضاب نستطيع أن نتبين حقيقة هذا الرجل فنحكم له أو عليه وإذا ما عدنا الحكم العدل فليحكم فيهِ وجداننا...

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٢٧١، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٩.

(٢) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٤/ ص ١٨٧، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٨٥، وابن شهر آشوب/ مناقب آل أبي طالب/ ج ١/ ص ١٦٢، والطبري/ تاريخ الرسول الملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٩ نقلاً عن ابن الكلبي.

(٣) الجاحظ/ الحيوان/ مج ٢ - ٧/ ص ٤٥٩، والجاحظ/ رسائل الجاحظ/ ج ٢/ ص ٣٧٣.

(٤) ابن عثبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٠.

(٥) النجم الآية: ٢٧.

- ١ — النزعة الإيمانية الحنيفية التي لمسناها في شعره في وقعة الفيل .
- ٢ — معالنته قريشاً البراءة من المشركين وما كان بينه وبين القوم من مرادده ثم صرفه عن ساحة الصراع في بدر .
- ٣ — مدحه رسول — صلى الله عليه وآله وسلم — وأنه : أشرف الورى ، وخير بني هاشم ، ورسول الاله على فترة من الرسل .
- ٤ — هجرته إلى الشعب وحصره فيمن أُحصِر .
- ٥ — ضمانه أبي طالب بعدم خذلاله وأولاده له — صلى الله عليه وآله وسلم — في أبيات منها^(١) :
والله لا أخذل النبي ولا
يخذله من بني ذوحسب
- ٦ — ما ذهبنا إليه في وصية أبي طالب لابنه من لزوم النصرة والمؤازرة والمفاداة .
- ٧ — ما روي عن أبي عبد الله (ع) من أن طالباً : كان أسلم^(٢) .
- ٨ — ما ذكره العلامة ابن خلدون في كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر» قال : «فلما هلك أبو طالب وهاجر بنوه مع رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — وحمزة كذلك ثم من بعده العباس والكثير من بني عبد المطلب وسائر بني هاشم»^(٣) .
- ٩ — نهيه — صلى الله عليه وآله وسلم — عن الحاق الأذى ببني هاشم في بدر ودعاؤه بنجاة المستضعفين من المؤمنين .

(١) ابن الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤ / ص ٧٦ .

(٢) الكليني/ الروضة من الكافي/ ج ٨ / ص ٣٧٥ .

(٣) المغربي/ ج ٣ / ص ٣ .

١٠ - ما رواه جابر بن عبد الله، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عنه فيما شاهده - صلى الله عليه وآله وسلم - في الليلة التي أسري به فيها إلى السماء من الأنوار الأربعة وسؤاله - صلى الله عليه وآله وسلم - رب العزة تقدست اسماء عنها وجوابه جلّ وعزّ هذا عبد المطلب وهذا أبو طالب وهذا أبوك عبد الله وهذا أخوك طالب . . . من كلام طويل ذكره المهزومي العبدي^(١) في كتابه «ديوان شيخ الأباطح أبي طالب» .

ولم يشر أحد من المؤرخين - فيما أعلم - إلى وفاته زماناً أو مكاناً كمالم أعثر فيما أتيج لي من المصادر عن وجود عقب له وبذلك قطع السويدي^(٢) وابن عنه^(٣) والنويري^(٤) واسقطه من عداد بطون أبي طالب .

-
- (١) أبو هفان/ ص ١ وهو من الشعراء المشهورين المذكورين وشعره موجود بكل مكان ذكر ذلك ابن المعتز في طبقات الشعراء ص ١٠٤ .
 (٢) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب/ ص ٧١ .
 (٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٠ .
 (٤) نهاية الأرب/ ج ٢/ ص ٣٦٠ .

الفصل الثاني

عقيل بن أبي طالب

أبو يزيد^(١)، عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي شريف المتمرز، كريم العرق مخول معتم، كان أبو طالب يحبه أكثر من سائر بنيته^(٢) ولعل السيدة الفاضلة أمه كانت تتوسم في عرينه الشهم، فكانت تهدهده وتناغيه صغيراً:

أنت تكون ماجد نبيل إذا تهبّ شمأل بليل^(٣)

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥، وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠، ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٢.

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠.

(٣) البيت من شواهد النحو في ألفية ابن مالك/ ج ١/ ص ٢٩٢، ويورد ابن عقيل في شرحه بهامشها البيت السابق مع ما قبله هكذا:

إن عقيلاً كاسمه عقيل ويبني الملفف المحسول

أنت تكسون السيد النبيل إذا تهبّ شمأل بليل

يعطي رجال الحي أو نبيل

وكما أفاد شارح فالبيت لام عقيل بن أبي طالب تقوله وهي ترقص ابنها عقيلاً. والذي صادفته في الزركلي/ ج ٥/ ص ٩ من الأعلام أن: بهاء الدين بن عقيل، وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي من أئمة النحاة من نسل عقيل بن أبي طالب (وهو شارح الألفية).

ولقد كان كذلك ماجداً ونبيلاً، وشجاعاً فارساً ذا مقول صارم ولسان غضب كم انكى به عدوه، عالماً بانساب قريش مثالبها ومآثرها والأمهات وكان الناس يأخذون ذلك عنه بمسجد المدينة وكان سريع الجواب المسكت^(١).

ويحسن أن أذكر أن في قريش أربعة يتحاكم الناس اليهم في المنافرات وهم: عقيل بن أبي طالب ومخرمة وحويطب وأبو جهم^(٢) ويعتبر عقيل من أشدهم عارضة واحضرهم مراجعة في القول وأبلغهم في ذلك^(٣) وكان يعد المساويء^(٤) وله طنفسه كانت تطرح في مسجد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فيصلي عليها ويجتمع إليه الناس^(٥) حتى أن أخاه علياً (ع) لم يتردد في استشارته باختيار زيجة له قائلاً: «انظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً»^(٦) فأشار عليه بأن يتزوج أم البنين الكلابية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها^(٧).

وكان عقيل بن أبي طالب هو الآخر فيمن أخرجته قريش إلى بدر كرهاً وقد أسره يومئذ: عبيد^(٨) بن

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥، وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤. والجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ١٧٠.

(٢) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥١ وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٥، والزركلي/ الأعلام/ ج ٥/ ص ٣٩.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٥.

(٤) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥ وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤.

(٥) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٤ وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤.

(٦) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٥٧.

(٧) نفس المصدر/ ص ٣٥٧.

(٨) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٢/ ص ٣٤٣.

وقيل: إن علياً (ع) مرَّ به وهو أسير فأشاح بوجهه عنه، فقال له عقيل: «والله لقد رأيتني ولكن عمدا تصد عني»^(٣) فجاء علي (ع) إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال: «يا رسول الله هل لك في أبي يزيد مشدودة يده إلى عنقه بنسعه»^(٤) فانطلق معه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى وقف عليه فلما رآه عقيل قال: «يا رسول الله إن كنتم قتلتم أبا جهل فقد ظفرتكم وإلا فادركوا القوم ما داموا بحدثان فرحتهم»^(٥) وقيل: إن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال للعباس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة: «يا عباس افد نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب»^(٦) قال ابن أبي الحديد نقلاً عن ابن إسحاق قوله: «وكان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لما استشار أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ في أمر الأسارى، غلظ عمر عليهم غلظة شديدة فقال: يا رسول الله أطعني فيما أأشير به عليك، فإني لا آلوك نصحاً، قدم عمك العباس فاضرب عنقه بيدك، وقدم عقيل إلى علي أخيه يضرب عنقه وقدم كل أسير منهم إلى أقرب الناس إليه يقتله قال: فكره النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ذلك ولم يعجبه»^(٧) وذكر أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -

(١) نفس المصدر/ ج ٢/ ص ٣٤٣، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ١٩٩.

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ١٩٩.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٤.

(٤) نفس المصدر/ ص ١٥٤.

(٥) المصدر السابق نفسه/ ص ١٥٤.

(٦) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٤/ ص ٢١٠، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٦٥ باختلاف يسير.

(٧) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٢/ ص ١٨٣، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٧٤ - ٤٧٥.

وسلم - مال إلى رأي أبي بكر في الفدا والاستبقاء^(١).

في سياق تفسيره للآية: «يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى»^(٢) قال السيد عبد الله شُبَّر: «إنها نزلت في العباس وعقيل ونوفل»^(٣). وروى الإمام الحافظ بن شهر اشوب عن أبي معاوية الضرير عن الأعمش عن مجاهد في قوله تعالى: «هو الذي أيديكم بنصره أي بقومك» بأمير المؤمنين وجعفر وحمزة وعقيل^(٤).

وزوجة عقيل: فاطمة بنت عتبة بن ربيعة، بن عبد شمس العبشمية، أخت هند أم معاوية^(٥). قال ابن حجر^(٦) في الإصابة بسند صحيح: «تزوج عقيل بن أبي طالب فاطمة بنت عتبة بن ربيعة» وذكر^(٧) أيضاً عن علي (ع) قوله: «أهدي إلى رسول - صلى الله عليه وآله وسلم - حلة استبرق فقال: اجعلها خُمراً بين الفواطم، فشققها أربعة أخمرة: خماراً لفاطمة بنت رسول الله وخماراً لفاطمة بنت أسد وخماراً لفاطمة بنت حمزة ولم يذكر الرابعة [قال ابن حجر] قلت: ولعلها امرأة عقيل».

وعلى الرغم من واشجة الزوجية التي تشجُّ الزوجين إلا أنها ربّما وجدت على عقيل حين يطوف بها طائف ذكرى مصارع أهلها في الجاهلية فكانت تجبهه بقولها: «يا بني هاشم لا يحبكم قلبي ابداً، أين أبي، أين عمي. أين أخي كأنّ أعناقهم أباريق فضة ترد أنافهم الماء قبل

(١) ابن حزم/ الفصل في الملل والأهواء والنحل، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٧٥،

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٠.

(٣) تفسير شبر/ ص ١٩٨.

(٤) مناقب آل أبي طالب/ ج / ص ٣٤١.

(٥) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء السابع من ثمانية أجزاء/ ص ١٦٤، ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤.

(٦) نفس المصدر/ الجزء السابع من ثمانية أجزاء/ ص ١٦٤.

(٧) نفس المصدر السابق/ الجزء السابع من ثمانية أجزاء/ ص ١٦٤.

شفاهم»^(١) ويحسبك ما لم تستطع كتمانك فجرى على لسانها من إرادة العام في حين أن المقام يقتضي الخاص. وكان عقيل يرد عليها بما لم تحر معه جواباً: «إذا دخلت جهنم فخذني عن شمالك»^(٢).

وقيل: إن زوجته — موضوع الحديث — أتت عثمان بن عفان يوماً فشكته عقيلاً، فبعث عبد الله بن عباس ومعاوية حكيمين، فقال ابن عباس: لا فرق بينهما وقال معاوية: ما كنت لافرق بين سمحتي من قريش، فلما أتياهما وجداهما قد أغلقا بابهما واصطلحا^(٣).

ومن الملاحظ أن عقيل بن أبي طالب كان له عدة زوجات بما فيهن من تسراهن من الجواري. فيما سنعرض له ضمناً عند حديثنا عن بني عقيل وعن تسريه لإحداهن يقول عقيل نفسه: ذكروا الجواري فالتفت إليّ يزيد وقال: إيه يا عقيل فقلت:

أفاض القوم في ذكر الجواري فأما الأعزبون فلن يقولوا

قال يزيد: إنك لم تبق عزباً فلما رجعت إلى منزلي إذا أنا بخادم قد أتاني ومعه جارية وفر من بيت وبدرة عشرة آلاف درهم^(٤).

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل قال: «تزوج عقيل بن أبي طالب فخرج علينا فقلنا له: «بالرفاء والبنين». فقال: مه لا تقولوا ذلك؛ فإن النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — نهى عن ذلك، وقال: قولوا: «بارك

(١) الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٥، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٢، علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٤، والأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٧/ ص ٢٠١ باختلاف يسير.

(٢) الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٥، والأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠١، ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٢.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٤.

(٤) الألبشهي/ المستطرف في كل من مستطرف/ ج ١ — ٢/ ص ١٦١.

الله لك وبارك عليك وبارك لك فيها»^(١).

ولعقيل دار بالمدينة معروفة^(٢). وأخرى في مكة أورد ذكرها القطبي^(٣) في مورد حديثه عن دار خديجة (رض) قال: «ويستجاب الدعاء في دار خديجة أم المؤمنين (رض) وهو معروف الآن في مكة ويعرف بمولد السيدة فاطمة (رض) لأنها ولدت فيها وهي وجميع أولاد خديجة من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وتوفيت بها ولم يزل - صلى الله عليه وآله وسلم - ساكناً بها إلى أن هاجر إلى المدينة فأخذها عقيل بن أبي طالب».

قال جلدنا^(٤): «وكان عقيل بن أبي طالب قد باع دور بني هاشم المسلمين بمكة وكانت قريش تعطي من لم يسلم مال من أسلم فباع دور قومه حتى دار رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مكة يوم الفتح قيل له: ألا تنزل دارك يا رسول الله فقال: وهل ترك لنا عقيل من دار» وفي النبوي وابن الأثير^(٥) أن مولد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كان بالدار التي تعرف بدار ابن يوسف وأن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهبها عقيل بن أبي طالب فلم تزل في يده حتى توفي فباعها ولده من محمد بن يوسف أخيه الحجاج. كما ذكر السيد^(٦) في درجاته الرفيعة: أن أبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، ابن عم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وأخاه من الرضاعة دفن عند موته في دار عقيل.

(١) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٦.

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠.

(٣) إعلام العلماء بالأعلام ببناء المسجد الحرام/ ص ١٥٤.

(٤) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٤.

(٥) الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ١٥٦. الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٢٧٠.

(٦) علي خان/ ص ١٦٦.

إن شرف بنبوته عقيل الشامخ وعز أرومته الباذخ من جهة ومماسته اليومية والتفصيلية وطبقات مجتمعه وملابسته الناس على قدر أخلاقهم واستعداده النفسي الخاص — كما تقدم — جعل من عقيل بن أبي طالب رجلاً أصيل الرأي والعقل حتى بدأ بهما أصحابه فكان الموثل والمفزع حينما استغلق على الناس فهمه واعصوب أمره، من ذلك ما روي عن انتداب الخليفة عمر بن الخطاب (رض) عقيلًا وآخرين معه لتدوين الدواوين بعد أن أشار الوليد بن هشام بن المغيرة على عمر بأن يفيد من تجربة ملوك الشام في هذا المجال. وفي ذلك يقول الوليد: «جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديواناً وجندوا جنداً فدون ديواناً وجند جنداً فأخذ بقوله، فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من لسان قريش فقال: اكتبوا الناس على قدر منازلهم. فبدأوا ببني هاشم»^(١) وروي أن عمر بن الخطاب لما وضع الديوان استشار بمن يبدأ فقالوا: «ابدأ بنفسك، قال: لا، ولكني ابدأ بالأقرب فالأقرب من رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — وقال: إن رسول الله إمامنا فبرهطه نبداً. فوالله ما أدركنا العقل في الدين وما نرجو الثواب على عملنا إلا بمحمد — صلى الله عليه وآله وسلم — فهو شرفنا وقومه أشرف العرب»^(٢).

وفي إسلام عقيل بن أبي طالب أقوال: فقد قيل: إن إسلامه كان تأخر إلى عام الفتح وقيل: بعد الحديبية وإن هجرته كانت في أول سنة ثمان^(٣) وقيل: إنه شهد غزوة مؤتة ولم يسمع له ذكر في الفتح وحين وكأنه كان مريضاً^(٤) وأورد جدنا^(٥) — قدس سره — في إسلامه قولين:

(١) البلاذري/ فتح البلدان/ ص ٤٣٦.

(٢) نفس المصدر/ ص ٤٧٦.

(٣) ابن حجر الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥.

(٤) نفس المصدر/ ص ٢٥٥.

(٥) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٤.

الأول: إن عقيلاً لما فدي. عاد إلى مكة ثم أقبل مسلماً مهاجراً قبل الحديبية وشهد غزاة مؤته مع أخيه جعفر (ع).

والثاني: إنه لم يعد إلى مكة بل أقام مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وشهد معه المشاهد كلها، ثم يستدرك ليقول: «والأول أصح».

وروي: أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قد أعطاه من خير مائة وأربعين وسقاً كل سنة^(١). وفي حب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لعقيل ما روى غير واحد قوله صلوات الله عليه: «يا عقيل احبك حبين حباً لقربائك وحباً لحب عمي أبي طالب إياك»^(٢).

كما وقع ذكره في الصحيح في مواضع^(٣) وأخرج النسائي وابن ماجه له حديثاً^(٤) وذكره الشيخ الطوسي^(٥) في رجاله في أسماء الرواة عن علي (ع)، وروى له هشام بن محمد الكلبي عن أبيه عن أبي صالح^(٦) وذكره أبو عبد الرحمن السلمي^(٧) في سؤالاته للدارقطني في الجرح والتعديل.

وحدث عنه سعيد بن أبي هند عن أبي مرة مولى عقيل وذكر ذلك ابن هشام^(٨) عن ابن إسحاق. وكذلك النجاري^(٩) بطريق آخر عن أبي مرة أيضاً

(١) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ١٤.

(٢) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٦٤ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠ والقندوزي الحنفي/ ينباع المودة/ ص ١٥٤.

(٣) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥.

(٤) نفس المصدر/ ص ٢٥٥.

(٥) ص ٤٨.

(٦) الألسي/ بلوغ الأرب/ ج ٣/ ص ٤٧٥.

(٧) ص ٢٤٢.

(٨) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٥٣.

(٩) صحيح البخاري/ ج ١/ ص ٩٤.

عن عقيل، وعرض لذكره البلاذري^(١) لدى حديثه عن حفائر مكة بما نصه: «وكان عقيل بن أبي طالب حفر في الجاهلية بئراً وهي في دار ابن يوسف» وورد اسمه في عداد المحصورين في شعب أبي طالب^(٢).

وفي تاريخ وفاة عقيل قولان:

أحدهما: أنه توفي في خلافة يزيد قبل وقعة الحرّة وثانيهما أنه توفي في خلافة معاوية^(٣) وإلى الثاني يميل ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة^(٤) والسيد علي خان المدني في الدرجات الرفيعة^(٥) وأخال رجحان الثاني أيضاً لما ذكره ابن أبي الحديد فإن استُصَحَّ هذا القول فإن عقيلاً يكون قد توفي حينئذٍ بعد أن بلغ من السن ستاً وتسعين سنة^(٦) أو ربما يكون قد أناف على مئة سنة^(٧).

ووجدت في التحقيق بهامش السيرة النبوية لابن هشام كلاماً مفاده أن عقيل بن أبي طالب سكن البصرة ومات بالشام^(٨) وهذا أمر لم يعن لي فيما بين يدي من المراجع إلا ما أورده الأبشيهي في مُستطَرَفِه من قدومه واسط بعد أن استقدمه الأمير يزيد بن المهلب ولم يطل لبائه في واسط غير عشر ليالٍ^(٩) وابن أبي الحديد الذي ذكر أن عقيلاً خرج إلى العراق ثم إلى الشام

(١) فتوح البلدان/ ص ٤٣٦.

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ٦٥.

(٣) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٥ والزركلي/ الأعلام/ ج ٥/ ص ٣٩.

(٤) ج ١١/ ص ٢٥٠.

(٥) ص ١٦٥.

(٦) نفس المصدر/ ص ٢٥٠.

(٧) الزركلي/ الأعلام/ ج ٥/ ص ٣٩.

(٨) ج ٣/ ص ٣.

(٩) المستطرف في كل فن مستظرف/ مج ١ - ٢/ ص ١٦١.

ثم عاد إلى المدينة^(١) وفي (إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام) للقطبي صورة كتاب وقف قصر الواقف فيه مورد وقفه على اكساء قبر الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - بالأسطار تكريماً وتشريف مراقده الاتباع وستر مراصد الأشياء أيضاً بالأزار ومحراب قبة العباس وقبره وقبر عقيل بن أبي طالب^(٢).

(١) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠.

(٢) القسم الأول/ تواريخ مكة/ ص ١٧٤.

بين عقيل وعلي

كان عقيل بن أبي طالب ربيّةً لعلي ودريئةً ولساناً حليفاً وعينا، وغير مراغم لعتاب ولا مفارق لقلبي، لم يؤثر عاجل الدنيا على آجل والآخرة ولم يعدل بعلي سواه من الخلق فكم من موقف شدّ فيه ظهر أخيه بصحيح بادرت، وكم من موطن نافخ عنه فيه بجيد نادرت وهو في هذا وذلك لم يتكعكع ولم يهن.

استمع إليه في مجلس الخليفة عثمان بن عفان كيف أفلج الوليد^(١) بن عقبة بن أبي معيط بلسان الصدق غضبا لله وللحق بعد نيل الأخير من أخيه علي (ع) قال عقيل: «إنك لتكلم يا بن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت وأنت عليّ من أهل صفورية»^(٢).

واستشرف مجلسه عند معاوية بن أبي سفيان كيف يوترّ قوسه ويرمي غرضه فلم يخطئ قصده ثاراً لأخيه (ع) بعد تعريض معاوية به وعندها لم يسع معاوية إلا الاذعان بالحق والتسليم للحقيقة والاعتراف: بأن محلّ المجد من بني هاشم منوط في أبي يزيد ما تغيّره الأيام والليالي^(٣) وهو أرية عقد الأخاء ورؤية صدع الصفاء فما أن يبلغه ائتمار بعض القوم بأخيه

(١) الوليد بن عقبة بن أبي معيط: أخو عثمان لأمه وكان والياً على الكوفة.

(٢) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ١/ ص ٤٣٦.

(٣) نفس المصدر/ ج ٢/ ص ٧٥.

وخذلان أهل الكوفة له وتقاعسهم عن نصرته عقب غارة الضحاك الفهري على بعض أعماله (ع) حتى يسارع في انفاذ كتاب إليه يمحضه فيه نصحه ويمنحه مشورته وينابذ فيه عدوه ويذمر نفسه على فوت الحرب، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج/ ج ١١/ ص ٢٥٠: «وعرض نفسه وولده عليه فأعفاه ولم يكلفه حضور الحرب». وكان مما كتبه يومئذ: «فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أخيك وولد أبيك فعشنا معك ما عشت ومتنا معك إذا مت فوالله ما أحب أن أبقى في الدنيا بعدك فواقا»^(١).

وكان مما أجاب به عليّ (ع) عقيلاً: «وأما ما عرضت من مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك فلا حاجة لي في ذلك فأقم راشداً محموداً فوالله ما أحب أن تهلكوا معي أن هلكت ولا تحسبن ابن أبيك لو أسلمه الناس متخشعاً ولا متضرعاً انه لكما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنت فإنني صبور على ريب الزمان صليب

يعز عليّ أن ترى بي كآبة فيشمت عادٍ أو يساء حبيب»^(٢)

وعلى الرغم من تصوير البعض لعقيل بن أبي طالب بصورة الرجل المحك لكثرة ترداده على أخيه (ع) والإيغال في استرفاده واستزادته من العطاء ثم الانكفاء إلى معاوية بن أبي سفيان فإن عقيلاً لم يترك نصيح أخيه والتعصب له^(٣) في حله به وطمعنه عنه ففي الحِلِّ كان يجده خيراً

(١) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٥ الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٦/ ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٢) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١١/ ص ٢٠٣ - ٢٠٤، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٧ وقال: وقد أورد الشريف الرضي بعض هذا الكتاب الذي كتبه أمير المؤمنين (ع) جواباً لأخيه في نهج البلاغة إلا أن بين ما أورده - والقول لما يزل للسيد علي خان - وبين ما نقلناه اختلافاً يسيراً في العبارة.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٧.

لدينه^(١) وفي ظعنه عنه كان يتركه على ما يحب الله ورسوله^(٢) وهو بين هذين: «قد جعل دنياه دون دينه وخشي الله على نفسه ولم تأخذه في الله لومة لائم» كما يقول عقيل^(٣) فمما لا جدال فيه أن علياً (ع) «كان شديد السياسة خشناً في ذات الله، لم يراقب أخاه عقيلاً في كلام جبهه به»^(٤).

ان علياً (ع) كان يعطي فرضه، فإذا ما كان عطاؤه قليلاً فإنما هو لقلّة ما في يده وكثرته في يده عدوّه، ثم ان تلك الأموال التي كانت بين يديه إنما هي أموال الله لكل مسلم فيها حق ولكل ذي حاجة فيها نصيب. يستوي عند علي في ذلك القريب والبعيد والقاصي والداني وليست ملكاً لابن أبي طالب طليقاً يحتجّنه فيما يحتجّج، فما قيمة المال عنده إذن إن لم يُقَمِّم به حقاً ويدفع باطلاً ويرأب صدعاً. أوليس (ع) هو الذي يقول: «ما أزهّد كثيراً من الناس في الخير، عجبت لرجل يجيئه أخوه^(٥) في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كنا لا نرجو جنة، ولا نخاف ناراً، ولا ننتظر ثواباً، ولا نخشى عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فأنها تدلّ على سبيل النجاة»^(٦) لذلك فقد كان يصل أخاه بما اتسعت له كفاه واحتمله ماله^(٧)، أفيحسب ذلك منه تقصيراً أم قصوراً؟

ومما روي عن عقيل بن أبي طالب: إنه قدم على علي (ع) الكوفة، فأنزله وأمر ابنه الحسن (ع) فكساه، فلما أمسى دعا بعشائه فإذا خبز وملح وبقل، فقال عقيل: ما هو إلّا ما أرى؟ قال: لا. قال: فتقتضي ديني؟ قال:

(١) نفس المصدر/ ص ١٥٥.

(٢) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٧٥.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٣.

(٤) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٤.

(٥) ان «الأخ» عند أمير المؤمنين علي (ع) اثنان، اما أخ في (الدين) أو نظير في (الخلق).

(٦) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٧/ ص ٢٧٩.

(٧) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٣ من كلام لعقيل (ع): «فوصلني بما اتسعت له كفاه واحتمله ماله».

وكم دينك؟ قال: أربعون ألفاً. قال: ما هي عندي. ولكن اصبر حتى يخرج عطائي، فإنه أربعة آلاف فأدفعه إليك. فقال له عقيل: بيوت المال بيدك وأنت تسوفني بعطائك! فقال: أأمر في أن أدفع إليك أموال المسلمين، وقد ائتموني عليها قال: فإنني آت معاوية. فأذن له^(١).

وعنه أيضاً، قال: «أقويت وأصابني مخمصة شديدة، فسألته فلم تند صفاته، فجمعت صبياني وجثته بهم، والبؤس والضر ظاهران عليهم، فقال: اتني عشية لأدفع إليك شيئاً، فجثته يقودني أحد ولدي، فأمره بالتنحي، ثم قال: ألا فدونك، فأهويت حريصاً قد غلبني الجشع أظنها صرة — فوضعت يدي على حديدة تلتهب ناراً، فلما قبضتها نبذتها، وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره فقال لي: ثكلتك أمك! هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا، فكيف بك وبي غدا أن سلكننا في سلاسل جهنم! ثم قرأ: ﴿إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾. ثم قال: ليس لك عندي فوق حقتك الذي فرضه الله لك إلا ما ترى، فانصرف إلى أهلكت^(٢).

وروي نحو ذلك مما هو كثير في مظانه من كتب التاريخ والسيرة، وليس في ذلك ما يعاب به عليّ وهو الذي وترّ قربانه بعدائه في الله أو يعير به عقيل وقد أعوزَ وتحوّجَ وإنما هو عِظّة بالغة لكل ذي لب ودرس خليق بأن يؤتسى به في كل زمان ومكان. قال الاستاذ العلامة القرشي: لقد مثل الإمام عليّ في عهده الفضيلة والمساواة والحق والعدالة حتّى ساوى بين أخيه عقيل وبين غيره من طبقات الشعب، وقد ملأ (ع) التاريخ عظمة وافتخاراً بمآثره الطيبة التي هي عنوان لسلطان الحق والمساواة^(٣).

لقد كان عليّ (ع) يقيس الأمور بمقياس الحق ويزنها بالقسطاس المستقيم لم يصانع ولم يلاين أحداً قَرَّبَ إليه أو بعد منه والجميع على

(١) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٥.

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٣ — ٢٥٤.

(٣) القرشي/ حياة الحسين بن علي/ ج ١/ ص ١٩٢.

سوية من الأمر عنده فلقد عتف (ع) ولده الحسين ريحانة رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — وأوشك أن يحذفه بالدره لأنه (ع) أخذ مقسمه من زق عسل جاءهم من اليمن قبل غيره لضيغ نزل به لولا أن يقسم على أبيه يحق عمه جعفر وكان (ع) إذا سئل بحق جعفر سكن وقال له: ما حملك على أن أخذت منه قبل القسمة فقال (ع) إن لنا فيه حقاً قال فذاك أبوك وإن كان لك فيه حق فليس لك أن تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم أما لولا إني رأيت رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — يقبل ثفيك لأوجعتك ضرباً ثم دفع إلى قبر درهما كان مصرورا في رداثه وقال: اشتر به خير عسل تقدر عليه وجعل يبكي ويقول: اللهم اغفر للحسين فإنه لم يعلم^(١).

واستعارت بنت أمير المؤمنين علي (ع) عقد لؤلؤ تتجمل به في يوم الأضحى من علي بن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين (ع) فلما رآه عليها عرفه وأمرها ببرده ثم قال: ويل لابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة مضمونة، لكانت اذن أول هاشمية قطعت يدها في سرقة وبخ ابن أبي رافع وتوعده بالعقوبة ان هو عاد إلى مثله^(٢). قال صاحب الدرجات الرفيعة: «فهذه ابنته الجارية مجرى نفسه لم يحابها في دين الله ولا راقبها في حدود الله»^(٣).

وفي اختلاف عقيل إلى معاوية قولان:

الأول: باختلافه إليه في حياة أخيه واستدل القائلون بذلك بقول معاوية — وعقيل عنده يومئذ — هذا أبو يزيد، لولا علمه أني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه ومجاوبة عقيل له^(٤).

الثاني: بعدم عودته إلى معاوية إلا بعد وفاة أمير المؤمنين علي (ع)

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٩ وما بعدها.

(٢) البهائي/ الكشكول/ ج ٢/ ص ٢٦٧.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٧.

(٤) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥١ والجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٤.

واحتجّ بالكتاب الذي أنفذه عقيل إلى أخيه (ع) في آخر خلافته وجواب علي عليه^(١).

وأظهر القولين عند ابن أبي الحديد الثاني وبه أخذ^(٢) كما نسب السيد الأمين^(٣) - قدس سره - إليه قوله: «إن معاوية وبَّخَ سعيد بن العاص على تأخره عنه في صفين فقال سعيد: لو دعوتني لوجدتني قريباً ولكن جلست مجلس عقيل وغيره من بني هاشم ولو أرعبتك لارعبوا» وعنه^(٤) أيضاً: «إن عقيلاً كان بقي بأولاده في المدينة كما يدلّ قول سعيد بن العاص... وكتاب عقيل إلى أخيه الدالّ على أن عقيلاً كان بالحجاز مع أولاده عند غارة الضحاك التي كانت بعد الحكمين وأن أمير المؤمنين أمره بالإقامة بأولاده بالحجاز وعدم المجيء إلى العراق... وأن عقيلاً لم يذهب إلى معاوية في حياة أمير المؤمنين وإنما ذهب بعد موته ويدلّ على ذلك الكتاب والجواب كلام سعيد بن العاص».

أيّا كان الأمر فسواء اختلف عقيل إلى معاوية في حياة عليّ (ع) أو بعدها، فإنه ليسَ الرجل الوحيد الذي كان يطرق باب معاوية ففتح له على مصراعيها فهناك الكثير من خيار الصحابة وصلحاء المسلمين ممن زحرت باسمائهم صفحات التاريخ فيمن وفد عليه أذكر منهم على سبيل المثال الحَصْر: صعصة بن صوحان وشرّيك بن الأعور وعبد الله بن عباس والأحنف بن قيس وغيرهم، وكان لأولئك الرجال مواقف مع معاوية لما يزل الناس يتمثلونها.

ولعل الدافع الاقتصادي - وإن لم يكن الدافع الوحيد - هو أقوى الدواع التي كانت تستحثهم نحو معاوية. فقلة الموارد الاقتصادية في

(١) أيضاً: ابن أبي الحديد/ ج ١١/ ص ٢٥١.

(٢) نفس المصدر/ ج ١١/ ص ٢٥١.

(٣) محسن/ أعيان الشيعة/ ج ٣/ ص ٤٩٠.

(٤) نفس المصدر/ ج ٣/ ص ٤٩٠.

الجزيرة العربية لا سيما الحجاز ووفرتها في بلاد الشام وكثرة الأموال بها واحتواء بني أمية لها و «ذهاب تلك الأموال في جيوب عدد قليل من الناس بينما لا يحصل غيرهم على شيء»^(١) كل ذلك كان يدفعهم لاستنقاذ أقواتهم من بين برائن سبع رحب المسرط رغب والاجتهاد في تحصيل حقوقهم، التي قد استوثق منها بنو أمية «بالأبواب والأقفال»^(٢) ومن ذلك قول الأحنف لمعاوية: «إنا والله لا نلومك على ما في خزائن الله، ولكن على ما أنزله من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه»^(٣) وكان البعض يحاول معاوية مجاوزاً الحد في الكذب في كثير من الأحيان وصولاً إلى مراده.

أفيكون بعد ذلك كله من الانصاف في شيء قول القائل:
فمن بسواك باعك فاغن عنه كما استغنى علي عن عقيل^(٤)

وهل يستصاب ما نسب إلى علي (ع) من القول إذ قولوه ما لم يقل: «ما زلت مظلوماً منذ كنت صغيراً، إن عقيلاً ليرمدُ فيقول: لا تذرني حتى تذروا علياً، فاضطجع واذرى وما بي رمد»^(٥) أفنسي أولئك الذين ذهبوا طولاً وعدموا معقولاً أن علياً (ع) يوم ولد كان لعقيل من العمر عشرون سنة فهل يتصور ذو مسكة أن إنساناً بلغ من العمر عشرين سنة يتأبى على طبابٍ علته حتى يرغم أخاه الذي يصغره بكثير على دواءٍ له عنه غنيه؟

وأياً كان الأمر فالذين كشحوا لعقيل بالعداوة لا بد وأنهم وضعوا هذا القول ونسبوه إلى علي كي يحطوا من قدر عقيل ويتنقصوه كما ادعوا على أبيه وأخيه من قبل.

ومع كل ما تقدم، فإننا لو افترضنا أن عقيل بن أبي طالب قد كان جاء

(١) ولهاوزن/ يوليوس/ الدول العربية وسقوطها/ ص ٥٣.

(٢) الميرد/ الكامل/ ج ١/ ص ٣٨.

(٣) العاملي/ الكشكول/ ج ١/ ص ٣٦٢.

(٤) انظر الشرييني/ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول/ ص ٢٢٥.

(٥) انظر تفصيل ذلك في «الشهيد مسلم بن عقيل» للمقرم/ ص ٣٤.

بذنّب واحد فإن محاسنه جاءت بألف شفيع، ولعلّ تلك المحاسن -
لا كما توهم الجاحظ - هي التي كانت أطلقاً للسان الباغي
والحساد فيه^(١).

(١) انظر: الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٤.

وجهها لوجه (مع معاوية)

ربما كنت تجنيت على عقيل فتوهمته على غير حقيقته ولو أمعنت في أمره لربما كنت التمتست له العذر في انتجاعه معاوية فرب ملوم لا ذنب له أو: لعلّ له عذراً وأنت تلوم فمن أجذب جنابُه انتجع ومن أقحط استرشد لكنّ عقيلاً في انتجاعه ينقذُ حقه ويُصحِرُ بما في قلبه وينكي في خصمه نكايات غليظة .

وهو وإن كان معاوية خيراً له في دنياه^(١) فإنما كان يعطيه — كما يقول عقيل^(٢) —: مما لم يعرق فيه جبينه ولم تكدح فيه يمينه رزقاً أجراه الله على يديه وهو المحاسب عليه لا محمود ولا مشكور فيه ولم ينس أن يسأل الله خاتمة خير^(٣).

إن الذين كان يغشون مجلس معاوية لا يبعد أن يكونوا على أنماط ثلاثة ولكل نمط خصوصياته النفسية واستعداداته الذاتية فمنهم: الهمج الرعاع الذين ينعقون بنعيق معاوية يأتَمرون بأمره ويتهون بنهيه ويقولون بمقولته لا يفرقون بين الحق والباطل والمفضول والفاضل والفضل

(١) ابن أبي الحديد/شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥١ .

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٣ .

(٣) نفس المصدر/ ص ١٦٣ ، وابن أبي الحديد/شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥١ .

والنقصان والجمرة والتمرة. هو مع السلطان أطوع إليه من ظله ما دام يكفل لهم بحبوحه العيش، رغيفاً ساخناً ودراهم وكسوة ودعة وحظوة ولو يكن طموحهم ليصل لأبعد من ذلك ولعلّ أمثل شاهد على هذا النمط هو في ذلك الرجل الذي جاء مغدّاً يُهنّئُ معاوية بتوليته ابنه يزيداً ولياً للعهد قائلاً يا أمير المؤمنين: «إنك لو لم تولّ هذا أمور المسلمين لأضعتها»^(١).

ومنهم: من كان على قدر من المعرفة ووفرة من القدرة على التمييز بين الأخماس والأسداس والمضرّ والنافع والغث والسمين ولكنه يعيش حالة من التذبذب والتأرجح بين واقع الحقيقة وحقيقة الواقع فالأصفر الرّثان ملك عليه إحساسه وشعوره ورئيه صخّ أذنيه وهيمن على مسامعه فهو في ظاهر الحال مع معاوية يتمسح بأعبائه ويمخضه وده لكنك ترى إليه حين يخلو إلى من يثق به، يركن إلى سلامة طويته سيفاً مصلتاً ولساناً ناقماً وهو بين ذلك مغلوب على أمره. أصغ إليه وهو يسر في أذن صاحبه على عجالة — بعد أن نال بغيته من معاوية — هامساً: «إني لأعلم أنّ شرّاً من خلق الله هذا وابنه ولكنه قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فلسنا نطمع في استخراجها إلا بما سمعت»^(٢) فيرد عليه صاحبه دهشاً: «يا هذا أمسك فإن ذا الوجهين خليف أن لا يكون عند الله وجيهاً»^(٣).

أما النمط الثالث: فهم العناصر الذين يمثلون مراكز قوى بحسب بنياتهم الاجتماعية وانتماءاتهم الطبقية مع توافرهم على قدر لا يستهان به من المكر والدهاء. مكنهم من مساومة معاوية وصولاً إلى مطامحهم وغاياتهم، رائدهم في ذلك ولاية يولونها أو إمارة تناط بهم إدارة دفتها أو مسؤولية يرمي إليهم بمقلادها ولسان حال الجميع يقول: يا حبذا الإمارة ولو على الحجارة...

(١) المبرد/ الكامل/ ج ١/ ص ٣٨.

(٢) نفس المصدر/ ج ١/ ص ٣٨.

(٣) نفس المصدر/ ج ١/ ص ٣٨.

وها هو واحد من اولئك يستعقب معاوية في أمور فيقول له: «ولولا مصرّ ولايتها لركبْتُ النجاة منها فإنني أعلمُ أن علي بن أبي طالب على الحق وأنا على ضده»^(١).

وتأسيساً على ما سبق كان حضور نمط رابع أمراً لا متدح عنه ولا مصرف تمليّة طبيعة الواقع وتستلزمه مسئولية التكليف فلئن كان قيّص لبني أمية في غفلة من الزمن وغفوه من المسلمين وغياب الوعي وغيوبة الضمير أن «يفلحوا في أن يحولوا إلى أنفسهم ثمرة حكم الدين»^(٢) فيملكوا الناس قهراً ويدلوهم كبراً ويستولوا بالباطل كذباً ومكرّاً تحت شعار الخلافة وأمرة المؤمنين المهتضمتين وهما أمران ليس لبني أمية فيهما إيراد ولا إصدار... وكان لا بد والحالة هذه لصوت الحق في ظل الواقع المحموم أن يصدح ليعلو ضجيج الباطل ولا بد لألسنة الحقيقة أن تنطلق حليفة بما يؤدي إلى فلاح الطغاة حتى يتفرى الليل عن صبحه ويسفر الحق عن محضه.

لم يعهد معاوية هذا النمط من الرجال فيمن عرف من قبل وخبر، أيّداً ومروءة وعزة ونخوة وأنفة ونجدة... رجالاً لم يدالسوا ولم يجنبوا ولم يؤثروا سحق العاجل على الحلال من الآجل ولا العسل في جانب الباطل على العلقم في جانب الحق. وإن علياً مع الحال المضيرة خير من معاوية مع المغيرة ولم يألوا جهداً في أمر بعرفٍ ونهي عن نكرٍ ودفاع عن فضيلة واستنقاذ حق مضى لا يقلل من عزائمهم في سبيل ذلك ارجاف مرجف ووعيد متوعد حتى أن معاوية كان لا يملك نفسه أمام هذا النمط إلا أن يقول: «هكذا فلتكن الرجال»^(٣) وأمام انموجج آخر من اولئك الأفذاذ يودّ معاوية لو أنه كان من صلبه^(٤).

(١) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٦٥.

(٢) ولهاوزن/ الدولة العربية وسقوطها/ ص ٥٣.

(٣) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٧٧.

(٤) نفس المصدر/ ج ٢/ ص ٧٧.

ولم يكن عقيل إلا واحداً من أولئك الأمثال فلقد سدَّ بثباته وجلده
 وشدة عارضته على معاوية المخارج وأخذ عليه السبل بمقول الصدق الذي
 هو من السيف أقطع والحجة التي من السنان أنفذ، فكم من حقٍّ رصد له
 حتى أصاب منه مفصله ومن حقيقة قصد إليها بسهم حجته فلم يخطيء
 كبدها. استمع إليه يخاطب معاوية غير هيّاب ولا وجل فيقول: «وايم الله يا
 معاوية لئن كانت الدنيا مهدتك مهاده وأظلتك بحذافير أهلها، ومدت
 عليك أطناب سلطانها، ما ذاك بالذي يزيدك مني رغبة ولا تخشعاً
 لرهبة»^(١).

وذكر أن معاوية قال لعقيل يوماً: إنَّ علياً حافض لك قطع قرابتك وما
 وصلك ولا اصطنعك، فيجيب عقيل مدافعاً بقوارص الكلام عن أخيه
 فيقول: والله لقد أجزل علي العطية وأعظمها ووصل القرابة وحفظها،
 وحسن ظنه بالله إذ ساءَ به ظنُّك وحفظ أمانته وأصلحَ رعيته، إذ ختم
 وأفسدتم وجرتم فاكفف لا أبالك فإنه عما تقول بمعزل^(٢).

ومن تمذّر نفس معاوية أن يطلب من عقيل في بعض الأيام أن يرقى
 المنبر ليلعن علياً (ع) فيترقى عقيل المنبر ليقول بعد حمد الله والثناء عليه:
 «أيها الناس إن معاوية أمرني أن ألعن علياً فالعنوه فعليه لعنة الله والملائكة
 والناس أجمعين»^(٣) فلما نزل قال له معاوية: إنك لم تبين يا أبا يزيد من
 لعنت، قال عقيل: والله لا زدت حرفاً ولا نقصت آخر والكلام إلى نية
 المتكلم^(٤). عندها يتغيظ معاوية ويغضب لكنه غضب الخيل على

(١) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠١.

(٢) نفس المصدر/ ج ٣/ ص ٢٠٠، ومحمد أحمد جار المولى وأخرون/ قصص
 العرب/ ج ١/ ص ٢١٣.

(٣) أيضاً الأندلسي/ ج ٣/ ص ٢١٦.

(٤) نفس المصدر/ ج ٣/ ص ٢١٦، والأبشهي/ المستطرف/ مج ١ - ٢/ ص ٤٣،
 وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦١.

كثيراً ما حاول معاوية أن يخطب ودَّ عقيل وأن يستميله فيغريه بالمال العظيم والمنزل الرفاه والحفاوة البالغة ليستعديه بكلِّ ذلك على أخيه فلم يظفر بطائل وكانت جميع محاولاته تبوء بذريع الفشل، روي: أنَّ معاوية قال لعقيل هل من حاجة فأقضيها لك، قال عقيل: نعم جارية عرضت عليَّ وأبى أصحابها أن يبيعوها إلا بأربعين ألفاً، فأحبَّ معاوية أن يمازحه فقال: وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً، وأنت أعمى تجتزئ بجارية قيمتها خمسون درهماً، قال عقيل: إني لأرجو أن اطأها فتلد لي غلاماً إذا أغضبتني يضرب عنقك بالسيف، عند ذلك لم يسع معاوية إلا أن يضحك ويقول: مازحناك يا أبا يزيد^(١). وروي أن عقيل بن أبي طالب غدا يوماً عند معاوية وذلك بعد وفاة عليّ (ع) وصلح الحسن (ع) وكان يحيط بمعاوية جلساؤه فقال: يا أبا يزيد أخبرني عن عكسري وعسكر أخيك فقد كنت وردت عليهما قال: أخبرك مررتُ والله بعسكر أخيه فإذا ليلةً كليل رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — ونهاره كنهار رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — إلا أن رسول الله ليس في القوم ما رأيتُ إلا مصلياً ولا سمعتُ إلا قارئاً ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفرَ برسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — ليلةً العقبه ناقتة ثم أخذ يسأل معاوية عمن معه فقال: هذا عمرو بن العاص وهذا الضحاك بن قيس الفهري وهذا أبو موسى الأشعري فطَفِقَ عقيل يثلبهم واحداً واحداً ويذكر مناقضهم فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يعلمه من سوء فيذهب بذلك غضب جلسائه قال: يا أبا يزيد ما تقول في؟ قال: دعني من هذا قال: لتقولن قال: أتعرف حمامة؟ قال: ومن حمامة قال: قد أخبرتك، ثم قام فمضى^(٢).

(١) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥١.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ج ١٦٠ — ١٦١.

يحاولية معاوية جاهداً أن ينتزع من عقيل أية كلمة يستشف منها النيل من علي (ع) ويستشعر منها التعريض به وحين يشعر بالإحباط والخيبة وأن بينه وبين ما يأملُ خراط القتاد... يلجأ إلى وسيلة أخرى وهي أن يستفز عقيلاً ولم تكن هذه بأوفر حظاً من سابقتها، من ذلك ما ذكر عن عقيل من أنه دخل على معاوية وقد كان كف بصر الأول فأجلسه معاوية على سريره ثم قال له: أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال عقيل: وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم^(١).

ودخل عقيل بن أبي طالب على معاوية فقال الأخير لأصحابه: «هذا عقيل عمه أبو لهب قال له عقيل: وهذا معاوية عمته حمالة الحطب. ثم قال: يا معاوية إذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار فإنك ستجد عمي أبا لهب مفترشاً عمتك حمالة الحطب فانظر أيهما خير الفاعل أو المفعول به»^(٢) إلى كثير من هذا اللون.

ومن أمثلة استفزاز معاوية عقيلاً أنه قال له يوماً: «والله إن فيكم لخصلة ما تعجبني يا بني هاشم؟ قال: وما هي؟ قال: لين فيكم، قال: لين ماذا؟ قال: هو ذاك قال: إيانا تعير يا معاوية أجل والله أن فينا لليناً من غير ضعف وعزاً من غير جبروت وأما أنتم يا بني أمية فإن لينكم غدر وعزكم كفر قال معاوية: ما كل هذا أردنا يا أبا يزيد. قال عقيل: لذي اللب قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلم»^(٣)

(١) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠٠، والزيدي/ ناج العروس/ ج ٣/ ص ٤٨ إلا أنه ينسب الحوار إلى ابن عباس ومعاوية طبقاً لحديث لابن عباس بهذا الخصوص كما يوافقه البهائي في الكشكول/ ج ١/ ص ١٩٣ الرأي.

(٢) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠٠، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٢، باختلاف يسير وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٢.

(٣) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠٠-٢٠١، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦١-١٦٢.

ودخل عتبة بن أبي سفيان على معاوية وعنده عقيل فوسع معاوية بينه وبين عقيل فجلس بينهما فقال عقيل: من هذا الذي أجلست بيني وبينك؟ قال معاوية: أخوك وابن عمك عتبة قال: أما إنَّه إن كان أقرب إليك مني لاني لأقرب لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - منك، ومنه، وأنتما مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أرض ونحن سماء. قال عتبة: يا أبا يزيد أنت كما وصفت ورسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فوق ما ذكرت وأمير المؤمنين عالم بحقك ولك عندنا مما تحب أكثر مما لنا عندك مما تكره^(١). ولما لم يفلح معاوية في وسيلته هذه أيضاً يلجأ إلى اغراء جلسائه بعقيل كي يعيبه ويفحمه، من ذلك مقالة الوليد بن عتبة لعقيل في مجلس معاوية: «غلبك أخوك يا أبا يزيد على الثروة قال: نعم واستبقني وإياك إلى الجنة قال: أما والله أن شديك لمضمونان من دم عثمان فقال وما أنت وقريش والله ما أنت فينا إلا كنفع التيس فغضب الوليد وقال والله لو أن أهل الأرض اشتركوا في قتله لأرهبوا صعوداً وأن أخاك لأشد هذه الأمة عذاباً فقال: صة والله إنَّا لنرغب بعبد من عبيده عن صحبة أبيك عقبة بن أبي معيط»^(٢).

لقد كان عقيل يفوت مرة بعد أخرى على معاوية فرصه وكثيراً ما اعيأه حتى أنه كان يلجأ أحياناً إلى أن يقطع على عقيل كلامه «مخافة أن يأتي بشيء يخفضه»^(٣) أو يعزم عليه لما يمسك فإنه لم يجلس لهذا^(٤).

وربما لجأ إلى التهديد والوعيد أحياناً آخر من ذلك قوله لعقيل بعد أن أمعن فيه تكييت معاوية وافحامه: «أما والله يا ابن أبي طالب لولا أن يقال عجل معاوية لخرق ونكل عن جواب لترك هامتك أخف على أيدي

(١) أيضاً/ الأندلسي/ ج ٣/ ص ٢٠٠.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٢.

(٣) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٧٥.

(٤) نفس المصدر/ ص ٧٥.

الرجال من حولي الحنظل فأجابه عقيل :

عذيرك منهم من يلوم عليهم ومن هو منهم في المقالة أظلمُ
لعمرك ما أعطيتهم منك رافة ولكن لأسباب وحلوك علقمُ
أبى لهم أن ينزل الذلّ دارهم بنو حرّة زهر وعقل ومسلمُ
وإنهم لم يقبلوا الضيم عنوة إذا ما طغى الجبار كانوا همُ همُ
فدونك ما أسديت فأشدد به يداً وخيركمُ المبسوط والشر فالزموا^(١)

وكان معاوية قد أمر له بمائة ألف درهم فرمى بها عقيل بن أبي طالب ونفض ثوبه وقام ومضى فلم يلتفت إلى معاوية^(٢).

وروي أيضاً أن معاوية قال لعقيل: يا أبا يزيد كيف تركت علياً فقال: «تركته على ما يحب الله ورسوله وألفيتك على ما يكره الله ورسوله»^(٣) فقال معاوية: «لولا أنك زائر متجعّ جنبنا لرددت عليك يا أبا يزيد جواباً تألم منه»^(٤).

وللأسباب التي أشار إليها عقيل بن أبي طالب والتي لا تخفى على معاوية أيضاً نجد: أن معاوية استعطفه بعد ذلك ولم يُبد له إلا المحبة وكان يحتمل له ما يجبهه به يدل على ذلك ما رواه الزمخشري في ربيع الأبرار أن معاوية كتب إلى عقيل يعتذر إليه من شيء جرى بينهما: أما بعد يا بني عبد المطلب فأنتم والله فروع قصي ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فأين أحلامكم الراسية وعقولكم الكاسية وحفظكم الأواصر وحكم العشائر ولكم

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٣.

(٢) نفس المصدر/ ص ١٦٣.

(٣) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٧٥.

(٤) نفس المصدر/ ص ٧٥.

الصفح الجميل مقرونان بشرف النبوة وعز الرسالة وقد والله ساءني ما كان
جرى ولن أعود لمثله إلى أن أغيب في الثرى، فكتب إليه عقيل (رض):
صدقت وقلت حقاً غير إنني:

أرى أن لا أراك ولا ترانسي ولست أقول سوءاً في صديقي
ولكنني أصد إذا جفاني

فركب إليه معاوية وناشده الصفح وأجازه مائة ألف درهم حتى
رجع^(١).

قال الأستاذ العقاد: وقد اجتمع من سجال بني هاشم وخصومهم في
مجلس معاوية ما ينعقد به سجل خاص في مآثرات الحوار في كل
مقام... أناس من ذوي السلطان المحدث يعلمون هو أن أقدارهم مع بني
هاشم وآل النبي وصفوة قريش، ويلذ لهم أن ينعموا بالسلطان وأن «يجتروا»
تلك النعمة حيثما وسعهم اجترارها في حضرة وليهم وعلى مسمع من
السادة الأعلى الذين غلبوا على ذلك السلطان، وأن ولي الأمر نفسه ليحب
ذلك ولكنه يعلم أنه مركب غير مأمون، وأن الموتورين إذا سمعوا ما
يكرهون فردوه بمثلهم فما في وسعهم أن يواجهوا العالم الإسلامي كل يوم بشهيد
من آل البيت. فسبيله أن يصطنع المخالفة لجلسائه وأن يحذرهم مغبة اللهو
بهذه الملهاة ولا أمان فيها من لسن القوم وأنفتهم التي لم تخذلهم قط في
مقام المناظرة والتحدي من زمن قديم. فإن أصيب جلساؤه فعليهم وزر
عملهم وليس لهم أن يطالبوه بالاقتصاص لهم من أمر قد اختاروه على
خلاف رأيه، وإن سلم أولئك الجلساء فقد شفوا صدره من أولئك
الموتورين.

وتكاد القصص مع بني هاشم في مجلس معاوية تجري كلها على
وتيرة واحدة: رجل من آل البيت يدعى إلى المجلس أو يأتي إليه في أمر

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٣ وما بعدها.

من أموره فيغرى به جليس من الحاشية يتحرش به ويستثيره فيجاب بما هو أهله، ويتغاضب معاوية على الجليس فيلومه إذا بلغ الجدل والمحال فصل المقال، وما نرى أن الملهاة كلها كانت مدبرة لكي تنتهي إلى خاتمة أخطر من هذه الخاتمة. وماذا عليهم إذا استطال الموتورون بالمقال وهم يستطيعون بالسلطان؟^(١).

فلماذا يكون عقيل — وعقيل وحده — مظنة شبهة وموضع ريبة ومحل همزٍ ولمزٍ.

قد علمت أن بين زوج عقيل بن أبي طالب وأم معاوية بن أبي سفيان رحماً ماسه وذلك هو السبب الذي يعزوه ابن الأثير في سيره إلى معاوية^(٢) هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن عقيلاً هو من ذؤابة هاشم فنسبه من الشمس أسطح، وشرفه من هام الثريا أرفع، وفي ذلك يقول الجاحظ: «وله بعدُ لسانه ونسبه واربّه وجوابه، فلما فضل نظراءه من العلماء بهذه الخصال صار لسانه بها أطول»^(٣).

فالذي يكون بهذه المتزلة الرفيعة مع رصانة الرأي وأصالة العقل ليس من المنطق في شيء أن تحول بينه وبين اداء رسالته حدود الجغرافيا كما لا ينبغي أن ينتظر لاجتيازها تصريحاً بذلك، من هنا كان وجوده في مجلس معاوية بمنبر للتوعية والتوجيه أشبه فلم يدع نهضة إلا واختلسها في أمر بمعروف ونهي عن منكر ودحض لشبهة وكشف لزيّف ولا فرصة إلا افرصها في تأكيده للشرعية بقاطع الدليل ودامغ الحجة بعد أن اشتبهت على الناس الأمور واضطربت المقاييس وألبس الحق لبوس الباطل ومسخت الحقائق أمام الأعين ولقد كان يرهص بما كان يخشى منه معاوية ويحاذر ولعل من مصاديق ذلك الارهاص قوله لمعاوية:

(١) العقاد/ معاوية/ ص ٩٠ وما بعدها.

(٢) أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤.

(٣) البيان والبيان/ ص ٣٧٤.

اصبر لحرب أنت جانيها لا بد أن تصلى بحاميها^(١)

وكان عقيل بن أبي طالب في كل ذلك يستنير ويسترشد بمقولة أخيه أمير المؤمنين (ع): «فمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أرغم أنف المنافق ومن صدق في المواطن فقد قضى الذي عليه، ومن شئء الفاسقين، فقد غضب لله ومن غضب لله غضب الله له»^(٢). ولعل الإمام الشافعي (رض) لم يبعد عن هذا المعنى حيث يقول: «من صدق في أخوة أخيه قبل عمله وغفر زلله»^(٣). والذي كان يغدقه معاوية عليه من الأموال إنما هو بعض حقه والذي فضل عليه أكثر مما خرج منه^(٤).

من جميع ما تقدم تخلص إلى أن عقيل بن أبي طالب شخصية واسعة الأبعاد، متعددة المواهب، فسيحة الأوصاف المتغايرة، مما لو اجتمعت في واحد من الناس لكونت مجالاً لاجتماع الضدين وهما كاجتماع النقيضين من حيث الاستحالة وعدم المعقولية وهو في كل ذلك «لا يقوم له أحد»^(٥) فعادوه وقالوا فيه بالباطل ونسبوه فيه إلى الحمق، واختلقوا عليه أحاديث مزورة^(٦) «وسمعت ذلك العامة منهم فلا تزال تسمع الرجل يقول: قد سمعت الرجل يحمقه حتى ألف بعض الأعداء فيه الأحاديث. فمنها قولهم: ثلاثة حمقاء كانوا أخوة ثلاثة عقلاء والأئم واحدة: علي وعقيل، وأمهما فاطمة بنت أسد بن هاشم، وأمهما عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص»^(٧) فكيف يوائم ذلك ما يؤكد عن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب حيث يقول مفتخراً بخاليه علي

(١) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٧٥.

(٢) القالي/ الأمالي/ ج ٢/ ص ١٧١.

(٣) الصبان/ إسعاف الراغبين/ ص ٢٤٠.

(٤) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ١٥٢.

(٥) الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ١٧٠.

(٦) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤، الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٣.

(٧) الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٣.

وعقيل :

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً ومن هاشم أمي لخير قبيل
فمن ذا الذي يبأى عليّ بخاله وخالي عليّ ذو الندى وعقيل^(١)

وما أبين قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مظعون القائل :
وخالي بغاة الخير تعلم أنه جدير بقول الحق لا يتوعر
وجدي عليّ ذو التقى وابن امه عقيل وخالي ذو الجناحين جعفر
فنحن ولاة الخير في كل موطن إذا ما ونى عنه رجال وقصّروا^(٢)

وما أمتن قول أبي الحسن التهامي في ممدوحه :
يدعو النبي من الجدود وحيدراً ومن العمومة جعفرأ وعقيلأ
نسب ترى عنوانه في وجهه لا شبهة فيه ولا تأويلأ^(٣)

أجل فلقد كان عقيل للخير موثقاً وللشم رمزاً وللملھوف غوثاً
وللندى كفأ حتى أنّ معاوية بن أبي سفيان كان يقول : «إذا لم يكن الهاشمي
جواداً لم يشبه قومه»^(٤).

قال المدائني : «أراد أن تجود بنو هاشم بأموالها ففتقر إلى ما في
يديه»^(٥).

(١) نفس المصدر/ ص ٣٧٤ وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٠.

(٢) نفس المصدر/ ص ٣٧٤.

(٣) الشرييني/ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الثاني/
ص ٥٤٠ وما بعدها.

(٤) الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٥٨٧.

(٥) نفس المصدر/ ص ٥٨٧.

بنو عقيل (العقيليون)

بنو عقيل^(١) ويقال لهم العقيليون^(٢) من اشراف آل أبي طالب، قال الجاحظ: «وآل أبي طالب أشرفُ الخلق»^(٣) واسم الشريف كان يُطلق على كل من كان من أهل البيت (ع) سواءً كان حسنياً أم حسينياً أم جعفرياً أم عقيلياً، وذكر ذلك الشيخ الصبان^(٤) في كتابه المطبوع بهامش كتاب نور الأبصار للشيخ سيد الشبلنجي. وآل عقيل بن أبي طالب: ممن تحرم عليهم الصدقة^(٥) وعلى الرغم مما عمله السيف فيهم فإنهم أنمى عدداً وأطيب ولداً شأنهم شأن آل أبي طالب فهم بقية السيف كما قال أمير المؤمنين علي (ع)^(٦) «ومما يستدل به على صدق قوله: ما عمل السيف في آل الزبير وآل أبي طالب وما أكثرَ من عددهم»^(٧) فلقد قتل يوم الطف من آل أبي طالب سوى ما يختلف في أمره اثنان وعشرون رجلاً^(٨) أما من استشهد من

(١) النويري/ نهاية الأرب/ ج ٢/ ص ٣٦، الزركلي/ الأعلام/ ج ٥/ ص ٣٩.

(٢) نفس المصدر/ ج ٢/ ص ٣٦، الصبان/ إسعاف الراغبين/ ص ١٢٠.

(٣) رسائل الجاحظ/ ج ١/ ص ٢٠٩.

(٤) إسعاف الراغبين/ ص ١٢٠.

(٥) الشبلنجي/ نور الأبصار/ ص ١١٠، والنوي/ رياض الصالحين/ ص ١٦٦.

(٦) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ١/ ص ٦٦.

(٧) نفس المصدر/ ج ١/ ص ٦٦.

(٨) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١.

آل عقيل فقد ذكر المؤرخون وأهل السير منهم^(١):

جعفر بن عقيل بن أبي طالب^(٢) — عبد الله بن عقيل بن أبي طالب^(٣)
(الأكبر)^(٤) — عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب^(٥) — محمد بن أبي
سعيد بن عقيل بن أبي طالب^(٦) — محمد بن مسلم بن عقيل بن أبي
طالب^(٧) — عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب^(٨) .

فأما جعفر بن عقيل فأمه: أمّ الثغر^(٩) بنت عامر بنت الهضاب العامري
من بني كلاب^(١٠) ويقا: أمه (الخصوصاء) بنت الثغرية^(١١) وهي أم

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٤ — ٣٠٣، والأندلسي/ العقد
الفريد/ ج ٤/ ص ١٧١، والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١، وعلي خان/
الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٥ .

(٢) البلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٠٠، والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/
ص ٦١، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٢، والكوفي، ابن
اعثم، الفتوح، مج ٥ — ٦، ص ١٢٦ .

(٣) البلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٤، والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/
ص ٦١ وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٣ .
(٤) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١ .

(٥) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩، والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/
ص ٦١، والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٤، وابن الأثير/ الكامل
في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٣، والكوفي، ابن اعثم، الفتوح، مج ٥ — ٦،
ص ١٢٦ .

(٦) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦٢، والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/
ص ٢٢٤، ابن الأثير/ ج ٣/ ص ٣٠٣ .

(٧) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١ .

(٨) نفس المصدر/ ص ٦١، والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٤،
والمسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٩١، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/
ج ٣/ ص ٣٠٣، والكوفي، ابن اعثم، الفتوح، مج ٥ — ٦، ص ١٢٦ .

(٩) في ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٢ «ابنة الشقر بن الهضاب» .

(١٠) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١ .

(١١) نفس المصدر/ ص ٦١ .

البنين^(١) وأما عبد الله بن عقيل وعبد الرحمن بن عقيل ومحمد بن أبي سيعد بن عقيل ومحمد بن مسلم بن عقيل فأمهاتهم أمهات أولاد^(٢) أما عبد الله بن مسلم بن عقيل فأمه رقية ابنة علي بن أبي طالب^(٣).

وعلى من ذكر أن جعفر بن محمد بن عقيل كان قد قتل مع عبد الله بن مسلم بن عقيل أو يوم الحرّة يعقّب أبو الفرج^(٤) فيقول: «وما رأيت في كتب الأنساب لمحمد بن عقيل ابناً يسمى جعفرًا».

وقال^(٥) أيضاً: «وذكر محمد بن حمزة عن عقيل بن عبد الله بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: أن علي بن عقيل، و«أمه أم ولد قتل يومئذ».

وقد ذكر العلامة المحقق الشيخ محمد حرز الدين في كتابة الجليل الموسوم بـ (مراقد المعارف) ولدين لمسلم بن عقيل أحدهما محمد والثاني ابراهيم الشهيديان وقال: وغير خفي أن هذه الشهرة قد مضى عليها قرون وقرون حتى وصلت إلينا ولم يتنكر لها أحد من مشاهير علماء الإمامية ومن يعتمد عليه في التاريخ والآثار من علمائنا المحققين، ومقردهما بالضواحي الغربية لمدينة المسيب الواقعة على ضفة الفرات هذا على المشهور المعروف كما نقل عن الشيخ الصدوق في أماليه قصة مثل الغلامين بعد أسرهما^(٦). ووجدت في كتاب الفتوح للكوفي ما يؤكد استشهادهما ثلاثة من آل عقيل مع الحسين (ع) بالطف وهم عبد الله بن مسلم بن عقيل^(٧).

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٢.

(٢) نفس المصدر/ ج ٣/ ص ٣٠٢ - ٣٠٣، الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١.

(٣) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٣.

(٤) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١.

(٥) الأصفهاني/ أبو الفرج/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١.

(٦) ج ١/ ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٧) قال الكوفي في الفتوح، مج ٥ - ٦، ص ١٢٦: كان أول من خرج إلى القتال من اخوان الحسين وبني عمه وهو يقول:

وجعفر بن عقيل بن أبي طالب^(١) وعبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب^(٢).

وفي عدد من استشهد من آل عقيل بن أبي طالب اضطراب .
فعند ابن عبد ربه الأندلسي^(٣) أنهم خمسة ويعزز رأيه بيتين ينسبهما
لبنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين (ع) ومن أصيب معه :
عين أبكُ بعبرة وعويل واندبي إن نذبت آل الرسول
سته كلهم لصلب علي قد أيدوا وخمسة لعقيل

كما يشاركه السيد علي خان الرأي في درجاته الرفيعة^(٤).
وفي البلاذري^(٥) ستة وسبعة على روايتين، فسته على ما نسبه
البلاذري للمغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو يرثي قتلى
الطف :

اضحكني الدهر وأبكاني والدهر ذو صرف وألوان

اليوم القى مسلماً وهو أبي وفيه ماتوا على دين النبي
ليوا كقوم عرفوا بالكذب لكن خيار وكرام النسب
من هاشم السادات أهل الحسب

(١) في المصدر نفسه، ص ١٢٦، يذكر الكوفي خروجه من بعد عبد الله إلى القتال وهو يقول :
أنا الغلام الأبطحي الطالب من معشر في هاشم وغالب
ونحن حقاً سادة الذوائب هذا حين سيد الاطائب

(٢) وفي المصدر السابق نفسه، ص ١٢٦ يذكر الكوفي أيضاً خروجه من بعد أخيه وهو يرتجز :
أبي عقيل فاعرفوا مكاني من هاشم وهاشم أخواني
كهول صدق سادة القصران هذا حسين شامخ البنيان

(٣) العقد الفريد/ ج ٤/ ص ١٧١ .

(٤) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة/ ص ١٦٥ .

(٥) أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

يا لهف نفسي وهي النفس لا تنفك من همّ وأحزان
على أناس قتلوا تسعة بالطف أمسوارهن أكنان
وستة ما أن أرى مثلهم بني عقيل خير فرسان

وسبعة على ما نسبته البلاذري من بيتي بنت عقيل بن أبي طالب
المتقدمين إلى سراقه البارقي الشاعر بشيء من الاختلاف.

عين ابكي بعبرة وعويل وانديبي إن ندبت آل الرسول
خمسة منهم لصلب علي قد أبيدوا وسبعة لعقيل^(١)

ولعل الشاعر ضمّ مسلم بن عقيل إلى قافلة شهداء الطف رغم
استشهاده (ع) بالكوفة فتم عنده العدد على النحو المذكور.

لقد بذل بنو عقيل النصرة لابن عمّهم الحسين (ع) وأغنوا عنه الغناء
الحسن في الطف واستبسلوا للموت دونه وجعلوا من أجسادهم متاريس في
سبيله حتى ما زجت دماؤهم دمه وعانقت أشواقهم أديم الطف الطهور
فألهمت كلّ ذرة منه الحياة ومنحتها الخلود فكانوا بحق معاني المجد الأثير
الحفيد بكل معاني السمو والعظمة والاباء وعلى الرغم من أذن الحسين (ع)
لبنّي عقيل بالانصراف عن ساحة المعركة بقوله: «يا بني عقيل حسبكم من
القتل بمسلم فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم، قالوا: سبحان الله فما يقول
الناس، يقولون: تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومنا خير الأعمام ولم نرم
معهم بسهم ولم نطعن معهم يرمح ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما

(١) يتفق الأستاذ عباس محمود العقاد والبلاذري في نسبة البيتين إلى الشاعر سراقه البارقي لكنه
يررد البيتين هكذا:

عين جودي بعبرة وعويل وانديبي ما ندبت آل الرسول
سبعة منهم لصلب علي قد أبيدوا وسبعة لعقيل

انظر في ذلك: «أبو الشهداء الحسين بن علي» ص ١٥٩.

صنعوا، لا والله ما نفعل ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقَبَّحَ الله العيش بعدك»^(١).

ولم يكن هؤلاء الفتية الأطيبون الأكارم هم كلُّ ما لعقيل من الأبناء، فكتب الأنساب مزدانه بلوامح الأسماء من أبناء عقيل لصلبه غير الذين ذكرت ففي ابن حزم^(٢) منهم: مسلم بن عقيل - علي - حمزة - سعيد - أبو سعيد^(٣) - عيسى - عثمان - يزيد: به كان يكنى - محمد - وفي البلاذري^(٤): عون في الأبناء أيضاً: ولم يختلف المعنيون بالأنساب في أن العقب لعقيل بن أبي طالب إنما هو من ولده محمد^(٥) فلمحمد هذا من العقب:

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٢٨٥، والشيخ المفيد/ الارشاد/ ص ٢١٢.

(٢) جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩.

(٣) لأبي سعيد هذا حكاية طريفة أوردها ابن عبد ربه في العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠٥، وما بعدها قال: دخل الحسن (ع) على معاوية وعنده ابن الزبير فلما جلس الحسن قال معاوية: يا أبا محمد أيهما كان أكبر علي أم الزبير؟ قال: فقال: ما أقرب ما بينهما، علي كان أسن من الزبير رحم الله علياً فقال ابن الزبير: رحم الله الزبير، فتيسم الحسن، فقال أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب: دع عنك علياً والزبير، إن علياً دعا إلى أمر فاتبع وكان فيه رأساً ودعا الزبير إلى أمر كان فيه الرأس امرأة، فلما تراءت الفتان والتقى الجمعان نكص الزبير على عقبيه وأدبر منهما منهزماً قبل أن يظهر الحق فيأخذه أو يدحض الباطل فيتكره، فأدركه من مثل بعض اعضائه فضرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه. ومضى علي قدماً كعادته مع ابن عمه ونبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - فرحم الله علياً ولا رحم الزبير، فقال ابن الزبير: أما والله لو أن غيرك تكلم بهذا يا أبا سعيد لَعَلِم، قال: إن الذي تعرض به يرغبك عنك وأخبرك عائشة (رض) بمقالتهما فمر أبو سعيد بفنائها فناده: يا أحول يا خبيث. أنت القاتل لابن اختي كذا وكذا. فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئاً فقال: الشيطان ليراك من حيث لا تراه فضحكت عائشة وقالت: لله أبوك ما أخيت لسانك.

(٤) أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٤.

(٥) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩، وابن عتبة/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٢، علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٥.

أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب:

الفقيه، المحدث، الجليل، الثقة، وأمه: زينب بنت علي بن أبي طالب (ع)^(١) وعبد الله هذا «جزم الترمذي في جامعه بصدقه ووثاقته لذا خرّج حديثه كما احتج به أحمد بن حنبل وإسحاق والحميدي والبخاري وأبو داود وابن ماجه القزويني كما عن (تهذيب التهذيب) ج ٦ / ص ١٥ وعده الشيخ الطوسي من رجال الإمام الصادق (ع) وأصحابه، وكفاه فضلاً وتقدماً؛ توفي بعد سنة ١٤٠ هـ»^(٢).

وأعقب عبد الله من رجلين محمداً. ومن ولد عبد الله بن محمد بن عقيل أيضاً: النسابة المشهور الحسين بن قمن بن محمد بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، كان أعلم الناس بالنسب»^(٣).

عبد الرحمن بن محمد بن عقيل بن أبي طالب:

الرجل الصالح، كان يشبه النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — في صورته أمّه زينب بنت علي بن أبي طالب (ع)^(٤) الصغرى كما في عمدة الطالب/ ص ٣٢ تمييزاً عن زينب الكبرى بنت علي (ع) التي كانت تحت عبد الله بن جعفر.

(١) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩، وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٢.

(٢) محقق العمدة/ ص ٧٢.

(٣) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩.

(٤) نفس المصدر/ ص ٦٩.

القاسم:

في العمدة^(١): بن عبد الله بن محمد بن عقيل وفي الجمهرة^(٢): ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الفقيه المذكور، كان يشبه أيضاً في صورته بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم -^(٣) وكان أعقب ثم انقرض^(٤).

وبالحري فلأن العقيليين من الكثرة والعدد ما ملأ. بطون الكتب وهم أينما قرؤا وأنى استقروا صدره الناس فما تجد في شرقي المعمورة وغربها مكاناً إلا ولهم فيه حسن حضور وشرف مرتبة مقرونين بكريم النسب وفي المضان من كتب الأنساب متفتح لمن أراد المزيد من الاطلاع.

(١) ابن عنبه/ ص ٣٢.

(٢) ابن حزم/ ص ٦٩.

(٣) نفس المصدر/ ص ٦٩.

(٤) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٢.

الفصل الثالث

جعفر بن أبي طالب

أبو عبد الله^(١)، أبو المساكين^(٢)، ذو الجناحين الطيار^(٣) في الجنة، الرقيق النجيب^(٤) الأنصح لله في طاعة الله ورسوله والأنصح لرسول الله في طاعة الله والأصبر على البلاء والأذى في مواطن الخوف^(٥) ممن هُدوا إلى

- (١) ابن عتبة/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٥ وابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨، وحرز الدين/ محمد/ مرائد المعارف/ ج ١/ ص ٢٢٤ ط ١، الآداب/ النجف/ ١٩٦٩.
- (٢) الأصفهاني/ أبو الفرج/ مقاتل الطالبين/ ص ٣، وابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧٢، وابن عتبة/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٥.
- (٣) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٢/ ص ١٥١، والجاحظ/ الحيوان/ مج ٤ - ٧/ ص ٤٦٤ وابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٩.
- (٤) في المسند من حديث علي رفعه: أعطيت رفقاء نجباء فذكره منهم، ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٩.
- (٥) في مكتبة بين علي (ع) ومعوية قال علي: «وأيام الله ما رأيت ولا سمعت بأحد كان أنصح لله في طاعة الله ورسوله ولا أنصح لرسول الله في طاعة الله ولا أصبر على البلاء والأذى في مواطن الحقوق من هؤلاء النفر من أهل بيته الذين قتلوا في طاعة الله: عبيدة بن الحارث يوم بدر وحزمة بن عبد المطلب يوم أحد، وجعفر وزيد يوم مؤتة» ذكر ذلك الأندلسي/ ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ ج ٤/ ص ١٣٨.

الطيب من القول^(١) يسعى نورهم بين أيديهم يضيء على الصراط^(٢). شبيه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - خَلَقًا وَخُلُقًا^(٣) وله مثل عقل أخيه علي (ع) ومثل عقل عمه حمزة مع المساواة بالبيان والخلق^(٤).

وكان خير الناس للمساكين^(٥). وكان يقول لأبيه أبي طالب: يا أبتِ إني لأستحي أن أطعم طعاماً وجيراني لا يقدرُون عليّ مثله، فكان أبوه يقول: إني لأرجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب^(٦).

قال أبو هريرة: ما وددت أحداً ولدتني أمه إلا أم جعفر بن أبي طالب تبعته ذات يوم وأنا جائع فلما بلغ باب داره التفت فرأني، فقال لي أدخل فدخلت ففكر حيناً فما وجد في بيته إلا نجياً كان فيه سمن فأنزله من الرف فشقه بين أيدينا فجعلنا نلعق ما كان فيه من السمن وهو يقول:

ما كَلَّفَ الله نفساً فوق طاقتها ولا تجودُ يدٌ إلا بما تجدُ^(٧)

وعنه أيضاً أنه قال: «إن كنت لألصقُ بطني بالحصباء من الجوع، وإن

(١) أبو عبد الله (ع) في قوله الله تعالى: ﴿وهذوا إلى الطيب من القول﴾ قال: ذلك حمزة وجعفر وعبيدة وأبو ذر والمقداد وعماد، ذكر ذلك ابن شهر آشوب، الإمام الحافظ في مناقب آل أبي طالب/ ج ٢/ ص ٢٩٢.

(٢) تفسير مقاتل عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾: لا يعذب علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وحمزة وجعفر نورهم يسعى يضيء على السراط. ذكر ذلك: ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب/ ج ٢/ ص ٩، وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤١.

(٣) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨، والأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٢/ ص ١٢٨ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧٣.

(٤) الجاحظ/ الحيوان/ مج ٤ - ٧/ ص ٤٦٤.

(٥) انظر: ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨، وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٢.

(٦) الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، مج ١ - ٢/ ص ١٣٦، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٩.

(٧) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ١/ ص ١٢٨.

كنت 'لاستقرئ الرجل الآية، وهي معي، كي ينقلب بي، فيطعمني، وكان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء، فنشقها، نلعق ما فيها^(١) وقد ذكر له من الافتخار وبالسخاء قوله (ع)^(٢):

يا ليت للناس رسماً في وجوههم تبين أخلاقهم فيه إذا اجتمعوا
وليت رزق أناس مثل نائلهم قوتاً بقوت وتوسيعاً إذا اتسعوا
وليت ذا الفحش لاقى فاحشاً أبداً وذا التحكم أهل الحلم فارتدعوا
وليت من يمنع المعروف يحرمة حتى يذوق أناس مثل ما صنعوا

فلا غربة والحال هذه أن يسميه رسول الله أبا المساكين^(٣).

ولقد كان جعفر بن أبي طالب (ع) في طليعة المبارزين ومقدمة المسارعين المصدقين برسالة ابن عمه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والذائدين عنها فقد كان أسلم «بعد إسلام أخيه علي بقليل»^(٤) فكان ذا القبلتين والهجرتين والبيعتين.

روي عن صادق آل البيت^(٥) (ع) أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يصلي وعليّ معه إذا مرّ أبو طالب وجعفر معه، فقال أبو طالب لجعفر: صلّ جناح ابن عمك فلما أحسّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -

(١) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٢.

(٢) الأصبهاني/ محمد بن داود، الزهرة/ ج ٢/ ص ٦٥٣.

(٣) انظر: ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٢.

(٤) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٠.

(٥) انظر: علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٩ وابن شهر آشوب، مناقب آل أبي

طالب/ ج ١/ ص ٢٠١ بزيادة بيت قبل الأخير وهو:

اجعلهما عرضة العدى وإذا اترك ميتاً نملاً إلى حسي

وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٠ دون ذكر الأبيات.

وآله وسلم — تقدمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:

إن علياً وجعفرأثقتني عند مثل الزمان والكرب
والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخى لأمي من بينهم وأبي

وتلك أول صلاة جماعة كانت ذلك اليوم في الإسلام^(١).

روي عن أبي جعفر الباقر (ع) قال: «أوحى الله تعالى إلى رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — إني أشكر لجعفر بن أبي طالب (ع) أربع خصال فدعاه النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — فأخبره فقال: لولا أن الله تبارك وتعالى أخبرك ما أخبرتك. ما شربت خمراً قط لأنني لو شربتها زال عقلي، وما كذبت قط لأن الكذب ينقص المروة، وما زينت قط لأنني خفت إني إذا عملت عُمل بي وما عبدت صنماً قط لأنني علمت أنه لا يضر ولا ينفع فضرب النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — على عاتقه وقال: حق لله تعالى أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة في الجنة»^(٢). وروي عن علي بن يونس المدني قال: «كنت مع مالك فإذا سفيان بن عيينة بالباب يستأذن قال مالك: رجل صاحب شبيه أدخلوه فدخل فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فردوا عليه السلام ثم قال: «السلام لسلامان خاص وعام ثم قال: السلام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته قال مالك: وعليك السلام يا أبا محمد ورحمة الله وبركاته، فصافحه مالك، ثم قال يا أبا محمد لولا أنها بدعة لعانقتك فقال سفيان بن عيينة: عانق خير منك ومنا النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — فقال مالك: جعفرأ قال نعم قال: ذاك حديث خاص يا أبا محمد ليس

(١) انظر: ابن أبي الحديد/شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧١، وابن شهر آشوب/

مناقب آل أبي طالب/ ج ١/ ص ٣٠١، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٩.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٠.

بعام قال سفيان: ما يعم جعفرأ يعمنأ إذا كنأ صالحين وما يخصه يخصنأ...»^(١).

حين رأى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - اشتداد البلاء على أصحابه وتصعيد قريش عدوانها على المستضعفين من المسلمين بالأذى النفسي والجسدي كي يفتنهم عن دينهم ولما لم يستطع صلوات الله عليه أن يمنعهم مما هم فيه. أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة لأن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد^(٢) وكان الملك عصرئيل النجاشي وكان ذا دين في النصرانية^(٣). ولعل معرفة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - واطلاعه على أحوال الأحباش وخصوصيات ملكهم تأتي في سياق العلاقات العامة لقريش «التي اشتهرت بالتجارة وعرفت بها وذاع صيتها بين القبائل وتمكنت رجالها بفضل ذكائهم وحذقهم بأسلوب التعامل مع الدول الكبرى في ذلك الوقت لا سيما الحبشة وتكوين علاقات طيبة معها»^(٤) وكانت أرض الحبشة متجراً ووجهاً لقريش^(٥).

خرج المسلمون امثالاً لما أشار عليهم به رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مهاجرين إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفاراً إلى الله بدينهم وتابعوا حتى اجتمعوا بها وكانت تلك أول هجرة كانت في الإسلام.

لكن المغفور له الوالد^(٦) يرى غير هذا الرأي وفي نفسه منه وقفة، فالحجرة في نظره ليست هجرة انهزامية وإنما هي ذات طابع تبشيري بحث

(١) نفس المصدر/ ص ٧٠ وما بعدها.

(٢) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٤٤.

(٣) نفس المصدر/ ج ١/ ص ٤٣.

(٤) انظر: علي جواد الدكتور/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ ج ٤/ ص ١٩ بيروت ١٩٧٠.

(٥) الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج ٩/ ص ٥٥.

(٦) في مخطوطة عن جعفر بن أبي طالب (ع).

ليكون المهاجرون رسلاً وسفراء للدعوة الإسلامية في الحبشة لتوسم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فيها وفي عاقلها الخير وأنها - الحبشة أرض خصبة تصلح لهذه الغريسة التي أينعت فكان من ثمرها أن اعتنق النجاشي الإسلام وهو أمرٌ كانت قريش تستفدحه ولو لم يكن كذلك ما سارعت إلى إرسال بعثة مضادة جئدت لها اثنين من رجالها داهيين جليدين وحملتهما الهدايا للنجاشي وبطارقته كي يرذ المهاجرين عليهم، ثم إذا كان ذلك يصح للمستضعفين من المسلمين فهل يصح لجعفر بن أبي طالب بعد أن تعرف أن محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - لم تنسق دعوته ولم يستقم أمره في مكة إلا «بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب»^(١). أفلا تطرد حيطة أبي طالب لتشمل ولده وفلذة كبده ثم أين عليّ الكرار (ع) المعتصم واللياذ في الملمات والمؤمل المرجى عند نزول المهمات، افتراه يقصر عن توفير الحماية لأخيه ومما يجدر بنا ذكره أن أولئك المهاجرين كان منهم من هاجر بنفسه حسب ومنهم من كان اصطحب أهله معه. وكان جعفر بن أبي طالب (ع) ممن اصطحب امرأته معه في هجرته وهي أسماء بنت عميس بن النعمان^(٢) بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم^(٣) الخثعمية^(٤) الجرشيّة أكرم الناس أحماء^(٥) وقد ولدت له جميع أولاده قال ابن هشام: «كان جميع من لحق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين سوى ابنائها الذين خرجوا بها معهم صغاراً وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان عمار بن ياسر فيهم، وهو يشك فيه»^(٦) وفي ابن الأثير أنهم تمام اثنين وثمانين فقط^(٧).

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٤٤.

(٢) الذي في الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ١١ «أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة».

(٣) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٤٤.

(٤) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٣.

(٥) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ١١ وقال: «جرش من اليمن».

(٦) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٥٣.

(٧) ابن الأثير/ الكامل في تاريخ / ج ٢/ ص ٥٣.

في الحبشة

بعد الظلم والقهر والتضييق في مكة بلغ المهاجرون مأمهم في أرض الحبشة فحطوا عصا الترحال فيها وأنزلوا حاجتهم على كريم لا يضام جاره، ولا ينتهك ذماره يحسن الصُحبة، ويحفظ الجوار ويكرم المثنى فأصابوا في كنفه داراً وقراراً آمين على دينهم وادعين لا ينالهم أذى ولا يسمعون شيئاً يكرهونه... لا يشغلهم شاغل إلا مفارقة الديار والأحبة...

لكن الحال لم يدم على صفوه دونما مكدر فلقد هال قريشاً أن يستجِمَّ المسلمون أنفسهم ويلتقطوا أنفاسهم وعظم على اعداء الله أن ينال المسلمون ما نالوا من الدعة والحظوة فاتمروا بينهم أن يبعثوا من قريش رجلين جلدين إلى النجاشي ويطارقه وحملتهما من الهدايا مما خفَّ وغلا عساهما يستزلان النجاشي عن موقفه ليردهم عليهم ويخرجهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها.

فانتدبت قريش لهذه المهمة، عبد الله بن أبي ربيعة وعمر بن العاص بن وائل^(١).

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٥٧، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٥٤ الذي يورد اسم الأول منهم هكذا: عبد الله بن أبي أمية. وتقول إدارة التحقيق بهامش الكامل: الذي في سيرة ابن هشام وهو الصواب أنه عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي.

حين يطرق سمع سيد مكة وشيخ قريش خبر إيفاد الرجلين إلى النجاشي يبيت متوفزا يغالبُ همومه، فصدور القوم تنفث بالعداوة، لقد خشي رضي الله عنه أن ينفخوا عند النجاشي في البوق بما يوغر صدره على المسلمين فيسارع إلى إنفاذ أبيات من الشعر يحضه فيها على حسن جوارهم والدفع عنهم. نظم أبو طالب:

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفرٌ وعمرو واعداء العدو الأقاربُ
 وهل نال أفعال النجاشي جعفرأ وأصحابه أو عاقَ ذلك شاغبُ
 تعلم، أبيت اللعن، أنك ماجدٌ كريمٌ فلا يشقى لديك المجانبُ
 تعلم بأن الله زادك بسطةً واسباب خير كلها بك لازبُ
 وأنتك فيضٌ ذو سجالٍ غزيرةً ينال الأعادي نفعها والأقارب^(١)

وصل مبعوثا قريش إلى الحبشة محمّلين هدايا مما يستطرف من متاع مكة واجتمعا فور وصولهما ببطارقة النجاشي أولاً فأخبرا كلَّ بطريق بالسبب الذي بعثتهما قريش من أجله ولم يتركا بطريقاً إلا وأهديا إليه هدية ثم استأذنا على الملك فأذن لهما واستجلسهما ثم قدما بين يديه الهدايا الخاصة به فقبلها منهما وبعد أن قرَّ منهما القرار عالتاه بما عالنا البطارقة من قبل قائلين: «أيها الملك، إنّه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت»^(٢) من كلام طويل غيلُهُ على مظانة.

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٥٧.

(٢) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٥٨، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٥٤.

كان الملك يلقي إلى الرجلين سمعه وما أن انتهيا حتى استشاط النجاشي غضباً وقال: «لا ها الله، إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يُكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم»^(١). ولم يكن أبغض إلى الرجلين من أن يسمع النجاشي كلام المهاجرين^(٢).

دعا النجاشي بالمهاجرين فاحضروا ليقف على حقيقة أمرهم وبإلا ساقفة فنشروا مصاحفهم حوله، فطُفِقَ يلقي أسئلته على المهاجرين.

النجاشي: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟

جعفر بن أبي طالب^(٣): أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات،

(١) نفس المصدر/ ص ٣٥٨ وأيضاً ابن الأثير/ ص ٥٤.

(٢) نفس المصدر/ ص ٣٥٩، وابن الأثير/ ص ٥٤ مع اختلاف يسير. وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧١ وما بعدها.

(٣) قالت الإدارة بهامش ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٥٣ ما نصّه: «وكان هو قائد المهاجرين في هذه الهجرة ومنه تعلم اهتمام الدين الإسلامي بالقيادة والإمارة لتوحيد الكلمة» وقال صاحب الدرجات الرفيعة/ ص ٧١: «وكانت هجرته (رض) إلى الحبشة في السنة الرابعة من النبوة وكان هو المتكلم عند النجاشي من المسلمين المهاجرين إلى الحبشة لما جمع بينهم وبين عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمر بن العاص».

أمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام... فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قوماً، فعذبونا ومنعونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، فخرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

جعفر بن أبي طالب: يقرأ صدرأ من «كهيعص».

يبكي النجاشي حتى اخضلت لحيته، والأساقفة ييكون حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم جعفر بن أبي طالب، يكفكف النجاشي دموعه ويقول: إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ثم يلتفت محدّقاً إلى الرجلين قائلاً: انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون.

قال فيليب حتي في تاريخ العرب «مطوّل»: ويبدو الاختلاف واضحاً بين العهدين الجاهلي والإسلامي في تلك الكلمات التي نسبها الرواة إلى جعفر بن أبي طالب مع النجاشي^(١).

لما خرج الرجلان مهينين من مجلس الملك داخل عمرو بن العاص الغضب فأسرّ في نفسه أمراً ولم يیده لصاحبه وتوعد أن يأتي النجاشي في اليوم التالي عنهم بما يستأصل به خضراءهم ثم غدا على النجاشي فقال له ابن العاص: أيها الملك! إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فسلمهم عما يقولون فيه، فأحضر المهاجرون ثانية ليسألوا في شأن ما نسبته ابن العاص إليهم من القول في ابن البتول بما لا يجوز.

النجاشي: ما تقولون في عيسى بن مريم؟

(١) فيليب حتي/ ج ١/ ص ١٦٧.

جعفر بن أبي طالب: نقول في عيسى ما جاءنا به نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

يضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فيأخذ منها عوداً، ثم يلتفت إلى جعفر ويقول: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلتَ هذا العود.

ولم يرق الأمر لبطارقة النجاشي فأنشأوا يتنافرون^(١) حوله فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم^(٢) بأرضي من سبكم غرم^(٣).

(١) النخرة: الأنف والنخير: صوت بالأنف تقول منه: نخرَ ينخر (بالكسر) نخريراً ويتخر (بالضم) لغة.

(٢) وردت في بعض المصادر (سيوم) والسيوم الآمنون كذا في الدرجات الرفيعة/ ص ٧٤.

(٣) انظر: ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٥٩، وما بعدها ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ١/ ص ٥٤ وما بعدها وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٤ وما بعدها.

بخير دار مع خير جار

ثمَّ أمرَ النجاشي برد هدايا قريش على الرجلين وقال: ما أخذ الله الرشوة مني حتى أخذتها منكم ولا أطاع الناس في حتى أطيعهم فيكم... فخرجا من عنده ملكتزين يجزان خطاهما...

ومن المفارقات التي حصلت لجعفر بن أبي طالب بأرض الحبشة ما ذكره جدنا السيد علي خان^(١) مروباً عن الصادق جعفر بن محمد (ع) قوله: لقد كاد عمرو بن العاص عمنا جعفر بأرض الحبشة عند النجاشي وعند كثير من رعيته بأنواع من الكيد ردّها الله تعالى بلطفه فلما نبا معوله عن صفاته هياً له سماً قدمه إليه في الطعام. فأرسل تعالى هراً كفا تلك الصحيفة، وقد مدّ نحوه ثم مات لوقته وقد أكل منها فتبين لجعفر (ع) كيده وغائله فلم يعدها عنده وما زال ابن الجزار عدواً لنا أهل البيت.

وذكر أيضاً أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - سأل جعفرأ عن أغرب ما شاهده في الحبشة فقال: يا رسول الله بينا أنا أمشي في أزقتها إذا سوداء على رأسها مكتل فيه بر فصدها رجل على دابته فوق مکتلها وأقبلت تجمععه من التراب وهو تقول: ويل للظالم من الديان يوم الدين ويل للظالم من المظلوم يوم القيامة ويل للظالم إذا وضع الكرسي للفصل يوم القيامة

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٥.

فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لا يقْدَس الله أمة لا يؤخذ لضعيفها من قوتها حقه غير متع^(١).

بقي المسلمون بالحبشة بخير دارٍ مع خير جارٍ عزيزي الجانب موفوري الكرامة مجللين بنعم الله التي كان إسلام النجاشي على يد جعفر بن أبي طالب احداها وقيل إنَّ النجاشي أرسل ابنه في ستين من الحبشة إلى النبي ففرقوا في البحر^(٢). بينما يؤكد السيد محمود علي البلاوي سلامة وصولهم واکرام النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لهم وقال: وفد وفد النجاشي فقام النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه: نحن نكفيك قال: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وأنا أحب أن اكاftهم ثم استطرد السيد البلاوي فقال: إن الوفد الحبشي النصراني سمع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يقرأ سورة «يس» فدخل الإيمان في قلوبهم وبكوا من خشية الله وأسلموا لله رب العالمين^(٣). واکراماً من جانب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقد أرسل إلى النجاشي ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت مهاجرة مات زوجها عبيد الله بن جحش في الحبشة فخطبها إليه فأجابت وزوجها وأصدقها النجاشي أربعمئة دينار فلما سمع أبو سفيان تزويج رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أم حبيبة قال: ذاك الفحل لا يقْدع أنفه^(٤).

ويعود حليف الندى جعفر بن أبي طالب إلى المدينة يقدم رفاق هجرته عودة الظافر المنتصر يتحقّق به رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ويتلقاه بالترحيب والتسليم وافق مقدمه (ع) يوم فتح خيبر فالتزمه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وطفق يقبل بين عينيه ويقول: «ما

(١) نفس المصدر/ ص ٧١.

(٢) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٤٥.

(٣) تاريخ الهجرة النبوية/ ص ٨٩ دار القلم/ بيروت ١٩٨٥.

(٤) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٤٥ والجاحظ/ رسائل الجاحظ/ مج

١ - ٢/ ص ٢٠٢.

أدري ما بأيهما أنا أشد فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر»^(١).

روى جدنا عن جابر قال: «لما قدم جعفر من أرض الحبشة تلقاه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فلما نظر جعفر إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - خجل قال: مشى على رجل واحدة أعظماً منه لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقبل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بين عينيه واعطاه وامرأته اسماء من غنائم خيبر»^(٢).

ثم يلتفت جعفر بن أبي طالب ليجد أخا يرقبه بشوق ويتطلع إليه بلهفة ليس هو من أخوة النسب، وإنما هو من أخوة الولاء... ذلكم معاذ بن جبل فلقد اعتقد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أخا بني سلمة أخا في الله لجعفر بن أبي طالب - يوم كان جعفر غائباً بأرض الحبشة - فيمن آخى صلوات عليهم بينهم من المهاجرين والأنصار.

(١) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧٢.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٩ وما بعدها.

في مؤته

في شهر جمادى الأولى لسنة ثمانٍ من الهجرة النبوية الشريفة نهَد القوم عدوهم... حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء دون دمشق، انحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤته، فالتقى عندها الجيشان جيش المسلمين الذي كان تعداد أفراده لا يتجاوز ثلاثة آلاف وجيش الروم الذي بلغ المائتي ألف بما انظم إليهم من العرب^(١). ومع أن العدد والعدة والمدد كان في جانب جيش الروم بقيادة هرقل فإن جيش المسلمين قد أدخل الرعب في صفوف العدو الكافر حتى قبل الشروع بالقتال.

وقد كانت كاهنة من حدس حين سمعت بجيش رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — مقبلاً قد قالت لقومها تنذرهم: أنذرهم قوماً خزراً ينظرون شزراً ويقودون الخيل تترى، ويهرقون دماً عكراً. فأخذوا بقولها واعتزلوا^(٢).

وكان عبد الله بن رواحة يقول: «ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا

(١) انظر: الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٧، ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ١٦ وما بعدها وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٥٩، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٥.

(٢) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٤، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٤١ — ٤٢.

كثرة، ما نقابلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به»^(١).

وكان رسول الله قد استعمل على جيش المسلمين زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحه على الناس^(٢).

فقال جعفر بن أبي طالب: ما كنت أرهب يا رسول الله أن تستعمل عليّ زيد فقال: امض فإنك لا تدري أيّ ذلك خير فبكى الناس^(٣).

قال ابن أبي الحديد: اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان الأمير الأول. وانكرت الشيعة ذلك وقالوا: كان جعفر بن أبي طالب الأمير الأول، فإن قتل فزيد بن حارثة، فإن قتل فعبد الله بن رواحه وقد وجدت في الأشعار - والقول لما يزل لابن أبي الحديد - التي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم^(٤). وعلى أي حال فإن ترتيب الرسول الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - للأمرة في قيادة وإدارة العمليات الحربية على النحو المتقدم لا يعتبر قدحاً في كفاءة جعفر بن أبي طالب فليس فيهم من يماثله أو يفاضله ويساميه أو يساجله لقول رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - «خير الناس حمزة وجعفر وعلي»^(٥) وقوله: «الناس من شجر شتى وأنا وجعفر من شجرة واحدة»^(٦).

(١) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ١٧ وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٢٥٩ باختلاف يسير.

(٢) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ١/ ص ١٥٨، وابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ١٥ والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٦١، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٣٦.

(٣) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٥٨، الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٤١ الذي أورد كلمة (أذهب) بدلاً من (أرهب) في عبارة ابن الأثير.

(٤) شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٦٢.

(٥) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٩ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧٢.

(٦) نفس المصدر/ ص ١٠ وأيضاً: ابن أبي الحديد/ ج ٧٢ باختلاف يسير.

ويشهد لسموه وتفرده أبو هريرة فيقول: «ما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا وطىء التراب بعد رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — أفضل من جعفر بن أبي طالب»^(١) ونوّه به معاوية بن أبي سفيان في مقام المفاضلة بين الأكرم من الناس يوم سأل معاوية جلساءه: من أكرم الناس أباً وأماً، وجدّاً وجدّة، وعمّاً وعمّة، وخالاً وخالة؟ فقالوا: أنت أعلم. فأخذ بيد الحسن بن عليّ وقال: هذا أبوه عليّ بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت رسول الله، وجدّه رسول الله، وجدته خديجة زوجة رسول الله، وعمّه جعفر، وعمته هالة بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن رسول الله وخالته زينب بنت رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم —^(٢).

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧٣ باختلاف يسير.
(٢) ابن عبدربه/ العقد الفريد/ ج ٥/ ص ٣١٣.

إحدم الحسين أما ظهور وإما شهادة

استعرت أوار الحرب والتحم الفريقان في قتالٍ ضارٍ واستمر القتل في صفوف العدو وتناشد المسلمون بإحدى الحسين، إما ظهور وإما شهادة فاقترح زيد بن حارثة الصفوف رابط الجأش قوي العزيمة فقاتل قتالاً شديداً ولواء رسول الله بيده حتى شاط في رماح القوم شهيداً ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فقاتل بها ثابت القدم ثبت الجنان وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقتربها طيبة وباردُ شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إذ لاقيتها ضرابها^(١)

حتى إذا الحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها كي لا يفيد العدو منها فكان جعفر (ع) أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام^(٢). وتحت مشتبك الرماح وبين سنابك الخيل ووسط مثار النقع أجلب القوم

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٠ وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٥٩.

(٢) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٢٠، وابن الأثير أيضاً/ ج ٢/ ص ١٦٠ والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٧.

على جعفر فأثخنوه بالجراح.

قال ابن هشام: إن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء يمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل (ع) فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء^(١). وذكر ابن أبي الحديد عن الواقدي قوله: إنَّه وجد في بدن جعفر (ع) اثنتان وسبعون ضربة وطعنة بالسيوف والرماح^(٢) ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين^(٣) وعن ابن عمر قال: كنت في تلك الغزوة فالتسمننا جعفرأ فوجدناه في القتلى فعددنا بين منكبيه تسعين ضربة بين طعنة رمح وضربة سيف^(٤).

فلما رأى عبد الله بن رواحة استشهاد رفيقيه أخذ الراية وتقدم بها على فرسه وهو يرتجز:

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت أن تفعلي فعلهما هديت^(٥)

تقاتل ببطولة وبسالة فائقين حتى استشهد(ره).

ذكر أبو الفرج في مقاتله^(٦) عن عبد الرحمن بن سمرة قال: بعثني خالد بن الوليد بشيراً إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يوم مؤته فلما

(١) نفس المصدر/ ج ٤ / ص ٢٠.

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥ / ص ٦٧.

(٣) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤ / ص ٢٠، والسيد علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٥ وأضاف: ان أحد نصفيه وقع في كرم هناك فوجد فيه بضع وثلاثون جرحاً.

(٤) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٥ وابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨ باختلاف يسير.

(٥) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤ / ص ٢١ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥ / ص ١٩ - ٢٠.

(٦) مقاتل الطالبين/ ص ٧ وما بعدها.

دخلت المسجد فجنّني رسول الله قائلاً: على رسلك يا عبد الرحمن أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل زيد فقتل، فرحم الله زيداً، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فقاتل جعفر فقتل، فرحم الله جعفرأ. ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل عبد الله بن رواحة فقتل فرحم الله عبد الله قال: فيكي أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وهم حوله - فقال: ما يكيكم؟ فقالوا: ما لنا لا نكي وقد ذهب خيارنا، وأشرافنا وأهل الفضل منا فقال: لا تبكوا فإنما مثل أمي كمثل حديقة قام عليها صاحبها فأصلح رواكيتها وهياً مساكبها وحلق سفعها فأطعمت عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً فلعل آخرها طعماً أن يكون أجودها قنواناً، وأطولها شمراخاً. والذي بعثني بالحق ليجد ابن مريم في أمي خلفاً من حواريه.

جدير أن أذكر أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يحاط علماً بتفاصيل المعركة وتتابع أحداثها أولاً بأول عن طريق السماء فلما أن جاءه نعي جعفر (ع) من السماء في ساعته صعد المنبر وأمر فنودي بالناس الصلاة جامعة فأخبر المسلمين بمجريات الأحداث وما انتهت إليه المعركة من النتائج^(١) وتلك واحدة من معجزاته صلوات الله عليه.

استهلت شؤون النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - «حتى قطرت لحيته»^(٢) وعرف الناس الحزن في وجهه فلقد عزّ عليه مصرع ابن عمّه وحبيبه جعفر ورفيقه زيد فقال وهو يغالب معه: «أخوأي ومؤنساي ومحدثاي»^(٣) حدث ابن إسحاق عن أسماء بنت عميس قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وقد دبغت أربعين منا، وعمجت عجيني، وغسلت بنيّ ودهنتهم ونظفتهم قالت قال لي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: اثنييني ببني جعفر؟

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٦٠.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٦.

(٣) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٢٠.

قالت: فأتيته بهم، فتشممهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله: بأبي أنت وأمي، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم، أصيبوا هذا اليوم. قالت: فقممت أصيح، واجتمعت إلي النساء، وخرج رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى أهله، فقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم شغلوا بأمر صاحبهم^(١). وهو أول ما عمل في دين الإسلام^(٢).

وفي رواية أخرى قالت أسماء بنت عميس: فقممت أصيح واجتمع إلي النساء فجعل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: يا أسماء لا تقولي هجراً، ولا تضربي صدراً ثم خرج عني حتى رحل على فاطمة (ع) وهي تقول: ابن عماء فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - على مثل جعفر فلتبك الباكية^(٣).

قال ابن الأثير: فلما رجع الجيش من مؤته ودنا من المدينة لقيهم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - والمسلمون فأخذ عبد الله بن جعفر فحمله بين يديه^(٤).

وعن يحيى بن أبي يعلى قال: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: أنا أحفظ حين دخل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على أمي فتعني إليها أبي ناظر فدنا يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهرقان بالدمع ثم قال - صلى الله عليه وآله وسلم -: يا أسماء أبشرك قالت: بلى بأبي وأمي قال - صلى الله عليه وآله وسلم - فإن الله تعالى جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة،

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٢/ ص ٢٢ وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٦١.

(٢) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٦١.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٦.

(٤) الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٦١، الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٤٢.

قالت بأبي وأمي فاعلم الناس بذلك فقام رسول الله وأخذ بيدي يمسح رأسي حتى رقى المنبر وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى وإن الحزن ليعرف عليه فتكلم. فقال: إن المرء كثير بأخيه وابن عمه إلا أن جعفرًا قد استشهد وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة ثم نزل ودخل بيته وأدخلني وأمر بطعام فصنع له وأرسل إلى أخي فتغدينا عنده غداءً طيباً وأقمنا عنده ثلاثة أيام ندور في بيوت نسائه ثم رجعنا إلى بيتنا^(١).

قال ابن حجر: أرى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - جعفرًا ملكًا ذا جناحين مخرجين بالدماء^(٢). وروى عن ابن عباس (رض) قال: بينما رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - جالس واسماء بنت عميس قريبة منه إذ قال يا اسماء هذا جعفر بن أبي طالب قد مرّ مع جبرئيل وميكائيل فرديّ عليه السلام وفيه وقد عوضه الله من يديه جناحين يطير بهما حيث يشاء^(٣). قال الجاحظ: «ولم يخرج ذلك من أن نراه في الجنة»^(٤) وفي سنّة عند استشهاده خلاف ففي ابن هشام أنه ابن ثلاث وثلاثين سنة^(٥). وفي الإصابة أنه استوفى أربعين سنة وزاد عليها على الصحيح^(٦). وذكر الأصفهاني عن عبد الله بن جعفر أنه استشهد وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين ومضى يقول: وهذا عندي شبيه بالوهم. لأنه قتل في سنة ثمان من الهجرة، وبين ذلك الوقت وبين مبعث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إحدى وعشرون سنة. وهو أسن من أخيه أمير المؤمنين علي عليه السلام بعشر سنين وكان لعلي حين أسلم سنون مختلف في عددها فالكثير يقول كانت خمس عشرة والمقل سبع سنين وكان إسلامه في السنة التي

(١) السيد علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٩.

(٣) نفس المصدر/ ص ٢٤٩.

(٤) الجاحظ/ الحيوان/ ج ٤ - ٧/ ص ٤٦٤.

(٥) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٠.

(٦) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨.

بعث فيها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لا خلاف في ذلك .
وعلى أي الروايات قيس أمره علم أنه عند مقتله كان قد تجاوز هذا المقدار
من السنين^(١).

وكان جعفر بن أبي طالب أحد خمسة كانوا يشبهون بالنبي - صلى
الله عليه وآله وسلم - وهم : الحسن بن علي بن أبي طالب وقثم بن
العباس ، وأبو سفيان بن الحرث ، والسائب بن عبيد الله بن عبد يزيد بن
هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكان ابن سيد الناس جمعهم في
بيتين من الشعر فقال :

لخمسمة شبه المختار من مضر يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن
لجعفر وابن عم المصطفى قثم وسائب وأبي سفيان والحسن^(٢)

وروى السيد مؤلف الدرجات الرفيعة عن الزمخشري في ربيع الأبرار
قال : « وكان الرجل يرى جعفرأ يقول : السلام عليك يا رسول الله يظنه إياه
فيقول : لست برسول الله أنا جعفر »^(٣).

وكان لاستشهاده (ع) من الوقع ما انقضت له جوانح المسلمين وترك
في قلوبهم جروحاً ليس من اليسير اندمالها وفاضت عواطف بعضهم على
لسانه شعراً .

قال كعب بن مالك^(٤) :

وكانما بين الجوانح والحشا مما تأوئني شهاب مدخل
وجدأ على النفر الذين تتابعوا يوماً بمؤته اسندوا لم يُقلوا
صلى الإله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل

(١) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٨ .

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٦ .

(٣) نفس المصدر/ ص ٧٠ .

(٤) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٣٧ والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٩
وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٦٣ .

صبروا بمؤته لئلا نفوسهم
إذ يهتدون بجعفر ولوائه
حتى تفرقت الصفوف وجعفر
فتغير القمر المنير لفقده

وقال حسان بن ثابت^(١):

فلا يبعدن الله قتلئى تتابعوا
أغر كضوء البدر من آل هاشم
فطاعن حتى مال غير موسد
فصار مع المستشهدين ثوابه
وكنّا نرى في جعفر من محمد
فما زال في الإسلام من آل هاشم
هم جبل الإسلام والناس حولهم
بهاليل منهم جعفر وابن أمه
وحمزة والعباس منهم ومنهم

وقال حسان أيضاً^(٢):

ولقد بكيت وعزّمهلك جعفر
ولقد جزعت وقلت حين نعت لي
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر
رزاء وأكرمها جميعاً محتداً
بالعرف غير محمد لا مثله

عند الحمام حفيظة أن ينكلوا
قدام أول لهم ونعم الأول
حيث التقى وعث الصفوف مجدل
والشمس قد كسفت وكادت تأفل

بمؤته منهم ذو الجناحين جعفر
أبي إذا سيم الظلامة محسّر
بمعترك فيه القنا متكسر
جنان وملتف الحداثي أخضر
وفاء وأمرأ حازماً حين يأمر
دعائم عز لا يزلن ومفخر
رضام إلى طور يروق ويقهر
علي ومنهم أحمد المتخير
عقيل وماء الحور من حيث يُعصر

حبّ النبي على البرية كلّها
من للجلاد لدئ العقاب وظلّها
خير البرية كلّها وأجلّها
وأعزّها متظلماً وأزلّها
حي من أحياء البرية كلّها

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٦ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٦٢ - ٦٣.

(٢) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٢٨.

ولابن عبدون من قصيدة ضمّنها ذكر من إبادته الحدثان قوله^(١):

الدهر يفجع بعد العين بالآثر فما البكاء على الأشباح والصور
ما لليالي أقال الله عثرتنا من الليالي وخانتها يدُ الغير

إلى أن يقول:

ومزقت جعفرأ بالبيض واختلست من غيله حمزة الظلام للجزر
وليتها أذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بمن شاءت من البشر

«لا يزال قبر جعفر الطيار قائماً عند مؤتة، ويقال إنَّ النصارى أيضاً يجولون قبره كما يجولُه المسلمون. وابتنى المسجد القائم هناك الملك المعظم عيسى الأيوبي»^(٢).

وعن قبر جعفر (ع) ذكر الشيخ المحقق محمد حرز الدين: أنه مشيد وعليه قبة قديمة وله حرم وإلى جنبه مسجد نقلاً عن بعض الزائرين العراقيين لمرقده في الأردن في إمارة الشريف عبد الله بن الشريف حسين بن الشريف علي الحسيني، شرفاء مكة وأضاف فضيلة المؤلف فقال: حدثني المتتبع السيد عبد الرزاق المقرم - رحمه الله - عن قبر الطيار وبقاء جسده الطاهر. قال السيد المقرم: حدثني الشريف الجليل الأديب السيد عبد الجبار الوردي الكاظمي في يوم السبت ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٨٦ وهو في دمشق الشام، أن الشريف عبد الله من أهل عمان والمحامي بالمحكمة الشرعية، حدثه في قرية (أريحا) سنة ١٣٨٣ هـ أنه في سنة ١٩٤٢ ذهب الشريف عبد الله ابن الشريف الملك حسين جد الملك

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثاني من مج ٢/ ص ٧٢٠.

(٢) الشتاوي وآخرون/ دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)/ ج ٦/ ص ٤٧٢.

الحسين بن طلال وكان الشريف عبد الله أميراً في (عمّان) لتعمير قبر جعفر الطيار في (مؤته) فلما وصلوا إلى القبر وجدوه مهدوماً فنزل الشريف عبد الله المحامي في المحكمة الشرعية إلى القبر وحده بأمر الشريف الأمير عبد الله فرأى بدن «جعفر الطيار» بهيئته وبشابه وعليه الدم طرياً والسيف في عنقه إذ لم يتغير من بدنه شيء، فكأنه ميت من يومه وكان الشريف المحامي يحلف بالإيمان المغلظة مراراً أنه وجدته كذلك. فعمر الأمير عبد الله بن الملك حسين القبر وبنى المسجد الذي عليه الآن وبهذه المناسبة نظم السيد عبد الجبار الوردی بيتين في حق جعفر ذي الجناحين:

وشهيد بأرض مؤته حي جعفر والشهيد ليس يموت
هو باقي قد ضمّه كل قلب حيث ماضم جعفرأتابوت^(١)

وإذا ما استصبنا ما ذكر في دائرة المعارف ومراقد المعارف فإن ابن عنبه يرى أن جعفرأ وزيدأ وعبد الله كانوا دفنوا في قبر واحد وعُمّي القبر^(٢).

رحم الله جعفرأ وأجزل له الشواب فلقد كان (ع) لسان ابن عمه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وسفيره الصادق الحجة، الواضح المحجة، ويده القوية الضاربة التي جلت الكرب عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - والمسلمين في مواطن كثيرة نكل فيها الأبطال وولى فيها الفرسان الأدبار وكان محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - به كثيراً وكانت أبصار المسلمين تشخص إليه في مدلهمات الخطوب وأعناقهم تشرئب نحوه في ساعات المحن والأرزاء فحري بالتاريخ أن يدخله من أوسع أبوابه ويخلده في أنصع صحائفه.

بنو جعفر بن أبي طالب، ويقال لهم الجعفريون^(٣) بطن من بطون آل أبي طالب وهم ثلاث أفخاذ: بنو علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب،

(١) مراقد المعارف/ ج ١/ ص ٢٢٧ وما بعدها.

(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٦.

(٣) النويري/ نهاية الأرب/ ج ٢/ ص ٣٦٠.

وبنو إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وبنو إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(١) والعقب من جعفر بن أبي طالب (ع) إنما هو في ولده عبد الله الأكبر الجواد وليس له عقب إلا منه قاله صاحب العمدة^(٢).

(١) نفس المصدر/ ص ٣٦٠.

(٢) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٩.

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

قطب السخاء^(١)، أبو جعفر^(٢)، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي ابن ذي الجناحين أحد أجواد الحجاز الثلاثة^(٣) ورابع أجواد بني هاشم^(٤) وهو أول مولود ولد للمسلمين المهاجرين في الحبشة وتيمناً باسمه الكريم فقد سمى النجاشي (عاهل الحبشة) ولداً له عبد الله فأرضعته اسماء حتى فطمته^(٥) وقد أدرك عبد الله بن جعفر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وروى عنه^(٦) قال جعفر بن محمد (ع): بايع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وهم صغار ولم يبايع قط صغير إلا هم^(٧).

وعند منصرف الناس من مؤته وقبولهم إلى المدينة لقيهم الصبيان يشتدون والرسول مقبل على القوم على دابة، فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر، فأتي بعبد الله فأخذه

-
- (١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء ص ٤٨.
 - (٢) نفس المصدر/ ص ٤٨ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٨.
 - (٣) ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ ج ٤/ ص ١٧٠.
 - (٤) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨.
 - (٥) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٤٨.
 - (٦) نفس المصدر/ ص ٤٨ والأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٤.
 - (٧) ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ ج ٤/ ص ١٧٠.

روى عبد الله بن جعفر فقال: مسح رسول - صلى الله عليه وآله وسلم - على رأسي وقال: اللهم اخلف جعفرأ في ولده وعنه أيضاً قال: كنا نلعب فمرّ بنا - صلى الله عليه وآله وسلم - على دابة فحملني أمامه^(٢) وقد ذكر غير واحد من الرواة: أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مرّ بعبد الله بن جعفر وهو يصنع شيئاً من طين من لعب الصبيان فقال: ما تصنع بهذا؟ قال: أبيع، قال: ما تصنع بتمنه؟ قال: أشتري به رطباً فأكله. فقال النبي: اللهم بارك له في صفقة يمينه. فكان يقال: ما اشتري شيئاً إلا ربح فيه^(٣).

لقد تهيأ لعبد الله من الحسب السني والمجد القديم ما حق له أن يتبدخ به ومن الأدب والأرب ما كان به قميناً ولله دَرّ واصفه حيث يقول: «ريحانة طيب ريحها، لين مشها، قليل على المسلمين ضرها»^(٤) ولا غرو في ذلك فإن من شابة محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - في خلقه وخلقه كان أجدر بأن يجمع الله فيه الحسنى وأن يعلى في المكارم ولا بدع فيمن كان - صلى الله عليه وآله وسلم - وليه في الدنيا والآخرة أن تنشئ به الخناصر وأن تكون له معاظم واجبة المراعاة^(٥) وكان عمر بن

(١) الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٤٢ وابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٤.

(٢) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٤٨.

(٣) نفس المصدر/ ص ٤٨ والأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٤ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٩ مع اختلاف يسير.

(٤) الآلوسي/ بلوغ الأرب/ ج ٣/ ص ١٦٧ من كلام لربيع بن ضبيع الفزاري الذي ذكر أنه عاش مائتي سنة في فترة عيسى (ع) وعشرين ومائة في الجاهلية وستين في الإسلام.

(٥) إشارة إلى حديث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: «وأما عبد الله فيشبه خلقي وخلقي وفيه: أنا وليهم في الدنيا والآخرة» يراجع: ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٤٨ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل

الخطاب (رض) إذا رأى عبد الله بن جعفر، قال: السلام عليك يا بن ذي الجناحين^(١). ومما أثر عن عبد الله بن جعفر قوله: «كنت إذا سألت علياً شيئاً فمعتني، وقلت له: بحق جعفر الا اعطاني»^(٢).

كان عبد الله بن جعفر من اولئك الأقطاب الذين لا يقايض بهم أحد... عزة قعساء وهمة علماء وفروسيّة ثابتة ومقول فصيح ولعمري تلك في بني الطيار صفات لازمة «وهي صفات علوية لا شك فيها»^(٣) ولنا من الدلائل المتناصرة على أن ابن جعفر من تلك الصفات على أحسن موفر فقد كان أحد امراء عليّ (ع) يوم صفين^(٤) والناطق بلسانه اثر محنة التحكيم مخبراً عن جليلة الأمر مبيناً حقيقة الحال وملزماً الخصوم الحجة وكان مما قال: «أيها الناس. هذا أمر كان النظر فيه لعلّي، والرضا فيه إلى غيره، جثتم بأبي موسى فقلتم قد رضينا هذا فارض به، وإيم الله ما أصلحاً بما فعلاً الشام ولا أفسدا العراق، ولا أماناً حقّ علي، ولا أحياً باطل معاوية، ولا يذهب العقل قلّة رأي، ولا نفخة شيطان، وإننا لعلّي اليوم كما كنا أمس عليه»^(٥) وكان له شرف منازلة الباطل وهو يناضل عن أمير المؤمنين (ع) وينافح عن حقه المضيق في «معركة الجمل»^(٦) بل يرى السيد المحقق بهامش العمدة أن علياً (ع) عقد له يوم الجمل على عشرة آلاف، ولأزم عمه علياً فأفاد منه علماً وتبصّراً في دقائق الأمور، وحظي بعده بإمامية الحسن والحسين وكم مرة استماله معاوية فما وجد الا رجلاً صلب الإيمان عارفاً

أبي طالب/ ص ٣٧.

(١) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٤.

(٢) نفس المصدر/ ص ٣٤٤.

(٣) العقاد/ أبو الشهداء/ ص ٤٦.

(٤) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثلاثة أجزاء/ ص ٤٩، الجاحظ/ البخلاء/ تعليقات وشروح/ ص ٣٥٧.

(٥) القرشي/ حياة الحسن بن علي/ ج ١/ ص ٣٦٧.

(٦) انظر المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٨.

بالحق مائلاً عن سفاسف الملحدين فكثرت فيه القالة وتوسع اتباع الهوى في الحط من قدره بأحاديث لا نصيب لها من الحقيقة^(١).

لقد كان عبد الله بن جعفر حريصاً على حياة عليّ (ع) حرصه على الإسلام ومثله وأن افتقاده يعني نقضه وتقويضها من هنا تدرك مدى التباغ قلبه وانقضاض جوانحه وتتكبد عيشه يوم قام النعي بمصرعه (ع) بسيف خلاصة الأثم ابن ملجم، قال عبد الله بن جعفر مخاطباً الحسن بن عليّ (ع): «يا أبا محمد ارفعه اليّ أشف نفسي منه»^(٢) ولا أخالك تصاب بالدش ازاء موقفه ذاك إذا ما استعدت إلى ذاكرتك مقولة عليّ (ع) في صفين بعد التحكيم: «ولقد هممتُ بالاقدام على القوم فنظرتُ إلى هذين قد ابتدراني - يعني الحسن والحسين - ونظرت إلى هذين قد استقدماني - يعني - عبد الله بن جعفر ومحمد بن علي - فعلمتُ أن هذين إن هلكا انقطع نسل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من هذه الأمة وكرهت ذلك وأشفقت على هذين أن يهلكا»^(٣).

وكان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (ع) مع سمو منزلته وأصاله عقله وشرفه لا يقطع في أمر دون استشارة الحسين (ع) والاستئناس برأيه والتزام جانبه. فقد ذكر أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بـ(المبرد): «أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة: أما بعد: فإن أمير المؤمنين أحب أن يرَدَّ الالفه ويسلَّ السخيمة فإذا وصل إليك كتابي فاخطب إلى عبد الله بن جعفر ابنته ام كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين وارغب له في الصداق، فتوجه مروان إلى عبد الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وأعلمه بما في ردِّ الالفه من صلاح ذات البين واجتماع الدعوة، فقال عبد الله: إن خالها الحسين بينع وليس ممن يفتات عليه بأمر فانظرني

(١) هامش عمدة الطالب/ ص ٣٧ بقلم السيد المحقق.

(٢) المبرد/ الكامل/ ج ٣/ ص ١٠٩.

(٣) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ١٥٧.

إلى أن يقدم، وكانت أمها زينب بنت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله بن جعفر فقام من عنده فدخل على [أم كلثوم] فقال: يا بنيه ان ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب احق بك ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحلكت البغيغات^(١) وأضاف المبرد: إن هذه الضيعة لما تزل في يدي بني عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها^(٢).

وروي: أن عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة بن زيد مولى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - تنازعا إلى معاوية بن أبي سفيان في أرض فقال عمرو لأسامة: كأنك تنكرني فقال له أسامة: ما يسرني نسبك بولائي فقام مروان بن الحكم فجلس إلى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس إلى جانب أسامة فقام سعيد بن العاص فجلس إلى جانب مروان فقام الحسين فجلس إلى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس إلى جانب سعيد فقام عبد الله بن جعفر فجلس إلى جانب الحسين وقام عبد الرحمن بن الحكم فجلس إلى جانب ابن عامر فقام عبد الله بن العباس فجلس إلى جانب ابن جعفر فلما رأى ذلك معاوية قال: لا تعجلوا إن كنت شاهداً إذ قطعها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أسامة فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين وأقبل الأمويون عليه فقالوا: الا كنت اصلحت بيننا قال: دعوني، فوالله ما ذكرت عيونهم تحت المغافر يوم صقّين الا لبس على عقلي^(٣).

إن من دلائل أدب عبد الله وسمو خلقه أنه كان إذا ما خاطب الحسين عليهما السلام فذاهما بأبويه - وهما من هما - فيقول: بأبي أنتما

(١) الكامل/ ج ٣/ ص ١١٥.

(٢) نفس المصدر/ ص ١١٥.

(٣) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٥٥.

وأُمِّي^(١). ويعمرك هل كان ذلك على نحو المحابة والمصانعة؟ أم ترى هي حقيقة العارف بقدرهما والمذعن بحقهما؟

إن عند عبد الله بن جعفر مصداق ذلك فحين بلغه مصرعُ ابنه مع الحسين في واقعة الطف دخل عليه بعض مواليه يُعزونه فقال مولى له: «هذا ما لقيناه من الحسين فحدِّثْ ابن جعفر بنعلِّه وقال: يا ابن اللخناء أَللّٰه حسين تقول هذا؟ والله لو شهدته لأحييتُ أن لا أفارقه حتى أقتل معه والله انه لما يسخر بنفسي عنهما ويهوّن عليّ المصاب بهما انهما اصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه ثم قال: إن لم تكن آست الحسين يدي فقد آسأه ولدي»^(٢) فصارَ هذا وفاءً لذلك.

أما ما ذكر من أمره مع يزيد بعد وفاة معاوية ومضاعفة يزيد العطاء لابن جعفر إثر كلام جرى بينهما والاعتراض عليه فهو عند ابن أبي الحديد: «ساقط، لأن ذلك إن صحَّ لم يُعَدَّ جوداً ولا جائزة ولا صلة رحم، هؤلاء قوم كان يخافهم على ملكه، ويعرف حقهم فيه، وموقعهم من قلوب الأمة، فكان يدبّر في ذلك تدبيراً، ويريع أموراً، ويصانع عن دولته وملكه»^(٣).

ولم يبعد ابن أبي الحديد — فيما أظن — عن الحقيقة فيما ذكر فبين يزيد وعبد الله بن جعفر مضاعفة عظيمة ومؤاحنة قديمة يروي جانباً منها صاحب الدرجات الرفيعة فيقول: دخل عبد الله بن جعفر على معاوية بن أبي سفيان وعنده ابنه يزيد فجعل يزيد يعرض بعبد الله وينسبه إلى الاسراف فقال عبد الله: إني لأرفع نفسي عن جوابك ولو صاحب السرير يكلمني لأجبتة فقال له معاوية: كأنك تظن أنك أشرف منه قال: اي والله ومنك ومن أبيك ومن جدك فقال معاوية: ما كنت أظن إن في عصر حرب بن أمية أشرف منه، فقال عبد الله: بلى إن أشرف من حرب من أكفاً عليه اناءه وأجاره

(١) المبرد/ الكامل/ ج ١/ ص ٩٦.

(٢) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٧٠٠ وما بعدها.

(٣) شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٢٥١ وما بعدها.

بردائه فقال معاوية: صدقت يا أبا جعفر^(١).

وتنقص عمرو بن العاص عبد الله بن جعفر عند معاوية وكان جماعة من بني هاشم حاضري المجلس فقال: أناكم رجل خذول للسلف متعارف بالسرف... فغضب عبد الله بن الحرث بن عبد المطلب وقال: كذبت يا عمرو ليس عبد الله كما ذكرت ولكنه لله ذكور، ولبلاته شكور، وعن الخنا نقور، مهذب، ماجد، كريم، حليم، ان ابتدا أصاب وإن سئل أجاب غير حصر ولا هيب كالهبزب الضرغام والسيف الصمصام^(٢).

ولقد جاء الجاحظ بمراهم الكلام في مقام الدفاع عن ابن ذي الجناحين قال: وهل كان انفاق عبد الله المال إلا في طلب الذكر والتماس الشكر؟ وهل قال أحد ان انفاقه كان في الخمر والقمار وفي الفسولة والفجور؟ وهل كان إلا فيما تسمونه جوداً وتعدونه كرمًا^(٣) وبعمرك هل كان حديث الأربعاء^(٤) عن ابن جعفر حديث وعاية ورعاية أم حديث سماع ورواية.

لقد عيّب البعض عبد الله بن جعفر فقالوا: رجل بذر سرف... ونسوا أن أملاً الناس بالعيوب العيب. وقال عبد الله بن جعفر: ان الله قد عودني أن يتفضل عليّ وعودته ان اتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني^(٥). وتخوف البعض الفقر عليه فكان جوابه:

لست أخشى قلة العدم ما اتقيت الله في كرمي
كلما انفقْتُ يخلفه لي رب واسع النعم^(٦)

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٧٣.

(٢) نفس المصدر/ ص ١٧٢.

(٣) البخلاء/ ص ١٧٦.

(٤) د. حسين/ طه/ حديث الأربعاء/ ج ١/ ص ٢٣٥ وما بعدها.

(٥) ابن عبد ربّه/ العقد الفريد/ ج ١/ ص ١٢٣ والميرد الكامل/ ج ١/ ص ٩٦ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٩.

(٦) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٧٧ وما بعدها وعلي

لقد كان ابن جعفر فياضاً بالعطاء لو ملك الدنيا لَفَيَّحَهَا في يوم واحد وهو في ذلك لا يخافُ فقراً أو خصاصة ولا يخشى غائلتهما . فمما يروى : أن يزيد بن معاوية وجَّهَ إلى عبد الله بن جعفر مالاً جليلاً هديةً ففرقه في أهل المدينة ولم يدخل منزله منه شيئاً وفي ذلك يقول عبد الله بن قيس بن الرقيات :

وما كنت الا كالأغر ابن جعفر رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكراً^(١)

وكقول الشماخ بن ضرار الثعلبي :

انك يا ابن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارق إذا أتى
وجار ضيف طرق الحي سرى صادف ناراً وحديثاً يُستهى
ان الحديث طرف من القرى^(٢)

وكان كثير النوال جزيل العطية كريماً نفاحاً... قال الأصفهاني : بلغني أن أعرابياً وقف على مروان بن الحكم أيام الموسم بالمدينة فسأله فقال : يا أعرابي ، ما عندنا ما نصلك ؛ ولكن عليك بابن جعفر ، فأتى الأعرابي باب عبد الله بن جعفر فإذا ثقله قد سار نحو مكة ، وراحلته بالباب عليها متاعه وسيف معلق ، فخرج عبد الله من داره وانشأ الأعرابي يقول :

أبو جعفر من أهل بيت نبوة صلاتهم للمسلمين طهور
أبا جعفر إن الحجيح ترحلوا وليس لرحلي فاعلمن بعير
أبا جعفر ضمن الأمير بماله وأنت على ما في يديك أمير
وأنت امرؤ من هاشم في صميمها إليك يصير المجد حيث تصير

فقال عبد الله بن جعفر : يا أعرابي ، سار الثقل فدونك الراحلة بما

خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤ .

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٤٩ .

(٢) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٧ .

عليها، وإياك أن تخدع عن السيف فاني اخذته بألف دينار. فانشأ الأعرابي يقول:

حباني عبد الله، نفسي فداؤه بأعيس موارٍ سباط مشافره
وابيض من ماء الحديد كأنه شهاب بدا والليل داج عساكره
وكل امرئ يرجو نوال ابن جعفر سيجري له باليمن والبشر طائره
فيا خير خلق الله نفساً ووالدا واكرمه للجار حين يجاوره
سأنتني بما أوليتني يا ابن جعفر وما شاكر عرفاً كمن هو كافره^(١)

ومدح نصيب بن رياح عبد الله بن جعفر فأمر له بمال كثير وكسوة شريفة ورواحل موقرة بُرا وتمرا فليل لعبد الله: أتفعلُ هذا بمثل هذا العبد الأسود فقال عبد الله: أما لأن كان عبداً إنني لحر وإن كان أسود إن ثناءه لأبيض وإنما أخذ مالاً يفتي وثياباً تبلى ورواحل تُنضى وأعطى مديحاً يروى وثناءً يبقى^(٢).

ووفد شاعر على عبد الله بن جعفر فأنشده:

رأيت أبا جعفر في المنام كساني من الخزّ درّاعة
شكوت إلى صاحبي أمرها فقال ستؤتي بها الساعة
سيكسوها الماجد الجعفري ومن كفه الدهر نفاعه
ومن قال للجود لا تعدني فقال لك السمع والطاعة

فقال عبد الله لغلامه: ادفع إليه دراعتي الخزّ ثم قال له: كيف لو ترى جبتي المنسوجة بالذهب التي اشتريتها بثلاثمائة ديناراً فقال له الشاعر: بأبي دعني اغفّ اغفاء أخرى فلعلّي أرى هذه الجبة في المنام، فضحك عبد الله منه وقال: يا غلام ادفع إليه جبتي الوشي^(٣). وكان أهل المدينة يذّانون

(١) الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٥ وما بعدها وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨١.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٩.

(٣) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٦ وما بعدها وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨١.

بعضهم من بعض إلى أن يأتي عطاء ابن جعفر^(١). وروى المدائني عن أبي زكريا العجلاني قال: قال مخرمة بن نوفل: بنو هاشم أكمل سخاءً من بني أمية. وقال جبير بن مطعم: بنو أمية أسخى فقال مخرمة: امتحن ذلك ومنتحنه. فأتى جبير سعيد بن العاصي وابن عامر ومروان فسألهم فأعطاه كل واحد منهم عشرة آلاف، وأتى مخرمة الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر فأعطاه كل واحد منهم مائة ألف درهم فردّها مخرمة وقال: إنما أردت امتحانكم^(٢)! وقصد رجل عبد الله بن جعفر بسكرٍ قدم به من المدينة فكسد عليه فاشتراه منه وانهبه الناس فلما رأى الرجل ذلك قال لعبد الله: أتأذن لي أن انهبَ معهم جعلت فداك قال: بلى فانهبُ فجعل ينهب مع الناس وعبد الله يضحك^(٣).

وقيل إن أعرابياً باع راحلة من عبد الله بن جعفر، ثم غدا عليه فاقترض ثمنها، فأمر له به، ثم عاوده ثلاثاً، وهو في كل مرة يقتضي ثمنها فقال فيه:

لا خير في المجتدي في الحين تسأله فاستمطروا من قریش خير مختدع
تخال فيه اذا حاورته بلهاً من جوده وهو وافي العقل والورع^(٤)

ومن غريب ما يحكى من جوده أن عبد الرحمن بن أبي عمارة وهو من نساك الحجاز دخل على نخاس يعرض قياناً له، فتعلق بواحدة منهم فشهر بذكرها حتى مشى إليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فكان جوابه أن قال:

يلومني فيك أقوام بمالهم فما أبالي أطار اللوم أم وقعا

(١) نفس المصدر/ ص ٢١٧.

(٢) البلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٥.

(٣) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٨ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٧٠.

(٤) نفس المصدر/ ص ٢١٨ وما بعدها.

فانتهى خبره إلى عبد الله بن جعفر فلم يكن له همّ غيره فحج فبعث إلى مولى الجارية فاشتراها منه بأربعين ألف درهم وأمر قيّمة جواريه أن تزينها وتطيّبها ففعلت وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه فقال: مالي لا أرى ابن أبي عمارة فاخبر الشيخ فأتاه مسلماً فلما أراد أن ينهض استجلسه ثم قال: ما فعل حبّ فلانة؟ قال: في اللحم والدم والمخ والعصب، قال: أتعرفها لو رأيته قال: لو أدخلت الجنة ما أنكرها فأمر بها عبد الله أن تخرج إليه وقال: انما اشتريتها لك والله ما دنوت منها فشأنك بها مباركاً لك فيها فلما ولّى قال: يا غلام احمل معه مائة ألف درهم ينعم معها فبكى عبد الرحمن فرحاً وقال: يا أهل البيت لقد خصّكم الله بشرف ما خصّ به أحداً قبلكم من صلب آدم (ع) فلتهنكم هذه النعمة وبورك لكم فيها^(١).

وخرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم فيه غلام أسود يقوم عليها فاتى الغلام بقوته ثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا من الغلام فرمى إليه بقرص فأكله ثم رمى إليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر إليه فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم. قال: ما رأيت، قال: فلم آثرت هذا الكلب قال: ما هي بأرض كلاب وأنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أردّه قال: فما أنت اليوم صانع قال: أطوي يومي هذا. فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء، إن هذا لأسخى مني فاشترى الغلام والنخيل فاعتق الغلام ووهب له النخيل ثم ارتحل.

وأنشد عبد الله بن جعفر قول الشاعر:

إن الصنيعة لا تكون صنيعةً حتى تصيب بها طريق المصنع

فقال: هذا رجلٌ يريد أن يبخل الناس بل أمطر المعروف مطراً فإن صادف موضعاً كان الذي قصدت وإلا كنت أحق به^(٢).

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٩ وما بعدها.

(٢) نفس المصدر/ ص ١٧٠.

لقد شَرَّفَ الله تعالى عبد الله بن جعفر بالكرامة وجللة بالحرمة وحباه
الوجاهة فكان الملجأ واللياذ للمتحوِّج والخائف قال المبرِّد. إن عبد الله بن
قيس الرقيات كان منقطعاً إلى مصعب بن الزبير وكان كثير المدح له وكان
يقاتل معه وله فيه أشعار كثيرة، فلما قتل مصعب كان عبد الملك عازماً
على قتل عبد الله بن قيس فهرب فلحقَّ بعبد الله بن جعفر فشفع فيه إلى عبد
الملك فشفعه في أن ترك دمه فقال: ويدخل إليك فتسمع منه فأبى فلم يزل
به حتى أجابه ففي ذلك يقول لعبد الله بن جعفر:

أتيناك نثني بالذي أنت أهله عليك كما أثنى على الأرض جاراها
تقدتُ بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها
تزور فتى قد يعلم الناس أنه تجودُ له كف قليل غرارها
فوالله لولا أن تزور ابن جعفر لكان قليلاً في دمشق قرارها^(١)

إلى كثير من ذلك مما يجاوز حدود الحصر كنّا تركناه خشية الاطالة،
ولعل خير ما نختم به هذا الموضوع ما أنشده الخليفة هارون الرشيد
لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال الرشيد: لله دَرُّ عبد الله بن جعفر
فلقد نطق بالحكمة حيث يقول:

يا أيها الزاجري عن شيمتي سفها عمدا عصيت فقال الزاجرُ الناهي
اقصِرْ فانك من قوم ارومتهم في اللؤم فافخر بهم إن شئت أو باهي
يزين الشعر افواهاً اذا نطقت بالشعر يوماً وقد يزري بأفواه
قد يرزق المرءُ لا من فضل حيلته ويصرف الرزق عن ذي الحيلة الداهي
لقد عجبت لقوم لا أصول لهم أثروا وليسَ وإن أثروا بأشباه
ما نالني من غنى يوماً ولا عدم الا وقولي عليه الحمدُ لله^(٢)

قال يعقوب بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس قلت: «ومن الذي

(١) الكامل/ ج ٢/ ص ١٩٤.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤.

بلغت به المقدرة أن يسامى بتلك أو يدانيه قال: لعله من بني أبيك وأمك»^(١).

وفي مرض عبد الله بن جعفر الذي توفي فيه توارد عليه الزائرون عارفو فضله ومقدرو قدره وصنائع احسانه وكان منهم أعرابي أتاه وهو محموم فأنشأ يقول:

كم لوعة لندى وكم قلق للجود والمكرمات من قلقك؟
البسك الله منه عافية في نومك المعتري وفي أرقك
أخرج من جسمك السقام كما أخرج ذم الفعال من عنقك

فأمر له بألف دينار^(٢). وهذا أسير معروفه وعتيق كرمه عبد الله بن قيس الرقيات ينمى إليه خبر توعك عبد الله فيقول^(٣):

قد أتانا بما كرهنا أبو اللسلس كانت بنفسه الأوجاع
قال: يشكو الصداغ وهو ثقیل بك لا بالذي ذكرت الصداغ

قال أبو الفرج: «فراح يوماً إلى الجمعة وهو يقول: اللهم انك عودتني عادةً جريئاً عليها، فإن كان ذلك قد انقضى فاقبضني إليك، فتوفي في الجمعة الأخرى»^(٤) وقيل إنّه لما حضرته الوفاة دعا ابنه معاوية فأوصى إليه - وفي ولده من هو أسن منه - وقال له: إني لم أزل أوملك لها. فلما توفي احتال معاوية بدين أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه، وقسم أموال أبيه بين ولده، ولم يستأثر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما^(٥).

(١) نفس المصدر/ ص ١٨٤.

(٢) الخطيب البغدادي/ أحمد بن علي/ تأريخ بغداد/ ج ٦/ ص ٣٨١ - ٣٨٢ دار الكتاب العربي/ بيروت. لبنان.

(٣) الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢٢١.

(٤) نفس المصدر/ ج ١٢/ ص ٢١٩.

(٥) نفس المصدر السابق/ ج ١٢/ ص ٢١٩ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٩ باختلاف يسير.

واختلف في سنة وفاته وعمره، فقليل: توفي وهو ابن سبعين سنة في خلافة عبد الملك بن مروان وهو الذي صلى عليه^(١). وفي الإصابة عن الواقدي أنه توفي سنة سبع وثمانين وله تسعون سنة^(٢)، وقيل مات بالابواء سنة تسعين وصلى عليه سليمان بن عبد الملك بن مروان وله تسعون سنة^(٣). وقيل غير ذلك.

ولما توفي عبد الله بن جعفر شهده أهل المدينة كلهم، فما تنظر إلى ذي حجا إلا رأيته مستعبراً قد أظهر الهلع والجزع^(٤). فلما فرغوا من دفنه وقف عمرو بن عثمان على شفير قبره فقال: «رحمك الله يا ابن جعفر! إن كنت لرحمك لواصلاً، ولأهل الشر لمبغضاً ولأهل الريّة لقالياً، ولقد كنت فيما بيني وبينك كما قال الأعشى:

رعى الذي قد كان بيني وبينكم من الود حتى غيبتك المقابر

فرحمك الله! يوم ولدت ويوم كنت رجلاً ويوم مت ويوم تبعث حياً! والله لئن كانت هاشم أصيبت بك لقد غم قريشاً كلها هلكك، فما أظن أن يرى بعدك مثلك».

ووقف عمرو بن سعيد عند قبره ورثاه فقال: لا إله إلا الله الذي يرث الأرض ومن عليها وإليه ترجعون، ما كان أحلى العيش بك يا ابن جعفر! وما أسمح ما أصبح بعدها! والله لو كانت عيني دامعة على أحد لدمعت عليك، كان والله حديثك غير مشوب بكذب، وودّك غير ممزوج بكدر^(٥).

(١) الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٩.

(٢) ابن حجر/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٤٨.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٣.

(٤) الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٣١٩ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٣.

(٥) الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢٢٠ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٣.

وقال عبد الله بن قيس الرقيات:

بات قلبي تشقُّه الأوجاعُ
من حديث سمعته منع النور
إذ أتانا بما كرهنا أبو
ابن اسماء لا إبالك تنعُّي
هاشمية بكفه من سجال المجد
نشر الناس كل ذلك منه
لم أجد بعدك الا خلأء الا
بيته من ييوت عبد منافٍ
منتهى الحمد والنبوة والمجد
فستأتيك مدحة من كريم

من هموم نجنَّها الأضلاعُ
م فقلبي مما سمعت يُراع
اللسلاس، كانت بنفسه الأوجاع
إنه غير هالك نفاع
سجل يهون فيه القُبَاع
شيمة المجد ليس فيه خِداع
كنماد به قذئ أو نِقَاع
مدَّ أظنابه المكان اليفَاع
إذا قصَّر اللثام الوضَاع
ناله من ندئ سجالك باع^(١)

وأما عقب جعفر بن أبي طالب (ع) ففي ولده عبد الله الأكبر الجواد وحده وليس له عقب إلا منه، قاله صاحب العمدة^(٢) فولد عبد الله عشرين من الأبناء الذكور وقيل أربعة وعشرين^(٣) نذكر منهم:

علي بن عبد الله بن جعفر الزينبي^(٤) وفيه الكثرة والعدد^(٥) أمه زينب بنت علي بن أبي طالب (ع) وأمها فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -^(٦) ويقال لبني علي الزينبيون^(٧) وعلي بن عبد الله هذا سيد فقيه

(١) نفس المصدر/ ج ١٢/ ص ٢٢١.

(٢) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٩.

(٣) نفس المصدر/ ص ٣٨ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٣.

(٤) نفس المصدر/ ص ٣٨ وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.

(٥) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.

(٦) نفس المصدر/ ص ٦٨ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨.

(٧) التويري/ نهاية الأرب/ ج ٢/ ص ٣٦٠.

عالم يصلح للرياسة والإمامة^(١).

ومعاوية بن عبد الله بن جعفر وصي أبيه والأثير لديه وإنما سمي بمعاوية لأن أباه يوم بشر بولادته كان في مجلس معاوية بن أبي سفيان فطلب معاوية منه ذلك وبذل له مئة ألف درهم^(٢) وقيل ألف ألف^(٣) وبعد أن قبض عبد الله المال أعطاه لمن بشره بالوليد^(٤) وإسحاق العرضي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(٥).

وإسماعيل بن عبد الله بن جعفر الزاهد^(٦) كان من ثقات التابعين^(٧) من أصحاب الإمام جعفر الصادق (ع)^(٨) قال السيد المحقق بهامش العمدة/ ص ٧٩ قتل إسماعيل سنة ١٤٥ هـ وقد قارب التسعين وأضاف أن ابن حجر ذكره في التقريب.

وعون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(٩) وبدا لي أن لعبد الله ولدين بهذا الاسم أحدهما (الأكبر) والثاني (الأصغر).

وأما الأكبر فقد قيل: أنه مات في حياة

-
- (١) الجاحظ/ رسائل الجاحظ/ مج ٣ - ٤/ ص ١٢١.
 - (٢) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢٢٢ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨.
 - (٣) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨.
 - (٤) نفس المصدر/ ص ٣٨ والأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢٢٢.
 - (٥) نفس المصدر/ ص ٣٨ قال: العريضي، وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨ والنويري/ نهاية الأرب/ ج ٢/ ص ٣٦٠ قال: «العرض: موضع بالمدينة».
 - (٦) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨.
 - (٧) هامش العمدة/ ص ٣٩ السيد المحقق.
 - (٨) الطوسي/ رجال الطوسي/ ص ١٤٧.
 - (٩) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٩١، والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦٠ وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨، والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٣، وابن أعثم/ الفتوح/ مج ٥ - ٦/ ص ١٢٧.

أبيه^(١). وقيل إنه استشهد مع الحسين (ع) بالطف^(٢). وقيل إن الذي استشهد مع الحسين بن علي (ع) إنما هو عون الأصغر^(٣). وإلى الأخير يذهب ابن أعثم الكوفي في فتحه كما نسب إليه عند خروجه (ع) إلى ساحة المعركة البيتين من الرجز:

ان تنكروني فأنا ابنُ جعفرِ شهيد صدقٍ في الجنان الزهر
يطير فيها بجناح أخضرٍ كفا بهذا شرفاً من مشعر^(٤)

وإياه عنى سليمان بن قتة بمرثيته:

واندبي إن بكيت عوناً أخاهُ ليس فيما ينوبهم بخذول
فلعمري لقد أصيب ذوي القر بى فبكي على المصاب الطويل^(٥)

لكن أبا الفرج الأصفهاني يؤكد في مقاتله استشهد عون الأصغر يوم (الحرّة) كما لم يغفل ذكر قاتله^(٦). وأم عون هي زينب العقيلة بنت علي بن أبي طالب (ع) وأمها فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -^(٧).

ومحمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(٨). واستشهد مع

(١) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.

(٢) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦٨.

(٣) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.

(٤) الفتوح/ مج ٥ - ٦/ ص ١٢٧.

(٥) مقاتل الطالبين/ ص ٦٠.

(٦) نفس المصدر/ ص ٨٣.

(٧) نفس المصدر/ ص ٦٠.

(٨) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ج ٢/ ص ٩١ والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٣. وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨، والكوفي/ ابن أعثم/ الفتوح/ مج ٥ - ٦/ ص ١٢٧ والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ طبعة أخرى/ ص ٦٠.

الحسين (ع) بالطف أيضاً^(١). وأورد له ابن أعثم الكوفي في فتوحه أرجوزة عند خروجه إلى المعركة:

نشكو إلى الله من العدوان فعال قوم في الردى عميان
قد بدلوا معالم الفرقان ومحكم التنزيل والبيان
وأظهروا الكفر مع الطغيان^(٢)

وكان (ع) معنياً هو الآخر بمرثية الشاعر سليمان بن قتة بقوله:

وسمي النبي غودراً فيهم قد علوه بصارم مصقول
فإذا ما بكيت عيني فجودي بدموع تسيل كل مسيل^(٣)

نوه الجاحظ به في رسائله فقال: «سيد فقيه عابد يصلح للرياسة والإمامة»^(٤). وأم محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب هي الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف بن ربيعة بن عثمان بن ربيعة^(٥). وعبيد الله بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأمه الخوصاء بنت حفصة، استشهد هو الآخر مع الحسين (ع) بالطف وذكر ذلك الأصفهاني في مقاتله عن يحيى بن الحسن العلوي فيما حدثه به أحمد بن سعيد عنه^(٦). وحسين بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب استشهد مع الحسين (ع) بالطف ذكر ذلك ابن حزم في

(١) الكوفي/ ابن أعثم/ الفتوح/ مج ٥ - ٦/ ص ١٢٧ والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦٠ والمسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٩١ والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٣، وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.

(٢) الفتوح/ مج ٥ - ٦/ ص ١٢٧.

(٣) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦٠.

(٤) رسائل الجاحظ/ مج ٣ - ٤/ ص ١٢١.

(٥) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦٠.

(٦) المصدر نفسه/ ص ٦١ وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨ لكن دون أن يتعرض للذكر استشهاده.

وذكر ابن حزم أبناء آخرين لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب هم:

جعفر - عياض - أبو بكر^(٢) - يحيى - صالح - موسى - هارون - يزيد - ولا عقب لواحد منهم^(٣). قال أبو نصر البخاري في (سر السلسلة العلوية): «كل جعفري في الدنيا فمن ولد عبد الله بن جعفر إذ لم يصح لجعفر عقب إلا من عبد الله بن جعفر، والذين ينتسبون إلى عون ومحمد ابني جعفر لا يصح نسبهم أصلاً، والذين ينتسبون إلى عبد الله الجواد بن جعفر من غير أولاد معاوية بن عبد الله وعلي بن عبد الله وإسحاق بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الله هؤلاء الأربعة فلا يصح لهم نسب ولا أعرف منتسباً إلى غيرهم»^(٤).

وسأقصر التنويه بأحد أحفاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من ولده معاوية وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، من شجعان الطالبين ورؤسائهم وشعرائهم يكنى أبا معاوية وأمه أسماء وهي أم عون بنت العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وزوجته فاطمة بنت الحسن بن الحسن أنجبت له الحسن وصالحاً ويزيد. وكان عبد الله قد ظهر بالكوفة سنة خمس أوسبع وعشرين ومائة ودعا الناس إلى بيعته على الرضا من آل محمد فاجتمع عليه نفرٌ من أهل الكوفة فبايعوه وعظم أمره واتسعت مقدرته وملك الجبل بأسره، وكان أبو جعفر المنصور الدوانيقي عامله على (إبذج) واستعمل أخاه الحسن بن معاوية على (اصطخر)، وأخاه يزيد على (شيراز) وأخاه علياً على (كرمان) وأقام هو بأصبهان فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غلب عليها حتى ولي مروان بن محمد (الحمار)

(١) جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.

(٢) ذكر في الجمهرة/ ج ٦٨ والمقاتل/ ص ٨٢ أن أبا بكر قتل بالحرّة.

(٣) جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.

(٤) هامش عمدة الطالب/ ص ٥٧ بقلم السيد المحقق.

فوجه إليه عامر بن ضبارة في عسكر كثيف فخرج إلى أبي مسلم المروزي طامعاً في نصرته فأوقع عليه الحيل حتى أخذه وحبسه بهرة ولم يزل محبوباً حتى قتل سنة تسع وعشرين ومائة، وقبره بهرة وفيه يقول أبو مالك الخزاعي:

تفكرت الدنيا خلاف ابن جعفر عليّ ووليّ طيها ونعيمها

وعليّ الرغم مما ذكر عنه من الفظاظة والغلاظة فإنه كان من ظرفاء بني هاشم وأدبائهم المجيدين في منظوم القول ومنثوره وكان خطيباً لسنّاً وكان الناس يقولون: ابن الطيار اخطبُ الناس.

ومن ظريف القول ما رواه الأصفهاني في أغانيه عن طفولة معاوية بن عبد الله بن جعفر، إن كثير عزة الشاعر كان يمرُّ بمعاوية وهو في المكتب فيكبُّ عليه ويقبله ويقول: أنت من الأنبياء الصغار ورب الكعبة.

ولمعاوية من الشعر ما سار في الآفاق منه قوله:

لسنا وإن كرممت اوائلنا يوماً على الأحساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا
وله أيضاً:

وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فلا زال ما بيني وبينك بعدما
كلنا غني عن أخيه حياته وعين الرضا عن كل عيب كليلة
وإن عرضت ايقنت أن لا اخاليا بلوتك في الحاجات الاتماديا
ونحن إذا متنا أشد تغانيا كما أن عين السخط تبدي المساويا
وله:

الا ننزع القلب عن جهله فيبدل بعد الصبا حكمة
فلا تركب الصنيع الذي ولا يعجبك قول امرئ
وعمّا تؤنب من أجله ويقصر ذو العذل عن عذله
تقوم أخاك على مثله يخالف ما قال في فعله
ولكن سل الله من فضله ولا تتبع الطرف ما لا ينال

وكم من مقل ينال الغنى ويحمد في رزقه كله
وله في الاعتذار والاستعطاف نثراً:

«أما بعد فأتاك الله حفظ الوصية، ومنحك نصيحة الرعية، والهمك
عدل القضية، فإنك مستودع ودائع، ومولى صنائع، فاحفظ ودائعك بحسن
صنائعك، فالودائع عارية، والصنائع مرعية. وما النعم عليك وعلينا فيك
بمنزور نداها. ولا بمبلوغ مداها. فنبه للتفكير قلبك، واتق الله
ربك...»^(١).

محمد بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي أخو عبد الله
وعون^(٢) في الأصفهاني لا تعرف له كنية^(٣) وفي ابن حجر عن الواقدي أنه
كان يكنى أبا القاسم^(٤) وقيل أنه أول من سمي محمداً في الإسلام من
المهاجرين^(٥) وكانت ولادته بأرض الحبشة^(٦) وأمه اسماء بنت عميس
الختومية — كما مر —.

وقد روي أن رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — قال لما

(١) اعتمدت في هذه الترجمة المراجع الآتية:

المبرد/ الكامل/ ج ١/ ص ١١٠، الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٢/ ص ٣٩،
ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨، ص ٤٢، الأصفهاني/ مقاتل
الطالبيين/ ص ١١١ وما بعدها، وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي
طالب/ ص ٣٨، الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٥٧، الجاحظ/ الحيوان/ مع
١ — ٢/ ص ٥٨٦، قدامة بن جعفر/ نقد الشعر/ ص ١٤٧، البهائي/ الكشكول/
ج ٢/ ص ١٥. الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٩/ ص ١٨.

(٢) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢.

(٣) مقاتل الطالبيين/ ج ١١.

(٤) الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢.

(٥) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب
آل أبي طالب/ ص ٣٦.

(٦) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢ عند الدارقطني.

استشهد جعفر بن أبي طالب: ادعو لي بني أخي فجيء بنا كأنا أفرار فقال: ادعوا لي الحلاق فأمر فحلّق رؤسنا ثم قال: أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب وأما عون فشبيه خلقي وخلقي.. إلى آخر الحديث^(١) وقد مرّ نظير هذا في ثنانيا الحديث عند ذكرنا لذي الجناحين وابنه أبي جعفر وفي الطبري أن علياً (ع) ندبه ومحمد بن أبي بكر رسولين إلى الكوفة وعليها أبو موسى الأشعري يستصرخ أصحابها ويستنصرهم^(٢).

وقد ذكر الشيباني قال: لما نزل محمد بن أبي بكر مصر، وصيّر إليه معاوية: ابن خليج الكندي تفرق عن محمد من كان معه فتغيّب فذلّ عليه فأخذه وضرب عنقه وبعث برأسه إلى معاوية. فكان أول رأس طيف به في الإسلام وكان محمد بن جعفر بن أبي طالب معه فاستجار بأخواله من خثعم فغيّوه وكان سيد خثعم يومئذ رجلاً في ظهره بزخ من كسر أصابه فكان إذا مشى ظنّ الجاهل أنه يتبختر في مشيته فذكر لمعاوية أنه عنده. فقال له: أسلم إلينا هذا الرجل. فقال: ابن اختنا لجأ إلينا لحقن دمه. فدعه عنك قال: واللّه لا أتيك به.

قال: كذبت واللّه لتأتيني به إنك ما علمت لأوره قال: أجل. إني لأوره حين أقاتلك على ابن عمك لتحقن دمه. وأقدم ابن عمي دونه تسفك دمه. فسكت عنه معاوية وخلّى بينه وبينه^(٣) وأورد ابن حجر عن المزرياني في معجم الشعراء قوله نحو ذلك^(٤).

وقيل إن محمد بن جعفر (ع) كان تشرف بمصاهرة عليّ أمير

(١) نفس المصدر/ ص ٤٤ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٦.

(٢) الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٣٩٣.

(٣) الأندلسي/ ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ ج ١/ ص ٨٣.

(٤) الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢.

المؤمنين (ع) على ابنته ام كلثوم^(١) وفي مكان استشهادها كما في ولادته خلاف. فقليل انه استشهد بتستر^(٢) وقيل بالطف^(٣) وقيل بصفين^(٤). وذكر أبو الفرج بطرقه عن الضحاك بن عثمان قال: خرج عبيد الله بن عمر بن الخطاب في كتيبة يقال لها الخضراء. وكان بازائه محمد بن جعفر بن أبي طالب معه راية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) التي تسمى الجموح. وكانا في عشرة آلاف. فاقتتلوا قتالاً شديداً.

قال: فلقد ألقى الله عز وجل عليهم الصبر، ورفع عنهم النصر. فصاح عبيد الله متى متى هذا الحذر؟ أبرز حتى اناجزك. فبرز له محمد فقطاعنا حتى انكسرت رماحهما. ثم تضاربا حتى انكسر سيف محمد. ونشب سيف عبيد الله بن عمر في الدرقه فتعانقا وعض كل واحد منهما أنف صاحبه فوقعا عن فرسيهما. وحمل اصحابهما عليهما فقتل بعضهم بعضاً حتى صار عليهما مثل التل العظيم من القتلى وغلب علي (ع) على المعركة فأزال أهل الشام عنهما. ووقف عليهما فقال: اكشفوا هؤلاء القتلى عن ابن أخي فجعلوا يجرون القتلى عنهما حتى كشفوهما فإذا هما متعانقان. فقال علي (ع) أما والله لعن غير حب تعانقتما^(٥). قال أبو الفرج: هذه رواية الضحاك بن عثمان. وما أعلم أحداً من أهل السيرة ذكر أن محمد بن جعفر قتل عبيد الله بن عمر. ولا سمعت لمحمد في كتاب أحد منهم ذكر

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢: فضلاً عن الواقدي والمرزباني، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٥ نقلاً عن ابن عبد البر في الاستيعاب والقاضي نور الله في المجالس.

(٢) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢ نقلاً عن الواقدي والمرزباني، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٥ نقلاً عن ابن عبد البر في الاستيعاب والقاضي نور الله في المجالس.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٥.

(٤) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢ نقلاً عن الدارقطني في كتاب الأخوة والمرزباني في معجم الشعراء.

(٥) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ١١ - ١٢.

مقتله^(١). وازاء التضارب في الأقوال والاضطراب في الروايات وما نتج عنها من لبس ابهام، يقول السيد صاحب الدرجات: كان لجعفر بن أبي طالب ابنان يسمي كل منهما محمداً أحدهما الأكبر ولا خلاف أنه قتل مع عمه أمير المؤمنين (ع) بصفين وهو الذي كان زوج أم كلثوم والثاني محمد الأصغر وهو الذي قيل إنه قتل بالطف أو بشتر قال صاحب العمدة يقال إنه ما أدرك الحلم فقر أن صاحب الترجمة إنما هو محمد الأكبر وخفي على القاضي نور الله ذلك فظنَّ إنما هو محمد واحد فاستصوب أنه قتل بشوشر قال: إنه تشرف بمصاهرة أمير المؤمنين (ع) وقد علمت أن أحدهما غير الآخر. بقي أن صاحب العمدة قال: خلفَ على أم كلثوم عون بن جعفر بن أبي طالب ثم بعده أخوه محمد فإن أراد بمحمد هذا محمد الأكبر فهو قد قتل بصفين قبل عون كما ذكره هو بنفسه في العمدة فكيف خلفه عليها بعده وإن أراد محمد الأصغر فقد قتل هو وعون معاً بالطف أو بغيره على الخلاف في ذلك أن يكون عون طلقها فتزوجها بعده أحد المحمدين لكن عبارته لا تعطي ذلك والله أعلم^(٢).

وكان السيد صاحب الدرجات الرفيعة وصاحب العمدة قد أشارا في معرض حديثهما عن سيرة جعفر بن أبي طالب (ع) إلى أنه كان أعقب من الولد ثمانية ذكور. وقد ذكراهم بالاسماء وهم: عبد الله — وعون — ومحمد الأكبر — ومحمد الأصغر — وحמיד — وحسين — وعبد الله الأصغر — وعبد الله الأكبر^(٣) وهذا يعني رجحان رأي السيد على ما هواه.

(١) نفس المصدر/ ص ١٣.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٥ — ١٨٦.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٩ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٦.

وعن عقب محمد الأكبر - موضوع بحثنا - يقول صاحب
العمدة إنه انقرض، ودرج الخمسة الآخر أعني أولاد جعفر ما عدا عبد الله
الأكبر^(١).

(١) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٧.

عون

عون بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي ابن عم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ولد بأرض الحبشة وقدم به أبوه في غزوة خيبر^(١) وقد مر ذكر حديث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فيه وفي أخوته فيما تقدم. وكان يشبه أباه جعفرأ خلقاً وخلقاً وأمه أم أخوته جميعاً وهي اسماء بنت عميس الخثعمية. وكان قد تزوج من أم كلثوم بنت أمير المؤمنين علي (ع) ثم من بعده اخوه محمد قاله صاحب العمدة^(٢). واختلف في أي ولدي جعفر محمد وعون كان اسن فأما عبد الله فكان أسن منهما^(٣). قال صاحب العمدة والدرجات أن عوناً استشهد مع ابن عمه الحسين (ع) يوم الطف^(٤). وقيل إنّه استشهد بتستر وذلك في خلافة عمر بن الخطاب^(٥) وولد عون بن جعفر بن أبي طالب شهيد الطف ابنا اسمه مساور له ذيل لم يطل وانقرض.

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٤٤ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤.

(٣) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٤٤ - ٤٥.

(٤) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٦.

(٥) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٤٥ نقلاً عن (أبو عمر) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ١٤.

عقبه^(١). أما ابن حزم فيقول: إن لعون عقباً غير مشهور؛ وقد قيل إن موسى بن معاوية الصمادحي، راوية وكيع بن الجراح، من ولده، وأنه موسى بن معاوية بن أحمد بن عون بن معاوية بن عون بن جعفر، وقيل: عون بن عبد الله بن جعفر^(٢). بينما يرى ابن الأثير إن عوناً لم يعقب^(٣).

-
- (١) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ج ٣٧ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤ وابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٤٥ قال: «وماله عقب».
- (٢) الأندلسي/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.
- (٣) أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٣١٤.

فهرست المصادر المعتمدة في تأليف الكتاب

القرآن الكريم.

١ - ابن أبي الحديد/ عز الدين/ عبد الحميد/ شرح نهج البلاغة/
الطبعة الأولى دار احياء الكتب العربية/ القاهرة ١٩٥٩ .

٢ - ابن الأثير/ عز الدين/ أسد الغابة/ دار الشعب/ القاهرة
١٩٧٠ .

٣ - ابن الأثير/ عز الدين/ الكامل في التاريخ/ الطبعة الثانية/ دار
الكتاب العربي/ بيروت ١٩٦٧ .

٤ - ابن حجر/ شهاب الدين/ أبو الفضل/ أحمد بن علي بن
محمد/ الإصابة/ المطبعة الشرقية/ القاهرة ١٩٠٧ .

٥ - ابن خلدون/ عبد الرحمن المغربي/ كتاب السير وديوان المبتدأ
والخبر .

٦ - ابن شهر آشوب/ رشيد الدين/ أبو عبد الله/ محمد بن علي/
مناقب آل أبي طالب/ المطبعة الحيدرية/ النجف ١٩٥٦ .

٧ - ابن عقيل/ بهاء الدين/ عبد الله بن عقيل/ شرح ألفية بن مالك/

الطبعة الرابعة عشرة/ القاهرة ١٩٦٥ .

٨ - ابن عنبه/ جمال الدين أحمد/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ دار الأندلس/ النجف ١٩٨٨ .

٩ - ابن المعتز/ عبدالله/ طبقات الشعراء/ الطبعة الرابعة/ دار المعارف/ القاهرة ١٩٨١ .

١٠ - ابن هشام/ السيرة النبوية/ مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة ١٩٣٦ .

١١ - ابن هشام/ قطر الندى وبل الصدى.

١٢ - الأبشيهي/ شهاب الدين/ محمد بن أحمد/ المستطرف في كل فن مستظرف/ دار الفكر.

١٣ - الأصفهاني/ أبو الفرج/ علي بن الحسين/ الأغاني/ دار الفكر/ بيروت.

١٤ - الأصفهاني/ أبو الفرج/ علي بن الحسين/ مقاتل الطالبين/ دار احياء علوم الدين/ بيروت.

١٥ - الأصفهاني/ أبو الفرج/ علي بن الحسين/ مقاتل الطالبين/ الطبعة الثانية/ المطبعة الحيدرية/ النجف ١٩٦٥ .

١٦ - الأصفهاني/ محمد بن داود/ الزهرة/ تحقيق د. إبراهيم السامرائي/ د. نوري حمودي القيسي/ الأردن.

١٧ - الألوسي/ محمود شكري/ بلوغ الأرب/ المكتبة الأهلية، مصر.

١٨ - الأمين العاملي/ محسن/ أعيان الشيعة/ الطبعة الثانية/ مطبعة الاتقان/ دمشق ١٩٤٧ .

١٩ - الأميني/ عبد الحسين/ الغدير/ الطبعة الثالثة/ دار الكتاب

العربي/ بيروت ١٩٦٧.

٢٠ - الأنباري/ أبو بكر محمد بن القاسم/ الزاهر في معاني كلمات الناس/ الطبعة الثانية/ دار الشؤون الثقافية/ العامة/ بغداد ١٩٦١.

٢١ - الأندلسي/ ابن حزم/ علي بن أحمد/ جمهرة أنساب العرب/ الطبعة الخامسة/ دار المعارف القاهرة/ ١٩٦٢.

٢٢ - الأندلسي/ ابن عبد ربه/ شهاب الدين/ العقد الفريد/ القاهرة/ ١٩٥٣.

٢٣ - الأندلسي/ ابن عبد ربه/ شهاب الدين أحمد/ العقد الفريد/ الطبعة الأولى/ مكتبة هلال/ بيروت ١٩٨٦.

٢٤ - البخاري/ أبو عبد الله/ محمد بن إسماعيل/ صحيح البخاري/ دار الفكر/ بغداد ١٩٨٦.

٢٥ - البيلاوي/ محمود علي/ تاريخ الهجرة النبوية وبدء الإسلام/ الطبعة الأولى/ دار القلم/ بيروت ١٩٨٥.

٢٦ - البلاذري/ أبو الحسن/ أحمد بن يحيى/ أنساب الأشراف/ الطبعة الأولى/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت ١٩٧٧.

٢٧ - البلاذري/ أبو الحسن/ أحمد بن يحيى/ فتوح البلدان/ مطبعة السعادة/ القاهرة ١٩٥٩.

٢٨ - الخطيب البغدادي/ أبو بكر/ أحمد بن علي/ تاريخ بغداد/ دار الكتاب العربي/ بيروت.

٢٩ - الجاحظ/ أبو عثمان/ عمرو بن بحر/ الحيوان/ شركة الكتاب اللبناني/ بيروت ١٩٦٨.

٣٠ - الجاحظ/ أبو عثمان/ عمرو بن بحر/ البخلاء/ الطبعة

الأولى/ دار الكتاب المصري/ القاهرة ١٩٤٨.

٣١ - الجاحظ/ أبو عثمان/ عمرو بن بحر/ البيان والتبيين/ شركة
الكتاب اللبناني/ بيروت ١٩٦٨.

٣٢ - الجاحظ/ أبو عثمان/ عمرو بن بحر/ رسائل الجاحظ/ الطبعة
الأولى/ القاهرة ١٩٧٩.

٣٣ - الديلمي/ أبو محمد/ الحسن بن أبي الحسن بن محمد/ إرشاد
القلوب/ دار القلم/ بيروت ١٣٨١ هـ.

٣٤ - الزبيدي/ محمد مرتضى/ تاج العروس/ دار صادر/ بيروت
١٩٦٦.

٣٥ - الزركلي/ خير الدين/ الأعلام/ الطبعة الثالثة/ بيروت ١٩٦٩.

٣٦ - الزركلي/ خير الدين/ الأعلام/ الطبعة السادسة/ دار العلم
للملايين ١٩٨٤.

٣٧ - الزمخشري/ محمود بن عمر/ أساس البلاغة/ دار مطابع
الشعب/ القاهرة ١٩٦٥.

٣٨ - الرازي/ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر/ مختار الصحاح/
دار الرسالة/ الكويت ١٩٨٣.

٣٩ - السويدي/ محمد أمين/ سبائك الذهب في معرفة قبائل
العرب/ المكتبة التجارية الكبرى/ القاهرة.

٤٠ - الشرنوبلي الحوري/ سعيد/ أقرب الموارد.

٤١ - الشربيني/ أبو الحسن/ علي بن بسام/ الذخيرة في محاسن
أهل الجزيرة/ الطبعة الأولى/ دار الثقافة/ بيروت ١٩٧٩.

٤٢ - الشناوي/ أحمد/ دائرة المعارف الإسلامية/ الترجمة العربية/
١٩٣٣.

- ٤٣ - الصبان/ محمد/ إسعاف الراغبين/ المطبوع على هامش نور الأبصار/ الطبعة السابعة/ القاهرة ١٩٦٥ .
- ٤٤ - الطبرسي/ أبو منصور/ أحمد بن علي بن أبي طالب/ الاحتجاج/ مطبعة النعمان/ النجف ١٩٦٦ .
- ٤٥ - الطبري/ محمد بن جرير/ تاريخ الرسل والملوك/ دار المعارف/ القاهرة ١٩٦٨ .
- ٤٦ - الطوسي/ أبو جعفر/ محمد بن الحسن/ رجال الطوسي/ الطبعة الأولى/ المطبعة الحيدرية/ النجف/ ١٩٦١ .
- ٤٧ - الظاهري/ ابن حزم/ علي بن أحمد/ الفصل في الملل والأهواء والنحل/ دار الندوة الجديدة/ بيروت .
- ٤٨ - العقاد/ عباس محمود/ أبو الشهداء/ الطبعة الثانية/ دار الكتاب العربي/ بيروت ١٩٦٦ .
- ٤٩ - العقاد/ عباس محمود/ معاوية/ دار الكتاب العربي/ بيروت ١٩٦٦ .
- ٥٠ - القالي البغدادي/ أبو علي/ إسماعيل بن القاسم/ الأمالي/ دار الفكر .
- ٥١ - القرشي/ باقر شريف/ حياة الحسن بن علي/ مطبعة النجف/ ١٩٥٦ .
- ٥٢ - القطبي/ عبد الكريم بن محب الدين/ إعلام العلماء بالأعلام ببناء المسجد الحرام/ الطبعة الأولى/ دار الرفاعي/ الرياض ١٩٨٣ .
- ٥٣ - القزويني الحنفي/ سليمان بن إبراهيم/ ينابيع المودة/ الطبعة الثانية/ النجف ١٣٨٥ هـ .

- ٥٤ - الكليني/ محمد بن يعقوب/ الروضة من الكافي/ المكتبة الحيدرية.
- ٥٥ - الكوفي/ ابن أعثم/ أحمد/ الفتوح/ الطبعة الأولى/ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩٨٦.
- ٥٦ - المبرد/ أبو العباس/ محمد بن يزيد/ الكامل/ مطبعة محمد علي صبيح/ القاهرة ١٣٤٧ هـ.
- ٥٧ - المسعودي/ أبو الحسن/ تاريخ مروج الذهب/ المطبعة البهية المصرية/ القاهرة ١٣٦٦ هـ.
- ٥٨ - المظفر/ محمد حسن/ دلائل الصدق/ المطبعة الحيدرية/ النجف ١٩٥٣.
- ٥٩ - المفيد/ محمد بن محمد بن النعمان/ الإرشاد/ ١٣٦٤ هـ.
- ٦٠ - المقرم/ عبد الرزاق/ الشهيد مسلم بن عقيل/ النجف ١٣٦٩ هـ.
- ٦١ - النقدي/ محمد جعفر/ مواهب الوهاب في فضائل آل أبي طالب/ المطبعة المرتضوية/ النجف ١٣٤١ هـ.
- ٦٢ - النويري/ شهاب الدين/ أحمد بن عبد الوهاب/ نهاية الأرب/ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر/ القاهرة.
- ٦٣ - المهزبي العبدى/ أبو هفان/ عبد الله بن محمد/ ديوان شيخ الاباطح أبي طالب/ المطبعة المرتضوية/ النجف ١٣٥٦ هـ.
- ٦٤ - حرز الدين/ محمد/ مرآة المعارف/ مطبعة الآداب/ النجف ١٩٧١.
- ٦٥ - جميل إبراهيم حبيب/ القول الجازم/ دار الكتب العلمية/

بغداد/ ١٩٨٧.

٦٦ - جواد علي الدكتور/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/
بيروت ١٩٧٠.

٦٧ - سليمان / سولات أبي عبد الرحمن السلمي للدارقطني في
العرج والتعديل/ دار العلوم/ الرياض ١٩٨٨.

٦٨ - شبر/ عبد الله/ تفسير شبر/ الطبعة الثانية/ القاهرة ١٩٦٦.

٦٩ - شمس الدين/ أبو علي/ فخار بن معد/ الحجة على الذهاب
إلى تكفير أبي طالب/ المطبعة العلوية/ النجف ١٣٥١ هـ.

٧٠ - سيد مؤمن / الشبلخي/ نور الأبصار/ الطبعة السابعة/ القاهرة
١٩٦٠.

٧١ - طه حسين/ حديث الأربعاء/ مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة
١٩٣٧.

٧٢ - علي خان/ صدر الدين/ الدرجات الرفيعة/ المطبعة
الحيدرية/ النجف ١٩٦٢.

٧٣ - علي خان/ محمد علي/ أبو طالب وبنوه/ الطبعة الأولى/
مطبعة الآداب/ النجف ١٩٦٩.

٧٤ - علي خان/ محمد علي/ تقارير على الكفاية (مخطوطة).

٧٥ - فيليب حتى/ تأريخ العرب «مطول»/ دار الكشاف/ بيروت
١٩٦٥.

٧٦ - قدامة بن جعفر/ نقد الشعر/ الطبعة الثالثة/ مكتبة الخانجي/
القاهرة ١٩٧٩.

٧٧ - محمد أحمد جاد المولى وآخرون/ قصص العرب/ دار
الجيل/ بيروت ١٩٨٨.

فهرس القسم الثاني

تاليف

علاء السيد علي خان

٩	مقدمة المؤلف.....
١١	الفصل الاول.....
١٣	بنو ابي طالب.....
١٥	اول الابناء.....
١٩	بين اللتيا والتي.....
٢٧	الفصل الثاني.....
٢٩	عقيل.....
٣٩	بين عقيل وعلي.....
٤٧	وجها لوجه مع معاوية.....
٥٩	بنو عقيل.....
٦٧	الفصل الثالث.....
٦٩	جعفر بن ابي طالب.....
٧٥	في الحبشة.....
٨٠	بخير دار.....
٨٣	في مؤنة.....

- ٨٦.....احدى الحسنين
- ٩٦.....عبد الله بن جعفر
- ١٢١.....عون بن جعفر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْبُحْرَانُ الْكَلَامِي

وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ غَيْرِي

وَضَلِيلُكُمْ لَسْتُ لَكُمْ

طالب

عقيل

جعفر

علي

دار المنهج

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان ص.ب. ٦٥/١٥٥ - الفبيري

تلفاكس: ٨٥٠٣١٦ ١ ٩٦١ - هاتف: ٩٥٠٤١٦ ٧٠ ٩٦١

E-mail: mortada14@hotmail.com

